

المختار

في الأدب والنصوص والنقد والدراسات الأدبية

للسنة الثالثة الثانوية



المعهد التربوي الوطني - الجزائر

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابطہ بدیل
lisanerab.com

www.lisanarb.com



twitter مکتبۃ لسان العرب



facebook مکتبۃ لسان العرب



instagram مکتبۃ لسان العرب



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

المختار

في الأدب والنصوص والنقد والنراجم الأدبية

للسنة الثالثة الثانوية

عبد الرحمن شيبان

إعداد وإدارة المفضّل العام

تأليف
أحمد بن محمد



المعهد التربوي الوطني

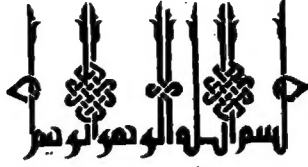


مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطہ بدیل



مقدمة :

وفاء لوعدنا بإنجاز سلسلة كتب المختار في القراءة واللغة والأدب والنصوص والتراجم الأدبية لتلاميذ المرحلتين المتوسطة والثانوية ، يسرنا أن نقدم الجزء الأخير من هذه السلسلة لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي ، وبه تكتمل دراسة جميع عصور الأدب العربي .

وإذا كنا قد بدأنا بالعصر الجاهلي وانتهينا الى العصر الحديث ، فذلك لأسباب تربوية انتهت إليها تجارب علماء التربية العرب في العصر الحديث ، فالأدب الجاهلي وإن امتاز بصعوبة ألفاظه بسبب بعدها عن لغة عصرنا فإن معانيه سهلة وبسيطة ، في حين أن الأدب الحديث وإن كانت ألفاظه بسيرة سهلة - في الجملة - فإنه يتسم بعمق المعاني وبعد المرامي . والتدرج من السهل البسيط الى الصعب العميق - في تقديم المعلومات والأفكار - هو ما يطابق مبدأ مراعاة النمو العقلي والتدرج الفكري لدى التلاميذ . يضاف الى هذا أن الأدب العربي يتصف بتلاحم عصوره ، فاللاحق منها يستمد جذوره من العصور السابقة ، ولو أننا بدأنا بالعصر الحديث لوجدنا أنفسنا مضطرين للاحالة الى العصور السابقة التي لم نتعرض لدراستها من قبل سواء في استنتاج الأحكام الأدبية العامة المتصلة بخصائص العصر أو الأحكام الأدبية الخاصة بأديب أو شاعر معين ، والاحالة الى مجهول أمر يتنافى ومبادئ التربية السليمة .

ويتناول هذا الكتاب دراسة تاريخية ونقدية وتحليل نصوص أدبية لعصرين هما : عصر الضعف وعصر النهضة الحديثة طبقاً للموضوعات التي حددها البرنامج الوزاري المقرر مع إضافة نصوص أخرى رأينا جدوى إلحاقها وهي :

- نماذج من ادب عصر الضعف استيفاء لصورته وتوضيحاً للملامحه .
- نماذج لكل أديب من الأدياء الذين قرر البرنامج دراسة نص من نصوصهم والهدف من هذه النماذج هو تقديم صورة عن أهم الأغراض التي تناولها ذلك الأديب ، وإبراز الاتجاهات الأدبية في إنتاجه .

- موضوعات للمطالعة تلقي أضواء على النص المدروس بصورة مباشرة كأن تكون تعليقاً عليه أو نقداً له ، أو بصورة غير مباشرة كأن تكون توضيحاً لفكرة وردت في النص أو تتصل به من قريب أو بعيد مما يلبي تطلعات التلاميذ واهتماماتهم في المجالات الاجتماعية والنفسية والخلقية .

- نماذج من الأدب الجزائري الحديث أوردناها للتعريف به وبرجاله ولكشف النقاب عن حقبة تاريخية كان لها أثر فعال في تاريخنا الحاضر ، وذلك من خلال ما سجلته التجارب الأدبية في هذه النماذج .

ونوجه أنظار الأساتذة الى أننا أدرجنا نماذج للفنون الأدبية [الخطابية - الرسالة - المقالة - القصة - المسرحية] في النماذج الأدبية الملحقة ببعض الأدباء الذين تناولنا دراستهم ، وقد أشرنا عند دراسة كل فن من هذه الفنون إلى موطن نموذج جسمه ، فالرجاء أن يراعى - في التدريس - الربط بين الدراسة النظرية والنص التطبيقي لها .

وبهذه الاضافات نكون قد وضحنا صورة الأدب في عصر الضعف والعصر الحديث .

وقد التزمنا في عرض النصوص الأدبية هنا بالإطار الذي سرنا عليه في الكتابين السابقين للسنتين الأولى والثانية الثانويتين . وأدخلنا عليه بعض التعديلات استجابة لمطالبات النمو الفكري لدى التلاميذ ، وأهم هذه التعديلات ما يلي :

1 - التوسع في تحليل الأفكار التي كانت تدرس سابقاً تحت عنوان « دراسة أدبية » وذلك باستخراج أحكام عديدة مختلفة ، وعقد موازانات بين الأدباء والكشف عن مصادر بعض أفكارهم من بيئتهم .

2 - الاستعانة في فهم الأدب ونصوصه ببعض ما درسه التلاميذ من علوم مختلفة وخاصة في مواد التربية الاسلامية والفلسفة والتاريخ .

3 - توسعنا في تحليل الأسلوب من حيث دراسة الكلمة والعبارة ودلالة الأسلوب على شخصية الأديب ، وعلاقة الأسلوب بالموضوع ، وركزنا اهتمامنا على الجانب التذوقي في تحليل الصور البلاغية .

ولتحقيق الفائدة المرجوة من هذا الكتاب على أحسن وجه ممكن نقدم بين أيدي زملائنا الأساتذة التوجيهات التربوية الآتية :

التوجيهات التربوية

أولاً : ينبغي اتباع ما كنا قررناه في الكتابين السابقين من السير على الخطوات التالية :

1 - تكليف التلاميذ باعداد النص قبل الدرس للاحاطة ببعض لغوياته وأفكاره وموضوعه بصفة عامة ، دفعاً لهم على المشاركة في الدرس بحيوية وفعالية وتوفيراً للوقت المخصص لشرح ما يصعب على التلاميذ إدراكه بأنفسهم .

2 - تمهيد موجز يضع التلميذ في جو النص ويعينه على إدراك الإطار العام لموضوعه وذلك بتعريف التلاميذ بصاحب النص وبيئته ومناسبتة ويكون هذا التمهيد بطرق عدة كعرض لوحة أو سماع أسطوانة أو طرح أسئلة أو حديث قصير مركز جذاب يقوم به الأستاذ بين يدي النص .

3 - قراءة النص : يقول بعض المربين : « إن القراءة الجيدة لنص من النصوص تعادل نصف شرحه » . والقراءة الجيدة لنص لا تقف عند حد ضبط بنية الكلمات وسلامة حركات إعرابها ، وإنما تتناول حسن مخارج الحروف ودقة النبر وجودة التنغيم ، فينخفض الصوت حينما يعبر عن معاني الحزن والأسى ، ويعلو عندما يعبر عن معاني القوة والثورة ويعطي الدلالات الصوتية لمعاني التعجب والاستفهام والانكار والحيرة ، وما الى ذلك من المعاني التي يكون فيها لطريقة الأداء اللغوي نصيب كبير . في إبراز معانيها والتعبير عنها .
لعل الزملاء الأساتذة أن يحرصوا كل الحرص على أن تكون القراءة النموذجية للنصوص ممثلة لهذه الخصائص الفنية للقراءة الجيدة ، وأن يدلفوا لتلاميذهم الى مراعاة هذه الخصائص في كل ما يقرأون .

4 - تحديد الفكرة العامة للنص : بعد الفراغ من القراءة يطرح الأستاذ عدة أسئلة ، الهدف منها أن يدرك التلاميذ المعنى الاجمالي لموضوع النص .

5 - الشرح التفصيلي : ويتم بطريقة الوحدات تسهيلاً للشرح والمقصود بالوحدة هي الفكرة المحددة التي تتألف من أفكار جزئية وقد تكون فكرة كاملة من أفكار النص الرئيسية ، وقد تكون جزءاً منها ، والوحدة قد تؤدي بشرط من بيت أو بيت واحد أو اثنين أو أكثر في الشعر وقد تؤدي بعبارة أو فقرة قصيرة في النثر . وتعالج كل وحدة بقراءتها منفردة لتحديد ما وتوجيه انتباه التلاميذ إليها ، ثم تذليل الصعوبات اللغوية فيها ، وشرح أفكارها الجزئية ، ومناقشة المعنى العام لها عن طريق أسئلة تتناول كل الأفكار الجزئية ثم مطالبة التلاميذ بالتعبير عن مضمون الوحدة بأساليبهم الخاصة . وحبذا لو طلب من التلاميذ إعطاء عنوان لمعنى الوحدة وتسجيله على السبورة ، ويقتصر الشرح في هذه المرحلة على توضيح ما يرد من الصيغ البلاغية بالقدر الذي يتطلبه فهم المعنى ، أما الجانب النقدي التدويقي فيرجأ الى مرحلة قادمة عند دراسة الخصائص الفنية للنص .

6 - تحليل النص : بعد الانتهاء من الشرح التفصيلي يعود الأستاذ بتلاميذه الى إلقاء نظرة شاملة على النص كله للتأكد من مدى فهم التلاميذ لفكرته العامة وأبرز أفكاره بعد الشرح التفصيلي ويتوج ذلك بتحليله وتقسيمه الى أفكاره الأساسية حسب طبيعة كل نص والأهداف المتوخاة من دراسته .

7 - الخصائص الفنية للنص : بعد أن تتجسم معاني النص وأفكاره جيداً عند التلاميذ ينتقل بهم الأستاذ الى دراسة النص من الناحية الفنية ويتناول أمرين :

أ - التلوق الفني للصور والأساليب البلاغية بتحليل عناصرها وبيان الرها في المعاني والأساليب والكشف عن أسرار استعمال الشاعر أو الكاتب لها .

وقد تكون المناقشة التذوقية لبيان جمال التشبيهات أو الاستعارات أو الكنايات ، أو لبيان السبب في إيجاز التعبير أو بسطه ، وغير ذلك من الألوان البلاغية المختلفة .

ب - استنباط الأحكام الأدبية وهي متعددة الجوانب . منها ما يتصل بالنص من حيث الغرض الذي تناوله كالسياسة والوصف والرتاء ومدى دلالة هذا الغرض على ظواهر البيئة الطبيعية أو الاجتماعية بما ساد فيها من قيم وعادات وتقاليـد واتجاهات فكرية مختلفة ، ومن حيث الخصائص الفنية للمعاني والألفاظ كالحكم بالقوة والضعف أو التقليد والابتكار ، أو العمق والسطحية أو السهولة والصعوبة ، ومدى ملائمة الأسلوب للموضوع . ومنها ما يتصل بالأديب ، من حيث أصلته والتزامه ، ومكانته الأدبية بين أدياء عصره وتقليده لمن سبقوه وأثره في غيره من الأدياء المعاصرين له أو اللاحقين . وخصائص أسلوبه بصورة عامة . ومنها ما يتصل بالعصر كـمعرفة حالة الأدب فيه وما سادته من تيارات واتجاهات ومسارات فنية مختلفة . ويجب أن تكون هذه الأحكام المستنبطة نابعة من داخل النص نفسه ومستوحاة منه بدون تعسف أو افتعال أو أقحام ، ولا يليق فرضها على التلاميذ فرضاً ، وإنما الواجب أن يشعروا بها ويحسوها كلما زاد انفعالهم بالنص وتذوقهم له .

8 - تدريب التلاميذ على موضوع الدرس بالاجابة الشفهية والتحريرية على بعض الأسئلة حول النص . ومن الأفضل أن يكون النص انطلاقاً لمقالة أدبية تتناول شخصية أديب من الأدياء أو جانباً من جوانبه الأدبية البارزة ، أو يتناول ظاهرة أدبية لعصر من العصور .

ثانياً : قد يشعر الأستاذ بأن مستوى تلاميذه لا يناسبه دراسة جميع النصوص المقررة بأكملها خاصة وأن هناك اختلافاً بين تلاميذ التعليم العام والتعليم التقني ، وبين العرب والمزدوج في عدد ساعات الأسبوع المخصصة لدراسة الأدب والنصوص . ففي هذه الحالة ندعو الأساتذة إلى اختيار جزء مناسب من النصوص المقررة على أن يكون هذا الجزء معبراً عن فكرة ذات معنى متكامل ، ويتبع في الشرح المنهج الذي سرنا عليه في دراسة النصوص الأدبية .

ثالثاً : لم نستخرج كل الأحكام الأدبية الممكنة في دراستنا للنصوص وإنما أعطينا أمثلة ونماذج . فينبغي للأستاذ أن يعين تلاميذه ويوجههم إلى استخراج أحكام أخرى حتى تنمو ملكاتهم الأدبية والنقدية .

رابعاً : عند دراسة العصور الأدبية ، أو الفنون الأدبية المختلفة كالخطابة أو المقالة أو القصة أو المسرحية نوجه الأنظار إلى الاستعانة بما قدمنا به كل عصر من لمحة أدبية تلقي ضوءاً على العصر المبروس قبل عرض نماذجه الأدبية ، وبما قفينا به النصوص الأدبية من بسطه تجمع شتات الأحكام الأدبية التي استنبطناها من دراسة النصوص ، وبذلك تتضح المميزات العامة للعصر ، وتظهر الخصائص الفنية للألوان الأدبية .

خامساً : نذكر بأن الهدف من دراسة الأدب لا يقتصر على تنمية التذوق والاحساس بالجمال الفني لدى التلاميذ فحسب ، فللأدب دور ايجابي في تكوين المبادئ والأخلاق والقيم والعواطف ، فيجب على الأساتذة أن يستغلوا دراسة النصوص الأدبية لبث العادات الحسنة وتكوين القيم الفاضلة في نفوس تلاميذهم .

وبعد فإننا بإصدار هذا الكتاب نكون قد أنهينا المرحلة الأولى من مراحل تأليف الكتاب الجزائري لمادة اللغة والأدب العربي ، فملأنا الفراغ الذي كان يخيم على مدارسنا ، آمليين - في وقت قريب - أن تتكامل في أيدينا وسائل الشروع في المرحلة الثانية ، وهي مرحلة « التنقيح والتطوير » لهذه الكتب شكلاً ومضموناً . ومن ثم فإننا نتوجه الى زملائنا الأساتذة والمربين أن يوافونا بما يبدو لهم من اقتراحات أو ملاحظات وسنوليها ما تستحقه من الرعاية والتقدير .

والله نسأل أن يكون لهذا الكتاب أثر في إعداد ناشئتنا إعداداً سليماً ، يثبت دعائم شخصيتهم الوطنية العربية المسلمة ، ويدفعهم الى مسابرة عصرهم المتطلع الى آفاق بعيدة من الرقي والتقدم .

ونتوجه إلى الله تعالى أن يتعمد برحمته الواسعة أعوانا فقيده البحث والتأليف المظفور له رابع بونار على ما قدم من جهد لإعداد هذا الكتاب والكتب السابقة ، كما نقدم شكرنا إلى الأستاذ حمدي البري وغيره من زملائنا الأساتذة - أعضاء لجنة التأليف - على مشاركتهم في هذا الكتاب .

والله ولي التوفيق

المفتش العام
عبد الرحمن شيبان

الباب الأول

عصر الضعف

(656 : 1213 هـ - 1258 : 1798 م)

الفصل الأول

لمحة أدبية عن عصر الضعف

- 1 - تمهيد .
- 2 - الحياة السياسية .
- 3 - الحياة الاجتماعية .
- 4 - الحياة الفكرية .
- 5 - حالة الأدب .

مقدمة

عرفت في دراستك السابقة أن القرون الهجرية الأولى شهدت نهضة فكرية عظيمة ، شملت كل مظاهر الحياة ، وانتشرت في الأرض ، انتشار الفتوحات الإسلامية الواسعة . وقد تنافست حضارة العباسيين بالشرق وحضارة الأمويين بالأندلس ، وظلتا كوكبين يشعان بضياء المعرفة فترة طويلة من الزمان .

وكانت الدولة العباسية تضم بلدانا متباعدة الأطراف ، وعناصر مختلفة الاجناس والنزعات والأهواء . ومع ذلك فقد استمرت وحدتها متماسكة بفضل قوة الخلفاء وسيطرتهم على الحكم ، وعندما ضعف الخلفاء ، تصدّع المجتمع العربي بالخلافات المذهبية والشعبوية ، والفتن الدينية ، فأدّى ذلك إلى تمزق وحدة الدولة العباسية ، وانفصال بعض الأقطار عنها ، واستقلالها استقلالاً تاماً حيناً ، أو استقلالاً داخلياً - مع تبعية اسمية للخلافة العباسية - حيناً آخر .

وعلى الرغم من هذا التمزق السياسي ؛ فإن الحركة الأدبية قد زاد نشاطها ، وغزرت انتاجها ، بسبب تنافس هذه الدول فيما بينها ، ومحاكاة حكامها للخلفاء العباسيين الأقوياء في تقريب العلماء ، وتكريم المفكرين والادباء .

حملات الصليبيين والتتار على المشرق العربي :

أدّى تفرق المسلمين وانقسامهم دولا إلى ضعف قوتهم وتطاول الأعداء عليهم ؛ فبدأ الصليبيون يشنون حملاتهم المتتالية على المشرق العربي عام (491 هـ - 1097 م) واستمرت هذه الحملات بين مدّ وجزّر متواصلين تمكن الصليبيون خلالها من احتلال جزء من بلاد الشام ، ولكنها انتهت بعد قرنين بهزيمتهم وانتصار المسلمين عليهم عام (690 هـ) (1) .

وقد نتج عن هذه الحروب الطويلة اضعاف الطاقات الحربية الإسلامية ، والحيلولة دون مواصلة سيرها في طريق التقدم الحضاري الذي قطع فيه المسلمون أشواطاً طويلة .

(1) كان من أهم المعارك الحربية بين المسلمين والصليبيين موقعة حطين (1187 م) ولها انصر « صلاح الدين الأيوبي » على الصليبيين انتصاراً ساحقاً . وقد مر بك تفصيل هذه الحملات في :

1 - كتاب « المختار في الأدب والنصوص والבלافة والتراجم الأدبية » للسنة الثانية الثانوية (منشورات المعهد التربوي الوطني بالجزائر) .

ب - كتاب « تاريخ القرون الوسطى في الشرق والغرب » (منشورات المعهد التربوي الوطني بالجزائر)

وقبل أن يستريح المسلمون من مدافعة «الصليبيين» هاجمتهم قوات «التتار» (2) وتمكنت من احتلال «بغداد» عاصمة الخلافة العباسية عام 656 هـ - 1258 م ، وبعد أن سقطت المدينة في أيديهم استباحوها أربعين يوما ، فسفكوا فيها الدماء ، وقتلوا الآلاف من الأبرياء وانتهكوا الأعراض والحرمات ، وتناولت أيديهم على دور العلم والمكتبات ، فخربوها وألقوا بكتبها في نهر «دجلة» .

وفي هذه الأثناء أحس السلطان «قُطُزُ» أحد حكام الماليك (3) بمصر - بخطر التتار فخرج الي قتالهم بجيش قوي يقوده «إبيترس» الأمير الملوكي ، والتقى معهم في موقعة «عين جَالُوت» 1260 م بالقرب من فلسطين ، ودارت معركة حامية انهزم فيها التتار هزيمة ساحقة ، وسلم التراث الاسلامي والحضارة العربية التي اعتصمت بمصر من شرهم المستطير . ثم ضم الماليك حكم الشام والحجاز اليهم ، وأحيوا الخلافة العباسية في «القاهرة» بعد سقوط «بغداد» عاصمة الخلافة العباسية .

الحملات الصليبية على الأندلس والمغرب العربي :

بعد أن فشلت حملات الصليبيين على المشرق العربي استطاعت أن تحقق أهدافها في غرب الدولة الإسلامية . حيث استولوا على «الأندلس» سنة (897 هـ - 1492 م) وغادرها المسلمون بعد أن تركوا فيها حضارة تعد من أرقى حضارات التاريخ .

وكانت دولة «الموحدين» التي تأسست عام (515 هـ - 1128 م) وضمت أقطار المغرب العربي تحت حكمها - قوية الجانب هزيمة السلطان ، فأعانت المسلمين بالأندلس على صد الهجوم المسيحي . ولما ضعفت هذه الدولة تمزقت وحدة أقطار المغرب العربي . وقام على انقاضها ثلاث دول ، هي :

(١) دولة « الحفصيين » بتونس (4) . (ب) دولة « بني زِيَّان » بتلمسان (5) .

(2) التتار مجموعة من القبائل الطورانية عرلت بالشجاعة وحب المغامرات وقد عاشت على حدود الصين في أواسط آسيا بين بحيرة بايكال وجبال التاي ، وكانوا في أول أمرهم قبائل متفرقة وظهر بينهم « جنكيزخان » 1206 م فجمع شملهم وتولى رئاستهم ثم قام بحملات متتالية مكنته من الاستيلاء على « بكين » عاصمة الصين ثم زحف خلفاؤه من بعده في ناحيتين الأولى عبر أوربا الشرقية لمملوكها والأخرى كانت في اتجاه الشرق الأدنى ، ثم جاء « هولوكو » حفيد « جنكيزخان » فاستولى على « فارسي » وبعد ذلك هاجم العراق والشام واستولى عليهما . وحاول فتح مصر فانهزم أمام جيوشها في موقعة « عين جالوت » . وكان هولوكو وثنيا مثل أجداده ولكنه كان يظهر اللطف على البوذيين والنصارى لأن زوجه كانت نصرانية . ثم امتنع (لازان) أحد أحفاده الاسلام ونشره بين جنوده . (راجع تاريخ الشعوب الاسلامية كابل بروكلمان ص 381 وما بعدها) .

(3) الماليك : أرقاء مختلفو الأجناس والقوميات جعلوا من أنفسهم طبقة عسكرية حاكمة وسيطروا على الشام ومع رمدة 270 سنة وهم نوعان : الماليك البحرية والماليك الرجبة . (راجع تاريخ العرب لفيصل حتى ج 2 ، ص 794 وما بعدها) .

(4) نسبة الي بني حفص وقد استقلت عن دولة الموحدين في عام 1228 م - 627 هـ وضمت غرب ليبيا وتونس والشرق الجزائري تحت حكمها وكانت عاصمتها « تونس » .

(5) بنو زيَّان استقلوا بتلمسان بوسط الجزائر عام 1235 م - 634 هـ وامتد نفوذهم الي بجاية .

(ح) دولة « بني مرين » بفاس (6) .

وقد حاولت دولة الحفصيين أن تقوم بدور الموحدين تجاه اطماع الصليبيين في الأندلس ، لكن ذلك لم يكن في مقدورها بعد فترة قصيرة من تاريخ قيامها .

وفي أواخر القرن التاسع الهجري استنجد حاكم « غرناطة » (7) بالمغرب العربي الذي كان حينئذ في حاجة الى من يعينه على نفسه لِمَا وقع فيه من انقسامات داخلية ، وتنافس على الحكم ، فلم يستطع تلبية نداء المستنجدين ، وهكذا أصبح على المغرب العربي أن يواجه مسئولية تاريخية في صد هجمات الأسبانيين والبرتغاليين بعد أن استتب لهم الأمر في الأندلس (*).

استيلاء الأتراك على البلاد العربية :

وكان الأتراك العثمانيون قد أسسوا خلافة اسلامية ناشئة فتية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وضموها البلاد العربية تحت حكمهم ، وقد انتصر الجيش التركي بقيادة « سليم الأول » على جيش الماليك في موقعة « مرج دابق » (8) سنة (923 هـ - 1516 م) ، واستولى الأتراك على مصر والشام وبقية البلاد العربية ماعدا المغرب الأقصى (مراكش) (**).

ويقسم مؤرخو الأدب « عصر الصف » الى مرحلتين :

(أ) عصر الماليك : ويشمل الفترة التي حكم فيها الماليك في المشرق العربي منذ عام 656 هـ ، والفترة التي حكمت فيها الدويلات المتتابعة في المغرب العربي حتى دخول الأتراك عام 923 هـ .

(ب) عصر الأتراك : وهو يبتدئ بعام 923 هـ وينتهي بقدوم الحملة الفرنسية على مصر عام 1213 هـ - 1798 م .

ويرجع ضعف الأدب في هذا العصر الى عوامل تتضح من خلال دراستك لظروفه السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية .

(6) بنو مرين وأصلهم من قبيلة « زناته » الجزائرية وكانوا يقطنون الزاب ثم تراجوا عنها غربا ، عند قدوم الهلاليين ودخلوا المغرب الأقصى وكونوا دولة ، استقلوا بالحكم عام 1195 م - 647 هـ . وقد مر بك تفصيل ذلك في دراستك تاريخ القرون الوسطى في الشرق والمغرب للسنة الثانية الثانوية (مطبوعات المعهد التربوي الوطني) .

(7) هو « أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي » من بني الأحمر . وبعد أن سقطت غرناطة عام 1492 م أعطيت له ضيعة نزل فيها فترة من الزمان ثم هجرها الى مدينة فاس في المغرب وقضى بها آخر أيامه .

(8) موضع في سوريا الشمالية بين منبج وانطاكية على نهر قويق ، اتخذه سليمان بن عبد الملك معسكرا ، وفيه مات ، وفيه أيضا أقام هارون الرشيد .

(*) انظر الخريطة ص 430 من هذا الكتاب .

(**) انظر الخريطة ص 431 من هذا الكتاب .

الحياة السياسية :

ساد القلق والاضطراب السياسي دولة المالك منذ قيامها حتى نهايتها ، فقد تولى حكم البلاد في الفترة ما بين عام 1250 م وعام 1517 م سبعة وأربعون حاكما ، لم يستقر الحكم لواحد منهم زمنا طويلا الا نادرا . ولم يكن هناك نظام محترم لتولي الحكم ، فكثر المؤامرات السياسية لذلك ، واصبح لكل أمير من أمراء الممالك حزب يعتز به ، ويقربه اليه ، ويعتمد عليه في اغتصاب الحكم عندما تحين له الفرصة . وبالإضافة إلى هذه الفتن الداخلية كانت المعارك متواصلة ضد الصليبيين والمغول .

وقد مر المغرب العربي في تلك الفترة من التاريخ بحالة من التقهقر والفوضى والانحلال . يصورها ، الأستاذ « أحمد توفيق المدني » بقوله : (9)

« كان الملوك لا يفكرون إلا في احباط المؤامرات والفتن التي يثيرها ضدهم افراد من عائلتهم من أجل الاستيلاء على العرش ، او في اخماد الثورات التي تقوم بها قبائل ستمت حكم العجز والطفيان ، ولقد ضربت الفوضى اطنابها في كل مكان ، فسكان الولايات القسنطينية وسكان مدينة الجزائر واهل الشرق الوهرائي ، لم يبقوا معترفين بسلطة احد عليهم . اما بالمغرب الأقصى فان افراد عائلة « بني مرين » قد اقتطع كل منهم لنفسه إمارة صغيرة لم يكن في وسعه الدفاع عنها ضد مطامع جيرانه . فهذه الفوضى قد سهلت مهمة الاسبان والبرتغاليين سواء في احتلال البلاد او توسيع نفوذهم فيها » . وظل الحال كذلك حتى بدأ حكم الأتراك للبلاد العربية .

وقد استطاعت الخلافة العثمانية - في عصور قوتها - أن تحافظ على وحدة البلاد الاسلامية والعربية وأن تحميها من سطوة الغزاة الأوربيين وخاصة في المغرب العربي الذي كان هدفا لاطماع الاسبان والبرتغاليين .

ولكن نظام السياسة الداخلية للخلافة العثمانية - بالإضافة الى عوامل أخرى - كان سببا في إضعافها ، فقد حادت عن المبدأ الأساسي للخلافة الاسلامية وهو الشورى فاضعت ثقة المسلمين فيها . واعتمدت على الأسرة الحاكمة واستأثر السلطان بشؤون كثيرة في الدولة وسلك مع الولايات التابعة لحكمه - ومن بينها البلاد العربية - مسلكا لم يساعدها على الاستقرار السياسي ، فكان الولاة يعينون من قبل السلطان ويرسل معهم فرقا عسكرية ويضع نظاما ادارية تهدف الى عدم تركيز السلطة في يد الوالي حتى لا يستقل بشؤون الحكم عن الخلافة ، وكانت هذه السياسة سببا في تصدع الحياة السياسية داخل البلاد .

وعندما ضعفت الخلافة العثمانية وانهارت امبراطوريتها سقط معظم البلاد العربية فريسة في أيدي المستعمرين الأوربيين .

(9) حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ص 67 : أحمد توفيق المدني .

الحياة الاجتماعية :

تميزت جماعة الحكام وأعوانهم الذين يعيشون في الترف والبدخ عن عامة الشعب الذين يتحملون - وحدهم - ما يحق للحكام وأعوانهم حياة الرفاهية ، وإلى جانب الاسراف والنفقات الباهظة كان الاهتمام باعداد الجيوش للمعارك والحروب يرهق الشعب بالضرائب الكثيرة .

وكان اكتشاف طريق « **رأس الرجاء الصالح**» نكبة اقتصادية كبيرة في عصر المماليك ، اذ فقدت بلادهم موردا اقتصاديا هاما عندما تحولت عن مصر تجارة أوروبا مع الهند .

واستنزف الصليبيون في الشام والمغول في العراق جانبا من ثروات البلاد ، وكانت المعارك الدائرة بين ملوك دويلات المغرب العربي تمتص من دماء الشعب وثرواته ، ثم تناول المسيحيون على مدن سواحل المغرب العربي بالعدوان والنهب والسراقات .

وقد ترك كثير من الفلاحين المصريين والسوريين أراضيهم فرارا من الضرائب الفادحة التي اشتط في جمعها الولاة الأتراك وأعوانهم الملتزمون بحماية الضرائب .

وواجهت شعوب الأمة العربية ازمتات اقتصادية ، وابتليت بمرض الطاعون الذي فتك بألاف الناس في القرن الرابع عشر من الميلاد .

ولم يكن التعليم منتشرًا بين مدن وقرى البلاد العربية انتشارا كبيرا كما هو الحال في أيباننا ، وإنما كان منحصرا في العواصم الكبرى ك**القاهرة والقيروان** ، وغيرهما من المدن الكبرى . وقد حرص الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين على حفظ التراث من الضياع خلال هذه العصور .

وكثرت الآفات الاجتماعية لانتشار الفقر والجهل والمرض فراجت البدع والخرافات وساد الظلم والنفاق وغيرها من الأمراض الاجتماعية المختلفة .

الحياة الفكرية :

يجب أن نفرق - بعض التفرقة - بين **عصر المماليك وعصر الأتراك** ، كما يجب أن نفرق بين النهضة العلمية والفكرية بصفة عامة ، والنهضة الأدبية بصفة خاصة . فقد شهد عصر المماليك تقدما في نواحي فكرية متعددة ، ومن بينها **الحركة العلمية** . ويرجع الفضل في ذلك الى **المدارس والمساجد** التي أنشأها المماليك تخليدا لذكراهم وتقربا الى الشعب وعواطفه الدينية .

وكانت « **القاهرة**» حاضرة البلاد العربية والاسلامية في عصر المماليك ، يؤمها العلماء من كل مكان فيجدون من سلاطينها تشجيبا على الإقامة فيها ، وترغيبا في العلم والبحث والتأليف . وربما أعانها على بلوغ هذه المكانة انتقال الخلافة العباسية اليها ، وتوسط موقعها بين البلاد العربية والاسلامية .

وقد اندفع العلماء بغيرة دينية تملكت قلوبهم وحملتهم على البحث والتأليف ، فجددوا أنفسهم لبعث تراثهم العريق بعد أن كادت تعصف به يد المغول في بغداد ، ويد الصليبيين في الشام والأندلس .

ونالت الحركة العلمية نصيبا موفورا : فاشتهر في الطب وتاريخه « أبو بكر ابن البيطار » 1340 م ، ونبغ في علم الاجتماع « ابن خلدون » 1406 م ، وفي السير « ابن خلكان » 1282 م . وفي التاريخ « المقرئزي » 1442 م - 845 هـ ، وفي التفسير « السيوطي » 1505 م . وعرف هذا العصر بعصر الموسوعات العلمية ؛ فالف « النويري » 1372 م كتابه « نهاية الأرب » ، و « القلقشندي » 1418 م - 821 هـ كتابه « صبحي الأعشى » ، و « ابن منظور » 1311 م معجمه « لسان العرب » ، ونظم « ابن مالك » الفيتة في النحو والصرف 1273 م و « ابن الحاجب » كافيته في النحو والصرف ؛ ونظم غيرهما في كثير من العلوم كما فعل « عبد الرحمن الأخرس الجزائري » 1546 م في كتابه : « السلم المروتنق في علم المنطق » و « الجواهر المكنون في صدق الثلاثة فنون » في علم البلاغة .

والى جانب هذه النهضة العلمية كان العصر زاخرا بالفنون الصناعية ، والعمارة ، والهندسة ، والزخرفة والنقش ، وغيرها من الفنون الجميلة .

وشهد المغرب العربي جانبا من ازدهار الأدب في أواخر حكم « الموحدين » وعصر النويلات المتتابة ، نتيجة لهجرة الأدباء والعلماء الأندلسيين الى المغرب . وقد زادت موجات الهجرة اثر استيلاء الأسبانيين على الأندلس فتأثر أدباء المغرب بهؤلاء المهاجرين وظهر فيهم شعراء متفوقون من بينهم « مالك بن المرحل » 1299 م ، و « أبو الحسن الخزاعي » التلمساني 1337 م .

ثم الفى الأتراك « ديوان الإنشاء » الذي جمع كبار الكتاب وعظماء الرجال في اللغة والأدب على مر العصور ، وجعلوا اللغة التركية لغة الدواوين الرسمية في البلاد التي حكموها ، ففقدت اللغة العربية قيمتها ، وضعف التعبير بها .

وعندما دخل السلطان « سليم الأول » مصر ، وجد فيها عمالا وصناعا مهرة ، فجمعهم وأخذهم الى تركيا ، فانحط في عصر الأتراك ما كان زاخرا من الفنون - بمصر - خلال عصر المماليك .

حالة الأدب :

ضعف الأدب - في هذا العصر - عما كان عليه في العصور السابقة ، ولم ينل حظا من التقدم مثل ما نالته بعض العلوم أو الفنون في عصر المماليك .

ويرجع ضعفه الى الأسباب الآتية :

أولا - اضطراب الحياة السياسية ، الذي أسفر عن شعور المواطنين بخيبة الأمل ، وفقدان الحرية الشخصية ، فضعفت موهبة الإبداع والابتكار عند الأدباء والشعراء .

ثانيا - سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، فكان انتشار الفقر والمرض والاحساس باليأس والملل عاملا من أكبر العوامل التي صرفت الناس عن الاشتغال بالادب .

ثالثا - عدم تشجيع الخلفاء والحكام ونوبي الجاه للشعراء بالمنح والعطايا كما كان يفعل أسلافهم في عصور الازدهار الادبي ، فقد كان معظم حكام عصر الضعف اعاجم لا يحسنون اللغة العربية ، ولا يتذوقونها شعرا او نثرا .

رابعا - ضياع مجموعة من الكتب والدواوين خلال هجمات الصليبيين والمغول ؛ وكان من الممكن أن تكون مصدرا يستفيد منه ادباء عصر الضعف .

خامسا - إغناء ((ديوان الإنشاء)) ، الذي كان كتابه يقومون بإعداد الرسائل الديوانية بأسلوب أدبي رصين .

ونتيجة للظروف السابقة ، تضاعف عدد الشعراء الكفاء ، وانصرف معظمهم إلى حرف يشتغلون بها ، فكان منهم الجزار ، والخباز ، والقطار . وضاعت بهم سبل الحياة في عصر انكر فضلهم وتجاهل مواهبهم . يقول أحد شعراء هذا العصر :

أَسْفِي عَلَى الشُّعْرَاءِ إِنَّهُمْ عَلَى حَالٍ تُثِيرُ شَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ
خَاضُوا بِحُورِ الشُّعْرِ إِلَّا أَنَّهَا مِمَّا تُرِيقُ وُجُوهَهُمْ مِنْ مَاءِ

وليت هذا الشاعر مع إراقة ماء وجهه يجد قوت زوجته وأولاده ، فيضجر قائلا :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا عُمَرٍ عَجِيبٍ أَقْضِي فِيهِ بِالْأَنْكَادِ وَقْتِي (*)
مِنَ الْأَوْلَادِ خَنْسٍ حَوْلَ أُمِّ فَوَا حَرَاهُ مِنْ خَنْسٍ وَبَيْتِ

وعندما انصرف الشعراء المهويون عن قول الشعر ظهر كثير من المتطفلين الذين لا يملكون مواهب أصيلة ولا يقدرّون على التعبير الشعري الجيّد ، فكانوا أشبه بالفقاع التي تطفو على سطح الماء ثم لا تلبث أن تتلاشى .

(*) الفصل في تاريخ الأدب العربي ، ص. 180 لاجد أمين واخرين .

ومع قلة الشعراء المقتدرين ، كان الجيد من إنتاجهم قليلا ، وداروا في دائرة ضيقة من أغراض الشعر ، بعد أن فقدوا دوافع القول في معظم الأغراض التي غدت الشعر العربي وآثرته في عصورها الذهبية ، فقل شعر المدح لعدم وجود الكافئين عليه ، وضعفت العصبية التي تدعو إلى شعر الفخر ، وتضاءلت قصائد اللهو في جو القلق وضيق العيش .

هذا وقد غرق بعض الشعراء في تصوير المتع الحسية ، هربا من واقعهم الاليم ، وتطلع آخرون إلى نعيم الآخرة يلتمسون فيه التعويض عن حرمانهم ، فكثرت شعرهم في الزهد والمدائح النبوية والتصوف .

وانحصر النثر الفني في الكتابة الديوانية والرسائل الاخوانية ، وقد قضى إلغاء «ديوان الأنشاء» في عصر الأتراك على فن الكتابة الديوانية . ولم تلم الكتابة الاخوانية من تيار الضعف أيضا فمالت إلى الركافة والابتدال ، واصبحت متكلفة ثقيلة .

أما النثر العلمي ، فإنه كان أقرب إلى الطبع في أول عصر الضعف ، ولكن المتأخرين لم يسلموا من التمهيد والإسفاف ، فانخفض انشاؤهم الى مستوى النثر العامي

ومع ذلك فقد انجب هذا العصر مجموعة من الادباء والشعراء من بينهم :

الامام البوصيري ، وصفي الدين الحلبي ، وابن نباتة المصري ، وابن حجة الحموي ، ومالك ابن المرغل ، وابن خلدون .

وغيرهم من الادباء والشعراء .

وسنقدم لك نماذج من أدب هذا العصر ، لتتعرف من خلالها على مميزاته العامة

نصوص أدبية من عصر الضعف

الفصل الثاني

أولاً : الشعر — ثانياً : النثر

من همزية ((البوصيري))

(608 - 696 هـ : 1213 - 1296 م)

1

تعريف وتمهيد :

ولد ((محمد بن سعيد شرف الدين البوصيري)) (*) ببصر ، ونشأ فيها ، حيث تعلم العلوم الدينية وتمق في دراسة التصوف ، وكانت له معرفة بعلم الحساب والكتابة ، فتولى منصبا حكوميا في محافظة الشرقية (**).

وعاصر البوصيري سلطانين عظيمين من سلاطين الدولة المملوكية هما : ((بيبرس)) الذي هزم ((التتار)) و ((كلاوون الأشرف)) الذي تم على يديه جلاء الصليبيين عن مدينة ((عكا)) آخر معقل كان تحت أيديهم في بلاد الشام . وتوفي البوصيري بمدينة الاسكندرية ودفن فيها .

والبوصيري من أحسن شعراء عصره في جودة المعنى وحسن الصياغة ، وله شعر في أغراض متعددة استخدم في بعضه اللغة العامية أحيانا . ولكن الجيد في شعره والذي اشتهر به هو شعر المدائح النبوية . وله في هذا الفن قصيدتان طويلتان : أولهما : قصيدة ((البردة)) المشهورة ؛ والثانية : قصيدة ((الهمزية)) ، التي بلغت آياتها (460) أربعمائة وستين بيتا ، تناول فيها مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - من جوانب عدة ، من بينها الحديث عن مولده ، ونسبه ، ومكانته ، وصفاته وشماله ، وموقفه من قومه ، ومعجزاته ، والإشادة بدعوته ، والرد على أعدائها من اليهود والنصارى ، ومدح الصحابة المكرمين .

ومن قصيدته ((الهمزية)) نقدم لك الأبيات التالية :

(*) ((البوصيري)) نسبة الى بوسير ، وهي قرية بمحافظة بني سويف في مصر ، جنوبي القاهرة ، والى هذه القرية يرجع نسب امه . ويرجع نسب أبيه الى قبيل يعرفون بقبيل جيون من قلمة بني حماد بالجزالو .

(**) كان منصبه يتعلق بتصريف الشؤون المالية والادارية . المحافظة : مصطلح اداري مستخدم حاليا في مصر ، ويقابله عندنا مصطلح (ولاية) .

(أ)

- 1 - كَيْفَ تَرَقَى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
- 2 - لَمْ يُسَاوِدْكَ فِي عِلَاكَ وَقَدْ حَا لَ سَنَا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَا
- 3 - إِنَّمَا مَثَلُوا صَفَايَكَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَلَ النَّجُومَ الْمَاءُ
- 4 - أَنْتَ يَصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ ، فَمَا تَصَدَّرُ إِلَّا عَنِ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ
- 5 - لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ وَمِنْهَا لِأَدَمَ الْأَسْمَاءُ
- 6 - لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكُونَ تُوغَتْ رُ لَكَ الْأُمَّهَاتُ وَالْآبَاءُ
- 7 - مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرْتَ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ
- 8 - تَبَاهَى بِكَ الْعَصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلَيْهَا بُعْدَهَا عَلَيْهَا

(ب)

- 9 - وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمِ آبَاؤِهِ كَرَمَاءُ
- 10 - نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعِلَا يَحْلَاهُ قَلَدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوَازَاءُ
- 11 - حَبْدًا عَقْدُ سُودِدٍ وَفَخَايَ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَاءُ

(ج)

- 12 - وَمُحِيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيٌّ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ
- 13 - لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيْنِ سُرُورٌ يَكُومِهِ وَازْدِيهَاءُ

(د)

- 14 - فَتَنَزَّهُ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ اسْتِيَاعًا إِنْ عَزَّ مِنْكَ أَجْيَالَهُ
- 15 - وَأَمَلًا السَّمْعِ مِنْ مَحَايِنَ يُمْلِيهَا عَلَيْكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ

(*) حاشية لوامع الكوكب الدرر في شرح همزية البوصري .
 2 - السنا مقصورة : ضوء البرق ، والسنا بمدودة : الرفعة . 11 - اليتيمة : الفريدة . العصاء :
 المنعمة التي يصعب نيلها . 12 - المحيا : الوجه . عرة : خلاصة صغيره من ليلته

- 16 - سَيِّدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْيُ الْهُيُونِيُّ وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ
 17 - رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَرَمٌ وَعَزَمٌ وَقَارٌ وَعَصِيْبَةٌ وَحَيَاءٌ
 18 - لَا تَحُلُّ الْبِئْسَاءُ مِنْهُ عَرَى الصَّبْرُ وَلَا تَسْتَخِفُّهُ الشَّرَاءُ
 19 - كَرَمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوْءُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَلَا الْفَحْشَاءُ
 20 - جَهَلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغَضَى وَأَخُو الْحِلْمِ دَابَةُ الْإِغْضَاءِ

(هـ)

- 21 - وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهَوَ بَحْرٌ لَمْ تُعَيِّهِ الْأَعْبَاءُ
 22 - شَمْسٌ فَضَلَّ تَحَقُّقَ الظَّنِّ فِيهِ أَنَّهُ الشَّمْسُ رَفَعَهُ وَالضِّيَاءُ

(و)

- 23 - خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَأَنْجَا بَتَّ بِهِ عَنْ عَقْوَانَا الْأَنْوَاءُ
 24 - أَمَعَ الصُّبْحُ لِلنُّجُومِ تَجَلُّدٌ أَمْ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ
 25 - مُعْجِزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ مُقْسِطٌ يَعْطَاءُ
 26 - لَا تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا فَهَوَ الْبَحْرُ وَالْأَنْوَاءُ إِضَاءُ
 27 - كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْلِ النَّبِيِّ اسْتَعَارَهُ الْقَفْلَاءُ
 28 - فَإِذَا شِمْتَ بِشَرِّهِ وَنَدَاهُ أَذْهَلَتْكَ الْأَنْوَاءُ وَالْأَنْوَاءُ
 29 - أَوْ يَتَّقِيْلَ رَاحَةً كَانَ لِلَّهِ وَيَاللَّهِ أَخَذَهَا وَالْمَعْطَاءُ
 30 - تَتَّقِي بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَتَخْطَى بِالْفَيْئِ مِنْ نَوَالِهَا الْقَفْرَاءُ

شرح وايضاح :

(١) استهل الشاعر مديحه للرسول - صلى الله عليه وسلم - بالتحدث عن مكانته . وهي مكانة تفوق ارتفاع السماء قدرا ، وتسمو على جميع الرسل والأنبياء قيمة وشأنا ، فقد أرسله الله إلى الناس كافة ، وختم به الرسل والأنبياء ، واعطاه الشفاعة العظمى - وحده - يوم القيامة .

16 - الإغفاء : النوم الخفيف . 18 - عري : جمع عروة : ما يوثق به والمقصود من مري الصبر : الاستمسك والامتناع به . 19 - الفحشاء : ما يشتد قبحه من الذنوب . 21 - وسع : وسع القوم فضله : عمهم وشملهم . 25 - مقسط : عادل . 26 - الإغواء : الغدير . 28 - شممت : شام الشيء : تطلع نحوه منتظرا له . الأنواء : جمع نوء : المطاء .

وكل ما ذكره المتحدثون عن صفاته لا يعبر عن حقيقتها وَكُنْهَها لِأَنَّها تفوق كل وصف ، ولن تستطيع الكلمات أن تبلغ درجة الإفصاح الكامل عنها . ولا غَرْوَ أن منحه الله علما لم يعطه احدا من البشر ، وهدى به أمة كانت تتخبط في الجهل والضلال ، وانزل عليه دستورا خالدا هو القرآن الكريم الذي كان سبب تقدم المسلمين عندما تمسكوا به وساروا على هديه ، فدانت لهم دولة الفرس والروم ، ونشروا الحضارة في شرق البلاد وغربها .

واختاره الله من اصلاّب شريفة وانساب عريفة ، وكلما بعث الله رسولا إلى قومه ، بشرهم بقوم النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى بُعِثَ ، فصار فخر الأجيال والمصور .

(ب) وفي الفقرة الثانية ، عاد الشاعر إلى الحديث عن نسب الرسول ، مفصلا ما أجمله في البيت السادس من أبيات الفقرة (ا) فقال :

لقد تدرّج نسبه الشريف في اصول طيبة ، فهو خِيَارٌ من خيار ، ونسبه عريق في المعالي والمكارم ، يبدو في اشراقه وكان الجوزاء قد صنعت من نجومها قلادة وطوقت بها جيد ذلك النسب العظيم ، ثم جاء الرسول - بما خصه الله من شرف الوحي وتبليغ الرسالة - لؤلؤة فريدة متميزة بين لآلئ ذلك المقدر الرفيع .

(ج) وفي هذه الفقرة تحدث الشاعر عن مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في ليلة عظيمة ، شرفت بقدمه ، واصبحت معدودة من ليالي التاريخ ، وعندما اشرق الرسول بنوره على الوجود ، اهتز الاسلام فرحا وبشرا ، وانتشر في الأرض يملا الدنيا رحمة وعدلا وانصافا .

(د) وبعد أن تحدث الشاعر عن مولد الرسول انتقل إلى بعض صفاته الحسبية والمعنوية ، فدعا السامعين والقارئین إلى التمتع بسماع المديح في ذات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفاته ، فلقد بلغ الكمال خُلُقًا وَخُلُقًا ، وحوى كل معاني الفضيلة من رزانة العقل ، ودمانة الخلق ، ورقة الشمائل ، وبقظة الضمير . واتصف بالرحمة والكرم والعزم والحياء والتنزه عن الفحشاء تفكيراً وعملاً .

(هـ) وفي هذه الفقرة يشير البوصيري إلى صفة عظيمة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي الصبر الطويل على اذى قومه ، والرافة بهم ، والدعاء لهم بالهداية والتوفيق ، فكلمنا بالغوا في آذاه والاعراض عن دعوته ، أزداد صبورا وحلما وعزما طيلة الفترة ما بين بعثته وهجرته إلى المدينة المنورة . ولم يقل مقالة نوح - عليه السلام - في قومه حين اشتد عليه اذاهم :

« رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (*) » .

بل كان عليه السلام يردد قوله المأثور :

« اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

(و) وفي أبيات هذه الفقرة يعود البوصيري إلى تفصيل ما أجمله في البيت الرابع من الفقرة (١) فيتحدث عن الدعوة الحمديّة في المجتمع البشري ، إذ نشر الرسول بدعوته في الوجود علما غزيرا ، وفاض على الإنسانية نظما اجتماعية نقلتهم من ظلمات الكفر والشرك والجهالة إلى نور الإيمان والمعرفة والحضارة ، وأسس أمة شهد لها التاريخ بالتقدم زما طويلا طالما كانت متمسكة بتعاليم رسولها وهدى بنيتها ، وقد أثرت حضارتها تأثيرا كبيرا في الحضارة العالمية التي توارثتها الأمم على مر التاريخ .

وكل ما نراه في هذا الوجود من رفعة وازدهار في شتى نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كان للوالة الاسلام فيه اثر كبير ، فقد كانت قامة للجبايرة من الملوك العظماء ، ورحمة وانصافا للمستضعفين والفقراء ، وكوّملت المجتمعات الحديثة بمبادئ دعوته لسعدت بالتقدم والرفعة والاخاء ، ولما شقيت بالصراع والتناحر من أجل السيطرة والاستيلاء

دراسة الأفكار :

يعتبر هذا النص نموذجاً صادقا للنزعة الدينية التي غلبت على شعراء عصر الضعف بصفة عامة ، وظهرت في شعر « البوصيري » بصفة خاصة . ولهذه النزعة أسباب تتضح فيما يلي :

أولا : انتشر تيار اللهو والمجون بين شعراء عصر الضعف ، وكلما انتشر هذا التيار في الشعر العربي تصدى لمهاجمته بعض المعارضين مع اختلاف في النزعة والهدف والطريقة والأسلوب . وقد سجل الشعر العربي تجارب كثيرة في هذا الميدان ، من ذلك مثلا ، قول « ابي العتاهية » :

أَتَلَّهُوْ وَأَيَّامَنَا تَذَهَبُ وَتَلَعَبُ وَالْمَوْتُ لَا يَلْعَبُ
أَيَّلَهُوْ وَيَلْعَبُ مِنْ نَفْسِهِ تَمُوتُ وَمَنْزِلُهُ يَخْرَبُ

وقول « ابي الصلاء المعري » :

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي أَرْذِيَادٍ

(*) من سورة نوح : الايتان [26 ، 27]

فكلا الشاعرين يتفق مع « البوصيري » في معارضة اللهو والمجون ، لكن لكل واحد منهم منهجا خاصا به . فإذا صح أن نسمي « ابا العتاهية » (شاعر الزهد ، و « ابا العلاء المعري » شاعر التشاؤم ؛ فإن « البوصيري » يعدّ شاعر المدائح النبوية .

ثانيا : شهد عصر « البوصيري » صراعا فكريا بين الصليبيين والمسلمين ، فبينما الحروب الصليبية مستمرة بين الفريقين على جبهات القتال بالسلاح ، كانت المارك الكلامية حول الدين والعقيدة مشتعلة أيضا .

وفي موقف الدفاع عن الاسلام يشيد « البوصيري » بصاحب الدعوة الاسلامية ، فيمدح الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - قائلا :

دَعَّ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَاحْكُمَ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكِمِ

وقد افاض « البوصيري » في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - مدفوعا إلى ذلك بالدفاع عن العقيدة الاسلامية ، والدعوة إلى التمسك بالاسلام والسير على مبادئه الرشيدة .

ثالثا : كانت نفس الشاعر مهيئة - بطبيعتها - للتقوى والورع والتصوف ، يتفانى في حب المصطفى - عليه السلام - واهل بيته الكرمين .

وهذا اللون من الشعر لم يكن جديدا على الشعر العربي ، فقد تناول مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل البوصيري ، كثير من الشعراء « كحسان ابن ثابت » و « السكيت بن زيد » ، كما عرفت ذلك في دراستك السابقة .

وقد اثر « البوصيري » بمدائحه في عديد من الشعراء المعاصرين له أو الذين جاءوا بعده من أمثال « شوقي » و « الرضائي » و « احمد محرم » ، وغيرهم من الشعراء .

وقد عبر الشاعر عن مدحه للرسول - صلى الله عليه وسلم - بمجموعة من الافكار تناول الحديث فيها عن :

(1) مكانته ، (2) نسبه ، (3) مولده ، (4) صفاته ، (5) موقفه من قومه ، (6) اثر دعوته في المجتمع الانساني .

ولمعلك لاحظت ان الافكار جاءت مضطربة ومتكررة ، ومتداخلة ، وغير متماسكة ، بحيث يمكن تقديم اي فكرة عن الأخرى ، أو حذف بعض الابيات دون تأثير في المعنى .

وقد مر بك ان الشاعر بعد ان يفرغ من الحديث عن عنصر من عناصر النص وينتقل إلى غيره - يعود إلى الحديث عن بعض أفكار العنصر الأول ، كما حدث

ذلك في أبيات الفقرة (ب) فقد عاد إلى تفصيل ما أجمله في البيت السادس من الفقرة (أ) ، وكما حدث في الفقرة (و) فقد عاد إلى تفصيل ما أجمله في البيت الرابع من الفقرة (أ) .

وإذا تتبعنا صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي وصفه بها الشاعر . وجدتها متفرقة في ثنايا النص ، ويمكنك ملاحظة ذلك في قوله :

ومحيا كالشمس منك مضيء أسفرت عنه ليلة غراء (12)
فيه وصف لصفة حية هي الوجه .

وقوله :

شمسٌ فضيلٌ تحقّق الظن فيه أنه الشمس رِفْعَةً والضياءُ (22)
فيه وصف لصفة معنوية هي الفضل .

وقوله :

مُعْجِزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ (25)
فيه جمع بين وصف حسي هو الخلق ، وآخر معنوي هو الخلق .
وظلّ الشاعر يكرر بعضا من الصفات مثل الشمس ، يصف بها جانبا حسيا
كما في البيت (12) ، وجانبا معنويا كما في البيت (22) .

والى جانب قلق الأفكار ، وعدم ترابطها ، فان معانيها بسيطة عادية ليس فيها عمق ولا جودة . وفي بعض أبيات النص غموض يجهدك في طلب معناه ، كما ترى في البيت المباشر مثلا .

وعاطفة الشاعر صادقة في وصفه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فقد مزج الشاعر بين الوصف واحساسه الذاتي .

والشاعر متأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف . كما ترى في البيت السادس :

..... تُخْتَارُ لَكَ الْأُمَمَاتُ وَالْآبَاءُ

فهذا المعنى مأخوذ من معنى الحديث الشريف :

« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » (*)

(*) صحيح مسلم ، ج. 7 ، ص. 58 .

وقول الشاعر في البيت السابع :

..... بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ

ماخوذ من معنى الآية الكريمة :

« وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » (**)

دراسة الأسلوب :

سلم أسلوب النص من كثرة الحسنات البديعية المتكلفة ؛ ومعظم عباراته سليمة واضحة ، وقد نجد في بعضها غموضا كما في البيت العاشر . ولعل كثرة الضمائر في هذا البيت كانت سببا في غموض معناه .

واستهل الشاعر قصيدته بأسلوب استفهامي يهدف إلى إثارة الانتباه ليثبت الفكرة التي يريد تأكيدها وهي : استحالة أن يرقى إلى مكانة الرسول إنسان آخر .

وتتنوع وتعدد الأساليب الإنشائية في ثنايا النص ؛

من ذلك قوله : « فتنزه في ذاته ... » . أمر يدل على التشويق (البيت 14)

وقوله : « املا السمع ... » . أمر يدل على التشويق أيضا (البيت 15)

وقوله : « امع الصبح ... » . استفهام يدل على النفي والإنكار ويوحى

بانفراد الرسول بالمعظمة (البيت 24)

وقوله : « لا تقس ... » . نهي يدل على استحالة مقارنة الرسول

بغيره في علو الشرف والمكانة . (البيت 26)

واستعان الشاعر بالأسلوب الخبري في الجانب الذي تحدث فيه عن نسب

الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفاته . وكان هدفه ذكر الحقيقة وتوضيحها .

وفي النص أساليب بيانية مختلفة ، منها « التشبيه » في قوله :

إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَلُ النُّجُومِ الْمَاءَ

(البيت 3)

وهو تشبيه صور فيه الشاعر العلاقة بين صفات الرسول الحقيقية وصفاته

التي يتحدث عنها الواصفون ، بالعلاقة بين النجوم الحقيقية وصورتها في سماءها

المنعكسة على سطح الماء ؛ وهذا التشبيه يدل على كمال سمو صفات الرسول وعلو

قدرها ، وعجز المصورين عن توضيحها .

والاستعارة في قوله : « املا السمع من محاسن ... » . (البيت 15)

فقد جعل الشاعر من السمع وعاء ، ثم أتى بصفة من صفات الوعاء بعد أن حذفه

على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذه الاستعارة توحى بالحرص الشديد على الاستماع

حتى يستمتع القارئ والسامع بالحديث العذب عن الرسول وصفاته .

(**) الآية رقم 6 من سورة الصف

- والكناية في قوله : « تختار لك الأمهات ... »
 فهي كناية أريد بها صفة شرف النسب .
- [البيت 6]
- وقوله : « نومه الإغفاء » كناية من يقظة الروح الدائمة
 ومن الألوان البديعية في النص « الطباقي » ؛
 من ذلك قوله : « البأساء والسراء »
 [البيت 18]
- « والجناس » في قوله : « علما وحلما »
 [البيت 21]
- « الخلق .. الخلق »
 [البيت 25]
- وفي النص اساليب بلاغية متعددة يمكنك الوقوف عليها ومعرفة ما فيها من جمال
 هي الفكرة والأسلوب .

مجمّل القول

□ النص من ادب المذاهب النبوية الذي ساد في عصر الشاعر لمعارضة تيار
 اللهو والمجون ، الذي ساد خلال فترة الحروب الصليبية ، وهذا
 الاتجاه يمثل منهج الشاعر الذي عرف بحبه للرسول ، والحرص
 على دعوة الناس إلى التمسك بمبادئ الدين الإسلامي .

□ يتصف بصدق العاطفة ، وبساطة الأفكار وتكرارها وتداخلها ، وعدم
 تناسقها ، وعموض معانيها أحيانا ، وفيه بعض الصور البيانية والمحسنات
 البديعية .

□ والنص من بحر الخفيف ووزنه :

فاعلان مستغفلن فاعلات فاعلان مستغفلن فاعلات

المناقشة :

- 1 - ما أهم الصفات الحية التي وصف الشاعر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وما رأيك فيها ؟
- 2 - اذكر بيتا تحدث فيه الشاعر عن نسب الرسول ، ووضح سر جماله .
- 3 - تناول الشاعر موقف الرسول من قومه ؛ اشرح ذلك مستشهدا بما عرفت من دراستك للسيرة النبوية .
- 4 - وضح مظاهر تأثير الدعوة الحمديّة في المجتمع البشري .
- 5 - يستوحى الشاعر أفكاره من مصادر دينية - اشرح هذه الحقيقة مع التمثيل .

6 - استخراج من النص « صورة بلاغية » ، و « محسنا بديها » ، وبين اثرهما في المعنى والأسلوب .

7 - عرف عصر « البوصيري » بعصر الضعف الأدبي - فما مظاهر ذلك الضعف ، كما تبدو لك من خلال دراستك للنص ؟

المقال :

اكتب مقالا تبين فيه حاجة المجتمعات الاسلامية الى الاقتداء بسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - . حتى يتسنى للمسلمين نجاحهم في مسيرتهم نحو التقدم والعزة والرفاهية .

نموذجان من شعره :

1 - من قصيدة البردة

في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَيْرَانٍ بِذِي سَلِيمٍ (1)
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ (3)
فَمَا لِعَيْبِكَ إِنْ قُلْتَ : أَكْفَأَ هَمَّتَا (5)
يَا لَأَيْبِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مَعْدِرَةً
مَحْضَتِّي النَّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذْلِي
فِي أَنْ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا أَعْطَتْ
وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَبِيلِ قِرَى
مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ (2) يَدِيمِ
وَأَوْمَضُ الْبَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ (4)
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهْمِ
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلِمِ
إِنَّ الْمُجِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمِيمِ
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصْحٍ عَنِ التُّهْمِ
مِنْ جَهْلِهِمَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
ضَيْفِ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِمِ
كَمَا يَرُدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ

1 - ذي سلم : اسم مكان . 2 - القلة : العيين . 3 - كاظمة : اسم مكان . 4 - اضم : واد
بجبال تهامة قرب المدينة المنورة . 5 - همتا : انهمرت منهما الدموع بفرارة .

ب - في نقد المجتمع (*)

تَقَدَّتْ (6) طَوَائِفَ الْمُسْتَحْدِمِينَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ رَجُلًا أَمِينًا
فَكَمْ عَاشَرْتُهُمْ وَلَيْسَتْ فِيهِمْ مَعَ التَّجْرِبِ مِنْ عُمُرِي سِنِينًا
فَكَمْ سَرَقُوا الْغِلَالَ وَمَا عَرَفْنَا بِهِمْ فَكَأَنَّمَا سَرَقُوا الْعِيُونََا
وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا لَيْسُوا حَرِيرًا وَلَا شَرِبُوا خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا (7)
أَمْوَالِي الْوَزِيرِ غَفَلْتَ عَمَّا يَتِيَمُ مِنَ اللَّيَامِ الْكَاتِبِينََا
تَنَسَّكَ (8) مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعَدُّوا مِنَ الزُّهَادِ وَالْمُتَوَرِّعِينََا
وَقِيلَ : لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ وَقَدْ مَلَأُوا مِنَ السُّحْتِ (9) الْبُطُونَا
تَفَقَّهَتِ (10) الْقَضَاةُ فَخَانَ كُلُّ أَمَاتِهِ وَسَمَّوَهُ الْأَمِينَنَا

(*) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام [د. أحمد بدوي] .

6 - تقدَّتْ : نقد الدراهم ؛ أخرج منها الزيف ، والمقصود هنا الخبرة والمعرفة . 7 - الأندرينا :

قرية في جنوب حلب بسوريا اشتهرت بصناعة الخمر الجيدة . 8 - تنسك : تزهد وتمسك .

9 - السحت : المال الحرام . 10 - تفقَّهت : تعلم الفقه .

طريقة التعلّم

لابن خلدون

(732 هـ - 808 هـ — 1332 م - 1406 م)

2

تعريف وتمهيد :

الكاتب هو : « ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون » ، من أسرة يمنية دخلت بلاد الأندلس مع جيوش الفتح الإسلامي ، ثم نزحت إلى « تونس » في أواسط القرن السابع الهجري واشتهرت بالعلم والرئاسة .

ولد « عبد الرحمن » عام 732 هـ بتونس ، ونشأ فيها ، فحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي ، وتعلم المنطق على يد والده وبعض مشايخ جامع الزيتونة ؛ وشغل مناصب متعددة ، منها : الكتابة الديوانية ، والقضاء ، والتدريس . وتنقل بين الأندلس والمغرب العربي ومصر والشام والحجاز ؛ واتصل بزعماء عصره ، فنال إعجابهم وتقديرهم .

ومن أشهر آثاره العلمية « مقدمته » التي تعتبر فتحاً جديداً في فلسفة التاريخ ، وهي مترجمة إلى عدة لغات أجنبية ، وقد عد بها مؤلفها مؤسس العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكان لها أثر بارز في الدراسات التاريخية الأوربية ، وقد ظهر ذلك عند « أوجست كونت » و « دور كايم » الذي يعتبره الأوربيون مؤسس علم الاجتماع .

وقد مر « ابن خلدون » بتجربة التعلم والتعليم حيث درس على مشايخ الزيتونة ؛ ثم اشتغل بالتدريس في فترات مختلفة بالمغرب ومصر ؛ ومن خلال هذه التجارب يقدم لنا « ابن خلدون » آراءه القيمة في طريقة التعليم . والنص الذي تقدمه لك هنا من « مقدمته » المشهورة .

النص (*) :

(١)

« اعْلَمَ أَنَّ تَلَقُّيْنَ (١) الْمُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَقَلِيلًا قَلِيلًا . يَلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلًا مَسْأَلٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ ، وَيُقَرَّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَيُرَاجَعِي فِي ذَلِكَ قُوَّةُ

(*) مقدمة ابن خلدون . 1 التلقين : التفهيم مشابهة .

عَقْلِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ لِقَبُولِ مَا يُورَدُ⁽²⁾ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَ⁽³⁾ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ ، وَعَايِنَاهَا أَنَّهُ هَيِّئَتْ لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينِ عَنِ تِلْكَ الرَّثْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا ، وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ ، وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ ، وَيَذَكِّرُ لَهُ مَا هُنَاكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا⁽⁴⁾ ، فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا⁽⁵⁾ ، وَلَا مُتَبَهِّمًا وَلَا مُنْعَلِقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَى مَلَكَتِهِ . هَذَا وَجْهُ التَّعْلِيمِ الْمُنْفِيدِ ، وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرَّرَاتٍ ، وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخَلَقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ . »

(ب)

« وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْعَلَمِيِّينَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ وَإِفَادَتِهِ ، وَيَحْضُرُونَ لِلتَّعْلِيمِ فِي أَوَّلِ تَعْلِيلِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ مِنَ الْعِلْمِ ، وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْصَارِ ذَهْنِهِ فِي حَلِّهَا ، وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ مِرَانًا⁽⁶⁾ عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ ، وَيَكْتَلِفُونَ رَعِي⁽⁷⁾ ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ ، فَيَخْلِطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَلْقَوْنَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَادِئِهَا وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا ، فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ تَنْشَأُ تَدْرِيجًا ، وَيَكُونُ التَّمَلُّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ بِالْجَسَلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلَى وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ ، وَبِالْأَمْثَلَةِ الْحَيِّثِيَّةِ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ الْاسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَطَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالِاتِّقَالَ فِيهَا مِنَ التَّقْرِيبِ إِلَى الْاسْتِيحَابِ⁽⁸⁾ الَّذِي قُوَّةُهُ ، حَتَّى تَيَسَّرَ الْمَلَكَةُ فِي الْاسْتِعْدَادِ ، ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ ، وَيَحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ . »

(ج)

« وَإِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ الْغَايَاتِ⁽⁹⁾ فِي الْبِدَايَاتِ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ عَاجِزٌ عَنِ الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ ، وَبَعِيدٌ عَنِ الْاسْتِعْدَادِ لَهُ كُلِّ ذَهْنُهُ مِنْهَا ، وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ

2 يورد عليه : ورد الماء : صار اليه . واورده المورد : احضره اليه . والمقصود هنا بقدم له .
3 - ملكة : صفة راسخة في النفس تعين على المهارة في العمل . 4 - شدا : شدا من العلم : اخط .
5 - عويصا : المويص من الكلام : ما يصعب لهما . 6 - ميران : مران على الشيء : احضاره وتدرج عليه . 7 - رعي : ملاحظة وحفظ . 8 - الاستيعاب : اخذ الشيء باجمعه واستيفائه . 9 - اللابيات : جمع لابة وهي مدى الشيء ونهايته والمقصود هنا هو الوصول الى درجة عالية في العلم .

نَفْسِهِ ، فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ ، وَتَمَادَى فِي هِجْرَانِهِ ، وَإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ سَوْءِ التَّعْلِيمِ .

(د)

« وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَ (10) عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ إِلَّا بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدَأًا كَانَ أَوْ مُنْتَهَىً وَلَا يَخْلُطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعَثَهُ (11) مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيُحْصِلَ أَغْرَاضَهُ ، وَيَسْتَوْلِي مِنْهُ عَلَى مَلَكَتِهَا بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ ، لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَتَهُ مَا فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوْلِيَ عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ ، وَإِذَا أَخْلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ (12) ، وَانْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَسَّ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ .

شرح وايضاح :

بصور الكاتب في هذا النص الطريقة التربوية الصحيحة في نظره .

ففي الفقرة (أ) :

تحدث عن التدرج في التعليم ، وراى أن التعليم المفيد هو الذي يتم على مراحل ثلاث :

- المرحلة الأولى : وتبدأ بالمعرفة الاجمالية للفن المدروس فيقدم الاستاذ لتلميذه الأصول الصامة التي يدرسها مراعيًا في الشرح والتفهم مستوى مدارك التلميذ . والهدف من هذه المرحلة اعداد التلميذ وتهيئته لتلقي المادة التي يدرسها .
- المرحلة الثانية : وفيها يتلقى المتعلم المادة بالشرح والتفصيل بعد الاجمال .
- المرحلة الثالثة : يتدرب المتعلم على المقارنة والتحليل والتعمق في مسائل الفن المدروس فتكتمل ملكته العلمية ، وقد يختصر بعض المتعلمين المرور بهذه المراحل بما له من قدرات خاصة .

وفي الفقرة (ب) :

ينتقد « ابن خلدون » الطريقة التربوية السائدة في عصره . ويبين مدى مخالفتها للطريقة السليمة فقد شاهد المعلمين في عصره يبدءون مع تلاميذهم بالمسائل الصعبة

10 - اكب على عمله : اقبل عليه ولزمه . 11 - يعيه : يحفظه . 12 - الكلال : التعب .

التي تحتاج إلى تحليل أو مقارنة ولا يقدر عليها إلا من أوتي حظا من مبادئ الفن الذي يعالج مسأله ويحسب هؤلاء المعلمون أنهم بذلك يدربون تلاميذهم على التعليم الجيد .

ولكن « ابن خلدون » يقرر أن هذه الطريقة قلبٌ للحقيقة ومخالفة واضحة للطريقة التربوية السليمة ، لأن المتعلم يبدأ بالفهم الاجمالي ويتقدم شيئا فشيئا في استيعاب المادة العلمية مستعينا بالأمثلة الحسية والتدريب المتواصل .

وفي الفقرة (ح) :

يوضح « ابن خلدون » خطورة الطريقة السائدة في عصره ، فالتعلم بها يشعر بصعوبة بالغة في الفهم والتحصيل ، فيظن أن سبب الصعوبة كامن في العلم نفسه فيهجره ويتعد عنه ، وبذلك تصبح هذه الطريقة سببا من أسباب التنفير من العلم وانتشار الجهالة .

وفي الفقرة (د) :

يلح « ابن خلدون » على ضرورة التزام برنامج دراسي محدد في مادته وموضوعاته بحيث يكون ملائما لمستوى التلميذ ، ويلتزم به فلا يدرس أي موضوعات أو مواد أخرى أثناء دراسته للبرنامج الذي حدده سلفا ، ولا ينتقل منه إلى غيره قبل أن تصبح له ملكة قوية فيه ، تمكنه من تحصيل مختلف العلوم والفنون . واتباع البرنامج المحدد وعدم الخروج عنه يساعده على نمو مدارك التلميذ تدريجيا فيقبل على طلب العلم والمعرفة في شغف ونشاط ، أما الخلط والاضطراب في البرنامج فإنهما يسببان صعوبات للتلميذ تؤدي إلى تنفيره من العلم والتعليم .

دراسة الأفكار :

النص من « مقدمة ابن خلدون » التي تناولت بالدراسة المركزة العميقة موضوعات متعددة ومختلفة في التاريخ والسياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب وطرق التعليم ، وهي بحق موسوعة علمية كبيرة ، تناولها بالشرح والدراسة والتحليل والتعليق كثير من الباحثين العرب والأوربيين .

وقد مر بك أن العصر الذي عاش فيه « ابن خلدون » عرف بمصر الموسوعات العلمية ومن بينها هذه المقدمة .

والنص يعالج قضية تربوية هامة شغل بها علماء الفلسفة والتربية والمجتمع على مر العصور ، ونالت من علم النفس في العصر الحديث عناية كبيرة ؛ وهي قضية تحديد الطريقة التربوية السليمة ، التي يجب اتباعها في التعليم .

وقد تناول الكاتب في هذا النص عدة أفكار أساسية ، هي :

- 1 - تحديد الطريقة السَّوِيَّة في نظره .
- 2 - عيوب الطريقة السائدة في عصره .
- 3 - خطورة هذه الطريقة وآثارها السيئة .
- 4 - وجوب اتباع برنامج دراسي محدد في المادة والموضوعات .

وإذا تأملت هذه الأفكار وجدتها تتسم بالانسجام والوضوح والدقة ، وتمتد على الأمثلة والبراهين .

ومن عرض الكاتب أفكاره يمكنك أن تدرك طريفته في الإصلاح الاجتماعي - ومن بينها إصلاح التعليم - وهي طريقة ايجابية تقوم على مبدأ النقد البناء ، فعندما ينتقد الكاتب طريقة المعاصرين له في التدريس نقدا صريحا معتمدا على أسس منطقية يقدم الطريقة المثلى - كما يراها - مفصلة محددة واضحة .

ويندرج هذا النص في عداد النثر العلمي ، لأنه يبحث موضوعات علمية ، فيه جوانب من علم النفس والتربية وطرق التدريس ، وهذه العلوم وإنْ ظهرت بمصطلحاتها العلمية الدقيقة والمحددة في العصر الحديث فإن الباحثين العرب والمفكرين المسلمين قد سبقوا إلى دراستها ولهم فيها آراء صائبة استفاد منها المتأخرون .

فمن خلال هذا النص ندرك أن « ابن خلدون » سبق بمنهجه التربوي كثيرا من علماء التربية في عصرنا الحديث ، وهم ناقلون عنه أو متأثرون به ، من ذلك مثلا :
(أ) ما دعت إليه التربية الحديثة من استخدام وسائل الإيضاح في طرق التدريس ؛
(ب) الانتقال من المعلوم الى المجهول ، ومن المحسوس إلى المقول ؛
(ج) مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين والمستويات المختلفة ؛
(د) التزام البرنامج الدراسي وعدم الخروج عنه .

دراسة الأسلوب :

النص من النثر العلمي في أول عصر المالك ، وقد عرفت ان أسلوب هذا النوع من الأدب كان قويا في أول العصر ؛ ومع وضوح الأسلوب وسلامته لم يخل من التكرار بلا فائدة كبيرة في المعنى ، من ذلك قوله :

«اعْلَمَ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمَتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مَفِيدًا

إِذَا كَانَ عَلَى التَّدْرِجِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَقَلِيلًا قَلِيلًا » [فقرة (أ) س 1]

ثم يقول :

« فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالاسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ يَنْشَأُ تَدْرِجِيًّا » [فقرة (ب) س 5]

وقد عمد الكاتب الى استخدام الاسلوب المباشر الذي يهدف الى بلوغ الحقيقة من اقرب طريق، ولا يعتمد كثيرا على الخيال، لان الكاتب لا يصور عواطفه وأحاسيسه، وانما يوضح حقائق ويفسر نظريات ومع ذلك استعان بالصور البيانية بالقدر الذي يعينه على تحقيق هدفه، وتقبله طبيعة الموضوع المدروس، من ذلك الاستعارة في قوله:

« يَسْتَوِي مِنْهُ عَلَى مَلَكَ بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ » [فقرة (د) س 4]

فقد شبه الملكة وهي امر ممنوي بشيء حاد له قدرة النفاذ، ثم حذفه واتى بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة بالكناية. وهذه الاستعارة تدل على قوة الملكة وقدرتها على التحصيل.

واساليب النص كلها خبرية تناسب الموضوع الذي تناوله الكاتب بالشرح والتحليل لينتهي الى تقرير المبادئ والنظريات التربوية الصحيحة.

وقد سلم النص من العيوب التي شاعت في ادب معاصريه من ركافة التعبير والاهتمام بالمحسنات البدعية على حساب المعنى، وان وردت بعض المحسنات في أسلوبه، فهي قليلة وفي موضعها، من ذلك الطباقي في قوله:

« الْغَايَاتُ الْبِدَايَاتُ » [فقرة (هـ) س 1]

« مُبْتَدِئًا مُنْتَهِيًا » [فقرة (د) س 2]

وهذا اللون من المحسنات البدعية يوضح الفكرة ويجلو المعنى.

مجمل القول

- النص جزء من « مقدمة ابن خلدون »، يعالج الطريقة التربوية الصحيحة في نظر الكاتب.
- افكاره مرتبة مسلسلة، ومعانيه واضحة سهلة، تدل على صدق ادب « ابن خلدون » ومنهجه التربوي، وطريقته المنطقية في مناقشة الموضوعات العلمية.
- وهو من النثر العلمي، ويتميز بجودة العبارة، وسلامة التركيب، وخلوه من الركافة التي شاعت في عصره، وقد اعتمد على « الاساليب الخبرية » المباشرة، واستعان « باساليب البيان والبديع » بالقدر الذي يوضح الفكرة ويجلوها.

الناقشة :

- 1 - كيف كانت طريقة التعليم في عصر ابن خلدون ؟ وما عيوبها ؟
- 2 - ما الطريقة التي دعا اليها ابن خلدون حتى يصبح التعليم مفيدا ؟
- 3 - استفادت التربية الحديثة من آراء ابن خلدون . وضح هذه الحقيقة مستدلا بأفكار النص .
- 4 - ما الأشياء التي تنفر من العلم كما وضحها ابن خلدون ؟ وما آثارها على التلميذ ؟
- 5 - لماذا اعتمد الكاتب على الأسلوب الخبري المباشر ؟
- 6 - استخرج من النص صورة بيانية وبين أثرها في المعنى .
- 7 - كان ابن خلدون صاحب منهج علمي في عرض مشكلة التعليم وحلها . فما أسس ذلك المنهج كما فهمته من النص ؟ وما رأيك فيها ؟
- 8 - ابن خلدون ناقد بناء . فما الدليل على ذلك ؟

المقالة الأدبية :

- ان شخصية المعلم وطريقته تؤثر في تكوين شخصية تلاميذه .
— ناقش هذه القضية .

السؤال الكتابي :

- ينسب بعض الدارسين « ابن خلدون » الى الأمة العربية لا الى قطر بعينه . ويعتبره بعض الدارسين موسوعة علمية . فما سر ذلك ؟

١ - فن التاريخ *

« إِنَّ فَنَ التَّارِيخِ مُحْتَاجٌ إِلَى مَاخِذٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَمَعَارِفٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وَحُسْنِ نَظَرٍ وَتَشَبُّتٍ يُفْضِيَانِ (١) بِصَاحِبَيْهِمَا إِلَى الْحَقِّ وَيُنَكِّبَانِ (٢) بِهِ عَنِ الْمَزَلَّاتِ وَالْمَغَالِطِ ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ ، وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمُرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَلَا قِيَاسَ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ ، وَالْحَاضِرِ بِالذَّاهِبِ ، فَرَبَّمَا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا مِنَ الْعُنُورِ وَمَزَلَّةِ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنِ جَادَةِ الطَّرِيقِ .

وَكثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمَفْسِّرِينَ وَأَيَّةِ النَّقْلِ الْمَغَالِطِ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَثًّا أَوْ سَهِينًا ، وَلَمْ يَعْضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا ، وَلَا قَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا ، وَلَا سَبَّرُوهَا (٣) بِمِيقَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ ، وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ ، فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَتَاهُوا فِي يَسَدَاءِ الْوَهْمِ وَالغَلْطِ » .

ب - تقليد المغلوب للغالب **

« الْمَغْلُوبُ مُوَلِّعٌ أَبَدًا بِالْإِفْتِدَاءِ بِالْغَالِبِ فِي شِعَارِهِ ، وَزِيَّتِهِ ، وَنِخْلَتِهِ ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ ، وَعَوَائِدِهِ » .

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فِيْمَنْ غَلَبَهَا ، وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ ، إِمَّا لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِنَا وَقَرَّ عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ ، أَوْ لِمَا تَغَالَطَ بِهِ مِنْ أَنَّ انْقِيَادَهَا لَيْسَ

* مقدمة ابن خلدون .

١ يفضيان : يوصلان . ٢ ينكبان : يبعدان . ٣ سبروها : اختبروها .

** مقدمة ابن خلدون .

لَعَلِّ طَبِيعِي إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْعَالِبِ ، فَإِذَا غَالَطْتَ بِذَلِكَ وَاتَّصَلَ لَهَا اعْتِقَادًا ، فَاتَّحَلَّتْ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْعَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْاِقْتِدَاءُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنْ غَلَبَ الْعَالِبُ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةَ بَأْسٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا اتَّحَلَّتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُعَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنِ الْعَلْبِ ، وَهَذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ . وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْعَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا بَلْ وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ .

وَانظُرْ ذَلِكَ فِي الْأَبْنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ تَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِاعْتِقَادِهِمُ الْكَمَالَ فِيهِمْ ، وَانظُرْ إِلَى كُلِّ قَطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيَّ الْعَامِيَةِ وَجَنَدِ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ لَهُمْ . حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ تَجَاوَزُ أُخْرَى ، وَلَهَا الْعَلْبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشَبُّهِ وَالْاِقْتِدَاءِ حَظٌّ كَبِيرٌ ... وَتَأْمَلْ فِي هَذَا سِرَّ قَوْلِهِمْ : « الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ » فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ ، إِذِ الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ وَالرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لِاعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِيهِ اعْتِقَادَ الْأَبْنَاءِ بِآبَائِهِمُ وَالْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِيهِمْ . وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَبِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ .

الفصل الثالث

مألاج من ادب عصر الضعف

اولا : الشعر — ثانيا : النثر

١ - الزهد والحكم
لابن الوردِي *

أولاً - الشعر :

اعْتَزَلْ ذِكْرِي الْأَعْيَانِي وَالْعَزَلْ
وَدِعِ الذِّكْرِي لِأَيَّامِ الصِّبَا
وَاتْرِكِ الْعَادَةَ لَا تَحْفَلْ بِهَا
وافتكر في منتهى حسن الذي
واهجر الخمرة إن كنت فتى
واتق الله فتقوى الله ما
ليس من يقطع طرقاتاً بطلاً
كسب الموت على الخلق فكم
أين « نمرود^(١) » « وكنعان^(٥) » ومن
أين من سادوا وشادوا وبنوا
أين أرباب الحجبى أهل النemy
سعييد اللالكلا منهم

وقل الفضل وجانب من هزل
فلأيام الصبا نجيم أقل
تمس في عز رفيع وتجل
أنت تهواه تجد أمراً جلال
كيف يسمي في جنون من عقل
جاورت قلب امرئ إلا وصل
إنما من يتقي الله البطل
فل من جيش وأفني من دول
ملك الأرض وولي وعزل
هلك الكل ولم تن القل^(٣)
أين أهل العلم والقوم الأول
وسيجزي فاعلاً ما قد فعل

* ولد الشاعر زيد الدين عمر بن الوردِي في «عرة الثمان» وهي قرية تقع بين حلب وحماة في سوريا ،
ولمعد من العاصمة دمشق بحوالي 200 كلم ، وبها قبر «أبي العلاء المري» وقد عاش ابن الوردِي
حياة علمية وأدبية فنية بالانتاج فكتب في التاريخ والنحو ، ونظم ديواناً في الشعر ، وله مقامات
ومن أشهر قصائده «لاميته» وهي قصيدة طويلة بلغت سبعة وسبعين بيتاً ، ومنها اخترنا لك هذه
الآبيات ، وقد تولى ابن الوردِي عام 749 هـ .

١ النمرود : اسم ملك حكم في المصور القديمة ، وهو الذي بني برج بابل ، وبابل ملكة قديمة في بلاد
المصراق . - 2 كنعان : ملك من الملوك القدماء . - 3 القل : جمع قلة ، وهي أعلى الجبل .

ب - الحث على الجهاد
لصَفِيِّ الدِّينِ الحَلِيِّ *

لَا يَمْتَطِي^(٤) الْمَجْدَ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْخَطَرَ
وَمَنْ أَرَادَ الْعُلَا عَفْوًا يَلَا تَعَبٍ
لَا بُدَّ لِلشَّمِيدِ مِنْ نَحْلِ يَمْنَعُهُ
مَنْ قَاتَهُ الْعِزُّ بِالْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ
لَا يَحْسُنُ الْعِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَا إِلَّا فَتَى فَرَفَتْ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَابِي لِدَوْلَتِهِ
كَانَتْ عِدَاكَ لَهَا دَسْتٌ^(٣) فَقَدْ صَدَعَتْ
فَاوْقَعُ^(٤) إِذَا غَدَرُوا سَوَطَ الْعَذَابِ بِهِمْ
وَارْعَبْ قُلُوبَ الْعِدَا تُنْصَرَّ بِخَدْلِهِمْ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَا مَنْ قَدَّمَ الْعَدْرَا
قَفَى ، وَلَسَمَ يَقْضِ مِنْ إِذْرَاكِهَا وَمَطْرَا
لَا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْيِلِ الضَّرْرَا
بِالْبَيْضِ^(٥) يَقْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا الشَّرْرَا
وَلَا يَلِيْقُ الْوَفَا إِلَّا لِنِ فَكْرَا
خِلَالَهُ ، فَاطَاعَ الدَّهْرُ مَا أَمْرَا
ذِكْرًا طَوَى ذِكْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَاتَّشَرَا
حَمَاسَةً جِدَّكَ ذَاكَ الدَّسْتِ فَانْكَسَرَا
يَظُلُّ يَخْشَاكَ صَرَفَ الدَّهْرِ إِنْ غَدْرَا
إِنَّ النَّبِيَّ يَفْضِلُ الرَّعْبَ قَدَ نَصْرَا

* ولد الشاعر « هيد العزيز بن سَرِيَا » بمدينة « الحِلَّة » وهي مدينة في العراق تقع على نهر الفرات وتبعد عن العاصمة « بغداد » 80 كلم تقريبا ، ولحقه نشأ الشاعر واتصل بأمرائه « الدولة الأُرْتُقِيَّة » ومدحهم بقصائد عدة ، ثم رحل إلى مصر واتصل بالسلطان الناصر قلاوون ، وهاجر الحلي معارك المسلمين مع فلول التتار وسجل هذه الحروب في شعره ، وهذه الأبيات من أشعاره في الحث على الجهاد ، وكانت وفاته عام 750 هـ .

1 يمتطي : يركب . - 2 البييض : السيف . - 3 الدست : جمع دست كلمة فارسية معناها : الحيلة والخدبة . الحماسة : الحجة الصغرة ، والقصود هنا حسن التدبير . - 4 فاولع : فعل أمر ما ضيه اوقع ومضارمه يوقع ، وقد سهل هنا للضرورة الشعرية ، وكذلك الفعل وارعب في البيت الآخر من هذا النص .

ج - في السرثاء *

للحوضي**

وَالْأَرْضُ رُجَّتْ حِينَ خَابَ رَجَاؤُهَا
وَتَرَكَمَتْ وَتَعَاظَمَتْ أَرْزَاؤُهَا (1)
وهو ابن يوسف هذ منها علاؤها
فانزاح عنها حين بث غطاؤها (2)
وإلى الشريعة فاستنار ضياؤها
عيل الضلال به استفيد دواؤها
فانجاب عن سبل الهدى ظلماؤها
يرجى لأمراض القلوب شفاؤها
ينغي إليك تقربا أبناؤها
لم يجد عنك جمالها وبهاؤها
وسيل ترحالٍ وذاك جزاؤها
ييدي لها نكتا يروق سناؤها
تأتي مواعظه فيذهب دواؤها
أعطاكها رب له إعطاؤها
كرم ومن شيم تلا إحصاؤها
وعليك من نقاتهم إجرائها

مَا لِلنَّازِلِ أَظْلَمَتْ أَرْجَاؤُهَا
وَأَتَى عَلَيْهَا النَّقْصُ مِنْ أَطْرَافِهَا
فَقَدْ الشَّنُوسِيَّ الْإِمَامَ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ بَحْرًا لِلْمَعَارِفِ زَاخِرًا
وَدَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ دَعْوَةً مُخْلِصٍ
هَذَا الَّذِي وَرِثَ النَّبِيَّ فَأَصْبَحَتْ
هَذَا الَّذِي تَبِعَ النَّبِيَّ وَصَنَعَهُ
يَا دُرَّةَ الزُّهَادِ يَا غَوَايَا
كَمْ جَاءَتْ الدُّنْيَا نَسُوقَ رِيَاةٍ
فَأَيَّتَ عَنْهَا مَعْرِضًا مُسْتَحْفِرًا
وَجَمَلْتَهَا نَحْوَ الْجِنَانِ مَطِيَّةً (3)
مَنْ لِلْعُلُومِ عَلَى اخْتِلَافِ فُنُونِهَا
مَنْ لِلْقُلُوبِ إِذَا صَدَّتْ (4) وَإِذَا قَسَتْ
مَا دَاكَ إِلَّا مِنْ مَزَايَاكَ الَّتِي
مَا شِئْتَ مِنْ تَقْوَى وَمِنْ وَرَعٍ وَمِنْ
وَاسِيَّتَ (5) أَهْلَ الْعِلْمِ حَتَّى أَصْبَحُوا

* تاريخ الادب الجزائري : محمد الطمار .

** حاش الشاعر الجزائري « محمد بن عبد الرحمن الحوضي » في مدينة تلمسان بالجزائر حيث نهل من العلوم الدينية والربية التي سادت في عصره ونظم الشعر في اغراض متعددة ، وغلبت النزعة الدينية في الشعر وله نظم في العقائد ومما قاله في مدح محمد بن يوسف الشنوسي إمام علم التوحيد والكلام ، المتوفى سنة 1491 م هذه الابيات ، وقد توفي الشاعر عام 910 هـ .

1- أُرْزَاؤُهَا : جمع رزء ، وهو المصيبة . - 2 بث فطالها : بث الشيء : فرقه . - 3 المطية : الدابة التي تركيب ويستوي فيها الذكر والمؤنث . - 4 صدت القلوب : صدى الحديد : علاه الصدا . والمقصود هنا عدم نقاء القلوب . - 5 واسييت : واسى مواساة الرجل : لغة في آساه مواساة اي عاونه .

د - في الفكاهة *

لأبي الحسن الخزاعي التلمساني **

مَوْلَايَ لَا ذَنْبَ لِلشَّقَرَاءِ إِنْ عَثَرْتُ وَمَنْ يَلْمَهَا لِعَمْرِي فَهوَ ظَالِمُهَا
وَهَالِهَا مَا اعْتَرَاهَا (1) مِنْ مَهَابَتِكُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ تَثْبُتْ قَوَائِمُهَا
وَلَمْ تَزَلْ عَادَةُ الفَّرْسَانِ مَذْرُوبُوا تَكْبُورُ (2) الْحِيَادُ وَلَمْ تَثْبُتْ عَزَائِمُهَا
وَفِي النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ أُسُوتَنَا (3) أَعْلَى النَّبِيِّينَ مِقْدَارًا وَخَاتِمُهَا
كَبَا بِهِ فَرَسٌ أَبْقَى بِسَقَطِيهِ فِي جَنْبِهِ خَدَشَةٌ تَبْدُو مَعَالِمُهَا

* تاريخ الادب الجزائري : محمد الطمار .

** ولد الشاعر « محمد أبو الحسن الخزاعي » بالجزائر عام 710 هـ من أسرة معروفة بالعلم ، وقد تولى الشاعر الكتابة الديوانية للملك بني زيان بالجزائر ، واتصل بملوك بني مرين في فاس وأصبح رئيسا للكتابة الديوانية عندهم ومدحهم في شعره وكانت وفاته عام 789 هـ وهذه الابيات نظمها الشاعر مسجلا بها حادثة وقعت لموسى بن أبي عنان المريني عندما كبا به فرسه عقب صلاة الجمعة بجامع القرويين في مدينة فاس .

1 هالها : افزعها ، اضراها : غشيها واصابها . - 2 تكبو : تسقط على وجهها . - 3 أسوة : بضم الهمزة وكسرهما قدوة .

١ - في المديح مُحْيِ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ *

« حَرَسَ اللهُ نِعْمَةَ مَوْلَايَ ، وَلَا تَزَالُ كَلِمُ السَّعْدِ مِنْ اسْمِهِ وَفَعْلِهِ ،
وَحَرَفَ قَلَمِهِ يَأْتِلِفُ ، وَمَنَادَى جُودِهِ لَا يُرَخِّمُ ، وَأَحَدُ عَيْشِهِ لَا يَنْصَرِفُ ، وَلَا
عَدِمَ مُتَوَصِّلَ الرِّزْقِ مِنْ يَرَاغِيهِ الَّتِي لَا تَقِفُ الْوَصْلَ ، وَلَا عَدِمَتْ نَحَاةُ الْجُودِ مِنْ
نَوَالِهِ كُلِّ مَوْزُونٍ وَمَمْدُودٍ ، وَمِنْ فَضْلِهِ وَظِلِّهِ كُلِّ مَقْصُورٍ وَمَمْدُودٍ ، وَمَا
خَاطَبَتْ الْأَيَّامُ مُلْتَمِسَةً إِلَّا بِلَامِ التَّوَكُّيدِ ، وَلَا عَدُوَّهُ إِلَّا بِلَامِ الْجُودِ » .

ب - وصف علم البلاغة لـ شهاب الدين الحلبي **

« الْبَلَاغَةُ تَسْحَرُ الْأَلْبَابَ حَتَّى تَخِيلَ الْعَرَضَ جَوْهَرًا ، وَتُجِيلَ الْهَوَاءَ الْمَدْرَكَ
بِالسَّمْعِ لِانْسِجَامِهِ وَعُدُوبَتِهِ فِي الدُّوقِ نَهْرًا ، لَكِنَّهُ سِحْرٌ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ
الْمُتَحَرِّزِ (١) فَيَتَأَوَّلُ فِي حَلِّهِ ، وَإِذَا كَانَ فِي الْحَدِيثِ مَا هُوَ عُقْلَةٌ لِلْمُسْتَوْفِزِ (٢) فَهَذَا
أَنْشُوطَةٌ نَشَاطِطِ الْبَلِيغِ وَحَلِّ عَقَائِلِ (٣) عَقْلِهِ » .

* هو الشاعر الكاتب « عبد الله محيي الدين بن عبد الظاهر » مصري المولد والوفاء عاش في عصر المماليك وتولى رئاسة ديوان الإنشاء أيام « بيبرس » و « قلاوون الأشرف » وله مؤلفات في التاريخ من أهمها « الروضة البهية الزاهرة في خطط العزيزة القاهرة » وكتب عدة رسائل وكانت وفاته عام 692 هـ ، وهذه الفقرة من رسالة كتبها في مدح أحد ملوك عصره .

** ولد الكاتب « محمود بن سليمان » المرؤف « بشهاب الدين الحلبي » في مدينة دمشق عام 644 هـ تعلم فيها ، ثم رحل إلى مصر ، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في حكم « الناصر بن قلاوون » أحد حكام المماليك ، وتوفي عام 719 هـ .

١ المتحرز : النقي . - 2 المستوفز : المستمد . - 3 عقال : قيد .

ج - وصف موقعة

للقشندي *

« وَتَحَرَّكْنَا مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي جِيُوشٍ لَا يَأْخُذُهَا حَصْرٌ ، وَلَا يَلْحَقُهَا هَضْرٌ ،
وَلَا يُظَنُّ بِهَا عَلَى كَثْرَةِ الْأَعْدَادِ كَثْرٌ . »

وَلَمْ نَزَلْ نَحْتُ السَّيْرِ ، وَنَسْرَعُ الْحَرَكَةَ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ إِسْرَاعَ الطَّيْرِ ، حَتَّى
وَأَفِينَا دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةَ فَنَزَلْنَا بِظَاهِرِهَا مُسْتَمْطِرِينَ النَّصْرَ فِي أَوَائِلِ حَرَكَتِنَا وَأَجْرَهَا ،
وَأَنْضَمَّ إِلَيْنَا مِنْ عَسَاكِرِ الشَّامِ وَعُزْبَانِهَا وَتُرُكْمَانِهَا الزَّائِدَةُ عَلَى الْعَدُوِّ مَا لَا يَنْقَطِعُ لَهُ
مَدَدٌ وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ عَدَدٍ . »

* ولد « أبو العباس شهاب الدين أحمد » بقرية « قَلْقَشَنْدَةَ » وهي احد قرى محافظة القليوبية المجاورة للقاهرة وقد نشأ الكاتب في مصر وتولى ديوان الانشاء في عهد المماليك ، ومن اشهر مؤلفاته « صُبْحِ الْأَعْيُنِ فِي صِنَاعَةِ الْأَنْشَاءِ » و « نَهَايَةُ الْأَرْبِ فِي مَعْرِفَةِ فِجَائِلِ الْعَرَبِ » ، وقد توفي عام 821 هـ .
وهذه الفقرة من رسالة كتبها على لسان الملك الناصر « فرج بن برقوق » إلى صاحب ناس بصف له فيها احدى المارك .

الفصل الرابع

خصائص الأدب في عصر الضعف

يتميز الأدب العربي في عصر الضعف بعدة خصائص نجملها فيما يلي :

أولاً : كانت الفنون الأدبية قليلة في هذا العصر إذا قورنت بالصور السابقة عليه ، أو العصر الحديث ، فقد انحصر النثر في الكتابة الديوانية ، والرسائل الاخوانية ، والنثر العلمي ، وقُرِبَ نهاية العصر انقرضت الكتابة الديوانية كما مر بك ، بينما كان النثر العربي خصباً في عصور القوة الماضية حيث ازدهرت فيه الخطابة بأنواعها ، والرسائل الديوانية والاخوانية ، وظهرت المقامات التي تعتبر نوعاً معيناً من القصص في الأدب العربي ، وفي العصر الحديث كثرت الفنون النثرية ، كما سيتضح لك ذلك فيما بعد .

وفي ميدان الشعر ، اقتصر شعراء عصر الضعف على الشعر الغنائي (*) وتناولوا نظم المعلوم كما فعل « ابن مالك » في الفيته المشهورة ، حيث يقول في تعريف الكلام وأقسامه عند النحاة :

كَلَامًا لَفْظًا مُفِيدًا كَأَسْتَقِيمَ وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمَ

ثانياً : ضاقت دائرة الموضوعات التي تناولتها الفنون الأدبية في عصر الضعف فغلب على الشعر تياران سبق الحديث عنهما (وهما : التيار الديني ، وتيار اللهو والمجون) ، وكان الشعر العربي في عصر القوة الماضية حافلاً بالأغراض الكثيرة كما عرفت ذلك في دراستك السابقة ، وقد لجأ شعراء عصر الضعف إلى التاريخ بالشعر ، فكان الشاعر يستعمل كلمات لكل حرف من حروفها رقم حسابي ، ومجموع الحروف في الكلمة أو الجملة يدل على تاريخ معين :

من ذلك ، مثلاً ، ما قاله الشبراوي في رثاء « أحمد الدلنجاي » المتوفي عام 1123 م .

سَأَلْتُ الشِّعْرَ هَلْ لَكَ مِنْ صَدِيقٍ وَقَدْ سَكَنَ الدَّلِجَاوِي لِحَدَّةِ
فَصَاحَ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَأَصْبَحَ سَاكِنًا فِي الْقَبْرِ عِنْدَهُ
فَقُلْتُ لِمَنْ أَرَادَ الشِّعْرَ قِصْرٌ فَقَدْ أَرَحْتُ « مَاتَ الشِّعْرُ بَعْدَهُ » (1)

(*) هو أحد أنواع الفنون الشعرية كما ستعرف ذلك في دراستك لتطور الشعر العربي وخصائصه . في العصر الحديث .

(1) لكل حرف من أحرف الهجاء رقم خاص كما هو موضح فيما يلي :

ا	ب	ج	د	و	هـ	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	20	30	40	50
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
60	70	80	90	100	200	300	400	500	600	700	800	900	1000

ويجمع أرقام أحرف المثال المذكور تتضح الطريقة كما يلي :

$$40 + 1 + 400 + 1 + 30 + 300 + 70 + 200 + 2 + 70 + 4 + 5 = 1123$$

وهو تاريخ وفاة الشاعر « أحمد الدلنجاي » .

اما الموضوعات الشعرية فقد طفى عليها **النثر العلمي** ، وكانت جهود علماء عصر الضعف في هذا الفن تعتمد على جمع وتدوين ما خلفه السابقون ، **ولم ينل النثر الفني حظا من التقدم على أيديهم** ، لأن هذا اللون من النثر يحتاج إلى مواهب مبتكرة ، وذلك لم يتوفر كثيرا في هذا العصر .

ثالثا : كانت **المعاني قليلة** ، سواء في **الشعر** أو **النثر** ، وكان الأديب يأتي بحشد كبير من الألفاظ يعبر عن معنى قليل ، ويكرر المعاني ويدور حولها ، ولعلك لاحظت شيئا من ذلك في دراستك لقصيدة البوصري .

وإلى جانب قلة المعاني ، فإنها كانت غامضة ، ويمكنك أن تراجع وصف علم البلاغة « **لشهاب الدين الحلبي** » لترى شاهدا على ذلك .

رابعا : لم يحسن بعض أدباء هذا العصر استخدام **الصور البيانية** استخداما يفيد في توضيح المعنى أو جلاء العاطفة ، كما تلاحظ ذلك في قول « **الشهاب الخفاجي** » (1069 هـ) :

إِنَّ وَجْدِي بِمِصْرَ وَجَدٌ سَقِيمٌ وَحَيْنِي كَمَا تَرَوْنَ حَيْنِي

ويقول آخر :

كَأَنَّهُمْ وَالْمَاءُ مِنْ حَوْلِهِمْ قَوْمٌ جُلُوسٌ حَوْلَهُمْ مَاءٌ

ولعلك لاحظت أن التشبيه هنا لا يزيد في المعنى شيئا .

خامسا : ويبدو أن أدباء هذا العصر شعروا بعجزهم عن التجديد في المعنى أو التجويد فيه فاتخذوا من **التنميق اللفظي** بديلا يفتخرون به ويتفننون فيه **فكثرت الحسنات البديعية** في غير موضعها ، كما رأيت في مدح « **ابن عبد الظاهر** » لأحد ملوك عصره .

واشتد اعجاب هذا العصر بالتورية ، يتباهون بأنها من خصائص عصرهم . يقول « **نصر الدين الحمامي** » (712 هـ) :

جُودُوا لِنَسْجَعِ بِالْمَدِيحِ عَلَيَّ عُلَاكُمْ سَرْمَدًا
فَالطَّيْرُ أَحْسَنُ مَا يُعْرَدُ عِنْدَمَا يَقَعُ النَّدَا

وتبارى « **ابن نباتة** » مع « **الصفدي** » في تضمين أعجاز معلقة « **امرئ القيس** » فكتب « **الصفدي** » إلى « **ابن نباتة** » :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتَبٌ يَسْؤُنِي كَجَلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلِّ

فأجابه « ابن نباتة » :

فَطَمْتُ وَلَائِي ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَاتِبًا أَفَاطِمُ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّ

والزم بعض الشعراء نفسه في نظم الشعر بما لا يلزم . فكتب « صفي الدين الحلي » مجموعة من القصائد مدح فيها (آل الأرتق) ملوك ديار « بكر بن وائل » .

وقد بدأ القصيدة بحرف من حروف الهجاء ، والتزم به في اول كل بيت وآخره من أبيات القصيدة من ذلك قوله :

يَقِي وَدَعِينَا قَبْلَ وَثُكِ التَّفْرِقِ فَمَا أَنَا مَنْ يَحْيَا إِلَى حِينِ نَلْتَقِي
قَضَيْتُ وَمَا أَوْدَى الْحَمَامُ بِمُهْجَتِي وَثَبْتُ وَمَا حَلَّ الْبِيَاضُ بِمُفْرَقِي

واستخدم بعض الشعراء كلمات عامية واساليب ركيكة من ذلك قول « ابن نباتة » :

وَكَمْ ذِي كِتَابٍ فِي الْوَرَى وَكَيْبِيَّةٍ غَدَا دَاخِلًا مِنْ مَوْتِهِ تَحْتَ مَكْتُوبٍ (*)

ومنذ بداية عصر الضعف اخذ الادب العربي يتسم بالركاكة والاسفاف ، واستمر على ذلك حتى بداية العصر الحديث .

(*) يقول الشاعر :

ان كثيرا من ارباب الانلام والسيوف وافاهم الاجل ، فاصبحوا في عداد الموتى ، ونفذ فيهم قدرهم المحتوم . ولملك تلاحظ ما في الشطر الثاني من ركاكة وضعف . (الفصل في تلويح الادب العربي ح 1 احمد امين) .

الباب الثاني

المصر الحديث

(1213 هـ - 1798 م)

الفصل الأول

لمحة أدبية عن العصر الحديث

- حالة البلاد العربية في مطلع العصر الحديث .
- مصادر النهضة العربية الحديثة .
- عوامل النهضة الأدبية في العصر الحديث .

حالة البلاد العربية في مطلع العصر الحديث

إذا القينا نظرة سريعة على البلاد العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي في مطلع العصر الحديث وجدنا ما يلي :

1 - **المغرب العربي** يخرج من نفوذ الترك ليدخل تحت سيطرة الاستعمار الأوربي الحديث ، وتقف فيه الثقافة العربية حائرة ، تنتظر فجر الحرية الذي لم تلح بشائره الا في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولم يكتمل ظهور فجرها الا باستقلال الجزائر عام 1962 م .

2 - وفي مصر بقي شعاع خافت من ضياء الثقافة العربية يستمد خفقائه من استمرار الحضارة العربية بوادي النيل فترة طويلة من الزمان خلال العصور الاسلامية السابقة ، وقبل ان ينطفئ هذا الشعاع - قرب نهاية حكم الاتراك - بدأت مصر مرحلة جديدة بتولي « محمد علي » حكمها في عام 1805 م .

3 - وفي بلاد الشام : (سوريا - لبنان - فلسطين - الأردن) ساد ظلم الحكام المستبدين ، وكثرت الخلافات الدينية ، وتناحرت الطوائف المذهبية ، فانتشرت المذابح ، وكان من اعنفها مذبحة عام 1860 م ، وهرب كثير من السكان إلى مختلف بقاع الارض .

4 - وفي العراق اشتد الصراع بين الاتراك والمماليك والزملاء المحليين ، وتنازعته بلاد فارس والدولة العثمانية ، ودارت الحروب بين سكان الحضر والبوادي .

5 - وفي شبه الجزيرة العربية انزل الناس عن العالم وما يدور فيه حتى وقت قريب .

وانتهى الامر بسيطرة اوربا على البلاد العربية(*) ، واختلفت صور الاستعمار من استعمار مباشر الى حماية ، او وصاية ، او انتداب ، او ارتباطات اقتصادية او ثقافية ، او غير ذلك من الأساليب الاستعمارية المختلفة(**) .

(*) انظر الخربة ص 432 من هذا الكتاب .

(**) انظر كتاب التاريخ المعاصر للشعب النهائية . (مطبوعات المعهد التربوي بالجزائر) .

مصادر النهضة العربية الحديثة

إنَّ الأمة العربية الإسلامية تحمل في ذاتها عوامل نهضتها مهما طال بها التخلف ، ولقد مضت عليها عصور طويلة ذاقت فيها مرارة الاستبداد من بعض سلاطينها ، وقاومت اغارات المعتدين من الصليبيين والتتار ، وما كان لها أن تنهض من كبوتها لولا أنها أمة أصيلة لها من مبادئ دينها الإسلامي ما يردّها إلى الطريق السوي ، ويخرجها من دركات الظلم والتخلف . وما كان لهؤلاء المغرّين وأولئك المستبدين أن يطفئوا نور الله بأيديهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وقد سجّل التاريخ حركات انتفاضية تشهد بالدور العظيم الذي قام به رجال الفكر الديني خلال عصور الضعف ، فالإمام عز الدين بن عبد السلام يعلن غضبته الدينية ممثلاً لجمهير المسلمين في وجه الحكام المماليك ويأمر ببيعهم في الأسواق (1) . ويلتف الشعب المصري حول علماء الأزهر قادته الحقيقيين ويجعلون من الجامع الأزهر منطلقاً لثورتهم ضد المماليك والفرزاة الفرنسيين ، وفي شبه الجزيرة العربية تنتشر الحركة الوهابية (2) وكوّدي دورها في بقطة الأمة الإسلامية ونهضتها .

وعندما شعر كثير من المصلحين العرب والمسلمين بوطاة الاستعمار الأجنبي يمزق أوصال بلادهم ويمث في نفوسهم الضعف والتخلف ويعمل على إفساد دينهم ولغتهم ، انبرى لصد هذه الهجمات قادة مصلحون من أمثال « جمال الدين الأفغاني » 1897 م و « عبد الرحمن الكواكبي » 1902 م ، والشيخ « محمد عبده » 1905 م ، والشيخ « السنوسي الكبير » 1859 م ، والشيخ « عبد الحميد بن باديس » 1940 م ، وغيرهم من دعاة الإصلاح والحرية .

وتأثر الأدب شعره ونثره بهذه البقطة واثّر فيها ، فنَدّد الشعراء والكتاب بالاستعمار وحثوا شعوبهم على الثورة ، وذكّروهم بماضيهم الإسلامي العربي القديم ، وراحوا يستلهمون تاريخه في أعمالهم الأدبية ، ويعيشون تراثه الأدبي والفني في قالب جديد ، وارتبطت حركة النهضة الأدبية الحديثة ببقطة الشعور الديني وأوطني ، وسرت هذه الصبغة بين شعراء المغرب ، يرددها « الرصافي » في بغداد ، ويلهج بذكرها « شوقي » و « حافظ » في مصر ، ويتغنى بها « أبو القاسم الشابي » في تونس ، ويدعو إليها « محمد العيد آل خليفة » في الجزائر ويثور بها « الفيتوري » في السودان ، وغيرهم من الأدباء في مختلف البلاد العربية . وظهرت المقالات السياسية كفن أدبي جديد في النثر العربي ، وأخذت الخطابة طابعا خاصا يلائم الحركة الجديدة بسبب مشاركتها في بقطة الشعور الديني والوطني على الصورة التي سترها عند الحديث عن تطور النثر وخصائصه في العصر الحديث .

وقد ساعد على انطلاق نهضتنا العربية الكامنة في نفوسنا عامل خارجي جاءنا من

(1) انظر أمراء للبيع ، في نماذج من أدب الرافعي ص 107 من هذا الكتاب .

(2) انظر ص 129 تاريخ العالم الحديث ، السنة الخامسة لانوني - منشورات المعهد التربوي الوطني بالجزائر

الاحتكاك بالحضارة الأوربية ، والحضارة على مر التاريخ - ميراث الانسانية جمعاء ، تنتقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان ، نتيجة الاتصال والاحتكاك والتأثير المستمر بين الأمم والشعوب . وقد استفاد اليونان من حضارة الرومان واستفاد العرب من حضارات الأمم السابقة كالفرس واليونان والهند ، وقد شهد القرن الخامس عشر الميلادي طلائع النهضة الأوربية الحديثة ، التي حوت حضارة العرب وعكفت على دراستها منذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، واستمرت في نمو وازدهار دائمين ، وفي الوقت نفسه توقف نمو الحضارة العربية ، وتجمدت في مواطنها ، وانعزلت عن عجلة التطور الحضاري في البلاد الأوربية . واستمر الحال على تلك الصورة حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي .

وفي أوائل القرن التاسع عشر أتيح للعرب أن يتصلوا بالحضارة الأوربية اتصالاً وثيقاً فقد فتحت لبنان أبوابها على أوروبا وتبادلت معها البعثات ، وكان من نتائج ذلك الاتصال اهتمام بعض اللبانيين بجمع المخطوطات العربية وترجمة الآثار الأوربية إلى اللغة العربية ، وكانت مصر من أسبق البلاد العربية التي اتصلت بالحضارة الأوربية ، فقد جاءها « نابليون بونابرت » على رأس حملة عسكرية علمية عام 1798 م ، وبقيت حملته في مصر ثلاث سنوات ، استفاد منها المصريون في بعض النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، ولما تولى « محمد علي » حكم مصر ، أراد أن يجعل منها دولة عصرية مثل أوروبا ، فبدل جهوداً كبيرة في هذا الميدان .

وقد حمل لواء النهضة الحقيقية جيل من المصريين الذين تعلموا في أوروبا ، وجعلوا ثقافتهم الأوربية منطلقاً لتقدم النهضة في بلادهم بعد عودتهم إليها .

ومن هذين المصدرين :

- 1 - يقظة الشعور الديني والوطني وبعث التراث القديم .
- 2 - الاحتكاك بالحضارة الأوربية .
- شق الأدب العربي الحديث طريقه نحو النهضة والتقدم .

عوامل النهضة الأدبية في العصر الحديث

- 1 - الطباعة ؛
- 2 - الصحافة ؛
- 3 - الترجمة والبعثات العلمية ؛
- 4 - انتشار التعليم ؛
- 5 - المستشرقون .

1 - الطباعة :

الطباعة ، فن قديم عرفه الإنسان مذ آلاف السنين ، ولكن الطباعة القائمة على جمع الكلمات من الأحرف الرصاصية المتفرقة لم تظهر إلا في عام 1440 م على يد أحد العلماء الألمان « جوتنبرج » ثم شاع استعمالها في سائر بلاد أوروبا ، وعرفت « تركيا » في منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

ولاول مرة في التاريخ ظهرت الحروف العربية مطبوعة عام 1514 م بإيطاليا ، وفي عام 1752 م انشئت في مدينة « حلب » بسوريا اول مطبعة عربية .

وقد عرف المصريون الطباعة على ايدي علماء الحملة الفرنسية ، إلا ان آلات الطباعة التي احضرها الفرنسيون الى مصر ، حملوها معهم عند رحيلهم عنها ، ثم تأسست مطبعة « بولاق » بالقاهرة عام 1821 م ، وكان لها اثر كبير في النهضة العربية المعاصرة ، ومازالت هذه المطبعة تعمل حتى اليوم .

ومن أشهر المطابع التي ساهمت في النهضة العربية : « مطبعة استانبول » بتركيا والمطبعة الامريكية في بيروت (1834 م) ، ومطبعة الآباء اليسوعيين بلبنان (1848 م) ثم انتشرت المطابع وتعددت في مختلف البلاد العربية .

ولقد كان لشيوع الطباعة وانتشارها في البلاد العربية اكبر الاثر في النهضة العلمية بصفة عامة ، والادبية بصفة خاصة ، فعلى آلتها السريعة تدفقت الصحف ، وُبئِثت المخطوطات القديمة ، وظهرت المؤلفات الحديثة ، وبفضلها انتشر الكتاب المدرسي ، وتكونت المكتبات العامة والخاصة في المدن والمساجد والجامعات والمدارس والمنازل .

2 - الصحافة :

كان لانتشار الطباعة اثر كبير في ظهور الصحافة وشيوعها في البلاد الاوربية ، وقد عرف الاوربيون قيمة الصحافة في نشر الوعي القومي بين الشعوب ، وكان لها الفضل في نجاح ثوراتهم السياسية والاجتماعية والدينية ، تلك الثورات التي اخرجتهم من ظلمات العصور الوسطى إلى ضياء النهضة الحديثة .

وكان اول صحيفة عرفت في البلاد العربية هي جريدة « الوقائع المصرية » التي اسسها « محمد علي » (*) في مصر عام 1828 م ، وما زالت تصدر حتى اليوم .

وقد ادت هذه الصحيفة دورها في تطوير ائففة العربية وتخليص اسلوبها من الاسفاف الذي عرفت به في عصر الضعف .

وفي « بيروت » اسس اللبنانيون جريدة « حديقة الاخبار » عام 1858 م . وعندما هاجر نفر من المفكرين السوريين الى مصر ، في منتصف القرن التاسع عشر ، نمت الصحافة العربية على ايديهم ، وظهرت جريدة « الأهرام » عام 1875 م وما زالت تصدر حتى اليوم ، وجريدة « المقطم » عام 1888 م ، واصبحت معظم الصحف العربية مسابرة لحركة الاندفاع الثوري في طريق اليقظة والتقدم ، وبذلك انتشرت الصحف العربية وكثرت انواعها وتعددت اهدافها ، وتناولت مختلف جوانب الحياة المعاصرة .

(*) راجع : عصر محمد علي : عبد الرحمن الرافعي .

وصدرت في « الجزائر » مجموعة من الصحف العربية اثناء الحكم الاستعماري .
بدات بظهور صحيفة « المبشر » عام 1847 م .

ثم أسهم الجزائريون الوطنيون في انشاء الصحف منذ أصدر الأستاذ الفنان
« عمر واسم » عام 1908 جريدة الجزائر (**).

وقد نمت الصحافة العربية بالجزائر على ايدي مؤسسي « جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين » ومن احتذي حذوهم ، فظهرت عدة صحف منها : « النجاح ، والمنتقد ،
والشهاب ، والسنة ، والشريعة ، والصراف ، والبصائر » ، وغيرها من الصحف التي
مهدت للاستقلال وشاركت فيه ، وكان لها اثر فعال في نشر الثقافة الاسلامية واللغة
العربية في البلاد .

وكانت الصحافة العربية نافذة يطل منها العرب على العالم وما يدور فيه من
احداث وميدانا تتسابق فيه اقلام الكتاب والادباء والشعراء ، ومثبرا للنساسة والزعماء
والمصلحين طالبوا من فوqe المستعمرين بالحرية ونددوا باعمالهم الاستبدادية .

وللصحافة آثارها المموسة في تطور النشر العربي ، فقد مال أسلوبه الى استخدام
العبارة السهلة والبسيطة التي تناسب عامة الناس ، وبذلك تخلص من قيود الأساليب
القديمة التي كانت سببا في احساس القارئ بالملل والسأم ، كما كان لها الفضل في
ظهور لون أدبي جديد هو فن المقالة الصحفية .

3 — الترجمة والبعثات العلمية :

اذا تتبعنا تاريخ الحضارات ، وجدنا أن العامل الأول في نقلها من أمة الى أمة
هو الترجمة ، فلم تنهض الحضارة العربية الا بنقل علوم اليونان والفرس الى اللغة
العربية في القرنين السادس والسابع الميلادي .

وقد سبقت أوروبا بحضارتها الحديثة كل البلاد العربية في مختلف الميادين ، فكان
لزاما على العرب أن يتجهوا الى نقل وترجمة العلوم والفنون والآداب الأوروبية الى
اللغة العربية . فحاول بعض اللبنانيين الاتصال بأوروبا عن طريق البعثات العلمية في
مستهل عصر النهضة ، ونقلوا بعض الآثار الأوروبية الى اللغة العربية .

ومع انتشار المدارس الحديثة في مصر في اوائل القرن التاسع عشر ، عرفت
مصر بعض المترجمين من السوريين وبلاد المغرب العربي ، وكان لهم دور هام في
مساعدة الأساتذة الأوربيين الذين يقومون بتعليم المصريين في مدارس الطب والهندسة
والصيدلة والحربية وغيرها من المدارس (*) وقد أثرت هذه الحركة في إحياء بعض

* ابن باديس حياته وآثاره د . عمار طالبي ص 55 .

** في الادب الحديث - عمر الدسوقي ج 1 ط 7 ص 27 .

المصطلحات العربية القديمة التي استخدمها نفر من علماء المسلمين « **كلمن سيناء** » و « **ابن البيطار** » في **فن الطب العربي القديم** .

ثم ظهرت آثار البعثات العلمية التي أوفدها مصر الى أوروبا ، فبعد عودتها قام كل مبعوث بترجمة مجموعة من روائع الكتب الأوروبية في الفن الذي تخصص فيه . وان كان معظم ما ترجم - في أول الأمر - من الكتب العلمية ، لكن نشاط الترجمة تناول الآداب والفنون الجميلة ، وشتى مظاهر النهضة فيما بعد .

وانشئت في مصر مدرسة خاصة بتخريج المترجمين عام 1870 م ، وحدا حدوها بعض الدول العربية فأنشأوا مدارس لتخريج المترجمين .

المجامع اللغوية :

وكانت أهم مشكلة تقف أمام المترجمين العرب هي مشكلة **المصطلحات اللغوية** ، فكان لزاما عليهم أن يؤسسوا مجامع لغوية لهذا الغرض ، فتكون **المجمع اللغوي** في كل من مصر وسورية والعراق ، ولم تكن هذه المجامع اللغوية قاصرة على أبناء قطر بعينه ، بل ضمت البارزين من علماء وأدباء أبناء البلاد العربية فاطبة على اختلاف تخصصاتهم العلمية والفنية والأدبية ، وما تزال هذه المجامع تؤدي مهمتها في خدمة اللغة العربية وتطويرها حتى الآن .

وبالإضافة الى الجهود الجماعية في المجامع اللغوية قام بعض العلماء بجهود فردية في هذا الميدان ، كما فعل الدكتور « **أحمد عيسى** » في **معجمه الطبي** ، والدكتور « **مصطفى الشهابي** » في **معجمه في علم النبات** ، وغيرهما من العلماء في تخصصاتهم المختلفة .

واسهم كثير من الأدباء والكتاب العرب في نقل الآداب الأوروبية الى اللغة العربية نثرا وشعرا ، ولا تزال الجهود تتوالى في هذا المجال .

وقد أثرت هذه الترجمة في الأدب واللغة ، فتخلص النشر من اغلال الصنعة اللفظية واهتم بتجويد المعاني والدقة في التعبير ، وهجر بعض الأغراض القديمة ، وظهرت المذاهب الأدبية المختلفة في الشعر والنثر ، وأصبح الأدب بصورة جديدة تختلف عن صورته القديمة في كثير من الأمور ، كما سيتضح لك من دراستك لتطور الشعر والنثر في العصر الحديث .

4 - انتشار التعليم :

قيل العصر الحديث انخفض مستوى التعليم في البلاد العربية ، وانحصر في الكتابيب والزوايا والمساجد الكبرى التي يأوى إليها طائفة من راغبي العلم في العواصم الكبرى .

وكان الجامع الأزهر بمصر ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بفاس ، هي المعاهد العلمية البارزة ، وتأثرت فيها الدراسة بطابع التخلف العلمي التام الذي ساد العصر ، فانكب أبناؤها على علوم اللغة والدين يحفظونها بطريقة عقيمة ، وابتعدوا عن تيار العلوم الحديثة .

وقد كان لهذه المؤسسات العلمية الثلاث اعظم الفضل في حفظ التراث الاسلامي والعربي خلال فترات الضعف والتخلف .

وفي مطلع العصر الحديث عرفت مصر المدارس العصرية كالتب والهندسة والصيدلة ، وانشئت الجامعة المصرية عام 1908 م وتعددت بعد ذلك المدارس المختلفة في المدن والقرى المصرية .

وفي لبنان ، وسورية ، انتشرت المدارس الأجنبية الى جانب المدارس الوطنية ، وكان المبشرون المسيحيون حريصين على نشر التعاليم الدينية ، فاتخذوا من المؤسسات التعليمية وسيلة لبث افكارهم الدينية . وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى تأسست الجامعة السورية .

اما في المغرب العربي ، فقد كان لجامعتي الزيتونة والقرويين دور يشبه دور الجامع الأزهر في مصر من حيث الهدف والمنهج والطريقة التعليمية .

وقد ضرب الاستعمار الفرنسي بالجزائر حصارا شديدا على التعليم العربي الاسلامي ، ومع ذلك فقد استمر نقل الثقافة العربية الاسلامية بواسطة الكتائب والزوايا والمساجد ، وكان التعليم بها يسير على نهج من مناهج التعليم في الأزهر والزيتونة والقرويين .

واسهمت المدارس الحكومية الثلاث : الثعالبية(*) في الجزائر ، ومدرسة فسنطينة ومدرسة تلمسان في تخريج القضاة والمدرسين والموظفين باللغة العربية .

وظلت حركة التعليم بطيئة في الجزائر حتى تأسست « جمعية العلماء » المسلمين الجزائريين فقامت بنشاط كبير في مجال التعليم تجلّى في المظاهر التالية :

اولا : انشاء مدارس حرة يتميز تعليمها بالحيوية والقومية والشعبية ، واشتراك الفتاة الجزائرية فيه .

ثانيا : اهتمام المدارس الحكومية التي تشرف عليها السلطة الحاكمة بالثقافة العربية حتى لا تفقد مكانتها الثقافية والسياسية .

ثالثا : اهتمام الزوايا القديمة برفع مستوى التعليم فيها حتى لا يهجرها التلاميذ الى مدارس الجمعية فتفقد الزوايا بذلك قيمتها المادية والعنوية .

رابعا : اهتمام السياسيين بالتعليم ، واتجاههم اليه بعد ان كانوا يؤمنون بان الاهتمام

(*) تأسست بالجزائر عام 1903 م وبدا العمل فيها عام 1905 م .

بالتعليم يأتي بعد الاستقلال . وخلال حرب الاستقلال تابعت « جبهة التحرير الوطني » حركة التعليم ، فكانت تقيم مدارسها في المخيمات والغابات والجبال . ومنذ الاستقلال عام 1962 م والجزائر تخطو خطوات كبيرة في نشر التعليم وتعميمه وتربيته (*) .

وقد كان لانتشار التعليم باللغة العربية في مختلف البلاد العربية اثر كبير في ازدهار النهضة وتطور اللغة والادب في العصر الحديث .

5 - المستشرقون وآثرهم في اللغة والآداب :

بدأت حركة الاستشراق في القرن العاشر الميلادي ، وكان لها فضل كبير في نمو وازدهار النهضة الأوروبية الحديثة ، فقد أدرك علماء الغرب أهمية الثقافة العربية فاتجهوا اليها ينقلونها الى « اللغة اللاتينية » التي أصبحت لغة العلوم والآداب فيما بعد وقد اتصل الأوروبيون بالحضارة العربية عندما استقروا في بلاد الأندلس ، واحتكوا بالعرب ، ومن خلال الحروب الصليبية التي دارت في بلاد الشام واستمرت قرنين من الزمان .

ثم عاد الأوروبيون الى الاتصال بالشرق من جديد إبان اتساع حركة الاستعمار الأوربي الحديث في القرن التاسع عشر الميلادي .

وكان هذا الاتصال سببا في أن يهتم بعض علماء الغرب بالبحث في لغات الشرق ودراسة تاريخه ودياناته ، وقد ازداد نشاطهم على مر السنين ، فاتسع الميدان الذي وجهوا اليه اهتمامهم ، واختلفت أهدافهم تبعا للظروف السياسية والاجتماعية التي مرت على المجتمع الدولي منذ بداية نشاط المستشرقين حتى يومنا هذا .

فكان هدفهم أولا تعريف الأوروبيين بالتراث الشرقي وتمكينهم من دراسة نفسياتهم وخصائصهم الاجتماعية لغايات سياسية واقتصادية وغيرها .

ثم أصبح التبشير بالديانة المسيحية في البلاد الشرقية من أعظم هذه الأهداف ، فكان أول ما ظهر من الكتب المطبوعة بالحروف العربية « في ايطاليا » هو الكتاب المقدس .

وأدرك بعض الأوروبيين أن الشرق بأسره سيصبح سوقا كبيرة لتجارته في بيع الكتب المطبوعة بالحروف الشرقية والعربية ، فشجعوا نشاط المستشرقين . وبالرغم من تعصبهم الشديد ضد الاسلام والمسلمين في القرن السادس عشر فان مطبعة ايطالية أخرجت طبعة كاملة للقرآن الكريم سنة 1530 م لأغراض تجارية خالصة .

(*) تشرف على التعليم بالجزائر ثلاث وزارات لكل عملها ومسئوليتها « وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، ووزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، ووزارة التعليم العالي » .

ومع اتساع موجة الاستعمار الأوربي المعاصر اتسع نشاط المستشرقين لأسباب استعمارية . وبعد انحسار موجة الاستعمار في القرن العشرين اتجهت جهود المستشرقين الى العمل على توثيق أوامر الفكر والثقافة بين الشرق والغرب .

ومهما تكن الدوافع والاسباب ، فان المستشرقين قد اثروا بجهودهم في الادب واللغة ، وكان من اهم ما حققوه من اعمال لها اثر على ادبنا ولغتنا ما يلي :

اولا : جمع المخطوطات العربية التي تفرقت في مختلف بلاد العالم ، وتحقيق بعضها تحقيقا امينا ، واخراجها مطبوعة في صورة جيدة .

ثانيا : اعداد دراسات شاملة في التاريخ والادب وبحوث في اللغة .

ثالثا : اعتمادهم على المنهج العلمي في دراساتهم التي قدموها باللغة العربية .

رابعا : انشاء جمعيات خاصة بهم مثل « الجمعية الملكية الآسيوية » في لندن وغيرها في بعض الدول الأوربية تنظيما لجهودهم ، وتنسيقا لأعمالهم .

خامسا : اتصالهم بالأدباء والعلماء العرب عن طريق الندوات والزيارات والمؤتمرات . وقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين عام 1773 م . ثم تتابعت بعد ذلك المؤتمرات وكان من بينها مؤتمر عقد في مدينة الجزائر عام 1905 م .

سادسا : تأليف « دائرة المعارف الإسلامية » مرتبة ترتيبا أبجديا ، وهي موسوعة علمية تحتوي على تراجم أعلام الرجال وأهم الموضوعات الإسلامية من تاريخ وجغرافية وفقه وأدب وفلسفة وغيرها .

ومن أشهر المستشرقين : « فرايناخ » من ألمانيا ، « ماسينيون » و « بلاشير » من فرنسا ، « جب » و « مرجليوث » من إنجلترا ، و « جولد زيهر » من المجر .

وهم كثيرون في مختلف بلاد العالم منهم الأبناء في بحوثهم ودراساتهم ، ومنهم المفروضون والتمصبون .

والى جانب ما قدمناه لك من عوامل النهضة العربية في العصر الحديث فقد ساهم المسرح العربي في النهضة الحديثة . كما أسهمت الاذاعة المسموعة والرئية بجهود عظيمة أيضا .

ومن تضافر هذه العوامل جميعها ظهر الأدب الحديث بصورة جديدة ستضع لك خلال دراستك بعض نصوصه الشعرية والنثرية .

الفصل الثاني

نصوص من الشعر في العصر الحديث



البدو والحضر

3

للأمير عبد القادر الجزائري
(1808 - 1883 م) — (1222 - 1300 هـ)

تعريف وتمهيد :

ولد الأمير « عبد القادر » في قرية « الفيطنة » بولاية وهران ، وقد بدأ حياته التعليمية على يد أبيه وبعض علماء بلدته ، ولما كبر ارتحل إلى وهران ، حيث تلقى فيها علوم اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

وعندما هجمت فرنسا بجيوشها على الجزائر عام 1830 وفر « الداوي » التركي الذي كان يحكم البلاد مع حاشيته ، أم يسلم الجزائريون بلادهم لقمة سائفة للاستعمار بل أسندوا مهمة ادارة البلاد ، وقيادة الجيش إلى « الأمير عبد القادر » الذي قاد المقاومة المسلحة ضد الغزو الاستعماري أكثر من ستة عشر عاما ، اثبت فيها كفاءة نادرة ، وشجاعة منقطعة النظير . وظل يقاوم حتى استنفد ما عنده من وسائل الدفاع ، واضطر إلى التسليم — لأسباب داخلية وخارجية — للفرنسيين ، وحمله هؤلاء على بارجة حربية إلى فرنسا ، وماملوه معاملة أسير في قصر « امبواز » وبعد اطلاق سراحه ذهب إلى «استامبول» ، فاستقبله السلطان التركي بالتكريم ، وبقي فيها بعض الوقت ثم ذهب إلى سوريا فاتخذها سكنا له ولاسرتة وجعلها منطلقا لرحلاته المتعددة إلى القدس ، والحجاز ، وأوروبا ، ومصر . وتوفى بدمشق عام 1883 م ، وظل جثمانه مدفونا بها حتى نقل إلى الجزائر عام 1966 م .

وقد نال الأمير شهرة عالمية في علمه وشهامته وانسانيته ، ومن أشهر مواقفه الإنسانية دفاعه عن المسيحيين وانقاذ الآلاف منهم خلال المذابح التي دارت في بلاد الشام أثناء اقامته فيها عام 1860 ، واثار بموقفه هذا اعجاب ملوك العالم وحكوماته فبعثوا إليه برسائل الشكر مصحوبة بالأوسمة والنياشين وشارات التقدير .

ونبغ الأمير في الفقه وعلم الكلام والشعر ، ومن أشهر آثاره كتاب المواقف في التصوف ورسالة « ذكرى العاقل وتنبية الفافل » وديوانه الشعري . وانعمست دراسته الفقهية والكلامية في شعره ، ومن أبرز صفاته النفسية حبه العطرة ، والبعد عن الزخرف ، والميل إلى التصوف ، والتعصب لرأيه اذا اعتقد انه صواب .

وفي النص الذي بين ايدينا صورة صادقة لهذه الصفات النفسية . وقد أعده الشاعر ردا على سؤال وجهه إليه بعض علماء فرنسا وادباؤها أيام اقامته بقصر امبواز .

— ايهما افضل : البداوة أم الحضارة ؟

النص :

(أ)

- 1 - يَا عَاذِرًا لِأَمْرِي قَدْ هَامَ فِي الْحَضِيرِ
- 2 - لَا تَذُمَّنَّ يَبُوتًا خَفَّ مَحْمَلُهَا
- 3 - لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي الْبَدْوِ ، تَعْدِرُنِي

(ب)

- 4 - أَوْ كُنْتَ أَصْبَحْتَ فِي الصَّحْرَاءِ مُرْتَقِيًا
- 5 - أَوْ جَلْتَ فِي رَوْضَةٍ ، قَدْ رَاقَ مَنظَرُهَا
- 6 - تَسْتَشْفِقُنَّ نَيْسِيَا ، طَابَ مُتَشَفِّقًا
- 7 - أَوْ كُنْتَ فِي صَبْحِ لَيْلٍ ، هَاجَ هَاتِنَهُ
- 8 - رَأَيْتَ فِي كُلِّ وَجْهِ مِنْ بَسَائِطِهَا
- 9 - فَيَا لَهَا وَقَفَةً لَمْ تُبْقِ مِنْ حَزَنِ

(ج)

- 10 - نُبَاكِرُ الصَّيْدَ أَحْيَانًا فَنُبَغِّثُهُ
- 11 - فَكَمْ فَلَمْنَا طَلِيئًا فِي نَعَامَتِهِ
- 12 - يَوْمَ الرِّحْلِ إِذَا شُدَّتْ هَوَادِجُنَا
- 13 - فِيهَا الْعِدَارِي ، وَفِيهَا قَدْ جَعَلَنَّا كُؤْيَ
- 14 - تَمْشِي الْحِدَاةُ لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَجَلٌ

(*) ديوان الأمير عبد القادر الجزائري .

- 1 - عاذرا : اسم فاعل من العذر وهو الحجية التي يعتذر بها . عاذلا : اسم فاعل من العذل وهو اللوم .
- 4 - مرتقيا : ارتقى المكان ، صعد إليه . 7 - موقب : المكان المرتفع بملوه الرقيب . هاج هاتنه : كثر مطره .
- 8 - البسائط : المنبسط الفسيح من الأرض . 11 - اللطيم : ذكر النعام . 12 - الهوادج : جمع هودج وهو بيت صفر ينصب على ظهر الجمل في الأسفار . 12 - الشقائق : يقصد بها شقائق النعمان نبات أحمر الزهر مبعث بنقط سود ينبت في أواخر الشتاء وفي الربيع . 13 - العداري : جمع عدراء وهي البكر والمراد بها هنا . الفتاة الجميلة . كوي : جمع كوة وهي النافذة الصغيرة . الحور : شدة سواد ولد العين مع شدة بياض الحدقة . 14 - العداة : جمع حادي وهو الرجل الذي يقضي للابل وهي تسيير الرجل : الضجة الخفيفة . الناي والسنطير والوتر : آلات موسيقية .

- 15 - ونحن فوق جِيَادِ الخيلِ نرْكُضُهَا
 16 - نطارِدُ الوحشَ والفيزلانَ نلحقُهَا
 17 - نروحُ لِلحَيِّ ليلاً بعدَ مَا نزلُوا
 18 - ترابُهَا المِسْكُ بل أنقى وجادَ بِهَا
 19 - نلقى الخيامَ وقد صَفَتْ بِهَا فعدت
 20 - قال الأليُّ قد مَضُوا قولاً يَصِدِّقُهُ
 21 - « الحسنُ يظهرُ في بيتينِ رَوْنَقُهُ
 22 - أنعمنا ان أت عِنْدَ العَثْبِيِّ تَحَلَّ
 23 - سَفَائِنُ البِرِّ ، بل أنجى لِراكِبِهَا
 24 - لنا المَهَارِي ، وما لِلرَّيْمِ سُرْعَتُهَا
 25 - فَخَيْلُنَا دَائِمًا لِلحَرْبِ مُسْرَجَةٌ
- شَلِيلُهَا زِينَةُ الأَكْفَالِ وَالخُصْرِ
 على العبادِ وما تنجو من الضُّمْرِ
 مَنَازِلًا ، مَا بِهَا لَطِخٌ مِنَ الوَضْرِ
 صوبُ الغنائمِ بالأصاليِّ والبَكْرِ
 مثلَ السماءِ زَهَتْ بِالأنجُمِ الزُّهْرِ
 نَقْلٌ وَعَقْلٌ وَمَا لِلحَيِّ مِن غَيْرِ
 بيتٍ من الشِّعْرِ أو بيتٍ من الشَّمْرِ «
 أصواتُهَا كدَوِي الرِّعْدِ بالسَّحْرِ
 سَفَائِنُ البَحْرِ كَمَ فِيهَا مِنَ الخَطْرِ
 بِهَا ، وبالخيَلِ لِنَا كُلُّ مُفْتَخِرٍ
 من استغاثَ بِنَا بِشِرِّهِ بِالظَّفْرِ

(د)

- 26 - نحنُ الملوِكُ فلا تَعْدِلُ بِنا أَحَدًا
 27 - لا نَحْمِلُ الضَّيْمَ مِنَّ جارِ. تَرَكُهُ
 28 - وان أساءَ علينا الجارُ عَشْرَتَهُ
 29 - نَيْتُ ، نارُ القُرَى تَبْدُو لِطَارِقِنَا
 30 - عَدُونًا ما لَهُ مُلْجَا ولا وَرْدُ
 31 - شرابُها من حليبٍ ، ما يَخالِطُهُ
 32 - أموالُ أعدائِنَا في كلِّ أَوْنَةٍ
- وَأَيُّ عيشٍ لِمَن قد باتَ في خَفَرٍ ؟
 وَأَرْضُهُ وَجَمِيعُ العِزِّ فِي السَّفَرِ
 نَيْنٌ عَنْهُ بِلَا ضَرِّ ولا ضَرَرٍ
 فِيها المَدَاوَةُ من جوعٍ ومن خُصَرٍ
 وَعِندَنَا عَادِيَاتُ السَّبْقِ وَالظَّفَرِ
 ماءً ، وليس حليبُ النُّوقِ كالبَقَرِ
 نَقْضِي بِقِسْمَتِهَا ، بِالعَدْلِ والقَدْرِ

(هـ)

- 33 - ما فِي البَدَاوَةِ من عَيْبٍ تَدْمُ بِهِ
 34 - وَصِحَّةُ الجِسمِ فِيها غَيْرُ خَافِيَةٍ
 35 - من لَم يَمِتْ عِندَنَا بِالطَّعْنِ عاشَ مَدَى
- الا المَرْوَةَ وَالاحسانُ بِاليدِ
 والعيبُ والداءُ مَقْصُورٌ على الحَضَرِ
 فَنَحْنُ أَطولُ خَلْقِ اللَّهِ فِي المِيزِ

15 - شليلها : جمع اشلة مسح من الصوف أو الشعر يجعل على حجر الدابة وراء الرجل . الأكفال : جمع كفل : العجز أو الردف . الخصر : وسط الانسان والمراد هنا وسط الدابة . 17 - الوضر : القدر . 24 - المهاري : جمع مهربة وهي من انجب النوق . 29 - نار القرى : نار يوقدها العرب لكي يهتدي بها المسافرون . والخصر بشدة البرد على الأطراف .

شرح وايضاح :

عبر الشاعر عن موقفه من **المفاضلة بين حياة الحاضرة والبادية** في مجموعة من الأفكار :

١ - بدأها بتوجيه الخطاب الى من يتلمسون الأعدار للهايمن في حب الحضرة وحياة المدن ، بينما ينكرون ذلك على عشاق البدو ، ويلومونهم على الهيام بها ، فيقول :

لا يليق بكم ان تفضلوا المنازل الثقيلة الكثيبة التي بنيت من الطين والحجارة على المنازل اللطيفة الخفيفة التي يسهل نقلها من مكان الى آخر ، ولكم - أيها اللائمون - عذرکم ، فأنتم **تجهلون محاسن البادية** وما فيها من بساطة العيش وجمال الطبيعة ونقاء الجو ، ولو عرفتم شيئاً من ذلك - أو كله - لالتستم لي الأعدار في هيامي بالبادية ، ولكن **الجهل حجاب** يعمي الأبصار والبصائر فيتردى أصحابها في متاهات الجهالة والضلالة وهم لا يشعرون .

ب - وفي الفقرة الثانية يستعرض الشاعر الأدلة والبراهين التي تؤكد فضل البادية ، فيقول :

تأمل ما حبى الله به الصحاري من محاسن تجد ما يروعك ، فأرضها مفروشة ببساط رملي كأنه اللآلئ الناصعة البياض ونسيمها هليل يفدي الأرواح وبنعش الأبدان ، وصباحها بعد الليل المطير زاخر بالمناظر الجميلة حيث تكتسي الأرض حلة خضراء ، فتأتيها جماعات من البقر الوحشي ترعى الحشائش اليانعة ، فهذه الطبيعة البديعة ، بما حوت من جمال متعدد الصور ، تملأ النفس بهجة وسرورا وتجدد للعقل قوته ونشاطه .

ح - وبعد ان تحدث الشاعر عن **جمال الطبيعة في البادية** ، تحدث من بعض مظاهر الحياة فيها :

فتكلم عن **الصيد** ، عندما ينطلق خلفه في الصباح الباكر يريد ان يقتنصه على غرة ، ولكن الصيد قد ينتبه فيجد في الجري ويسرع في العدو ، ثم يتبعه الشاعر ويدور معه حتى يلحق به ويقبض عليه .

ويصف **الرحيل** في البادية عندما ينتقل سكانها من مكان الى آخر بواسطة الإبل ، فينصبون الهودج فوق ظهور الجمال ويزينونها بأقمشة حمراء زاهية الألوان كأنها شقائق النعمان ، وبداخل الهودج فتيات بدويات جميلات يختلسن النظر - من خلال فتحات صفيرات في الهودج - بعيون ساحرة الاحورار ، تحسبها ستائر لهذه الفتحات ومن خلف النياق والجمال تنطلق أغنيات الرجال بالحن شجية عذبة ، تسير القافلة على وقع انغامها .

وتراب **الصحراء** زكي الرائحة كأنه المسك ، ومنازلها خيام بسيطة ضربت في مكان صحي ، وقد اصطفت في مواقعها كأنها النجوم في السماء .

وهذه الأنعام ، راجمة وقت الفروب تصيح بأصوات قوية ، لأنها اكلت حتى شبعت ، وشربت حتى ارتوت ، فأصبحت قوية جيدة ، فمن ابل أسرع من البحار ، الى خيول تسارع الفزلان في الصيد ، وتحقق لفرسانها النصر والفوز في الحرب ، وتنجد المستجير والمستفيث في الأزمات .

د - وبعد أن تحدث الشاعر عن صفات الأرض البدوية في الفقرة السابقة ، تحدث في هذه الفقرة من صفات الرجل البدوي ؛

فهو يفيث المهوف ، ويحمي الجاز ، ويحسن معاملة الناس ، ويكرم الضيف والطارق بالليل ، ويقهر العدو بسلاحه وخيله التي اعددها لمثل هذه الظروف والمواقف .

والبدوي يعيش في يسر ووخاء لكثرة ما غنم من أعدائه ، وهو قنوع عادل يقسم الغنيمة بالقسط بينه وبين زملائه .

هـ - وفي الفقرة الأخيرة يوضح الشاعر أثر الحياة في البادية على الانسان من النواحي الصحية ، والنفسية ، والخلقية . ويقارن بينها وبين حياته في المدينة وتأثيرها في الانسان ، فيقول :

« ان حياة البادية تكسب الانسان صحة في الجسم ، بما فيها من هواء عليل ، خال من الأمراض والجراثيم ، التي تفتك بجسم الانسان ، ومتى سلم الانسان من الأمراض فان عمره يطول غالبا ، وتكسبه حياة البادية صفات نفسية وخلقية حميدة مثل : الكرم ، وحسن المعاملة ، وسلامة الفطرة ، فيعيش بعيدا عن النفاق والرياء وغيرهما من الأمراض الاجتماعية التي تعكر صفو الحياة ، وبذلك يسعد بعمره الطويل ويقضي حياة هائلة هادئة سعيدة .

دراسة الأفكار :

عاش الأمير « عبد القادر » في عصر ادبي يمكن تسميته « عصر الإرهاص » بالنهضة الحديثة ، فقبل ان ينطلق « البارودي » بوثته الكبرى في تقدم الشعر المعاصر ارهص ليف من الشعراء - السابقين عليه والمعاصرين له - بهذه النهضة من امثال « الساعاتي » و « المطار » و « المويلحي » و « الأمير عبد القادر » وغيرهم .

وقد سلم النص الذي بين ايدينا من عيوب الشعر في عصر الضعف ، ولم يلحق بكل مظاهر التجديد كما ظهرت بعد ذلك في الشعر الحديث ، فجاء تعبيرا صادقا عن المرحلة التي مر بها الشعر العربي في الفترة التي عاصرها الشاعر .

والنص لون من ألوان المطارحات الشعرية والمساجلات الأدبية ، يعكس نوعا من الترف الفكري والقدرة على المناظرة والمجادلة .

وقد عالج هذا النص الافكار الأساسية الآتية :

- 1 - تفصيل البادية على الحاضرة . 2 - وصف جمالها . 3 - مظاهر الحياة فيها .
- 4 - صفات البدوي . 5 - آثار البادية على سكانها .

وإذا تأملت هذه الأفكار ، وجدتتها غير مرتبة ، إذ يمكن تقديم بعضها دون اختلاف في المعنى ، وتظهر هذه الحقيقة بوضوح في أبيات الفقرة ح .

ولم يهتم الشاعر بتنظيم أفكاره ، فبينما يتحدث عن أمر من الأمور ينتقل الى غيره قبل أن ينتهي من الأول ، ثم يعود اليه مرة أخرى ، من ذلك حديثه عن الصيد في البيت العاشر ، ثم الرجوع الى الحديث عنه مرة أخرى في البيت السادس عشر .

ويمكنك أن تلاحظ أيضا أن حديث الشاعر عن الغيل ورد في أكثر من موضع بين ثنايا القصيدة . وفي نهاية النص تكرر لا مبرر له ، فالأبيات الثلاثة الأخيرة وردت معانيها صراحة أو ضمنا فيما تقدم عليها من الأبيات .

وأفكار النص واضحة بسيطة فيها نمو واتساع ، وليس فيها عمق أو جدة أو ابتكار . ومع أن الشاعر أكثر من وصف البادية ومناظرها وحياتها ، لكنه كان وصفا خارجيا ، فلم يمزج عواطفه بما يصف ، ولم يربط احساسه بما يراه من صور الحياة التي تحدث عنها ، ومن ثم جاءت العاطفة فاترة .

وربما تحدث الشاعر عن نفسه مفتخرا في بعض الأبيات ، لكن حديثه عن ذاته جاء مستقلا تماما عن الموضوعات التي وصفها ، وكان هذا الفصل بين الوصف وحديثه عن نفسه سببا آخر في يرود الجو النفسي وفي ضعف بناء القصيدة .

وقد نجح الشاعر في تصوير البادية تصويرا جميلا يفوق ما في واقعها من جمال . كما تتبع مختلف أوجه الحياة فيها فأحصاها ، وأبرز شخصيتها ممثلة في الطبيعة المادية والبشرية ، واستطاع أن يكشف عن الانعكاسات الخلقية والنفسية التي يتلقاها الانسان من الطبيعة التي يعيش فيها .

وان كان الشاعر حريصا على اخفاء الجوانب السيئة في حياة البدو فذلك لانه في معرض المفاضلة بين البدو والحضر ، وقد مال الى تفضيل الحياة في البادية ، فكان طبيعيا أن يغفل ما فيها من العيوب .

دراسة الأسلوب :

أسلوب النص جيد ، تخلص فيه الشاعر - الى حد كبير - من العيوب اللغوية والركاكة التعبيرية ، والناية باللفظ على حساب المعنى ، والاكثار من المحسنات البديعية المصطنعة ، ولكنه لم يسلم من جميع هذه العيوب .
فمثلا قوله في البيت الأول :

« يا عاذرا لامرئ وعاذلا لمحب » .

فيه ضعف لغوي ، حيث عدت اسم الفاعل بحرف الجر . وفعله من الأفعال المتعدية ، فلا يحتاج الى حرف جر .

وفي البيتين الثاني عشر والثالث عشر غموض في الأسلوب يجهد القارئ في فهم مراد الشاعر ، ويمكنك ملاحظة ذلك بمعاودة قراءة البيتين وقراءة شرح معناهما .

والشاعر وان التزم قافية واحدة ، فانه لم يوفق في بعض قوافيه ، اذ كرر كلمة « الظفر » في البيتين (25 ، 30) بنفس المعنى ، وهذا معيب في نظر علماء العروض والقافية .

واذا تأملنا الصور البيانية في النص ، رأيناها توحى بفتور العاطفة ، وتدل على عدم انفعال الشاعر بالموقف الذي يدافع عنه .

من هذه الصور مثلا ، قوله في البيت (4) :

« بساط رمل ، به الحصباء كالصدر » .

فهو تشبيه مجته الاسماع لكثرة استعماله . وقوله في البيت (23) :

« سفائن البر » .

كناية عن الجمال ، كثر استعمالها حتى صارت الكناية أوضح في مدلولها من الحقيقة فلم يعد للكناية تأثير في المعنى . وقوله في البيت (22) :

أنعامنا ان أت عند العشى تخل أصواتها كدوي الرعد بالبحر

فيه سبالفة غير مقبولة ، فإين أصوات الأنعام مهما ارتفعت من صوت الرعد في وقت السحر . وقوله في البيتين (12 ، 13) :

يوم الرحيل اذا شدت هواجنا شقائق عمها مزن من المطر

فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى مرقعات بأحداق من الحود

فيهما تشبيه ضعيف ، فما بعد الحركة والتلفت في العيون الحوراء من السكون والجمود في استار اسدلت على الكوة .

ولا يخلو النص من بعض الصور المقبولة ، من ذلك قوله في البيت (18) :

« ترابها المسك » .

وقوله في البيت (19) :

تلقي الخيام وقد صفت بها فعدت مثل السماء زهت بالأنجم الزهر

وان كان تأثيرها في المعنى تأثيرا ضئيلا .

وقد نوع الشاعر أسلوبه بين الخبر والانشاء ، ولم يكثر من الأساليب الانشائية في النص ، لانه كان في موقف الحكم أو القاضي ، عليه أن يلقي بالأحكام مؤيدا وجهة نظره بالدليل والبرهان .

ومن الأساليب الانشائية في النص قوله في البيت الاول :

« يا عاذرا وعاذلا »

فيه نداء يثير الانتباه . وقوله في البيت (9) :

« فيا لها وقفة » .

فيه نداء يدل على التعجب والتحسر ، لأن الشاعر كان أسيرا بعيدا عن حياة البادية التي يحبها .

ومن المحسنات البديعية في النص ، **الطباق** ، من ذلك قوله في البيتين (1 ، 2)

« يا عاذرا وعاذلا »

« تذممن وتمدحن »

وذكر الشئ وضده ، يزيد وضوحه ويؤكد معناه في الدهن .

والجناس كما ترى في قوله في البيتين (11 ، 20) :

« ظلمنا ظليما » .

« نقل وعقل » .

وحسن التقسيم في البيت (21) :

«الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أوبيت من الشعر»

والمدح بما يشبه اللد في البيت (33) حيث يقول :

« ما في البداوة من عيب تدم به الا المروءة »

ولا يخفى عليك ما في هذه الأساليب من اثر في المعنى والأنبساط .

مجمل القول

□ تناول هذا النص موضوعا هاما ، وهو العلاقة بين المدينة والبادية ، واثرا كل منهما على الانسان . ولكن الشاعر عالجه معالجة ضعيفة ، فاصبح لونا من المطارحات او المساجلات الادبية .

□ وقد تميز بهوء العاطفة وبكثرة الافكار وبساطتها وعدم ترابطها ، وسلم أسلوبه الى حد كبير من عيوب الضعف والركاكة التي تعتمد على اصطياد المحسنات البديعية والاكثر من الزخارف اللفظية .

□ والنص من بحر البسيط ، ووزنه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن .

المناقشة :

- 1 - حياة البادية آثار في أخلاق سكانها . اشرح ذلك كما فهمته من النص .
- 2 - ما أجمل مظاهر الطبيعة البدوية التي وصفها الشاعر في النص ؟
- 3 - رسم الشاعر صورة الرحيل في البادية . فوضحها بأسلوبك .
- 4 - هل حقيقة أن حياة البادية تطيل أعمار سكانها ؟ ولماذا ؟
- 5 - مجد الشاعر بعض العادات العربية القديمة . اذكر بعضها مبينا رأيك فيها .
- 6 - ما في البداوة من عيب تدم به الا المروءة والاحسان بالبدر
فصل جمال التعبير في هذا البيت .
- 7 - سفائن البر ، بل انجى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر
هل توافق الشاعر على تفضيله الابل على السفن للامن والسلامة ؟
- 8 - قال الشاعر : «فيا لها ولفة لم تبق من حزن» . وضح نوع هذا الأسلوب واثره .
- 9 - عرف الشاعر بمسب الفطرة وتمسكه برأيه وحدته فيه . فما دليلك من النص
على ذلك ؟
- 10 - سلم هذا النص من بعض عيوب الشعر في عصر الضعف . وضح ذلك مع
التمثيل .
- 11 - وضح المقصود من الاستفهام في قول الشاعر :
«واي عيش لمن قد بات في خفر ؟»
- 12 - ما رأيك في تناسق أفكار هذا النص ؟ مع التعليل لما تقول .

المقالة الأدبية :

- « من الريف تنبع الثروة ، ومن المدينة تنطلق النهضة » .
- اكتب في هذا الموضوع موضحا دور القرية ، ودور المدينة في بناء الأمة . مستعينا
بقول المعري :
- « الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وأن لم يشعروا خدام » .

أ - في الفخر

إِذَا مَا لَيْقَتْ الْخَيْلَ ، إِنِّي لِأَوَّلُ
أدافع عنهم ، ما يخافون من ردي
وَأُورِدُ رَايَاتِ الطَّعَانِ صَحِيحَةً
ومن عادة السادات : بالجيش تحتي
وَبِي تَبَقِي ، يَوْمَ الطَّعَانِ ، فَوَارِسُ
وَبِي تَبَقِي ، يَوْمَ الطَّعَانِ ، فَوَارِسُ
إِذَا اشْتَكَّتْ خَيْلِي الْجِرَاحَ تَحْمَحُمًا
وَأَبْذُلُ يَوْمَ الرُّوْعِ - نَفْسًا كَرِيمَةً

ب - في الحث على الجهاد

بعث الأمير بهذه القصيدة الي جيوشه
يَا أَيُّهَا الرِّيحُ الْجَنُوبُ تَحْمِلِي
واقري السلام، أهيل ودي واتري
خَلِي خِيَامَ بَنِي الْكِرَامِ وَخَيْرِي
جَفْنَائِي ، قَدْ أَلْفَا الشَّهَادَ لِيَنَّكُمْ
كم ليلة قد يتها متحيرا
أَفِدِي أَنَا لَيْسَ يُدْعَى غَيْرُهُمْ
الباذلون، نفوسهم، وتفيستهم
الصادقون ، الصابرون لدى الوغي
ان غيرهم نال اللذائذ مرفا
لا يعرف الشكوى صغير منهم
ما منهم الا شماغ قارع
فدماؤهم وسيوفهم مسفوحه
لا يعززون لهالك بل عندهم
يارب إنك في الجهاد أقتهم
يارب ، يارب البرايا زدهم
وافتح لهم مولاي فتحا بينا
وتجاوزت مولاي عن هفواتهم

بعث الأمير بهذه القصيدة الي جيوشه
يَا أَيُّهَا الرِّيحُ الْجَنُوبُ تَحْمِلِي
من طيب ما حيلت ربح قرنفل
أني أيت بحرقه وتبلبل
فلذا ، غدا طيب المنام ، يمعزل
كبيت أرمد في شقا وتلمل
جاشا العصابة والطراز الأول
في حث مالينا العظيم الأجل
الحاملون لكل ما لم يحتمل
هم يتغنون قراع كنب الجحفل
أبدا ولا البلوى ، اذا ما يصطلي
أو بارع في كل فعل مجيل
مسوحة بثياب كل مجندل
موت الشهادة غبطة المتحول
فبكل خير عنهم فتفصل
صبرا ونصرا دائما بتكمل
واغفر وسامح يا إلهي يحيل
والطف بهم في كل أمر منزل



في سرنديب *

4

لمحمود سامي البارودي

(1255 - 1322 هـ — 1838 - 1904 م)

تعريف وتمهيد :

« محمود سامي البارودي » رائد الشعر العربي في العصر الحديث ، ينتمي إلى أسرة شركسية الأصل عاشت في مصر ، حيث ولد ونشأ شاعرا وبدأ حياته التعليمية في منزله ، ثم التحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها ضابطا عام 1854 م . وظل يترقى في رتب الجيش المختلفة حتى وصل إلى مصاب الضباط الكبار .

وقد اثرت في تكوين شخصيته الأدبية مجموعة من العوامل هيأته للنهوض بالشعر العربي وبعثه من جديد في العصر الحديث .

ومن أهم هذه العوامل : استعداده الفطري لتذوق الشعر ونظمه ، وثقافته الخاصة التي تزود فيها بقراءة الجيد من الشعر العربي القديم ، واجادته اللغتين التركية والفارسية ، وتجاربه وخبراته في الحياة ، واسهامه في المعارك الحربية ، واشتراكه في الادارة والسياسة ، وتوليه الوزارة .

وفي عام 1881 م ، قام الجيش المصري بثورة على « الخديوي توفيق » تحت قيادة « احمد عرابي » وحاول « البارودي » أن يوفق بين الخديوي والجيش ، ولكنه لم ينجح في مساعاه ، فانضم الى الثوار ، وانتهى الامر بفشل الثورة ، واحتلال الانجليز لمصر عام 1882 م .

والقى الانجليز القبض على الثوار ومن بينهم « البارودي » ونفوه الى جزيرة « سرنديب »(*) وقضى في منفاه سبعة عشر عاما يعاني من آلام الغربة ، وخيبة الآمال وقد كبر سنه ، وتخطف الموت بعض اهله واصحابه ، وأخيرا سُمح له بالرجوع الى مصر عام 1900 م . وتوفى بمد ذلك بأربع سنوات .

وللبارودي آثار ، أهمها مختاراته التي انتقاها من ميون الادب العربي القديم ، وديوان شعري حوى العديد من القصائد في مختلف الموضوعات ، ومنه تقدم لك هذا النص الذي نظمه في منفاه ، وصور فيه حالته النفسية وموقفه من فشل الثورة العربية

(*) سرنديب : احدى جزر الهند

(أ)

- 1 - تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ « سَمِيرٍ » زَائِرٌ
- 2 - طَوَى مُصَدِّقَةَ الظُّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ
- 3 - فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَسَ وَدُونَهُ
- 4 - تَخْطَى إِلَى الْأَرْضِ وَجَدًّا وَمَالَهُ
- 5 - أَلَسَ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ

(ب)

- 6 - فَيَا بَعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أُحْبَتِي
- 7 - وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْسُ وَهِيَ حَيَاتُهَا
- 8 - فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَّقَنَ بَيْنَنَا

(ج)

- 9 - صَبَرْتُ عَلَى كُرْهِ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي
- 10 - وَمَا الْحَلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ
- 11 - وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ

(د)

- 12 - فَلَا يَشْتُمُ الْأَعْدَاءُ بِي فَلَرُبَّمَا
- 13 - فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ أَعْوَجَاجِهِ
- 14 - وَلِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحْيَا بِهِ الْمُنَى
- 15 - وَإِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرُكُنْ إِلَى اللَّهِ فِي الَّذِي

(*) ديوان البارودي .

- 1 - سميرة : ابنة الشاعر . 2 - صدقة الضلماء : الصدقة : ما يستر به الشيء . الليل ضارب بلوائه : الأرواق : جمع ورق وهو الستر . والمقصود أن الظلام قد عم واستقر . 3 - البحر الجنوبي : يقصد به المحيط الهندي الذي تقع فيه جزيرة سرنديب . 4 - هاد وزاجر : اسما لامل من حدا الأبل ، بمعنى غنى لها ليحتمل على المسير ، وزجر الأبل بمعنى ساقها . 9 - مندوحة : سمة . 13 - الجدود العوار : جمع جد ، وهو الحظء والحظ المتعثر هو الذي لا يسهف صاحبه . 14 - كاشر : منتهى ومستعد للهجوم والافتراس .

- 16 - وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي مَعْرَضِ الْحَقِّ نَاصِرٌ
17 - وَمَنْ لَمْ يَذُقْ حُلُوَ الزَّمَانِ وَمِرَّةَ

(هـ)

- 18 - عَلَى طَلَابِ الْعِزِّ مِنْ مُسْتَقَرِّهِ
عَلِيٍّ وَعَرْضِي نَاصِعُ الْجِيبِ وَافِرٌ ؟
19 - فَمَاذَا عَسَى الْأَعْدَاءُ أَنْ يَقُولُوا
20 - فَلِي فِي مَرَادِ الْفُضْلِ خَيْرٌ مَغْبَةٌ
إِذَا شَانَ حَيًّا بِالْخِيَالَةِ ذَاكِرٌ
21 - مَلَكْتُ عَقَابَ الْمَلِكِ وَهِيَ كَسِيرَةٌ
وَعَادَرْتَهَا فِي وَكْرَهَا وَهِيَ طَائِرٌ
22 - وَلَوْ رَمَتْ مَا رَامَ أَمْرٌ بِخِيَانَةٍ
لصَبَحَنِي قَسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرٌ
23 - وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكِرِيمَةَ سُوءَةً
تُعَابُ بِهَا وَالدهْرُ فِيهِ الْمَعَايِرُ
24 - وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنِيِّ
لَكَاتَرْتُ رَبَّ الْفُضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرٌ
25 - فَلَا غُرُوَ أَنْ حَزَّتْ الْمَكَارِمُ عَارِيًّا
فَقَدْ يَشْهَدُ السِّيفُ الْوَعْيَ وَهُوَ حَاسِرٌ
26 - فَلَا الْفَقْرَانِ لَمْ يَدْنَسِ الْمَعْرُضُ فَاضِحٌ
وَلَا الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرَفِ الْمَرْءُ سَاتِرٌ
27 - إِذَا مَا ذَبَابَ السِّيفُ لَمْ يَكْ مَاضِيًّا
فَحَلِيَّتُهُ وَصَمٌّ لَدَى الْحَرْبِ ظَاهِرٌ

(و)

- 28 - فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَقُّ يَوْمًا لِنَاطِرِ
وَتَنزُو بِعَوْرَاءِ الْحَقُودِ السَّرَائِرِ
29 - وَمَا هِيَ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي
غِيَابَتِهَا وَاللَّهُ مِنْ شَاءَ نَاصِرٌ
30 - وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَمَا أَوْلَى إِلَّا وَيَتْلُوهُ آخِرٌ

19 - ناصع الجيب : نصع الشيء نصوما خالصا . الجيب جمعه جيوب وهو من القميص طوقه وعند العامة هو كيس يخاط في جانب الثوب ويجعل فيه من الخارج ، والمراد هنا : تقي خالص من كل ما يعيبه . يحاط في جانب الثوب ويجعل فيه من الخارج ، والمراد هنا : تقي خالص من كل ما يعيبه .
21 - العقاب : طائر من الجوارح يطلق على الذكر والانثى قوي المخالب وجمعه عقبان ، وأعقب . والمراد هنا مسئولية الحكم . 21 - كسيرة : قلقمة مضطربة . 23 - السوءة : المييب والنقيصة .
27 - ذباب السيف : حده . 28 - تنزوا السرائر : تنحرك الضمائر فتكشف ما أخفت من الأسرار .
عوراء الحقود : الضمائر المييبة .

شرح وايضاح :

تناول « البارودي » الحديث عن المأساة التي حلت به من جراء مشاركته في الثورة العربية في مجموعة من الافكار .

في الفقرة (أ) تحدث عن عواطف الشوق والعنين الى الاهل والأحباب والوطن ، وتركزت مواطنه في حديثه عن زيارة طيف ابنته « سميرة » ، فقد زاره طيفها لكثرة ما يفكر فيها ، ويتمنى لقاءها ، وان كان لم يستمتع به جيدا ، فلم يكن الطيف جليا واضحا ، اذ جاء في ليل حالك الظلام ولم يمكث طويلا ، فعلى الرغم من البحار التي تفصل بينه وبين ابنته فان طيفها اناه مدفوعا بالاشواق كما يدفع الراعي إبله وبحثها على السير .

وفي الفقرة (ب) يستيقظ الشاعر من أحلامه ، ليمش في واقعه الاليم ، فيرى أن ما بينه وبين أحبائه بعيد جدا في الواقع ، وان كانوا قريبين من قلبه وخواطره ، ولو لا الأمل - وهو حياة النفوس - يراوده في لقائهم ما بقي حيا على هذه الدنيا ، فان بخلت عليه باللقاء فسيحظى به حتما في الآخرة ، يوم يعود الناس لرب العالمين .

وفي الفقرة (ح) يضع الشاعر يده على سبب مأساته الحقيقية ، لينفس بذلك عن كربته ، فيتحدث عن دوره في الثورة وما أعقبها من هزيمة ونفي ، فيستسلم للصبر مرغما لا مختارا ، وليس في ذلك الصبر فضيلة يشكر عليها ، وانما هو - في نظره - صبر العاجز المغلوب على أمره .

وفي الفقرة (د) يلتفت الى الشامتين الحاقدين ليقول لهم : ان شرفي عظيم لا يدنس شيء وليس لكم أن تفرحوا شماتة بي ، فان الدنيا لا تسير على حالة واحدة ومهما احاطت بي المصائب فان ايماني بالله يبعد الياس ، ويبعث في نفسي الأمل والعزم على النهوض بعد الكبوة ، ومن لم يلبأ الى الله ليحتمي به من مصائب الحياة فهو فيها من الخاسرين ، ومن لم يصبر على بلواه لا يجد من ينصره ، والذي لا يدوق مر الحياة وحلوها يعيش على هامش الحياة فلا يدرك سرها .

وفي الفقرة (هـ) يبين انه اذا كان قد أخفق فيما يرجوه من معالي الأمور ، وآل أمره الى هذا المصير فان ذلك لم يكن عن تقصير منه ، ولذا فهو راضي النفس لأن أعداءه لن يجدوا فيه مغزوا ، فشره عظيم يعجز الأعداء عن تدنيسه ، ويقول : لقد توليت مسئولية الحكم ، والأمور مضطربة فأصلحتها ، وتركتها بعد أن استفهم شأنها ، ولو كنت مثل هؤلاء الخائنين لأصبح لدي من الأموال الطائلة الشيء الكثير ، ولكن نفسي الأبية لا تقبل العار ، والدهر مليء بالعيوب ، وليس الغنى غنى المال ، والا لفاق التجار بأموالهم ذوي الفضل في الشرف والمكانة ، ولا عجب ان انال المجد

على الرغم مما حل بي ، فان الفقر لا يندس العرض ، والمال لا يعوض الشرف المسلوب ، كما لا يجدي السيف نفعا ترصيعه بالحلي والذهب اذا كان حده غير قاطع ولا بتار .

وفي الفقرة (و) يعلن عن رجائه في كشف الغمة وتفريج الكربة وجلاء الحقيقة ؛ فان ضمائر الحاقدين لن تقدر ابدا على اخفاء ما فيها من حسد وحقد وضمينة ، وان ما اصابه من بلاء ليس الا ازمة عارضة مثل كل الازمات سوف تنتهي حتما ، وينصر الله من يشاء من عباده ، ولكل بداية نهاية ، ولكل اجل كتاب .

دراسة الأفكار :

يذكرنا موضوع هذا النص بمفاخر « ا فراس الحمداني » ، وخاصة في « رومياته » التي كتبها في الاسر ، ومنها قوا :

أسرت وما صبحي بعزل لدى الوغي ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن اذا هم القضاء على امرى فليس له بر يقيه ولا بحر

فالموضوع ليس جديدا على الشعر العربي ، ولكن اهتمام « البارودي » بالثورة العربية ، وجه اهتمام الشعراء اللاحقين الى الحديث عن الثورات الشعبية وتخليدها ، وحث الشعوب على القيام بها ، حتى نما هذا اللون من الشعر وتطور على ايديهم ، وأصبح غرضا مستقلا ، سمي : « بالادب التحرري » .

وقد عاش « البارودي » مأساة حقيقية ، وانفل بأحداثها فعبّر عنها تعبيراً صادقا . وكان تصويره للأحداث والأشياء تصويرا ذاتيا يفصح عن شعوره ويوضح عواطفه الصادقة القوية .

وأفكار النص الأساسية ، هي :

- 1 - شوق الى الاهل والأوطان .
- 2 - حالته في المنفى .
- 3 - مأساته .
- 4 - رد على الشامتين .
- 5 - اعتزاز بتحمل الصعوبات في سبيل المجد .
- 6 - رجاء في زوال الغمة .

وهي افكار تتميز بالوضوح والفزارة والتماسك فيما بينها .

وقد استوحى « البارودي » بعض افكاره من منابع فطرية عميقة في طبيعة النفس الانسانية نتيجة لاستفراجه الطويل في ماساته ، فزيارة طيف ابنته له ، لكثرة ما فكر فيها ، ظاهرة نفسية اكدتها الدراسات المعاصرة في علم النفس .

وانكار الشاعر تنم عن ايمان قوي بالله ، يعتمد على الثقة بالنفس والاذعان للقضاء والقدر ، فقد بني على فكرة الرجوع الى الله عند العجز عن مقاومة الهزائم تحقيق هدفين :

احدهما : راحة النفس ، لان الانسان اذا لم يوفق في بعض ما يريجه من شئون الحياة ، وقد بدل من الجهد كل ما يستطيع ، وجد في الإيمان بقضاء الله وقدره راحة من عذاب النفس وتائب الفصير .

ثانيهما : الأمل في تحقيق النجاح ومواصلة السعي والكفاح ، لان الانسان اذا اراد أمرا ، وقدم له الأسباب ، ولم يحصل على النتائج ، فعليه ان يعاود الكرة بعد الكرة حتى يتحقق له ما يصبو اليه من آمال .

والنص من هذه الزاوية له طابع تربوي في حياة الأفراد والشعوب ، فالعقبات لا تغل العزائم الصلبة ، والنكبات لا تعزع ارادة القوية ، وهي تلك الطاقة الشعورية التي ينفثها « البارودي » في شعره ليم خلقية عظيمة يجدر بك ان تقتدي بها وتضمها نصب عينيك .

ولقد حاول « البارودي » ان يعيد للقصيدة بناءها القوي القديم ، فاتخذ من كبار الشعراء امثلة يحتديها ، وقد بلغ به التأثر حدا بعيدا كما ترى في قوله في البيت (18) :

على طلاب العز من مستقره ولا ذنب لي ان عارضتني المقادر
فهو متأثر بقول « ابي فراس الحمداني » :

على طلاب العز من مستقره ولا ذنب لي ان حاربتني المقادر
وقوله في البيت (30) :

وعما قليل ينتهي الأمر كله فما أول الا ويتلوه آخر

معناه قريب من قول الشاعر « اسامة بن منقذ » 548 هـ :

خفض عليك فلأمور نهاية والى النهاية كل شيء صائر

ومع ذلك فان « للبارودي » اصالة تتجلى في شعره كرائد مجدد ، ينهض بالشعر العربي بعد انتكاسة طال بها الزمن (*) .

(*) في الادب الحديث : عمر الدسوقي ، ص 287 ج 1 ط 7 .

دراسة الأسلوب :

الفاظ النص واضحة ، سلمت من الكلمات العامية التي شاع ذكرها عند الشعراء السابقين خلال مرحلة الضعف الادبي ، وعباراته **جزلة محكمة النسيج** ، ليس فيها غموض او التواء . وقد كثرت **الحكمة في النص** ، من ذلك قوله في الابيات (8 ، 9 ، 17) :

« كل امرىء يوما الى الله صائر » .

« ومن لم يجد مندوحة فهو صابر » .

ومن لم يذق حلو الزمان ومره فما هو الا طائش اللب نافر
وهذه **الحكم** - وغيرها في النص - عبر عنها الشاعر بأسلوب خال من الصور البيانية ولكنها لا تخلو من **العاطفة** .

وتتضح نفسية الشاعر من خلال اساليب النص ؛ فقد اكثر من **الاسلوب الخبري** الذي يوحي **بالثقة** فيما يلقي من احكام .

واستخدم **اساليب القصر** ، من ذلك قوله في البيت (17) :

« فما هو الا طائش اللب نافر » .

فقد **تصر الموصوف** وهو **الانسان** ، الذي لم يجرب الحياة ، على صفة هي **الطيش** و**التزق** ؛ وهذا **القصر** يدل على **خبرة الشاعر بالحياة** وشؤونها .

وقوله ايضا في البيت (29) :

« وما هي الا غمرة ثم تنجلي » .

قصر الموصوف ، وهو الحالة التي يعانها على صفة هي **الشدة العارضة** التي سوف تزول حتما .

وهذا **الامل الثابت** والثقة **الاكيدة** في جلاء الغمة وكشف الكربة التي اصابته يدل على **عزم اصيل** ونفس راسخة لا تززعها الاحداث .

وقد استعان الشاعر **بالصور البلاغية المختلفة** في تصوير مشاعره واحاسيسه نحو ما يعاناه من **صراع نفسي** .

من ذلك قوله في البيت (2) :

« طوى سدفة الظلماء » .

فقد شبه **الظلام الشديد** بالشيء الذي يحجب الرؤية تماما عن العيون ، وهو تشبيه مقلوب يعكس لنا الحالة النفسية التي يعيش فيها الشاعر .

وقوله في البيت (4) :

تخطى الى الأرض وجدا وماله سوى نزوات الشوق حاد وزاجر

فقد شبه اندفاع الطيف اليه بقوة الأشواق كاندفاع الإبل في المسير بقوة الزجر والحداء وهذا يدل على عنف الأشواق المتبادلة بينه وبين ابنته التي ابتعد عنها قسرا (وهو تشبيهه ضمني) .

وفي قوله في البيت (14) :

« الخطب كاشر » .

استعارة تدل على قسوة المصيبة التي لحقت به ، فقد صورها بحيوان مفترس كشر عن أنيابه ، وفي ذلك إيحاء بتضخيم الهول وعظم المصيبة .

وفي قوله في البيت (18) :

« عارضتني المقادر » .

استعارة جميلة أبرز فيها الشاعر قوة الآقدار وفعاليتها وضعف الإنسان أمام مقاومتها ليبرر بذلك القول هزيمته حتى ينشد لنفسه الصبر والعزم .

وفي قوله في البيت (21) :

ملكت عقاب الملك وهي كسيرة وغادرتها في وكرها وهي طائر

تصوير جيد لمسئولية الحكم يوحى بآثاره العظيمة في تدبير الأمور وتسيير شؤون الدولة عندما أسندت اليه ، وفي ذلك نشدان للتسلي عن همومه باستعراض ما له من امجاد سابقة .

وفي قوله في البيت (2) :

« والنجم بالأفق حائر » .

كناية عن طول الليل توحى بسوء الحالة النفسية التي يعيش فيها .

وفي قوله في البيت (19) :

« وعرضي ناصع المجيب وافر » .

كناية عن صفة هي الشرف يدافع بها عما حل به من هزائم .

ولم يستخدم الشاعر الأسلوب الإنشائي الا قليلا .

ومن ذلك قوله في البيت (19) :

« فماذا عسى الأعداء أن يتقولوا » .

وهو أسلوب استفهامي يدل على عجز الأعداء عن النيل من شرفه .

وفي قوله في البيت (6) :

« فيا بعد ما بيني وبين أحبتي » .

نداء يوحى باللوعة والتحسر .

ولم يسرف الشاعر في استخدام المحسنات البديعية . وإذا جاءت ، فهي مناسبة في موضعها غير متكلفة ، تزيد المعنى وضوحا والأسلوب جمالا .

كالطباقي في قوله في البيتين (17 ، 10) :

« ومن لم يذق حلو الزمان ومره » .

وما الحلم عند الخطب والمرء عاجز بمستحسن كالحلم والمرء قادر البيت
والمقابلة في قوله في البيت (26) :

فلا الفقران لم يدنس العرض فاضح ولا المال ان لم يشرف المرء ساتر

وفي النص كثير من الوان البلاغة ، نترك لك فرصة للتعرف عليها واكتشاف مواطن الجمال فيها .

مجمل القول

□ النص من الشعر الطليعي في العصر الحديث ، يصور حالة شعورية من خلال حادث وطني ، هو فشل الثورة الجزائرية في مصر واحتلال الانجليز لها ، ونفي الثوان واخراجهم من البلاد .

□ وتمتزج فيه الحكمة والموعظة بالفخر ، وتلوح فيه آيات الشوق الى الاهل ، والحنين الى الوطن ، ويكشف عن جانب من تاريخ الثورة العربية .

□ وافكار النص جيدة واضحة ليس فيها ابتكار ، ولكنها تتسم بالصدق الشعوري ، وقد تأثر في بعض افكاره بفحول الشعراء السابقين .

□ وعاطفة الشاعر متوهجة تفيض قوة وصدقا وتنعكس على الصور البلاغية فتبدو جذابة ومثيرة .

□ واييات النص من بحر الطويل ، ووزنه :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن .

المناقشة :

- 1 - بم وصف الشاعر طيف ابنته « سميرة » ؟
- 2 - الشاعر في محنته غير راض بهذا اللون من الصبر . فلماذا ؟
- 3 - اكثر البارودي من الاعتزاز بنفسه . فما سبب هذا الاتجاه في النص ؟ وهل يقبل منه ذلك . ولماذا ؟
- 4 - شخصية البارودي قوية متطلعة . من أي أبيات النص تدرك معالم شخصيته ؟
- 5 - تشيع في النص روح دينية . فإين تجدها ، وما مصدرها ؟
- 6 - « ليس الغنى بل المال » . كيف عبر الشاعر عن هذا القول ؟ وما فلسفته في الفقر والغنى ؟
- 7 - كيف ندد الشاعر بأعداء الثورة العرابية ؟
- 8 - ما المناصب السياسية التي شاولك فيها الشاعر ، وما دوره في مسئولية الحكم كما صوره في هذا النص ؟
- 9 - اذكر حكمة امجبتك من النص وبين ما فيها من جمال .
- 10 - في النص « أساليب قصر » ، تخير واحدا منها ، ووضح اثره في المعنى .
- 11 - بين مظاهر التجديد في هذا النص .
- 12 - اخرج من النص فكرة قلد فيها الشاعر غيره من الشعراء السابقين .

السؤال الكتابي :

- « ان الشدائد بوتقة تصهر الرجال » .
— اكتب في هذا المعنى مستمينا بأفكار هذا النص .

المقال الأدبي :

« البقاء للأصلح » .

- اكتب مقالا تناقش فيه هذه الفكرة مسترشدا بقوله تعالى : « اما الزبد فيلذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » مبرهنا على صدق هذا المبدأ بشواهد من التاريخ القديم والحديث .

١ - البراءة

قال البارودي يرثي زوجته وهو في منفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ وَلَا يَدِي
يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا
أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنْمَنَّ تَوْجَعًا
يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ
فَحَدُودَهُنَّ مِنَ الدَّمُوعِ نَدِيَّةٍ
أَسْلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ فَجِيعةٍ
أَعَزَّ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ رَهِينَةً
أَوْ أَنْ تَبِينَنِي عَنْ قَرَارِيءِ مَنَزَلِي
لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدِيَّةً
جَزَعُ الْفَتَى سِمةَ الْوَفَاءِ وَصَبْرِهِ
وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى
هِيهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقْرَأَ جَوَانِحِي
وَلَهِي عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي
فَإِذَا أَتَمَّيْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ ذِكْرَتِي

تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي
كَانَتْ خِلاصَةَ عَدَّتِي وَعَتَادِي (١)
أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي (٢)
قَرَحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ
كَانَتْ لَهِنَّ كَثِيرَةَ الْإِسْعَادِ
وَقُلُوبَهُنَّ مِنَ الْهَمُومِ صَوَادِي (٣)
حَلَّتْ لِفَقْدِكَ بَيْنَ هَذَا النَّادِي
فِي جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الْأَسْدَادِ
كُنْتَ الضِّيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادِ
بِالنَّفْسِ عَنْكَ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَادِي
عَدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الْأَحْقَادِ
رَعِي التَّجَلُّدَ وَهُوَ غَيْرُ جِمَادِ (٤)
أَسْفًا لِبُعْدِكَ أَوْ يَلِينِ مَهَادِي
وَالدَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لَوْسَادِي (٥)
وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتَ آخِرُ زَادِي

(*) البارودي : مصر الدسوقي .

١ - الحليلة : الزوجة . ٢ - الفضي : المرض . ٣ - صوادي : جمع صادية وهي الشديدة العطش .
٤ - سامه الأمر : كلفه آياه ، التجلد : الصبر . ٥ - الوساد : جمع وساد ، وهي ما يوضع تحت
الراس عند النوم .

ب - في وصف حالته بالسجن

ولد لغى فيه الشاعر فترة من الزمن بعد فشل الثورة العراقية التي شارك فيها :

لَا أَيْسُ يَسْمَعُ الشُّكُوى وَلَا	خَبْرٌ يَأْتِي ، وَلَا طَيْفٌ يَمُرُّ
بَيْنَ جُدْرَانٍ وَبَابٍ مُوصَدٍ	كَلَّمَا حَرَكَهُ السَّجَانُ صر ^(١)
يَتَمَشَّى دُونَهُ حَتَّى إِذَا	لَحِقَتْهُ نَبَأَةٌ مِنِّي اسْتَقْر ^(٢)
كَلَّمَا دُرَّتْ لِأَقْضِي حَاجَةٌ	قَالَتِ الظُّلْمَةُ : مَهَلًا لَا تَدْرُ
أَتَقَرَّرَى الشَّيْءَ أَبْيَهُ فَلَا	أَجِدُ الشَّيْءَ وَلَا نَفْسِي تَقْر ^(٣)
فَأَصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَطْفِرِي	إِنْ حَسُنَ الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الظَّفْرِ
هِيَ أَنْفَاسٌ تَقْضَى وَالْفَتَى	حَيْثَمَا كَانَ أَسِيرٌ لِلْقَدْرِ

ج - في وصف طائر

استيقظ الشاعر من نومه على اثر حركة طائر فاخذ يتتبع حركاته ويصفها بدقة

وَنَبَأَةٌ أَطْلَقَتْ عَيْنِي مِنْ سِنَةٍ	كَانَتْ حِبَالَةَ طَيْفٍ زَارَنِي سَحْرًا
فَقُمْتُ أَسْأَلُ عَيْنِي رَجْعَ مَا سَمِعْتُ	أَذْنِي ، فَقَالَتْ : لَعَلِّي أَبْلُغُ الْخَبْرًا
ثُمَّ اشْرَأَبْتُ فَأَلَفْتُ طَائِرًا حَذِرًا	عَلَى قَضِيبٍ يَدِيرُ السَّمْعَ وَالْبَصْرًا ^(٤)
لَا تَسْتَقِرُّ لَهُ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ	فَكَلَّمَا هَدَاتُ أَنْفَاسَهُ نَفْرًا
يَهْفُو بِهِ النُّصْنُ أَحْيَانًا وَيَرْفَعُهُ	دَحْوُ الصَّوَالِحِ فِي الدَّيْمُومَةِ الْأُكْرَا ^(٥)
مَا بَالُهُ وَهُوَ فِي أَمْنٍ وَعَافِيَةٍ	لَا يَبْعَثُ الطَّرْفَ إِلَّا خَائِفًا حَذِرًا
إِذَا عَلَا بَاتٍ فِي خَضْرَاءِ نَاعِمَةٍ	وَإِنْ هَوَى وَرَدَ الْمُدْرَانَ أَوْ نَقْرًا

1 - صر : صوت . 2 - دونه : امامه النباة : الصوت الخفي . 3 - تقرى الشيء : تتبعه ، تقر : بهذا 4 - اشرابت : اشراب للشبه : مد عنقه لينظره . 5 - دحا الالعب الكرة : دلمها ووردها ، والدويمومة : الأرض المستوية .

نكبة «دمشق» احمد شوقي

5

(1285 - 1351 هـ — 1868 - 1932 م)

تعريف وتمهيد :

امير الشعراء « احمد شوقي » ، شاعر مصري ، ولد في القاهرة عام 1868 م ، وتلقى علومه الاولى بها ، ثم واصل دراسته في فرنسا ، ورجع ليتولى منصبا في قصر «الغدوي عباسي» الذي نجاه الانجليز من الحكم خلال الحرب العالمية الاولى ، ونفي « شوقي » الى اسبانيا ، ثم عاد بعد خمس سنوات من منفاه ليقف الى جوار الشعوب العربية في نضالها . واتخذ من شعره سلاحا يناضل به المستعمرين ، ويبعث العزم والامل في نفوس العرب الثائرين (1) .

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918 م) وقفت تركيا الى جانب المانيا وايطاليا ، ضد انجلترا وفرنسا وحلفائهما . فلجأ الحلفاء الى العرب وطلبوا اليهم ان يقفوا الى جانبهم ضد دول المحور ، ومن بينها تركيا ، واذا فعل العرب ذلك فان الحلفاء سيمنحونهم الحرية والاستقلال متى خرجوا منتصرين ، ولكنها كانت وعدا كاذبا . فقد انتصر الحلفاء ولم ينفذوا شيئا مما وعدوا به العرب .

وبعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، وتم توقيع الهدنة ، انعقد المؤتمر السوري في عام 1919 م ، واعلن الاستقلال ، فاجتمع المجلس الاعلى للحلفاء في « سان ريمو » بايطاليا عام 1920 م ورفض منح سوريا استقلالها ، وزحفت فرنسا بجيوشها لتفرض الانتداب على البلاد السورية .

ولكن شعبها الابي لم يستسلم ، فتجددت الثورة في عام 1925 م ، وقام الدروز في جبال لبنان بهجوم عنيف على المستعمرين الفرنسيين ، فشارت نائرة فرنسا وصبت مدافعها على مدينة « دمشق » ، وقتلت العديد من سكانها ، وحطمت دورها وآثارها . فاهتزت مشاعر الصرب لهذه الكارثة المروعة ، وهب الكتاب والشعراء ينددون بمؤلف فرنسا ، ويطالبون الاحرار في كل مكان ان يقفوا مع الشعب السوري في محنته ويمدوه بالتأييد المادي والمعنوي .

واقام بالقاهرة مهرجان وطني لهذا الغرض ، شارك فيه الشاعر بقصيدة صور فيها مصاب « دمشق » ، ودعا العرب الى القيام بما يمليه عليهم واجبهم نحوها ، ومعاني اخرى تتضح لك من دراستك للقصيدة التالية :

(1) ستاني ترجمة مفصلة لحياه وآثاره .

(أ)

- 1 - سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرْدَى أَرْقُ
 - 2 - وَمَعْدِرَةُ الْبِرَاعَةِ وَالْقَوَائِي
 - 3 - وَذِكْرِي عَنْ خَوَاطِرِهَا لِقَلْبِي
 - 4 - وَبِي مِمَّا رَمَتْكَ رِيهِ اللَّيَالِي
- وَدَمْعٌ لَا يُكْفَكُ يَا «دَمَشَقُ»
جَلَالُ الرِّزْوِ عَنْ وَصْفِ يَدِقُ
إِلَيْكَ تَلَفْتُ أَبَدًا وَخَفَقُ
جِرَاحَاتُ لَهَا فِي الْقَلْبِ عُنُقُ

(ب)

- 5 - دَخَلْتُكَ وَالْأَصِيلُ لَهُ اتِّتَلَقُ
 - 6 - وَتَحَتَّ جَنَانِكَ الْأَنْهَارُ تَجْرِي
 - 7 - وَحَوْلِي فَتِيَةٌ غُرٌّ صَبَاحُ
 - 8 - غَمَزَتْ إِبَاءَهُمْ حَتَّى تَلَطَّتْ
 - 9 - وَضَجَّ مِنَ الشَّكِيَّةِ كُلِّ حَرٍّ
- وَوَجْهُكَ ضَاحِكُ الْقَسَمَاتِ طَلُقُ
وَمِثْلُ رُبَاكَ أَوْرَاقُ وَوَرِقُ
لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتُ وَسَبْقُ
أَنْوْفُ الْأَسَدِ وَأَضْطَرَمَّ الْمِدْقُ
أَبِيٍّ مِنْ أُمَيَّةٍ فِيهِ يَتَّقُ

(ج)

- 10 - لَعَاهَا اللَّهُ أَنْبَاءَ تَوَالَتْ
 - 11 - يُفَصِّلُهَا إِلَى الدُّنْيَا بَرِيدُ
 - 12 - تَكَادُ لِرُوعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا
 - 13 - وَقِيلَ : مَعَالِمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ
- عَلَى سَنَعِ الْوَالِيِّ بَيَّا يَشُقُّ
وَيُجْمَلُهَا إِلَى الْآفَاقِ بَرَقُ
تُخَالُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
وَقِيلَ : أَصَابَهَا تَلَفٌ وَحَرَقُ

(*) القوافيات .

1 - بردى : نهر في سوريا . 6 - ووال : جمع وولاء : وهي الحماة البرية . 9 - الشكيلة : الحديد
الذي يوضع في قم الفرس : وتمثل جزءا من اللجام الذي يسلك به الفارس ، والمراد بها هنا : القيد
الذي يلفسه المستعمرون .

(د)

- 14 - أَلَسْتَ دِمَشْقُ لِلْإِسْلَامِ ظَنْرًا
وَمَرْضَعَةُ الْأُبُوَّةِ لَا تَعْقُ ؟
15 - صَلَاحُ الدِّينِ تَاجُكَ لَمْ يُجَمَّلْ
وَلَمْ يُوَسِّمْ بِأَزِينٍ مِنْهُ فَرَقُ
16 - وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ
لَهَا مِنْ سَرْحِكِ الْعُلُوِيِّ عِرْقُ
17 - سَمَاؤُكَ مِنْ حُلَى الْمَاضِي كِتَابُ
وَأَرْضُكَ مِنْ حُلَى التَّارِيخِ رَقُ
18 - بَنَيْتِ الدَّوْلَةَ الْكُبْرَى وَمَلَكًا
غَبَارُ حَضَارَتِيَّةٍ لَا يُشَقُّ
19 - لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُورَسُ
بَشَائِرُهُ بِأَنْدَلُسٍ تَدَقُّ

(هـ)

- 20 - رَبَاعُ الْخُلْدِ وَيَعَكَ مَا دَهَاهَا
أَحَقُّ أَنَهَا دَرَسَتْ أَحَقُّ ؟
21 - وَهَلْ عُرِفَ الْجَنَانُ مُنْضَدَاتُ ؟
وَهَلْ لِنَعِيمِيْنَ كَأَمْسٍ نَسَقُ ؟
22 - وَأَيْنَ دُمَى الْمَقَاصِرِ مِنْ حِجَالِ
مُهْتَكَةٍ وَأَسْتَارِ تَشَقُّ ؟
23 - بَرَزْنَ وَفِي نَوَاحِي الْأَيْكَ نَارُ
وَخَلْفَ الْأَيْكَ أَفْرَاحٌ تُزَقُّ
24 - إِذَا رُمْنَ السَّلَامَةَ مِنْ طَرِيقِ
أَتَتْ مِنْ دُونِهِ لِلْمَوْتِ طُرُقُ
25 - بَلِيلٌ لِلْقَدَائِفِ وَالْمَنَايَا
وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطْفٌ وَصَعَقُ
26 - إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفْقُ
عَلَى جَنَابَتِهِ وَأَسْوَدَ أَفْقُ

14 - اللتر : المرضعة . 15 - يوصف بأي علامة . هرك : الفرق يسمى به مفرق الشعر
والمقصود هنا الراس . 16 - السرح العلوي : الشجر العالي . 17 - وك : نوع من الجلد استخدم في
الكتابة قبل الورق . 18 - لا يشق لغيره : لا يمكن اللحاق به والوصول اليه . 22 - المقاصر : جمع
مقصورة : وهي الدار الواسعة المصونة . حجال : جمع حجلة وهي الستر يضرب للوروس . 23 - الأيك :
الشجر الكثير اللثف . والواحدة (ابكة) . 25 - صعق : من الصاعقة : وهي نار تسقط من السماء
في عهد شديد .

(و)

- 27 - سَلِيٍّ مِّن رَّاعٍ غِيْدِكَ بَعْدَوْهِنَّ
أَيِّن فُؤَادِهِ وَالصَّخْرِ فَرَقُ ؟
28 - وَلِلْمُسْتَعْمِرِينَ وَإِنَّا أَلَانُوا
قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرِقُ
29 - رَمَاكَ بِطَيْشِهِ وَرَمَى فَرْنَسًا
أَخْرَجَ حَرْبٍ بِهِ صَلْفٌ وَحَمَقُ
30 - إِذَا مَا جَاءَهُ طُلَّابٌ حَقٌّ
يَقُولُ : عِصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
31 - دَمُ الشُّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرْنَسًا
وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نُورٌ وَحَقٌّ +

(ز)

- 32 - بَنِي سُورِيَّةَ اطَّرَحُوا الْأَمَانِي
وَأَلْقُوا عَنْكُمْ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا
33 - فَمِنْ خِدَعِ السِّيَاسَةِ أَنْ تَفْرُوا
بِالْقَابِ الْإِمَارَةَ وَهِيَ رِقٌّ +
34 - نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَارًا
وَلَكِنْ كُنَّا فِي الْهَمِّ شَرِقٌ +
35 - وَيَجْمَعُنَا - إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادٌ -
يَيَّانُ غَيْرِ مُخْتَلِفٍ وَنُطِقُ
36 - وَقَقَمْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
37 - وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حَرٍّ
يَدُّ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقٌّ
38 - وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَابِإِ
إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يَسْقُوا وَيَسْقُوا؟
39 - وَلَا بَيْنِي الْمَالِكِ كَالضَّحَايَا
وَلَا يَدْنِي الْحُقُوقَ وَلَا يَحِقُّ
40 - فَبِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ
وَفِي الْأَسْرَى فِدَى لَهُمْ وَعِثْقُ
41 - وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ
بِكُلِّ يَدٍ مُضْرَجَةٍ يَدِقُّ +

27 - الفيد : جمع ليداء وهي الشابة النائمة الرقيقة . 29 - الصلف : تمدح الانسان بما ليس عنده
وغروره . 41 - مضرجة : مملوغة بالدماء .

شرح وايضاح :

تناول الشاعر في هذا النص مجموعة من الأفكار :

بداها بأبيات الفقرة (أ) ، وفيها يبعث بتحياته الرقيقة الى « دمشق » ، ويدرف دموعه أسفا على مصابها ، ويعتذر لعجزه عن تصوير ما أصابها من البلاء ، لأن فادحتها كبيرة لا يستطيع وصفها الكتاب والشعراء ، ومع ذلك فقلب الشاعر الجريح من مصابها ، يعيش مع أحداثها في دقاته وخفقاته .

وفي أبيات الفقرة (ب) يتحدث الشاعر عن ذكرياته في دمشق ، فقد زارها قبل نكبتها ، وعندما دخلها كانت الشمس تميل الى الغروب ، فآلى فيها حدائق غناء ، وأنهارا جارية ، وطبيعة خلابة ، ولقي من أهلها ترحيبا وتكريما ، يدل على كرم أصلهم وطيب عنصرهم ، ومكانتهم في الفضل والتقدم . ووجدهم يتبرمون من قيود الاستعمار لما لهم من عراقة في الحرية والاستقلال .

وفي أبيات الفقرة (ج) يصور احساسه نحو الأخبار التي تردت حول نكبة « دمشق » وهي أبناء مروعة يصب سماعها على نفوس الأصدقاء الأوفياء ، وقد تناولتها وسائل الاعلام في مختلف بلاد العالم فانتشرت سريعة ، مفصلة حيناً ومجملة أحياناً ، وهي لعظم بشاعتها قد يحسبها السامع خرافة وكذبا ، مع أنها حقيقة واقعة مرة ، ولعل أعنف هذه الأنباء ، ما تردد حول امتداد النكبة الى الأناضول الخالدة في « دمشق » فدمرتها وأحرقتها .

وفي أبيات الفقرة (د) يشير الشاعر الى عظمة « دمشق » وتاريخها المجيد ، فلقد حفظت الاسلام وصانته ، وكانت بمثابة الأم التي تحنو على طفلها الرضيع ، ومن الواجب على الأبناء الأوفياء ان يراعوا حق الأمهات ، ولهذا كان لا بد عليهم أن يحرصوا على حفظها وحمايتها من عبث الأعداء .

ثم يخاطب « دمشق » قائلا :

ان لك في مجال الفخر ازهى تاج نصبه التاريخ على رأسك ، فقد شهدت بطولات « صلاح الدين الأيوبي » الذي طهر بلاد الشام من الصليبيين المغيرين ، وفي أرضك استقرت دعائم الحضارة العربية التي استمدت من نورها كل حضارات الدنيا .

وغدت سماؤك كتابا يحوي أروع صحف المجد ، وأرضك سجل الآثار والمعالم التي لا تفتى . وكن عاصمة لدولة اسلامية عظيمة ، أسسها الأمويون في الشرق ، ثم خفقت راياتها فوق ربوع الشام والأندلس - وفاقت حضارتها كل حضارات العالم في زمانها .

وفي أبيات الفقرة (هـ) يصور الشاعر فظائع المأساة فيتساءل منكرا ما أصاب الربوع الخالدة ؟ ، وهل دمرها العدو حقا ؟ ، وهل بقي فيها شئ من مظاهر الترف والنعيم الذي عهدته الشاعر ؟ ، وما مصر نساها الحسان المصونات بعد أن هتكت

أستارهن ، وامتد العدوان الى خدورهن ؟ لقد خرجن والفرع يستولي على نفوسهن واشتعال النار من حولهن ، فذهلن عن كل شئ حتى عن أطفالهن الصغار ، ولم يجدن فرارا او خلاصا . لقد كان الليل حالك الظلمة عندما انصبت قدائف الأعداء كالطرر على المدينة الثائرة فاستحالت سماءها دخانا ولهبها قويا ، ينشران الخراب ، ويقذفان الرعب والدمار في كل مكان .

وفي الفقرة (و) يندد الشاعر بالمستعمرين ، فيخاطب « دمشق » قائلا : اسألني من فزع قلوب نساءك الرقيقات في ظلام الليل الحالك ، هل في قلبه شفقة أو رحمة ؟ ان قلوب المستعمرين جميعا كالحجارة بل اشد قسوة ، مهما أظهرها من الرقة واللين أحيانا . والدليل على قسوتهم وجبروتهم ما فعله ذلك القائد الفرنسي الأحمق الذي أمر بتدميرك وحرقتك ، فأساء بصنيعه ، الى أمته « فرنسا » ، فقد أظهرها عدوا للحرية وللأحرار .

وفي الفقرة (ز) يوجه الشاعر نصحه وتحذيره الى الشعب السوري فيقول : عوا الأمانى الكاذبة ، والأحلام التي تعيشون فيها حينما تتصورون أن الحرية منحة ، الأعداء ، ولا تتخذوا بأساليب المستعمرين الذين يغرونكم بالفاظ الأمانة ومناصب ناسة ، وهي فارغة جوفاء فظاهرها الحرية وحقيقتها العبودية .

انني أتوجه اليكم بالنصيحة مع أنني أعيش في مصر ، وأنتم في سوريا ، ولكن معنا مشاعر الألم والأمل ، وتربط بيننا أواصر متينة ، أهمها اللغة العربية سبيل دة الفكر والثقافة والشاعر والوجدان والمواطف . وأنتم الآن في موقف حرج ، ان تم حياة العزة والكرامة ، فادفعوا الثمن غالبا ، لأنها تتطلب التصحية بالنفس نفيس . ومهما عظمت تضحياتكم في سبيل حرية الوطن فلا تستكثروها ، لان طان حقا فوق كل الحقوق ، والأحرار اولى الناس برده ، يدفعونه من أموالهم واحهم نداء لحرية الوطن ، ولا تبني الأمم بغير الكفاح ، ولا تنال الحرية الا سلاح ، وفي دماء الشهداء حياة كريمة لمن يعيش معهم او من يأتي بعدهم . ان للحرية بابا موصدا لا يدخل منه الا من دميت يدها من كثرة الطرق في عزم لة واصرار .

أسسة الأفكار :

موضوع هذا النص من الأدب القومي التحرري ، الذي نما وازدهر في عصرنا ديث ، فقد واكب الثورة العربية ضد الاحتلال الأوربي .

عاصر « شوقي » أحداثا تاريخية عظيمة ، تتمثل في انتفاضة الشعب المصري في مختلف البلاد العربية ، ومع أن شوقي ينتمي الى أصول غير عربية ، لكن شوقي السياسي يوضح صدق ولائه لعروبته ودينه الاسلامي ، وخاصة بعد عودته من منفى

ولم يكن « شوقي » في دمشق يوم أن ضربها المستعمرون بمدافعهم ، ويربعونه ما أصابها من الدمار والخراب ، لكنه عايش تجربته الشعرية ، وعاش وجدانه معاناة صادقة ، فجاء تعبيره عنها تعبيرا دقيقا ، حتى يخيل اليك وهو يند من وصف جانب في المأساة الى وصف جانب آخر ، أنك ترى بعينيك ، وتلمس بيديك وتسمع بأذنيك كل شئ يدور في « دمشق » .

وفي هذه القصيدة التي عبر فيها شوقي عن شعوره نحو مأساة « دمشق » :
صورة صادقة لشاعر العربية الفياضة .

وقد تناول هذا النص الأفكار الأساسية الآتية :

- 1 - تحية واسف واعتذار .
- 2 - ذكرياته في دمشق .
- 3 - أخبار الفجيعة وأثرها في نفسه .
- 4 - عظيمة دمشق وتاريخها المجيد .
- 5 - تصوير لفظاعة المأساة .
- 6 - تنديد بالمستعمرين .
- 7 - ارشاد وتوجيه .

ولعلك لاحظت أن الشاعر قد أطل في الوصف أحيانا ، وتطرق لمواقف كثيرة يبدو في ظاهرها أنه ابتعد عن موضوعه الأصلي .

ومن بين هذه المواقف : حديثه عن ذكرياته في « دمشق » ووصف أهلها وآثارها ، وذكر تاريخها ، ولكن الشاعر نجح في ربط ذلك كله بموضوعه الأصلي واستفاد في نمو بناء قصيدته .

وقد أعد الشاعر قصيدته لكي تلقى في مهرجان أقيم لنصرة دمشق ، فذو عليها الطابع الوجداني الانفعالي الذي يمس قلوب السامعين .

واستعان الشاعر بالمنطق الفكري المقتنع في محادثة المستعمرين ، وتشويه أعما الوحشية كما ترى في الأبيات (29 ، 31) حيث أوضح مخالفة المستعمرين الفرنسيين لمبادئهم التي نادوا بها من قبل في الحرية والمساواة ورفعوا شعارا لتورتهم الفرنسي عام 1789 م .

واستفاد « شوقي » من التاريخ في أفكار هذا النص فتراه يتحدث عن عصر بني أمية ، وعن حصاره الأندلس ، وعن « صلاح الدين الأيوبي » الذي حطم الصليبيين وطردهم من بلاد الشام بعد حكم دام قرابة قرنين من الزمان .

وذكر الحقائق التاريخية في مثل هذه المناسبة له دلالة جيدة ، فان التدكير بالامجاد برهان على اصالة هذا الشعب ، وتأييد لموقفه النضالي ضد الغاصبين المستعمرين .

وفي بعض الافكار نلاحظ اقتباسا من القرآن الكريم ، من ذلك قوله في البيت (6) :

« وتحت جناك الأنهار تجري » .

ماخوذة من قوله تعالى :

« جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار » (*)

وفي النص نزعاً حكيمياً امتاز بها شعر شوقي بصورة عامة ، وبرزت صورة جليلة في هذا النص ، من ذلك قوله في البيت (28 ، 4) :

وللمستعمرين وان الانوا قلوب كالحجارة لا ترق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مزرجة يدق

وقد اتخذ شوقي موقف الناصح والمحلر ، والمرشد والداعية ، فحق له ان يلجا الى الحكم التي تمس القلب وتخاطب العقل وتبقى ماثلة في الذاكرة .
دراسة الأسلوب :

يمتاز أسلوب النص بإحكام عباراته وجودة تركيبها ، وسهولة الفاظه وسلامتها ووضوحها وإيجازها . كما ترى في قوله في البيت (23) :

« أفراخ تزق » .

لكلمة تزق لها ايحاء قوي في المعنى ، فهي تجسم صفر الفراخ وعجزها عن الاستقلال بالطعام .

وكلمات النص متسقة فيما بينها تحدث نغما مدبا يسمى « الموسيقى الداخلية » .

وقد كثرت الأساليب البلاغية في هذا النص ، وتنوعت لتلائم عناصر الموضوع الذي تناوله الشاعر ، فهو يصور عواطفه نحو مأساة دمشق ، والعاطفة تحتاج الى الخيال ، والصورة هي المرآة التي يظهر فيها الخيال وتنعكس عليها العاطفة ، وقد استعان الشاعر بالصور الجزئية والصور الكلية .

(*) من سورة البينة الآية رقم (8) .

وقد مرت بك ألوان الصور الجزئية من تشبيهه ، واستعارة ، ومجاز ، وكناية .
وهي كثيرة في هذا النص ، نشير لك الى بعضها ، من ذلك التشبيه البليغ في البيت (14) :

« ألت دمشق للإسلام ظئرا ؟ » .

وهو يدل على مدى حنو دمشق ورعايتها للإسلام .

والاستعارة في البيت (3) :

« لقلبي اليك تلفت » .

اذ جعل القلب يتلفت الى دمشق لشدة تعلقه بها وعمق ذكراها في حناياه .

والمجاز في قوله بالبيت (2) :

« ومعذرة اليراعة والقوافي » .

حيث عبر باليراعة وأراد بها النثر وهو مجاز مرسل علاقته الآلية . وعبر بالقوافي

عن الشعر ، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية .

والكناية في قوله بالبيت (13) :

« وقيل معالم التاريخ »

فهي كناية عن المباني والمعالم الأثرية في دمشق ، وهذا يوحى ببشاعة العدوان .

والصورة الكلية واضحة في هذا النص ، تتجلى في الفكرة الخامسة ، والتي

أراد أن يصور الشاعر فيها فظائع الاستعمار وأعماله ، فقد صور المرأة السورية منعمة
مكرمة مصونة في دارها ، فاذا لحظة الترق تنصب عليها فتخرج مدعورة لا تجد
طريقا للخلاص .

وتتابع أجزاء الصورة لتكون لوحة متكاملة ، فالطفل الذي يصرخ ، والاهيب

المستعر والدخان المتطاير ، والفرع الذي يملأ المكان ، كل هذه الأشياء تكون منظرا واحدا
يمبر عن وحشية الاستعمار وقسوته .

وتتنوع أساليب النص بين الخبر والانشاء . ومن الأساليب الانشائية الاستفهام

المتعدد الأضراس ، كما ترى في الأبيات (14 ، 21 ، 22) :

« ألت دمشق للإسلام ظئرا ؟ » .

« وهل غرف الجنان منضدات ؟ » .

« وأين دمسى المقاصر ؟ » .

ففي الأول استفهام يدل على التقرير ، والثاني يدل على الإنكار ، والثالث يدل على
التحسر .

والامر في قوله في البيت (27) :

سلي من راع غيدك بعد وهن ابين فؤاده والصخر فرق ؟

والنداء في قوله بالبيت (32) :

بني سورية اطرحوا الأمانى » .

ولهذه الأساليب الانشائية مقاصد يجدر بك أن تتأملها وتقف على سر التعبير بها هنا .

واستعان الشاعر بالمحسنات البديعية المتعددة ، وهي طبيعية في موضعها غير

متكلفة ، من ذلك الجناس في قوله بالبيت (6) :

« وملاء رباك أوراق وورق » .

والطباق في الأبيات (11 ، 12 ، 36) :

« يفصلها ، يجملها » .

« تخال من الخرافة وهي صدق » .

« وفقم بين موت أو حياة » .

وفي النض العديد من الصور البلاغية ، والأساليب الخبرية والانشائية ،

والمحسنات البديعية ، يمكنك ادراك ما فيها من جمال وتأثير في المعنى .

مجمل القول

□ النص ، من الأدب التحرري ، الذي يصور موقفا بطوليا لشعب سوريا ، ويسجل الخزي والعار على المستعمرين الفرنسيين ، ويستنهض همم السوريين والعرب اجمعين لرد عدوان المعتدين .

□ ويتميز بخصوبة الافكار ، وجودة المعاني وابتكارها وتألفها ، ويبدو من خلال افكاره ، اهتمام شوقي بالأحداث التاريخية ، وميله الى سوق الأمثال والحكم .

□ واسلوبه قوي العبارة جيد التركيب ، والفاظه قوية جزلة واضحة موحية فيها جرس موسيقي .

□ وقد صاغ الشاعر تجربته في قالب موسيقي من بحر الوافر ، ووزنه :
مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

الناقشة :

- 1 - تحدث الشاعر عن عظمة دمشق . اذكر ما تعرفه عن تاريخها .
- 2 - اي ابیات النص اوضح دلالة في تأثر الشاعر بنكبة دمشق ؟
- 3 - لماذا اختار الشاعر المرآة السورية والطفل ليصور بهما هول الفزع في نكبة دمشق ؟
- 4 - بماذا وصف شوقي المستممرين ؟
- 5 - ما موقف الاستعمار من طلاب الحرية ؟ وبماذا نصفهم ؟
- 6 - وضع الروابط التي ذكرها الشاعر بينه وبين شعب سوريا .
- 7 - في النص ، حكم جميلة . وضع معنى الحكمة . واشرح حكمة أعجبتك من النص .
- 8 - يلجأ الاستعمار الى أساليب ملتوية ليخدر بها الشعوب الثائرة . اذكر بعضا منها .
- 9 - « الست دمشق للاسلام ظئرا ؟ .. » « ابن فؤاده والصخر فرقي ؟ .. »
وضح نوع الاستفهام في البيتين وبين الغرض المقصود من كل واحد فيهما .
- 10 - وضع صورتين بلاغيتين مختلفتين وبين اثر كل منهما في المعنى .

المقال الأدبي .

« لقد سائر الأدب العربي ركب الحركة التحريرية ضد الاستعمار الأجنبي في

البلاد العربية » .

— اكتب في هذا الموضوع موضحا دور الأدب واثره في الثورات والحرية .

١ - في رثاء حافظ إبراهيم (*)

يَا مُنْصَفَ الْمَوْتَى مِنَ الْأَحْيَاءِ
 قَدَّرَ وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
 بِالْحَقِّ تَحْفَلُ عِنْدَ كُلِّ نِدَاءِ
 طُولَ الْحَيْنِ لِسَاكِنِ الصَّحْرَاءِ
 فِي زُمْرَةِ الْأَبْرَارِ وَالْحُنَفَاءِ
 وَمَرَاشِدِ التَّفْسِيرِ وَالْإِفْتَاءِ
 طِيبَ التَّدَانِي بَعْدَ طُولِ تَنَاءِ
 فَالسَّمْحَةُ الْأُخْرَى دِيَارُ لِقَاءِ
 وَالْكَاذِبُونَ الْمُرْجِفُونَ فِدَائِي
 وَالْمُوْغِرُونَ الْمَوْتَى عَلَى الْأَحْيَاءِ
 بِكَرَائِمِ الْأَنْقَاضِ وَالْأَشْلَاءِ
 مَنْ ذَا يُحْطَمُ رَفْرَفَ الْجُوزَاءِ
 فِي الشَّرْقِ وَأَسْمُكَ أَرْفَعُ الْأَسْمَاءِ
 غَرَاءَ تَحْفَظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
 وَكَأَعْلَتْ مَوَدَّتِي وَوَفَائِي
 لَمَا رَفَعْتَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَوَائِي
 وَإِمَامَ مَنْ نَجَلْتَ مِنَ الْبُلْغَاءِ
 حَتَّى حَمَيْتَ أَمَانَةَ الْقُدَمَاءِ
 وَأَتَيْتَ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ الطَّائِي
 حَتَّى اقْتَرَنْتَ بِصَاحِبِ الْبُؤْسَاءِ
 دَعَا وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِنْغِضَاءِ

قَدْ كُنْتُ أَوْثِرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي
 لَكِنْ سَبَقَتْ وَكُلُّ طُولِ سَلَامَةٍ
 الْحَقُّ نَادَى فَاسْتَجَبْتَ وَلَمْ تَزَلْ
 وَأَتَيْتَ صَحْرَاءَ الْإِمَامِ تَدُوبُ مِنْ
 فَلَقَيْتَ فِي الدَّارِ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا
 أَثَرُ النَّعِيمِ عَلَى كَرِيمِ جِينِهِ
 فَشَكُوتَا الشُّوقِ الْقَدِيمِ وَذَقْتَا
 إِنْ كَانَتْ الْأُولَى مَنَازِلَ فَرْقَةٍ
 وَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي فِدَاكَ مِنَ الرَّدَى
 النَّاطِقُونَ عَنِ الضَّغِينَةِ وَالْمُهْوَى
 مِنْ كُلِّ هَدَامٍ وَيَبْنِي مَجْدَهُ
 مَا حَطَمُواكَ وَإِنَّمَا بِكَ حَطَمُوا
 أَنْظِرْ فَإِنَّ كَأَمْسٍ ثَأْنُكَ بَادِحٌ
 بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ
 غِيظَ الْحَسُودِ لَهَا وَقَمْتُ بِشُكْرِهَا
 فِي مَحْفَلِ بَشَرَتْ أَمْيَالِي بِهِ
 يَا حَافِظَ الْفُصْحَى وَحَارِسَ مَجْدِهَا
 مَازَلْتُ تَهْتَفُ بِالْقَدِيمِ وَفَضْلِهِ
 جَدَّدْتَ أَسْلُوبَ « الْوَلِيدِ » وَلَفْظِهِ
 وَجَرَيْتَ فِي طَلَبِ الْجَدِيدِ إِلَى الْمَدَى
 مَاذَا وَرَاءَ الْمَوْتِ مِنْ سَلْوَى وَمِنْ

(*) الشوقيات ، ج 3 .

أَشْرَحَ حَقَائِقَ مَا رَأَيْتَ وَلَمْ تَزَلْ
رَبُّ الشَّجَاعَةِ فِي الرَّجَالِ جَلِيلٌ
كَمْ ضِغْتٌ دَرَعًا بِالْحَيَاةِ وَكَيْدَهَا
فَهَلُمَّ فَارِقُ يَا سَنَفِكَ سَاعَةً
وَأَشِرْ إِلَى الدُّنْيَا بِوَجْهِ ضَاكٍ
يَا طَالِمًا مَلَا النَّدَى بِشَاشَةٍ
الْيَوْمَ هَادَتِ الْحَوَادِثُ فَاطْرَحُ
خَلَفْتَ فِي الدُّنْيَا يَا نَا خَالِدًا
وَعَدَا سَيَذُرُّكَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ

إِشْرَحَ حَقَائِقَ مَا رَأَيْتَ وَلَمْ تَزَلْ
رَبُّ الشَّجَاعَةِ فِي الرَّجَالِ جَلِيلٌ
كَمْ ضِغْتٌ دَرَعًا بِالْحَيَاةِ وَكَيْدَهَا
فَهَلُمَّ فَارِقُ يَا سَنَفِكَ سَاعَةً
وَأَشِرْ إِلَى الدُّنْيَا بِوَجْهِ ضَاكٍ
يَا طَالِمًا مَلَا النَّدَى بِشَاشَةٍ
الْيَوْمَ هَادَتِ الْحَوَادِثُ فَاطْرَحُ
خَلَفْتَ فِي الدُّنْيَا يَا نَا خَالِدًا
وَعَدَا سَيَذُرُّكَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ

ب - وصف النيل (*)

وَبِأَيِّ كَيْفٍ فِي الْمَدَائِنِ تُفَدِّقُ
عَلِيَا الْجَنَانَ جِدَاوَلًا تَتَرَفَّقُ
أَمْ أَيُّ طُوفَانٍ تَفِيضُ وَتَفْهَقُ (١)
لِلضَّفَّتَيْنِ جَدِيدَهَا لَا يَخْلُقُ (٣)
فَإِذَا حَضَرَتْ أَخْضُوضُ الْإِسْتَبْرَقِ (٤)
عَجِبًا وَأَنْتَ الصَّابِغُ الْمُتَأَنِّقُ
وَحِيَاضُكَ الشَّرْقُ (٥) الشَّيْءُ دَفَّقُ
بِالْوَارِدِينَ وَلَاخُوانِكَ يَنْفُقُ
عَدْرَاءَ تَشْرِبُهَا الْقُلُوبُ وَتَعْلُقُ
وَالْحِظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوبِقُ (٦)
كَالثَّيْحِ يَنْعَمُ بِالْفِتَاةِ وَتَزْهَقُ

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى تَتَدَفَّقُ
وَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلَتْ أَمْ فَجَّرَتْ مِنْ
وَبِأَيِّ عَيْنٍ أَمْ بِأَيَّةِ مِزْنَةٍ
وَبِأَيِّ نَوْلٍ (٢) أَنْتَ فَاسِجٌ بِرُدَّةٍ
تَسْوَدُ دِيَاجًا إِذَا فَارَقْتَهَا
فِي كُلِّ آوْنَةٍ بَدَّلُ صِبْغَةٍ
أَنْتَ الدُّهُورُ عَلَيْكَ مَهْدُكَ مَتْرَعٌ
تَسْقِي وَتَطْمِمْ لَا إِنْ أَوَّلَكَ ضَائِقُ
وَنَجِيبَةٌ بَيْنَ الطُّفُولَةِ وَالصَّبَا
كَانَ الزَّفَافُ إِلَيْكَ غَايَةَ حِظْمَا
لَا قَيْتَ أَعْرَاسًا وَلَا قَيْتَ مَاتِمَا

(*) الشوقيات ج 2 .

1 - تلهق : تملئه حتى تنصب . 2 - نول : ما ينسج عليه الثياب . 3 - يطلق : يبلى .
4 - الاستبرق : الحرير . 5 - الشرق : القرنى . 6 - موبق : مهلك .

فِي كُلِّ عَامٍ دَرَّةٌ تَلْقَى بِلَا
 إِنَّ زَوْجُوكَ بَهَنٌ فَمَهِي عَقِيدَةً
 ثَمَنَ إِلَيْكَ ، وَحَرَّةٌ لَا تُصَدِّقُ
 وَمِنَ الْعَقَائِدِ مَا يَلِيبُ (١) وَيَحْمَقُ
 فِي كُلِّ دِينَ بِالْهِدَايَةِ تَلْصَقُ
 مَا أَجْمَلَ الْإِيمَانَ لَوْلَا ضَلَّةٌ

د - الحنين الى الوطن (*)

أَذْكُرَا لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أُنْسِي
 وَسَلَامِصْرَ : هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا ،
 أَوْ أَسَا جَرْحَهُ (٢) الزَّمَانَ الْمُؤَسِّي ؟
 كَلَّمَا مَرَّتِ اللَّيَالِي عَلَيْهِ
 رِقٌّ وَالْعَهْدُ فِي اللَّيَالِي تَقْسَى ؟ (٣)
 مُسْتَطَازٌ ، إِذَا الْبَوَاحِرُ رَتَّتْ
 أَوَّلَ اللَّيْلِ ، أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرَسِ (٤)
 رَاهِبٌ فِي الضَّلُوعِ ، لِلسُّنَنِ فُطْنٌ
 كَلَّمَا تُرِنَ شَاعِمُنْ بِنَقَسِ (٥)
 يَا ابْنَةَ الْيَمِّ مَا أَبُوكَ بَخِيلٌ
 مَالَهُ مَوْلَعًا يَنْعَمُ وَحَسِبَ ؟
 أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْ
 حٌ ، حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ
 كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالْأَهْلِ ، إِلَّا
 فِي خَيْبِثٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ رَجَسٍ
 لِنَفْسِي مَرْجَلٌ ، وَقَلْبِي شِرَاعٌ
 نَازِعَتْنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي
 وَهَذَا (٦) بِالْفُؤَادِ فِي سَلْسَبِيلِ
 وَطَنِي لَوْ شِئْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ
 شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَنْبَغِ عَن جُفُونِي
 ظِلْمًا لِلسَّوَادِ (٧) مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ
 شَخْصَهُ سَاعَةً ، وَلَمْ يَخْلُ حَسِي

د - الفسوة (*)

وَدِبَابَةٌ تَحْتِ الْعِبَابِ بِمَكْمَنٍ
 أَمِينٌ ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
 هِيَ الْحَوْتُ ، أَوْ فِي الْحَوْتُ مِنْهَا مِثَابُهُ ،
 فَلَوْ كَانَ فُلُودًا لَكَانَ أَخَاهَا
 أَبْتُ لِأَصْحَابِ السُّنَنِ غَوَائِلًا (٨) ،
 وَالْأُمُّ نَابَأُ حِينَ تَفْعَرُ فَأَهَا

(*) النشويات ج 2 .

1 - يلب : صار لييا . 2 - أسا جرحه : داواه . 3 - يقسى : يصير قاسيا . 4 - الجرس : الصوت
 5 - فطن للنفس : حذق به والنفس : ضرب النفوس . 6 - هفا : أسرع . السواد ما حول البلد من
 القرى . 8 - فوائل : جمع غائلة : وهي الداهية .

مَلْعَنَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسَرَاهَا
وَتَجْنِي عَلَى مَنْ لَا يَخُوضُ رَحَاهَا
عَلَيْهِ زَبَانَاهَا (2) وَحَرَّ حَمَاهَا
لَمَّا أَمْنَتْ مَقْدُونَهَا وَلَظَاهَا
وَلَا كَانَ بَحْرٌ ضَمَهَا وَحَوَاهَا
إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ النَّفْسِ رَدَاهَا

خَوْونٌ إِذَا غَاصَتْ ، غَدُورٌ إِذَا طَفَتْ ،
تَبَيَّتْ (1) سُنْفَنَ الْأَبْرِيَاءِ مِنَ الْوَغْيِ ،
فَلَوْ أَدْرَكَتْ تَابُوتَ مُوسَى لَسَلَطَتْ
وَلَوْ لَمْ تُغَيَّبْ فُلُكُ نُوحٍ وَتَحْتَجِبُ
فَلَا كَانَ بَأْنِيهَا ، وَلَا كَانَ رَكْبُهَا
وَأَفَّ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي تَدْعُوهُ

د - من الشعر المسرحي :

مصراع ((كليوباترا)) (*)

تدور أحداث هذه المسرحية في أواخر عصر البطالسة في مصر عندما استولت روما على عرشهم . أما مكان الرواية فهو قصر الملكة « كليوباترا » ملكة مصر في ذلك الوقت .

وتتكون المسرحية من أربعة فصول .

يبدأ المنظر في مكتبة القصر ، وقد جلس ثلاثة من الموظفين يتحدثون عن أناشيد النصر الكاذب التي يتغنى بها الشعب ، فهم يرددون انتصار الأسطول المصري متضافرا مع أسطول « انطونيوس » في معركة قُرْبَ الإسكندرية ، والحقيقة أن أسطول مصر خرج بأمر من كليوباترا من المعركة . ثم تدخل إحدى وصفات القصر ، وتخبرهم بقدم الملكة التي يستولي عليها اللص عندما تسمع هتاف الشعب بالنصر ، وتسال : من أذاع هذا الخبر الكاذب ؟ فتجيبها إحدى وصفاتها بأنها أذاعته حين كثرت الأقاويل والظنون ، وتمتدح لها ، فتقبل الملكة عذرها ، ثم تأخذ كليوباترا في بيان موقفها ، وسبب انصرافها بأسطولها ، وتقول أنها أرادت أن تقف على الحياد إيثارا لوطنها وحرصا عليه .

1 - بيت للصدو : إذا أوقع به ليلا من دون أن يعلم . 2 - زبانا العقرب : قرناها .
(*) حكمت الملكة كليوباترا مصر عام 51 إلى عام 30 ق . م . وهي أخت بطليموس السابع .

ويتبدل المشهد ، فنلتقي بانطونيو بين يدي كليوبترا ، وقد ظفر في موقعة برية على ابواب الاسكندرية ، فتستقبله كليوباترا وتامر بتزيين القصر واقامة الافراح احتفاء به وبجنوده .

وفي الفصل الثاني : تقيم كليوبترا وليمة لانطونيو وقادته من الرومان ، ولكنها تعرض اثناء المأدبة بروما ، فيتألم لذلك القادة الرومان الذين يناصرون انطونيو ضد اكتافيوس ، فيتمردون على انطونيو لانه في نظرهم خائن لوطنه ، فاذا انتهت المأدبة خرج انطونيو لمطاردة اكتافيوس وجنوده .

وفي الفصل الثالث : يخسر انطونيو الحرب ويهرب ، ويستظل بشجرة الى جانب المبدع استريح ، فيقبل عليه طبيب روماني كان يعمل في قصر كليوبترا ويخبره كلبا بان كليوبترا انتحرت بسببه ، فيهتز للأمر ، ويستففر روما لانه خانها ، ويستففر كليوبترا لانه كان سبب وفاتها ، ويطلب من غلامه ان يقتله ، فيرفض الغلام ، فينتحرف انطونيو بيديه .

وفي مشهد آخر : من الفصل الثالث : تقف كليوبترا مع الكاهن في المبدع لتستعرض الأفعى السامة ، وتطلب منه ان يمد لها سلة ويضع فيها واحدة من تلك الأفعى لتنتحر بها عندما يهددها العدو ويقرب منها ، وفي اثناء ذلك ينقل بعض الجنود انطونيو الى المبدع وقد اوشك على الموت ، فترثيه كليوبترا فيفوق لحظة يدرك فيها خدعة الطبيب ، ثم يموت بين يدي حبيبته ، ويقف اكتافيوس مشاهدا هذا المنظر .

وفي الفصل الرابع : تخبر كليوبترا وصيفتها بان اوكتافيوس يريد اخذها غنيمة الى روما ، لكنها ستحول دون ذلك ، ثم يحضر الكاهن السلة ، فتخرج كليوبترا منها الأفعى ، وتُدنيها من صدرها فتلدغها وتموت ، وتفعل وصيفتها ذلك . ثم يحضر اكتافيوس والطبيب الروماني فتلدغ الأفعى الطبيب ويودع اكتافيوس جثة الملكة المصرية وينادر المبدع ، فلا يبقى فيه سوى الكاهن الذي يدعو على الرومان بالدمار ويندرهم بالخراب .

واليك مشهدا من فصول هذه المسرحية :

الفصل الاول من المسرحية - المنظر الثاني

« يدخل انطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أرووس . انطونيو يقبل على الملكة مادا بديه » :

انطونيو : إِلَهِي !
 الملكة : قَيْصَرِي !
 انطونيو : سُلْطَاتِي !
 الملكة : مَلِكِي !
 انطونيو : عِنْدِي لَكَ الْيَوْمَ يَا دُنْيَايَ أَخْبَارٌ .
 الملكة : عَجَّلْ ، فَدَيْتُكَ !
 انطونيو : لَا ، لَا بُدَّ مِنْ ثَمَنِ !
 الملكة : كَرَائِمُ الْمَالِ ؟
 انطونيو : مَا لِلْمَالِ مِقْدَارٌ !

« يمد إليها جيبه في ضراعة »

رُدِّي عَلَيَّ هَامَتِي الْغَارَ الَّذِي سَلَبْتَ فَقَبْلَةَ مِنْكَ تَعْلُوهَا هِيَ الْغَارُ ؟

« تقبله »

كليبواترا :

أَلْيَوْمَ تَعَلَّمَ رُومًا أَنْ ضَرَّتْهَا
 تَقَلَّدُ الْغَارَ مِنْ تَهْوَى وَتَخْتَارُ ،
 وَالْيَوْمَ تَعَلَّمَ رُومًا أَنْ فَارَسَهَا
 جَيْشٌ بِمُفْرَدِهِ فِي الرُّوعِ جَرَّارُ
 أَنْطُونِيُو سَيِّدِي هَلْ نَحْنُ فِي حُلْمٍ ؟
 أَسَأَلُ أَنْتَ ؟ لَا أَسْرُ وَلَا عَارُ ؟

ينو:

أَيْدِي الكَمَاةِ وَفِي كَفِي أَظْفَارُ ؟
كَأْسُ المَنَابِيا عَلَى الأَبْطالِ دَوَارُ
أَنْي شَدِيدٌ عَلَى الأَقْرانِ ، جَبَّارُ
وَالصَّفُّ تَحْتِي بَيْنَ الصَّفِّ يَنْهَارُ ،
وَجَنِّ نَصْلِي بِكْفِي ، فَهَوُ إِعْصَارُ ،
لَا السَّيْلُ يَحْمِلُهَا يَوْمًا ، وَلَا النَّارُ
عَنِ الخِيَامِ ، وَمَنْ أَوْكَارِهِمْ طَارُوا
رَيْحًا ، وَلَمْ أَتَبَيَّنْ أَيْةً سَارُوا
شَوْقٌ إِلَيْكَ قَدِيمُ الدَّاءِ ، سَوَارُ
لَبَاتُ «أَكْتافُ» عِنْدِي وَأَنْقَضَى النَّارُ

سُرٌّ؟ وَهَيْتُ كَلِوَبَاتِرًا ، أَنْظَرُ بِي
وَقَلْتُ قَتْلٌ لَكَانَ القَوْلُ أَشْبَهَ بِي
لَحْرَبٌ تَعَلَّمُ ، وَالأيامُ تَشْهَدُ لِي
وَ كُنْتُ شَاهِدَتْنِي ، وَالْحَرْبُ جَارِفَةٌ
نَدُّ جَنِّ تَحْتِي جَوادِي ، فَهَوُ عاصِفَةٌ ،
أَيْتُ حَمَلَةٌ صِدْقٌ غَيْرُ كاذِبَةٌ ،
لَا صَدَمْتُ جَنَاحِيهِمْ وَقَلْبِهِمْ
رَمًا وَجَدْتُ «لَاكْتافِيو» وَقادِتَهُ
رَمالَتِ الشَّمْسُ أَوْ كادَتْ ، فَرَجَعْنِي
حَتَّى رَجَعْتُ ، وَلَوْ أَنْي طَرَدْتَهُمْ

ياترا:

زَكَمَهُمْ لِعَدِي هَذِي مَجازِفَةٌ ،
غَدُّ غُيُوبٌ وَأَسْرارٌ وَأَقْدارُ ،

«مخاطبة أوريوس»

أُورُوسُ أَنْتَ بِنَنْ القِتالِ أَعْلَمُ مَيِّي
أَلْفَنْ فَنُكَ أُوْرُو
فَكُنَّ بِحَقِّكَ عَوْنِي ،
إِنَّ المُنَى لَمْ تَقْصُرْ ،
فَلَوْ صَبَرْتُمْ قَلِيلًا ،
أَرْحَمْتُمُونِي وَرُومًا
مِنْ الخِصامِ المَعْنِي !
سُنْ وَالسِّيَاسَةَ فَنِي
وَقُلْ لِقِصْرَ عَنِّي
بَلْ قَصَرَ المَتْمَنِي
وَسَرْتُمْ فِي نَأْيِي

وس:

سَيِّدَتِي لَمْ تَقْصُدِي
عَجَلْتِ فِي الحُكْمِ عَلَيَّ
لَمَّا عَذَلْتِ سَيِّدِي ،
مَا لَمْ تُرِي وَتَشْهَدِي ،

لَقَدْ حَمَلْنَا حَمَلَةً
 اسْتَنْفَذَتْ بِأَسِّ الْقَنَا
 فَكَانَ لِأَبْدَانِنَا
 كَمِثْلِهِمَا لَمْ تَعْمَدِ
 وَقُوَّةَ الْمَهْنَدِ
 نُرْجِي الْقِتَالَ لِلْعَدِ!

انطونيو:

كَلِيوَاتَرَا ، دَعِينَا مِنْ
 أَتَبِكِينَ عَلَى الصَّبْرِ
 وَلِي مِنْ صَبْرِكَ الْوَاهِي
 لَقَدْ مَنَيْتُ أَسْطُولِي
 حَلِيفُ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ
 فَعَمَّابَا تَحْتَ أَعْلَامِكَ
 وَقَدْ كَانَا الْجَنَاحِينَ ،
 وَأَجْرِي الْفُلُكُ أَكْتَفِيوْ
 صَفَفْنَاهَا وَأَرْسَلْنَا
 كِلَانَا مَارَسَ الْحَرْبِ ،
 فَلَمَّا آذَنْتُنَا الْحَزْرَ
 تَسَلَّلْتُ بِأَسْطُولِي
 فُقُلْتُ : أَنْجَبْتُ ضَعْفًا ،
 وَلَوْ كَانَ لَهُمْ قَلْبُ
 تَجَنَّبِيكَ كَلْمُوَاتَرَا
 وَقَوْمٍ حَرَمُوا الصَّبْرَا ؟
 جِرَاحِ الْأَمْسِ لَمْ تَنْبِرَا
 لَدَيْهِ أَسْطُولُكَ النَّصْرَا
 سَأَنْتَدُّ بِهَا أَزْرَا
 حَتَّى زَحَمَا الْبَحْرَا ،
 وَقَدْ كُنْتُ أَنَا النَّصْرَا
 فَأَجْرَيْتُ كَمَا أَجْرِي
 بِهَا نَقَطْتُمُ الْجَمْرَا ،
 وَعَانِي الْكُرَّ وَالْفَرَا
 بَ بِالْمَعْرَكَةِ الْكُبْرَى ،
 مِنْ غَمْرَتِهَا الْحَرَى ،
 وَقَالَ النَّاسُ : بَلِ غَدْرَا !
 كَقَلْبِي التَّمَسُّوا الْعُدْرَا !

كليوباترا:

أَنْطُونِيُوسُ مَلِكِي ،
 لَيْسَ الْعُبُوسُ سُنَّةً
 وَلَسْتُ مِنْ يَفْضَبِ فِي
 وَلَسْتُ لِلْكَأْسِ عَلَى
 قَلْبِكَ كَنْزُ الْحَبِّ وَالـ
 أَنْطُونِيُوسُ سَيِّدِي ،
 لَوْجَهَكَ الطَّلُقُ النَّدَى
 لَيْلِ الشَّرَابِ وَالنَّدَى
 شَارِبَهَا بِالْمَفْسِدِ !
 رَحِيمَةً ، وَالْتَوَدُّ ،

وَكَمْ حَقَدَتْ نَمَّ أَصْبَحَتْ كَأَنَّ لَسْمَ تَحْقِدِ ،
 أَلَسْتُ بِالْأَمْسِ ، وَأَمْسِ لُفَّةٌ لَمْ تَبْعُدِ ،
 وَهَبْتُ لِي جَرِيرَتِي ، وَالصَّفْحُ نَصْفُ السُّودِّ !
 فَاطْمِنِي حَوَادِثَ الـ أَمْسِ ، وَلَا تَجُدِّدِ ،
 وَأَمْضِ مَعِي فِي لَذَّةِ الـ يَوْمِ ، وَدَعِ هَمَّ الْقَدَا !

انطونيو :

كَلِيوَاتِرَا ، بِحَبِّكَ
 لَقَدْ سَقَيْتُ وَقَوَادِي
 مُرِي بِالْكَأْسِ وَالطَّاسِ
 وَبِالْقُصْفِ وَبِالْعَزْفِ ،
 وَمَا طَيَّبَ الْوَانَا ،
 وَقَوْلِي الشَّعْرَ عَلْوِيًّا ،
 وَأَوْجِهِهِ إِلَى شَادِي
 غَدًا نَسْتَأْنِفُ الْحَرْبَ
 مِنَ التَّائِبِ خَلِينَا
 إِلَيْكَ النَّصْرَ فَاجْزِينَا
 وَبِالنَّدْمَانِ يَسْقِينَا ،
 وَحُدَاقِ الْمُنْتَبِينَا ،
 وَمَا طَابَ رِيَاحِينَا
 كَمَا كُنْتَ تَقُولِينَا ،
 كِ يُلْقِيهِ فَيْشْجِينَا
 وَنَطْوِيهَا مِيَادِينَا

انشو :

وَنَفْسَاهَا مَخَامِيرًا ، وَنَلْقَاهَا مَجَانِينَا !

كليوباترا :

مُرِّ بِمَا شِئْتَ قِصْرُ ، وَأَشِرْ كَيْفَ تَأْمُرُ ،
 لَكَ قَصْرِي وَمَا حَوَى الْقَصْرُ ، كُلُّ مَسْخَرُ
 لَيْسَ شَيْءٌ ، وَإِنْ غَلَا
 لَتَكُونَنَّ لَيْلَةً ،
 لَا بُالِي إِذَا صَفَتْ ،
 تَحْلُمُ الْحُلْمَ لَسْتَ تَدْرِي
 بِمَاذَا يُفَسِّرُ !
 عَنْ حَيْبِ يُوخَّخِرُ ،
 آخِرَ الدَّهْرِ تَذَكَّرُ
 بَعْدَهَا ، مَا يَكْدَرُ ،

« لوصفائها ووصيفاتي »

الْبِدَارَ الْبِدَارَ يَا وَصَفَائِي وَوَصِيفَاتِي ، الْبِدَارَ الْبِدَارَا
 قَيْصَرٌ قَيْصَرٌ هُوَ الْأَمْرُ النَّاسِ هِيَ عَلَيَّ الْقَصْرُ فَلَيْكُنْ مَا أَسَارَا
 هُوَ يَبْنِي وَيَمْنَعُ ، فَاصْنَعُوهَا وَلَسَقُوهَا كَمَا اشْتَهَى وَاخْتَارَا
 أَطْلِقُوا هَذِهِ الشُّمُوعَ شُمُوسًا تَذَرُ اللَّيْلَ بِالْعِشِيِّ نَهَارَا
 وَأَعِدُّوا الْخِرَانِ قَدْ حَمَلَ الْأَلْوَانَ وَجَلَّلَ الْأَزْهَارَا
 وَاجْمَعُوا بِالْمُدَامِ شَمْلَ النَّدَامِي وَأَدِيرُوا الْكُؤُوسَ وَالْأُوتَارَا
 وَاجْمَعُوهَا وَلَيْمَةً وَبَسَاطًا يَتَبَارَى خَلَاعَةً وَوَقَارَا
 مِصْرُ إِنْ أَوْلَمَتْ سَمْتَ بِالْأَغَانِي دَرَجَاتٍ ، وَأَسَمْتَ الْأَشْعَارَا
 لَا تَسِيرُوا عَلَيَّ وَلَا تَمِمْ رُومًا سَرَفًا فِي الْفُسُوقِ وَأَسْتَهْتَارَا
 كَلَّمَا أَوْلَمَتْ أَسَاءَتْ إِلَى الْعَقْلِ وَجَرَّتْ عَلَى الْحَضَارَةِ عَارَا
 وَلَقَدْ تَجَمَّلَ النَّارَ نَدَامَا هَا ، وَأَسَدَ الْعَرِينَةَ السَّمَارَا

قائد روماني لزميله غاضبا :

أَسْمِعْ مَا تَقُولُ عَدُوَّ رُومًا ؟ قَدْ اجْتَرَأَتْ عَلَيَّ رُومًا ، الْبَغْيُ
 أَتَحْتُ لِيَوَائِهَهَا ، وَبِجَانِبِهَا يَخُوضُ الْحَرْبَ مِنْ رُومًا كَمِي ؟

الأخر :

غَدَاً تَلْقَى ، وَإِنَّ غَدَاً قَرِيبًا عِقَابًا فِي الْبِلَادِ لَهُ دَوِي

الأول لانطونيوس في عتب وغضب :

أَمِيرِي أَنْطُونِيُوسُ ، أَفِي الْحَقِّ أَنَا نَيْتُ سَكَارِي ، وَالْعَدُوُّ مَيْتُ ؟

« ينظر اليه انطونيوس نظرة طويلة ثم ينصرف عنه الي كايوبترا فيهمس القائد » :

أَلَا إِنَّهُ لَيْلٌ لَهُ مَا وَرَاءَهُ غَرَامُكَ حَيٌّ فِيهِ ، وَالْمَجْدُ مَيْتٌ ؟



تربية الفتاة

6

حافظ ابراهيم

(1289 - 1351 هـ) — (1872 - 1932 م)

تعريف وتمهيد :

ولد شاعر النيل ((محمد حافظ ابراهيم)) على ظهر سفينة كانت ترسو على شاطئ النيل امام بلدة ((دَيْرُوط)) في صعيد مصر ، من اب مصري وام تركية الاصل ، وقبل ان يبلغ الشاعر السنة الرابعة من عمره فاجاه القدر بموت ابيه ، فحملته امه إلى القاهرة ليتربى في منزل خاله ، حيث تلقى تعليمه الابتدائي وجزءا من التعليم الثانوي بمدارسها ، ولما رحل خاله إلى مدينة طنطا رافقه إليها ، وبعد زمن قصير احس الشاعر بالمال والسأم وتقل حياته على منزل خاله ، فودعه(*) وذهب يبحث عن وسيلة يتكسب بها ، فاشتغل بالحمامة حيناً ، وعمل ضابطاً بالحربية فترة من الزمان ، ثم تنقل ما بين الشرطة والصحافة ، واخيراً عمل مديراً لدار الكتب المصرية ، حتى اجبل الى التقاعد عام 1932 م ، وتوفى بعدها بأربعة شهور .

وقد تاقَت نفس الشاعر الى الادب والشعر منذ طفولته ، فانكب ينهل من موارده الاصلية حتى استوى عوده واصبح ادبياً كبيراً وشاعراً عظيماً ، ترك آثاراً في النثر والترجمة والشعر . من اشهرها ليالي سطيح ، والبؤساء ، وديوان في مختلف الافراض الشعرية ، من ابداعها : ((فن الرثاء)) ، وقد صور في شعره ما الم بأُمَّته العربية والاسلامية من احداث في مختلف النواحي السياسية والاجتماعية .

والموضوعات الاجتماعية من اهم وأكثر ما تناوله حافظ في شعره ، ولعل اعظم قضية اجتماعية - عاصرها - هي قضية تحرير المرأة ، فقد كان الصراع الفكري حولها على أشده ، ساهم فيه المصلحون ، والمربون ، والزعماء السياسيون ، والادباء من كتاب وشعراء من الرجال والنساء على اختلاف في الرأي وتباين في الطريقة والاسلوب ، من امثال ((قاسم امين ، وسعد زغلول ، والمقاد ، وملك حفني ناصف ، وطاهر الحداد ، والخضر حسين ، وابن باديس)) ، وغيرهم . .

وفي حفل اقيم بمناسبة افتتاح مدرسة للبنات بمدينة بُورسعيد عام 1910 م شارك حافظ ابراهيم بقصيدة طويلة مطلعها :

كَمْ ذَا يَكَايِدُ عَاشِقٌ وَيَلَاقِي فِي حُبِّ وَصْرٍ كَثِيرَةَ الْعَشَاقِ

وقد عالج فيها قضية المرأة من عدة جوانب ، ونقدم لك فيما يلي جزءاً منها نتعرف من خلاله على رأي الشاعر في هذه القضية :

(*) وما قاله في وداع منزل خاله :

فَقُلْتُ عَلَيْكَ مَوْوَتِي إِنِّي آرَاهَا وَاهِيَةً
فَأَفْرَحُ فَإِنِّي ذَاهِبٌ مَتَوَجِّةٌ فِي دَاهِيَةٍ

(ا)

1 - مَنْ لِي بِتَرْيِةِ النَّسَاءِ ، فَأَنَّهُمَا فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْأَخْفَاقِ

(ب)

2 - الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَدْتَهَا
3 - الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَمَّدَهُ الْحَيَا
4 - الْأُمُّ أَسْتَاذُ الْأَسَاكِيدَةِ الْأَلَى

(ج)

5 - أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النَّسَاءَ سَوَافِرًا
6 - يَدْرَجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ
7 - يَفْعَلْنَ أَعْمَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا
8 - فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ

(د)

9 - كَلًّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا
10 - لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ حُلِيٍّ وَجَوَاهِرًا
11 - لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أُنثَاءً يُقْتَنَى
12 - تَتَفَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا

(هـ)

13 - فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا فَالْشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ

(و)

14 - رَبُّوَا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا
15 - وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرٌ وَنَاقِ نُورَ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

(*) ديوان حافظ ابراهيم ج 1 .

2 - الأعراف : جمع عرق وهو الأصل . 3 - العيا : المطر . 4 - مآثرهم : ما خلفوا من أعمال عظيمة .

5 - سواهر : جمع سافرة وهي المرأة التي تكشف وجهها . 6 - يدرجن : يمشين . - وازع : زاجر .

- واك : (حام) من الوقاية والحماية . 7 - نواعس الأهداق : فانرات الأجنان . 8 - المزاراى : الرمح .

14 - وناقى : قيد والمراد خير عاصم لهن .

شرح وايضاح :

تناول هذا النص مجموعة من قضايا المرأة في الافكار الاساسية الآتية :

أ - أهمية تربية المرأة تربية سالحة يقوم عليها بناء المجتمع السليم ، وقرر أن اهمال تربيتها في المجتمع الشرقي - في ذلك الحين - كان سبب التخلف وعدم اللحاق بالمجتمعات الراقية في أوروبا وغيرها من دول العالم المتقدم .

ب - وفي الفقرة الثانية اشار الشاعر الى دور المرأة في المجتمع وقدرتها على التأثير فيه ، فاذا ربيت تربية سالحة قدمت الى المجتمع جيلا ناعما : مثلها في ذلك مثل الحديقة اذا تمهدا صاحبها بالسقي ورعاها من كل ما يعوق نموها ، أورقت وأينعت وآمت أكلها الوانا مختلفة ، ولقد كانت الامومة ولا تزال عاملا فعلا في تكوين العظماء من كبار الاساتذة المصلحين ، الذين حفل التاريخ بتمجيدهم وهم ذكرهم الآفاق على مر السنين .

وفي الفقرة (ج) يعلن الشاعر عن موقفه من أصحاب المغالاة في السفور ، فهو ضد من يرى خروج المرأة تمشي في الاسواق ، دون حماية أو رقابة ، مضطلة بأعمال الرجال ، تاركة بذلك عملها في منزلها ورعاية شؤونه ، وهو عمل لا يقل أهمية عن أعمال الرجال في شتى الميادين .

وفي الفقرة (د) ينكر الشاعر موقف المغالين في التصفيق على المرأة ، فهو ضد من يرى حبسها في المنزل كأنها قطعة من اثاثه أو حلي وجواهر تحفظ في الخزائن والصناديق ، فان في هذا التصفيق ظالما للمرأة واجحافا بها ، وسببا من أسباب تخلفها وجمودها وعدم تطورها بتطور الزمان .

وفي الفقرة (هـ) يعلن الشاعر عن رأيه في مشكلة السفور والحجاب . وهو رأي وسط بين الاطلاق التام الذي يؤدي الى الانحراف والفساد ، وبين التصفيق الذي يؤدي الى الاجحاف والجمود . فمن حق المرأة أن تخرج من دارها للتعليم أو زيارة الطبيب أو غير ذلك مما تدعو اليه مطالب الحياة الكريمة في المجتمع .

وفي الفقرة (و) دعا الشاعر الى الاهتمام بتربية المرأة على الأخلاق الفاضلة فهي القوى عاصم لها يحميها في سفورها وحجابها

وعلينا أن نقدم لها قبسا من ضوء السلم والتربية ، ينير لها معالم الطريق ، وبذلك تتمكن من الاستفادة من تجاربها في الحياة ، وتسلك فيها على أساس قوي سليم، حيث يقودها حياء الأنوثة إلى سواء الطريق .

دراسة الأفكار :

النص الذي قدمناه لك من الأدب الاجتماعي ، تناول قضية تحرير المرأة ، وهي من أهم قضايا العصر الحديث التي احتلت مكانا بارزا في السياسة والاجتماع والأدب . وقد شعر رواد النهضة العربية أن صلاح المجتمع لا يتم الا بمساهمة المرأة فيه ، فهي المحور الذي تدور عليه حياة الأسرة .

وشان كل حركة اصلاح وتجديد ، ان تلقى من أنصار التجديد تأييدا ، ومن المحافظين مقاومة واعتراضا ، فدارت بينهم معارك أدبية وفكرية ، شملت جوانب كثيرة وكان من أبرزها قضية سفور المرأة وحجابها .

فموضوع النص هادف وبناء ، يدل على تفاعل الأدب مع المجتمع وتأثيره فيه ، وتلك رسالة مقدسة للفنون والآداب .

وقد تناول النص الافكار الأساسية الآتية :

- 1 - أهمية تربية المرأة .
- 2 - دور المرأة في المجتمع .
- 3 - موقف المتطرفين في سفور المرأة وحجابها .
- 4 - موقف الجامدين .
- 5 - رأي الشاعر في قضية سفور المرأة وحجابها .
- 6 - دعوة الى الاهتمام بتربيتها .

وأفكار النص سلسلة متناسقة ، تتابع حتى تؤدي الى نتيجة منطقية مقنعة . وليس في الأفكار غموض ولا عمق ، لأن الموضوع الذي عالجه الشاعر ثلاثمه البساطة والوضوح .

وإذا نظرنا الى رأي الشاعر في قضية السفور والحجاب ، لاحظنا انه يردد الأفكار التي تناسب المرحلة الوسطى في تاريخ تطور قضية تحرير المرأة ، كما مر بها المجتمع المصري ، وان حاول أن يتحدث عن المرأة بصورة عامة .

وقد مرت قضية تحرير المرأة في المجتمع المصري بمراحل ثلاث هي :

1 - مرحلة البعث : وفيها اتجهت الدعوة الى الاهتمام بالمرأة وتحسين حالتها ، والعمل على تثقيفها وتهذيبها داخل بيتها ، وكان من رواد هذه الحركة « جمال الدين الأفغاني » و « محمد عبده » ، وباحثة البادية « ملك حفني ناصف » .

2 - مرحلة الصراع : وقد بدأت بصيحات « قاسم امين » في كتابه تحرير المرأة ، وفيها تطورت القضية تطورا سريعا ، انتهت بمطالبة المرأة بالمساواة الكاملة بالرجل في جميع الحقوق . وفي هذه المرحلة ظهر اتجاهان متعارضان ، أحدهما طلب المساواة التامة بين الرجال والنساء ، وذهب الآخر الى نقيض ذلك . وقد أشار « حافظ » الى هذين الاتجاهين ، واتخذ لنفسه موقفا وسطا .

والذي يتأمل موقفه يجده غير محدد تحديدا دقيقا ، اذ لا يمكن القول بأن هذا الأمر ضروري أو غير ضروري بالنسبة لجميع الأفراد في كل المجتمعات .

ولعلك تلاحظ أن الشاعر قد اقترب من أصحاب المساواة في قوله :

فعلیکم ان تستين بناتکم نور الهدی وعلى الحیاء الباقي

فهو يؤمن بأن المرأة قادرة على خوض غمار الحياة بمفردها متى اعتركتها وجربتها ، بعد أن تنال قسطا من التعليم والثقافة ينير لها معالم الطريق .

3 - **مرحلة بلوغ الأهداف** : وهي المرحلة التي حققت فيها المرأة أهدافها ، وحصلت على مساواتها الكاملة بالرجل في معظم البلاد العربية ، وشاركته في الهيئات السياسية والاجتماعية على اختلاف أنواعها .

دراسة الأسلوب :

يقترّب أسلوب هذا النص من الأسلوب الخطابي الذي يقتمد على **التقرير والبرهان ، والتمثيل والإقناع ، والنصح والإرشاد ، والتبسيط والتوضيح** . وكل هذه الأمور التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدته ، تختلف عن الأسلوب الشعري الجيد ، الذي يقوم على الرمز والإيحاء .

ولعل الشاعر كان مضطرا إلى استخدام الأسلوب المباشر ، لأن طبيعة الموضوع الذي يعرضه ، والهدف التربوي الذي ينشده بلانهما هذا النوع من الأسلوب . ومع ذلك فقد استعان الشاعر - أحيانا - بالصور البلاغية لتوضيح فكرته . من ذلك مثلا : **التشبيه** ، في الأبيات (2 ، 3 ، 8) :

« الأم مدرسة » .

فهو تشبيه بليغ .

« الأم روض »

فهو تشبيه بليغ .

« في دورهن شؤونهن كثيرة كشؤون رب البيت . . . »

فيه تشبيه تمثيلي .

والكناية في البيتين (7 ، 15) :

« نواعس الأحداق » .

كناية عن المرأة .

« وعليكم أن تستبين بناتكم نور الهدى » .

كناية عن تلمح المرأة بالمعلم .

وفي النص أساليب انشائية منها : **الاستفهام في البيت (1) :**

« من لي بتربية النساء ؟ » .

والمراد منه **الترجي** ، والهدف تشويق السامع والقارئ وجذب انتباهه .

والامر في البيت (13 ، 14) :

- « فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا » .
- « ربوا البنات على الفضيلة » .

والمقصود منهما النصح والإرشاد .

وفي النص محسنات بديعية ، كالطباق في البيت (13) :

« التقييد والاطلاق » .

ولعلك تلاحظ أن في بعض القوافي شيئاً من الضعف ، من ذلك قوله في البيت (9) :

« الحجب والتضييق والارهاق » .

فليس لكلمة الارهاق دلالة قوية في هذا المكان بمد كلمتي الحجب والتضييق .

مجمل القول

- النص من الأدب الاجتماعي البناء ، الذي يدل على أصالة الشاعر وارتباطه بمجتمعه .
- أفكاره مرتبة منظملة ، فيها بساطة وسهولة وإقناع ، تعتمد على مخاطبة العقل أكثر من مخاطبة الوجدان .
- أسلوبه مباشر لا يعتمد كثيراً على الصورة والخيال ، لأنه يهدف إلى التقرير والتدليل والنصح بالفاظ واضحة وجمل منسجمة .
- والنص من بحر الكامل ، ووزنه :
- متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن .

المناقشة :

- 1 - بماذا فسر الشاعر سبب تخلف الشرق ؟
- 2 - « وراء كل عظيم امرأة » كيف عبر الشاعر عن هذه الفكرة ؟ وما رأيك فيها ؟
- 3 - هل يرى الشاعر مساواة الرجل بالمرأة في كل شيء ؟ وما الأسس التي بنى عليها رايه ؟
- 4 - لخص موقف الشاعر في مشكلة سفور المرأة وحجابها .
- 5 - أعطى الشاعر تربية الفتاة أهمية عظيمة . ففي أي أبيات النص تلاحظ ذلك ؟
- 6 - أي الصفات الخلقية الح عليها الشاعر في تربية المرأة ؟ وما رأيك فيها ؟
- 7 - الشاعر شديد التأثير بالقضية التي يناقشها . في أي عبارات النص تلمس ذلك ؟
- 8 - لماذا اعتمد الشاعر على الأسلوب الخبري في معظم أبيات النص ؟
- 9 - تخير من النص صورة بيانية ومحسنا بديعيا واشرحهما ، موضحا سر جمالهما في المعنى والأسلوب .

تدريب تطبيقي

المقال الأدبي :

« لقد وضع الاسلام للمرأة اسسا تربوية سليمة تناسب طبيعتها وتلائم كل عصر ».

— تحدث عن هذه الاسس مستعينا بأفكار الشاعر ما أمكن .

السؤال الكتابي :

« لقد أصبحت المرأة في البلاد المتقدمة صناعيا مثل اوربا وامريكا وروسيا

واليابان ، جزءا في عجلة الانتاج » . فهل بلغت قمة أهدافها وسعادتها ؟

— ناقش هذه الفكرة مع التمثيل والاستشهاد .

مأذج من شعره :

أ - تهنئة أحمد شوقي بك (*)

اشدت في المهرجان الذي اقيم لتكريم امير الشعراء احمد شوقي بدار « الأوبرا »

في 29 ابريل سنة 1928 م ، وقد اشترك فيه بعض الشعراء من مختلف الاقطار

العربية . ومما قاله حافظ ابراهيم في هذه المناسبة ما يلي :

وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَمَتْ مَعِي

عَلَى سَاكِنِي النُّهْرَيْنِ وَاصْدَحْ وَأَبْدِعْ (1)

وَمَزَعَى الْمَهَا مِنْ سَارِحَاتٍ وَرَتَّعْ (2)

نَصِيْبًا مِنَ السَّلْوَى وَقَسِّمْ وَوَزِّعْ

وَفِي الشِّعْرِ زُهْدُ النَّاسِكِ الْمُتَوَرِّعِ

وَأَنْتَ لِرِيِّ النَّفْسِ أَعْدَبُ مَنْبَعِ

وَأَفْنِدةٌ شُدَّتْ إِلَيْهَا بِأَنْسَعِ (3)

أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ آتَيْتُ مَبَايِمًا

فَعَنَّ رُبُوعَ النَّيْلِ وَاغْطَفَ بِنَظَرَةٍ

وَلَا تَنْسَ (نَجْدًا) إِنَّهَا مَنِيَّتُ الْمَهْوَى

وَحَيِّ دُرًّا (لُبْنَانَ) وَاجْعَلْ (لِتَوْئِيسِ)

فِي الشِّعْرِ حَثَّ الطَّامِحِينَ إِلَى الْعُلَا

وَفِي الشِّعْرِ إِحْيَاءُ النَّفُوسِ وَرِيئَهَا

فَنِيَّةٌ عَقُولًا طَالَ عَمْدُ رَقَادِهَا

(*) ديوان حافظ ابراهيم ج 1 .

1 - يريد ساكني النهريين : أهل العراق ، والنهرين دجلة والفرات . 2 - المهّا : بقر الوحش ، الواحدة مهةة ، والمراد بهن النساء الجميلات ، وحافظ ابراهيم يريد من شوقي أن يتغنّى بنجد في شعره كما يتغنّى بأهل مصر . 3 - الأنسع : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلود تشد به الرجال يريد وصف الأفئدة الحظييد في اغلال المعدات القديمة .

فَقَدْ غَمَّرْتَهَا مِحْنَةً فَوْقَ مِحْنَةٍ
وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا زِلْتَ قَادِرًا
وَوَخَذَ بِزِمَامِ الْقَوْمِ وَأَنْزَعَ بِأَهْلِهِ
تَغْيِيرَ الدُّنْيَا وَقَدْ كَانَ أَهْلَهَا
وَكَانَ بَرِيدَ الْعِلْمِ عِيرًا وَأَيْتَقَا
فَأَصْبَحَ لَا يَرْضَى الْبَحَارَ مَطِيئَةً
وَقَدْ كَانَ كُلُّ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ نَبَلَةٍ
وَنَحْنُ كَمَا غَتَّى الْأَوَائِلُ لَمْ نَزَلْ
عَرَفْنَا مَدَى الشَّيْءِ الْقَدِيمِ فَهَلْ مَدَى
لَدَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَوَادِثِ عُدَّةٌ
فِيَا ضَيْعَةَ الْأَقْلَامِ إِنْ لَمْ نُقِمِ بِهَا
أَتَمَّشِي بِهِ شَمَّ الْأَنْوُفِ عُدَاتُهُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ يَا بَنِي الشَّرْقِ أَنْ تَرَى
وَأَعْلَامُهُ مِنْ فَوْقِهِ غَيْرَ خُفْقٍ
وَكَيفَ يُوقِي الشَّرَّ أَوْ يَبْلُغُ الْمُنَى
فَإِنْ كُنْتَ قَوْلًا كَرِيمًا مَقَالُهُ

وَأَنْتَ لَهَا يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ فَادْفَعِ
عَلَى النَّفْعِ فَاسْتَهْضِ بِيَانِكَ وَانْقَعِ
إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلْيَاءِ أَكْرَمَ مَنْزِعِ
يَرُونَ مُتَوْنَ الْعَيْسِ أَلَيْنَ مَضْجَعِ
مَتَى يُبَيِّهَا الْإِيْجَافُ فِي الْيَدِ تَطْلَعُ (1)
وَلَا السِّلْكَ فِي تَيْسَارِهِ الْمُتَدَفِّعِ
فَأَصْبَحَ بَعْضَ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ مِدْفَعِ
نُعْنِي بِأَرْمَاجِ وَيَبِيضِ وَأَذْرِعِ
لِشَيْءٍ جَدِيدٍ حَاضِرِ النَّفْعِ مُنْتَجِعِ
وَعَدْتَنَا نَدْبَ التُّرَاثِ الْمُضِيِّعِ
دِعَامَةَ رُكْنِ الْمُنْشَرِقِ الْمُتَزَعْرِعِ
وَرَبُّ الْحَيِّ يَتَمَّشِي بِأَنْفِ مُجَدِّعِ
كَوَاكِبُهُ فِي أَفْقِهِ غَيْرَ طَلَّعِ
وَأَقْلَامُهُ مِنْ تَحْتِهَا غَيْرَ سُرَّعِ
عَلَى مَا نَرَى مِنْ شَمْلِهِ الْمُتَصَدِّعِ
فَقُلْ فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالشَّرْقِ أَوْدَعِ

ب - رثاء سعد زغلول (*)

يَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمَصَابَا
يَبْلُغُ الْمَشْرِقَيْنِ قَبْلَ انْبِلَاجِ الصُّبْحِ
أَيْتَنَ سَعْدٌ؟ فَذَلِكَ أَوَّلُ حَفْلٍ
لَمْ يَمُودْ جُنُودَهُ يَوْمَ حَطْبِ
عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ، عَلَّ سُقْمًا
كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النُّفُوسِ انْصَابَا
غَابَ عَنِ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخَطَابَا
أَنْ يُنَادِي فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
قَدَعَرَاهُ، لَقَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا

(*) ديوان حافظ إبراهيم ج 2 .

(1) العير : القافلة ، الإيجاف : الإسراع ، تصلع : تخرج في مشيتها .

أَي جُودَ الرَّئِيسِ ، نَادُوا جَهَارًا !
 إِنَّهَا النَّكْبَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخْشَى
 إِنَّهَا اللَّفْظَةُ الَّتِي تَسِيفُ الْأَنْفُسَ نَسْفًا وَتَفْقُرُ الْأَصْلَابَا
 حَسْرَةً عِنْدَ أَنْتِهِ ، عِنْدَ آهِ
 خَرَجْتَ أُمَّةً تُشِيعُ نَفْسًا
 حَمَلُوهُ عَلَى الْمَدَافِعِ لَمَّا
 حَالَ لَوْنُ الْأَصِيلِ وَالذَّمْعُ يَجْرِي
 وَسَمَا الْبَيْلُ عَنْ سَرَاهُ ذَهُولًا
 ظَنَّ يَا سَعْدُ أَنْ يَرَى مَهْرَجَانًا
 لَمْ تَسُقْ مِثْلَهُ فَرَاعِينَ مِصْرِي

ج - اللغة العربية (*)

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَهَمْتُ حَصَاتِي
 رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَابْتَنِي
 أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْتَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا
 وَأَسْمَعُ لِلْكَتَابِ فِي مِصْرٍ ضَجَّةً
 أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي ؟ ! - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ -
 سَرَتْ لَوْثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى
 فَجَاءَتْ كَتُوبٌ صَمٌّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
 إِلَى مَعْشَرِ الْكَتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ
 فَأَمَّا حَيَاةٌ تَبَعَتْ الْمَيْتَ فِي الْبَلَى
 وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
 عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
 فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَّ عَنْ صَدَقَاتِي
 مِنَ الْقَبْرِ يُدِينُنِي بِغَيْرِ أَنْأَةٍ
 فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نَعَاتِي
 إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرِوَاةِ
 لِعَابِ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فِرَاتِ
 مُشَكَّلَةَ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
 بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايَتِي
 وَتُنِبْتُ فِي تِلْكَ الرَّمُوسِ رُفَاتِي
 مَمَاتٌ لِعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ

(*) ديوان حافظ ابرهيم ج 1

د - عادة اليابان (*)

نشبت حرب بين الروس واليابان سنة 1904 - 1905 م ، وكان النصر فيها حليف اليابان ، فراح الشاعر ينعي على قومه خنوعهم ويستحثهم على الاقتداء بشعب اليابان الشجاع الأبوي ، الذي تمثله عادة كان قد علق بها .

لَا تَلَمْ كَفِي إِذَا السَّيْفُ نَبَا (1)
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعِيهِ
مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ (2) يَبْلُونِي إِذَا
عَقْنِي الدَّهْرُ ، وَلَوْلَا أَنِّي
إِيهِ يَأْذِنِيَا اغْيِسِي أَوْ فَابِسِي
أَنَا ، لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمَّتِي
أُمَّةٌ قَدَفَتْ (3) فِي سَاعِدِهَا
تَعْتَقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَى ،
وهي وَالْأَحْسَادُ تَسْتَهْدِفُهَا ،
لَا تَبَالِي لِعِبِّ الْقَوْمِ بِهَا
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي عَادَةً (4)
حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَاً ،
وَأَتَتْ تَخْطِرُ (5) وَاللَّيْلُ فَتَى
ثُمَّ قَالَتْ لِي بَغِيرِ بَائِسٍ

صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالِدَّهْرُ أَبِي
أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
كَانَتْ الْعَلِيَاءُ فِيهِ السَّبَابَا
أَوْثِرُ (3) الْحُسْنَى ، عَقَقْتُ الْأَدْبَا
لَا أَرَى بَرَقَكَ (4) إِلَّا خُلْبَا
خَادِلًا ، مَا بَتَّ أَشْكُو التُّوبَا (5)
بَعْضَهَا الْأَهْلَ وَحُبَّ الْغُرْبَا
وَتَفَدِّي بِالنَّفُوسِ السَّرْبَا
تَعَشَّقُ اللَّهُوَ وَتَهْوَى الطَّرْبَا
أَمْ بِمَا صَرَفَ اللَّيَالِي لِعِبَا (6)
ذَاتَ شَجْوٍ (8) ، وَحَدِيثًا عَجَبَا
وَهَبَّ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا !
وَهِيَ اللَّالُ الْأُفْقِي فِي الْأُفْقِي حَبَا
نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَّابَا (11)

(*) ديوان حافظ ابراهيم ج 2 .

- 1 - نبا السيف : كل عن الضرب وارتد ولم يقطع . 2 - الخطب : المصيبة - بلاه : اختبره وامتحنه .
- 3 - عقتي : انكر فضلي . اوثر : افضل . 4 - البرق الخطب : هو البرق الذي يكون فيه سحب لا مطر فيه ، لكانه يخدع .
- 5 - التوب : جمع التوبة : وهي المصيبة . 6 - فت في ساعدها : اضعفها . 7 - صرف الزمان : نوابه
- 8 - الشجو : الهم والحزن . 9 - الفادة : الفناء النامة اللينة الاعطف . 10 - تخطر : تمشى بدلال - الليل فتى : - في اوله حبا : زحف كالطفل ، وهنا استمارة . 11 - نظم الؤلؤ : جمعه في سلك - العجب : الفنايع التي تملو الماء . الدر والحجب هنا استعيرنا للدلالة على الاسنان .

نَبِّؤُونِي بِرَجِيمٍ عَاجِلٍ
 وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَعْتَدِي
 نَذْبِخَ الدَّبَّ وَنَقْرِي (١٢) جِلْدَهُ
 قُلْتُ ، وَالْأَلَامُ تَقْرِي مُهْجَتِي
 مَا عَمِدْنَاهَا لِظَنِّي مَنْرَحًا
 فَسَلِينِي ، إِنَّنِي مَارَسْتَهَا
 وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ
 قَطَبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا
 جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا
 فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا
 فَأَجَابْتَنِي بِصَوْتٍ رَاعِنِي
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَعْدَبُوا وَرَدَّ الرَّدَى
 أَنَا يَا بَانِيَّةً لَا أَتُحْنِي
 أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّمْيَ وَلَمْ
 أَخْدُمُ الْجَرَحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ

لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبًا
 عَلَّيْهِ أَقْضِي لَهُ مَا وَجِبَا
 أَيُّظُنُّ الدَّبَّ إِلَّا يُغَلَبَا ؟
 وَيَاكَ ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا ؟
 يَتَغَيُّ مَلْهُمِي بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
 وَرَكِبْتَ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبَا
 أَسَدَلُ النَّعْمُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا (١٣)
 فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطَبَا
 تَحْتَ ذَلِكَ النَّعْمِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى (١٤)
 وَالزَّمِي يَا ظَبِيَةَ الْبَانَ الْخَبَا
 وَأَرْتَنِي الظُّبِي لَيْثًا أَغْلَبَا (١٥)
 كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَّا أَشْرَبَا
 عَنِ مُرَادِي أَوْ أَدْوَقَ الْعَطَبَا
 تَسْتَطِيعُ كَفَّايَ تَقْلِبَ الظُّبَا (١٦)
 وَأُوَاسِي فِي الْوَعَى (١٧) مَنْ نُكِبَا

12 - الدب : حيوان هو ومز روسيا - نقري : تقطع نمزق . 13 - الردى : الموت - النقع : الفبار -
 الهيدب : السحاب التذلى . 14 - الهيدبي : نوع من مشي الخيل فيه جد . 15 - راعني : اخافني .
 الالطب : الفليظ الرقة . 16 - اللبي : جمع ظبة : حد السيف او السنان . 17 - الوسى : واعزي
 الوغى : الحرب .

تمليق

(« احمد امين » على الشعر الاجتماعي عند حافظ ابراهيم*)

« قد يؤخذ عليه انه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية ، ولم يكن فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها ، ودرس حججها كموقفه في مسألة الحجاب والسفور ، لقد هرب من ابداء رأيه فيها ، ولم يتحيز الى أحد الفريقين ، وترك المتنازعين يتنازعون في حرية المرأة وتقييدها ، وحلق في المسائل العامة ، وكموقفه ازاء دعوة قاسم امين ، فقد حكى عنه بعض اصدقائه رواية عنه ، انه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة ، وإن كان قال فيه شعرا ، ولم يقطع باصابة قاسم او خطئه . ويظل على هذا حتى في رثائه فيقول :

إِنَّ رَيْتَ⁽¹⁾ رَأْيَا فِي الْحِجَابِ وَلَمْ
تُعَصِّمْ فَيْتَلَّكَ⁽²⁾ مَرَاتِبِ الرُّسُلِ
الْحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرْجِعُهُ
فِيمَا رَأَيْتَ فَنَمَ وَلَا تَسْأَلِ
فَإِذَا أَصَبْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ فِتَى
وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
أَوْ لَا ، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفْتَ بِهِ
وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلِ
فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأي ، او هو لا يريد .

ولكن قد يخفف من هذا النقص ان هناك فرقا كبيرا بين الاديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الاشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالاشياء الأخرى ، وعلاقتها بالظروف التي تحيط بها ، على حين ان الاديب يلاحظ الاشياء من حيث علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الأخلاقية ، فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكتشف كل الطبايع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخرى ، ووظيفة كل جزء منه والتغيرات التي تطرأ عليه ، أما الاديب فلا يهمه كل ذلك ، انما النبات في نظره قد خلق لجماله ، وليست شجرة الورد في نظره الا زهرته الجميلة وأريجها العطر . فهذه الناحية الخاصة التي يعني بها الاديب لتغفر لحافظ قلة عمقه في البحث وامعانه في الدرس ، وتخفف حدة نقدنا في انه كان ينظر الى الاشياء نظرة عامة من ناحية ايصالها لعواطف الجمهور .

(*) المرجع : مقدمة احمد امين لديوان حافظ .

(1) ريت : رأيت ، فحذف الهمزة للوزن ويشير في هذا البيت الى دعوة قاسم امين الى سفور المرأة .

(2) تلك اشارة الى المعصية .



وقفة على قبور الشهداء محمد العيد آل خليفة

7

(1904 م - 1323 هـ)

تعريف وتمهيد :

ولد « محمد العيد بن محمد علي بن خليفة » في مدينة عين البيضاء عام 1904 م ، ونشأ في أسرة محافظة على تقاليدها(*) الاسلامية وثقافتها العربية ، فحفظ القرآن الكريم وتلقى دروسه الابتدائية ومبادئ العلوم الدينية واللغوية في عين البيضاء ، وبسكرة .

وفي عام 1921 رحل إلى « تونس » ودرس عامين بالزيتونة ، ثم عاد الى بسكرة عام 1923 واشتغل بالتدريس في المدارس الحرة ، ونشر بعض قصائده في صحف مختلفة منها : صدى الصحراء ، والمنتقد ، والشهاب ، والاصلاح .

وفي عام 1927 م انتقل الى العاصمة ، وعمل مديرا لمدرسة الشبيبة ، وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان الشاعر من ابرز اعضائها ، واسهم في نشاطها التعليمي ، وتنقل ما بين العاصمة « الجزائر » ، وبسكرة ، وباتنة ، وعين مليلة ، بالشرق الجزائري ، ونشر العديد من قصائده في : الشريعة ، والسنة ، والصراف والبصائر ، والمرصاد ، والثبات .

وبعد اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى في نوفمبر 1954 م ، القى المستعمرون القبض عليه ، وزجوا به في السجن ، وبعد أن أفرجوا عنه حددوا اقامته في بسكرة وعزلوه عن المجتمع ، وظل تحت الرقابة حتى تم استقلال الجزائر عام 1962 م . وللشاعر ديوان تناول فيه قضايا وطنه الجزائري والعربي والاسلامي ، وهو سجل صادق لاحداث عصره وتاريخ بلاده(**) .

وقد ضحت الجزائر في سبيل حريتها تضحية يعترف بها التاريخ ، وكانت جبال « الأوراس » من المراكز الاساسية التي انطلقت منها الثورة ، وقدمت عشرات الآلاف من ابنائها الأبطال ضحايا في سبيل تحرير الجزائر واستقلالها ، فوقف الشاعر على ثبورهم في عيد الأضحى عام 1965 م - 1384 هـ وجاشت عواطفه بالقصيدة التالية

(*) كان والده محمد علي تاجرا محبًا للتصوفية والعلماء يتصل بهم ويأخذ عنهم ويبالغ في اكرامهم. وقد أسس مسجدا في عين البيضاء .

(**) وله مؤلفات أخرى يقول منها : أما مؤلفاتي فهي مدرسية لا غير . منها رواية بلال بن رباح وأنشودة الوليد في يوم المولد السعيد ، وقد طبعنا . واملاوات علمية وأخلاقية ورواية الهداية بعد الفواية وارجوزة قواعد الارشاد في تربية الاولاد ، نظمت بها آراء الفزالي في تربية الناشئة ولم تطبع بعد

(أ)

- 1 - رَحِمَ اللَّهُ مَعَشَرَ الشُّهَدَاءِ
2 - وَسَقَى بِالنَّعِيمِ مِنْهُمْ تُرَابًا
وَجَزَاهُمْ عَنَّا كَرِيمَ الْجَزَاءِ
مُسْتَطَابًا مُعْطَّرَ الْأَرْجَاءِ

(ب)

- 3 - هذه في الثرى قُبُورٌ حوتهم
4 - أيها الزَّائِرُونَ سَاحَةً طَهَّرَ
5 - شُهَدَاءُ التَّمُودِيِّينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ
6 - لَمْ أَجِدْ فِي الرِّجَالِ أَعْلَى وَسَامًا
أَمْ قُصُورٌ تَسْمُو عَلَى الْجَوَازِءِ ؟
قُدْسِيَّ وَعِزَّةَ قَعَمَاءِ
سُرَّجِ الْأَرْضِ بَلْ نُجُومِ السَّمَاءِ
مِنْ شَهِيدٍ مُخَضَّبٍ بِالِدَّمَاءِ

(ج)

- 7 - إِنَّ ذَكَرِي الشَّهِيدِ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ
8 - فَأَقِيمُوا لَهُمْ تَمَائِيلَ عِزِّي
9 - وَاقْتَدُوا وَاتَّبَعُوا بِهِمْ فِي الْمَزَايَا
10 - وَاخْلُفُوهُمْ بِالصَّدَقِ فِي خِدْمَةِ الشَّعْبِ وَفِي أَهْلِهِمْ وَفِي الْأَبْنَاءِ
تَرْفَعُوهَا بِالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
فِي قُلُوبِ نَوَارِيَةِ الْأَهْوَاءِ
وَإِنَّهُمْ أَهْلُ قُدُودَةٍ وَأَيْتِيَاءِ

(د)

- 11 - إِنَّهُمْ قَادَةُ الْفَيْالِقِ فِي الزَّحْفِ لِخَوْضِ الْمَعَارِكِ الْحَمَّاءِ
12 - إِنَّهُمْ رَادَةُ الْبَطُولَةِ فِي النَّصْرِ وَعِزِّ الْجَمِيِّ وَرَفْعِ اللَّوَاءِ
13 - إِنَّهُمْ أَوْفُوا الْعُهُودَ فَهَلْ أَنْتُمْ لِمِشَاقِهِمْ مِنَ الْأَوْفِيَاءِ ؟
يَنْتَهَمُ قَادَةُ الْفَيْالِقِ فِي الزَّحْفِ لِخَوْضِ الْمَعَارِكِ الْحَمَّاءِ
يَنْتَهَمُ رَادَةُ الْبَطُولَةِ فِي النَّصْرِ وَعِزِّ الْجَمِيِّ وَرَفْعِ اللَّوَاءِ
يَنْتَهَمُ أَوْفُوا الْعُهُودَ فَهَلْ أَنْتُمْ لِمِشَاقِهِمْ مِنَ الْأَوْفِيَاءِ ؟

(هـ)

- 14 - إِنَّمَا تُرْبَةُ الْجَزَائِرِ مَهْدٌ
عَبَقَرِيَّ لِثَوْرَةِ الْعُظَمَاءِ

(*) ديوان محمد العيد آل خليفة .

4 - عزة نصباء : نايبة بارزة . 7 - الصخرة الصماء : الصلبة المتينة . 9 - المزاي : المحاسن والفضائل . 11 - الفيالق : جمع فيلق وهو الجيش العظيم . 12 - رادة : جمع رائد .

- 15 - وهي أرض الاسلام ذي المبدأ السَّمْح وَأَرْضُ الْعُرُوبَةِ الْعَرَبَاءِ
 16 - هكذا كانتِ الجزائرُ مِيعاً دَأْ كَرِيماً لِأَقْدَسِ الْإِيحَاءِ
 17 - تَتَعَالَى مَنَائِرُ الْحَقِّ فِيهَا مِنْ بَعِيدٍ لِخَائِضِي الظُّلْمَاءِ
 18 - ثَوْرَةُ الشُّعْرِ أَتَجَّتْ ثَوْرَةَ الشَّعْبِ ، وَعَادَتْ عَلَيْهِ بِالْآلَاءِ
 19 - كُلُّ مَنْ لَمْ يَثْرَعْ عَلَى الْهُونِ وَالذُّلَّةِ دَانَتْهُ أَرْجُلُ الْأَقْبِيَاءِ

(و)

- 20 - أَيُّهَا الشَّعْبُ أَنْتَ مُلِيمٌ شِعْرِي فِي كِفَاحِي وَمُلْهِبٌ الْأَحْشَاءِ
 21 - أَيْنَ مِنَّا مَا سَأَمْنَا مِنْ عَذَابٍ أَيْنَ مِنَّا مَا سَاءَنَا مِنْ شِقَاءِ
 22 - جَلَّ مَنْ أَخْضَعَ الطُّغَاةَ فَذَلُّوا ، وَعَلَيْهِمْ قَضَى بِحَكْمِ الْجَبَلِ
 23 - أَصْبَحَتْ أَرْضُنَا مِثَالاً مِنَ الْفِرِّ دَوَّسٍ فِي أَمْنٍ شَعْبَيْهَا وَالْهِنَاءِ

شرح وايضاح :

(أ) بدأ الشاعر قصيدته بالترحم على الشهداء والدعاء لهم بأن يطيب الله ثراهم ، ويجزيهم عن تضحيتهم بأرواحهم أطيب الجزاء .

(ب) وفي الفكرة الثانية يسمو الشاعر بمكانة الشهداء فيرى في قبورهم قصورا تطاول النجوم علوا في قيمتها ومكانتها ، وفي الساحة التي تجمع قبورهم أرضا مقدسة خالدا مجدها خلود الدهر ، فشهداؤها مصابيح تضيء في الأرض ، ونجوم تشرق في السماء ، وهم أعلى امثلة الرجولة والفداء .

(ج) ثم يخاطب الشاعر شعبه موضحا له الطريقة المثلى لتكريم الشهداء فيقول : ليست قيمة الشهداء ماثلة في هذه النصب التذكارية ، أو تلك التماثيل الحجرية التي نرفعها شامخة في الميادين والساحات ، وإنما يجدر بكم أن تتمثلوا بطولاتهم في نفوسكم ، وأن ترسموا صورهم في قلب كل حر وناثر ، وأن تكونوا أوفياء لمهودهم ، بررة بهم في أهلهم وأبنائهم وشعبهم ، فتؤدوا نحوهم الواجب وترعوهم بأمانة ، وتخدموهم بصدق واخلاص .

(د) ثم يبين الشاعر فضل الشهداء ودورهم النضالي ، فقد زادوا عن الحمى ودافعوا عن راية العزة ، وقادوا الجيوش في المعارك الشديدة من نصر الى نصر ، وكانوا بعملهم هذا أوفياء لمهدهم في التضحية من أجل بلادهم وشعبهم ، فيجب أن يكون كل جزائري وفياء لعهدده ، في أداء الأمانة التي تحمل اعباءها .

(هـ) ويشيد الشاعر بالثورة الجزائرية المباركة ، فهي ثورة عظيمة نبتت في أرض الثوار ، وسبقها روافد العروبة والاسلام ، وبهذه الثورة أصبحت الجزائر منارة تضيء طريق الحرية ، وقد أدى الشعر دوره في هذه الثورة فعبا المشاعر ، وخاض معارك الفضال حتى جنى ثمار كفاحه ، وهكذا يفوز بالحرية من بضحي في سبيلها ، ويسحق تحت الاقدام كل جبان مستكين .

(و) ومن الشعب يستمد الشاعر وحي انشاده وثورته ، فهو القوة التي اخضعت الطفافة ، واذلت كبرياءهم ، بعد أن لقي من المستعمرين ألوان العذاب والهوان ، ولكن ثورته المباركة حققت الجلاء ، وجملت من الجزائر الحرة جنة آمنة ، يستمتع أهلها بالهدوء والامن والسلام .

دراسة الأفكار :

موضوع هذا النص من الأدب التحرري الذي يمجّد البطولات والاستشهاد في سبيل الحرية ، ويسجل الثورات والمواقف الوطنية ، وهذه نزعة جديدة في الشعر العربي الحديث - كما مر بك - وقد ارتبط وجودها بوجود الاستعمار الأوربي في البلاد العربية . وقد امتاز هذا النوع من الشعر بصدق العاطفة ، وقوة الانفعال ، وحرارة التأثير ، لان الشاعر معاصر لتجربته يعيش أحداثها وينفعل بها ، وقد مست كل جوانب حياته ، فجاء التعبير عنها صادقا واصيلا .

وفي هذا النص مجموعة من الأفكار ، فيها ترحم على الشهداء وبيان فضلهم ، ونصح وتوجيه للعمل الاجتماعي الصحيح ، وفخر واعتزاز بالجزائر وثورتها ، وكان من الممكن أن تكون كل فكرة موضوع قصيدة ، ولكن الشاعر استطاع أن يربط بينها في جو نفسي واحد .

والنص صورة صادقة للشاعر ومجتمعه ، ففيه روح المصلح الذي يدعو الى قيم خلقية ، ومبادئ اجتماعية : كتمجيد النضال ، وتقديس الشهداء ، وتوضيح ما يجب على الأحياء من تحقيق العدالة الاجتماعية ، ورعاية الأهداف التي من أجلها ضحى الشهداء . وفيه تصوير لحالة المجتمع الذي عاش فيه بعد الثورة ، من أسر فقدت شبابها ورجالها ، وضحت بشهدائها من أجل غايات عظيمة تطمح في تحقيقها بعد ما قدمت لها الشهداء .

وأفكار النص واضحة وبسيطة تناسب طبيعة المجتمع الذي يتحدث اليه الشاعر ، والموضوع الذي يعالجه . وتبدو روح المعلم والأستاذ في النصائح المتكررة التي وجهها الشاعر الى سامعيه وقارئيه .

وفي النص مظهر من مظاهر التجديد ، يتجلى في افتخار الشاعر بقوميته ووطنه . وقد ألف الشعراء العرب الفخر بالنفس أو القبيلة في العصور السابقة .

دراسة الأسلوب :

يتميز أسلوب النص بوضوح العبارة وسلامة التعبير اللغوي ، وتبدو آثار الثقافة الإسلامية واضحة فيه .

كما ترى في استخدام كلمات : **عزة قعاء - فياق** ، وغيرها من الكلمات **الجزلة** القوية ، وكما ترى في كلمات : **الإسلام والظفر - رحم الله - أوفوا العهود** ، وغيرها من الأساليب والألفاظ التي توحى بأثر الثقافة الإسلامية عند الشاعر في هذا النص . وقد وضع الشاعر أفكاره في أساليب بلاغية مختلفة منها قوله في البيت (5) :

شهداء التمدين في كل عصر سرج الأرض بل نجوم السماء
فهو تشبيه بليغ ، يوحى بأثر الاستشهاد في تحرير الإنسانية والخروج بها من ظلمات العبودية إلى نور الاستقلال والحرية ، وبهذا يبذل الإنسان النفس والنفس في سبيل نيلها .

وقوله في البيت (6) :

لم أجد في الرجال أعلى وساما من شهيد مخضب بالدماء
فيه استعارة توحى بجمال منظر الدماء مع أنها في الحقيقة مثيرة للنفس معدبة للمشاعر الرقيقة ، ولكنها من أجل الحرية محبوبة وجميلة .

وكذلك قوله في البيت (17) :

تعالى منائر الحق فيها من بعيد لخائفي الظلماء
استعارة تدل على مدى التخبط الذي تعيش فيه الشعوب المغلوبة ، يوحى بالاشمئزاز من حياتهم ، وهذا يدفعهم إلى التخلص من واقعهم بالثورة على المستعمرين .

وقد تنوع أسلوب الشاعر بين **الخبر والأنشاء** ، ففي البيت الأول «**رحم الله**» ، وفي البيت الثاني «**سقى النعيم**» أسلوب خبري ، المقصود منه الدعاء .

وفي البيت الثالث «**أم قصور تسمو على الجوزاء؟**» استفهام المقصود منه التعظيم . وفي الأبيات (8 ، 9 ، 10) :

فأقيموا لهم تماثيل عز في قلوب ثورية الأهواء
واقندوا وأتسوا بهم في المزايا انهم أهل قدوة وائتساء
واخلفوهم بالصدق في خدمة الشعب وفي أهلهم وفي الأبنساء

امر ، المقصود منه النصح والارشاد .

ومن أساليب القصر في النص قوله : « انما تربة الجزائر مهد عبقرى .. » ، وهذا القصر يوحي بأن الجزائر موطن الثوار وان شعبها محب للثورة ، والتضحية من اجل الحرية .

واستعان الشاعر بالمحسنات البديعية المختلفة مثل .

— الجناس في : « قبور - قصور » ، (3)

— وفي : « ملهم - ملهب » ، (20)

— والطباق في : « الأرض - السماء » ، (5)

— وفي : « منائر - ظلماء » . (17)

— والتخصيص بعد التعميم في قوله :

واخلفوهم بالصدق في خدمة الشعب وفي اهلهم وفي الأبناء (10)

فقد ذكر الأهل والأبناء مع بقية الشعب ، ثم عاد وأفرد ذكرهم زيادة في الاهتمام بهم ، وهذا يدفع الإنسان الى التضحية ، ويشجعه على الفداء ، لانه متى شعر بأن أهله وأبنائه محل رعاية وموضع تقدير اذا ما أستشهد هانت عليه التضحية ، ورخصت عليه نفسه في سبيل حرية بلاده ، وفي النص العديد من الصور البلاغية والمحسنات البديعية يمكنك الوقوف عليها وادراك سر جمالها .

مجمل القول

- النص من الأدب التحرري ، يمتاز بصدق العاطفة وقوة الانفعال .
- افكار النص مترابطة ، وجوها النفسي واحد ، وهي تقدم صورة صادقة عن الشاعر ومجتمعه تتجلى فيها روح المصلح الثائر ، وتصوير للشهداء وأسراهم .
- يتميز أسلوب النص بوضوح العبارة ، وتبدو فيه الثقافة الإسلامية ، وصوره البلاغية جيدة لها تأثيرها في المعنى ، وقد تنوع بين الخبر والانشاء المختلف الأنواع والمتعدد الأغراض ، واكتسى من البديع أثوابا مناسبة تزيد الأسلوب رونقا وجمالا .
- وفي النص من مظاهر التجديد : اختيار الموضوع ، والامتزاج الوجداني بين الشاعر وموضوعه ، والفخر بالقومية والوطنية ، والنزعة الثورية الجادة ، وتقدير شهداء الحرية .
- والنص من بحر الخفيف ووزنه :
- « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن »

المناقشة :

- 1 - كيف صور الشاعر قبور الشهداء ؟
- 2 - لماذا نكرم الشهداء ؟
- 3 - في النص تصوير لحالة الشعب الجزائري بعد انتصار الثورة ،
ففي أي الأبيات ؟ وما رأيك في هذه الصورة ؟
- 4 - قال الشاعر :

كل من لم يثر على الهون والذلة داسته أرجل الأقباء

وقال « شوقي » :

وَلِلْحَرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَا بٌ بِكُلِّ يَدٍ مَضْرَجَةٍ يَدُكُ

قارن بين البيتين .

- 5 - وضح مظاهر التجديد والتقليد في النص .
- 6 - لماذا تملل وضوح أفكار النص وبساطتها ؟
- 7 - تخير صورة جميلة لم يرد ذكرها في دراسة النص واطرحها تفصيلا مبينا
سر جمالها .

8 - قال الشاعر « أحمد رامى » في وصف الشهيد :

يَا مِثَالًا يَفْصُمُ كُلَّ الصَّحَايَا فِي سَبِيلِ الْفَخَارِ وَالْعَلِيَاءِ

وقال « محمد العيد » :

شهداء التمدن في كل عصر سرج الأرض بل نجوم السماء

أي البيتين أجمل في نظرك ؟ ولماذا ؟

- 9 - في البيت العاشر جمال في الأسلوب - وضح .
- 10 - تبدو آثار الروح الإسلامية واضحة في أسلوب النص . اشرح هذه الحقيقة .

المقال الأدبي :

ثورة الشعر انتجت ثورة الشعب وعادات عليه بالآلاء

— اكتب في معنى البيت السابق مبرزاً دور الشعر في معركة التحرير الجزائرية .

السؤال الكتابي :

— اكتب مقالا توضح فيه منزلة الشهيد بين قومه مبينا واجب الأحياء إزاء الشهداء .

ا - عز الأوطان

إِذَا مَا رُمْتَ لِلأَوْطَانِ عِزًّا فَجَدُّ بِالنَّفْسِ وَاسْتَبَقَ الفِدَاءَ
وَأَنْ حَمَلَ الحُصُومَ عَلَيْكَ يَوْمًا فَقَمُّ لِنِصَالِهِمْ وَخُضَّ الدِّمَاءَ
أَلَمْ تَرَ جَمْفَرًا قُطِعَتْ يَدَاهُ بِحَرْبِ الرُّومِ فَاحْتَضَنَ اللِّوَاءَ
وَقَدَّمَ نَفْسَهُ لِلْمَوْتِ سَنَحًا فَنَالَ بِهَا الشَّهَادَةَ وَالثَّنَاءَ

ب - في الرثاء

قالها في الذكرى الأولى لوفاة فقيه العلم والعلماء

الشيخ « محمد البشير الإبراهيمي »

ذَكَرْتَنِي وَفَاتِكَ إِحْيَاءً لِأَعْمَالِ مِنْ صُنْعِ عَزْمِكَ أَمْ بَعَثَ لِأَجْيَالِ
أَمْ نَشْرُ صُحُفِ جِهَادٍ دُودَتْ عَنْ قِيَمِ عَلَيَا بِهِ وَنِصَالِ مِنْكَ ذِي بَالِ
أَمْ عِزُّ نَوْرَةٍ سَبَّ كُنْتَ قَائِدَهَا بِالرَّأْيِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصْلَى بِهَا صَالِي
يَارَأَيْدَ الشَّعْبِ لِلأَهْدَافِ سِرَّتَ بِهِ دِينًا وَدُنْيَا ، بِفِكْرِ مِنْكَ جَوَالِ
إِنِّي دُعَيْتُ إِلَى الذِّكْرِ لِأَشْهَدَهَا وَإِنَّمَا تُعْرَضُ الذِّكْرَى عَلَى السَّالِي
تَاللهِ مَا حَطَرْتَ سَلْوَاكَ فِي خَلْدِي يَوْمًا وَلَا عَبَّرْتَ ذِكْرَاكَ مِنْ بَالِي
كَانَ مَوْتُكَ مَا مَرَّتْ فَجِيعَتُهُ وَلَا خَلَّتْ لِحْظَةً مِنْ عَامِهِ الخَالِي
هُنَا بَنُوكَ الَّذِينَ اسْتَنْسَكُوا أَبَدًا مِنْ رَمَزِكَ الخَالِدِ السَّامِي بِأَذْيَالِ
لَقَدْ تَسَاقَوْا شَرَابَ العَهْدِ بَيْنَهُمْ عَلَى اسْمِ ذِكْرَاكَ سَلَسَالًا بِسَلْسَالِ
وَقَدَّمُوا لَكَ أَعْلَاقًا مُنْسَقَةً عَلَى مَوَائِدِ تَكْرِيمِ وَإِحْمَالِ
فَاتَحَفُّوكَ عِيُونًا مِنْ قِصَائِدِهِمْ أَقْرَرَّ سَامِعَهَا بِالسَّخْرِ لِلتَّالِي
أَنْتَ الغَنِيُّ بِمَا خَلَّدْتَ مِنْ مِثْلِ عَنْ مَدْحِ قَافِيَةٍ أَوْ رَفَعِ تِمْنَالِ

ج - مع الشعب

قَفَّ حَيْثُ شَعْبِكَ مَهْمَا كَانَ مَوْقِفُهُ أَوَّلًا ، فَإِنَّكَ عَضُوٌّ مِنْهُ مُنْحَسِمُ
تَقُولُ أَضْحَى ثَبَّتِ الرِّأْيُ مُنْقِسِمًا وَأَنْتَ عَنْهُ ثَبَّتِ الرِّأْيُ مُنْقِسِمُ
فَكُنْ مَعَ الشَّعْبِ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلِ إِنْ كُنْتَ بِالرَّجُلِ الشَّعْبِيِّ تَسْمِ
وَلَا يُرْفَكَ شَفِيفُ الذَّاتِ مَائِمَهَا كَالْمَاءِ فِيهِ وَجُوهُ النَّاسِ تَرْتِسِمُ
أَعْدَى عَدَى القَوْمِ مَنْ يُعْزَى لَهُمْ نَسَبًا وَيَسْمَعُ القَدْحَ فِيهِمْ وَهُوَ يَنْتَسِمُ

(*) ديوان محمد العيد آل خليفة .

د - الحق

مَا أَجْدَرَ الْحَقَّ أَنْ تُحْنِيَ الرَّؤُوسَ لَهُ
 الْحَقُّ ثَوْبٌ تَعَالَى اللَّهُ نَاسِجُهُ
 فِيلٌ إِلَى الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا تُصَبُّ أَمَلًا
 وَكُنْ عَلَى الْبَغِيِّ حَزْبًا لَا تَكُنْ سَلَمًا
 لَا تَخْشَ سَيْفًا مِنَ الْبَاطِلِ وَلَا قَلَمًا
 الظُّلْمُ فِي الْأَرْضِ سَارٍ كَالظَّلَامِ بِهَا
 وَأَنْ يُشَالَ عَلَى الْأَعْنَاقِ كَالْعَلَمِ
 تَبَّتْ يَدَا كُلِّ عَاثٍ فِيهِ بِالْجَلَمِ
 يُنْسِيكَ مَا قَدْ يَشُوبُ الْحَقُّ مِنْ أَلَمِ
 فَالْتَصِرْ لِلْحَزْبِ لَيْسَ النَّصْرُ لِلسَّلَمِ
 فَعَارَةُ اللَّهِ فَوْقَ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
 وَكَاشِفُ الظُّلْمِ فِيهَا كَاشِفُ الظُّلْمِ

ه - يابحرا !

يَا تَحْرُ أْفَيْدِكَ بَحْرًا
 أَرَى عَلَيْكَ مَنَاتٍ
 تَبْدُو مِيَاهُكَ زُرْقًا
 يَا بَحْرُ أَنْتَ أَيْسِي
 أَطْرَيْتُ حُسْنَكَ مَذْمَا
 يَا أَيْبَضَ الْعَرِضِ جَرْتُ
 أَخْشَى غَدًا فِيكَ تَعْدُو
 أَخْشَى وَغَيِّ فِيكَ تَحْمِي
 أَمَسْتَ مَرَايِيكَ تَرَعِي
 فِيكَ دَوَارِعُ غُجْرٍ
 وَيَلُّ لِمَنْ جَازَ حَدًّا
 وَكُلُّ مَنْ رَامَ حَرْبًا
 يَا أَيْبَضَ الْوَجْهِ نَالَتْ
 نَالَتْ بِفَضْلِكَ خَيْرًا
 فَكَمْ مِنَ الْعَرَبِ غَازٍ
 مَلَكْتَ قَلْبِي سِحْرًا
 مِنَ النَّاطِرِ تَثْرِي
 لِلنَّاطِرِينَ وَخُضْرًا
 أَنْ ضِقَّتْ بِالْهَمِّ صَدْرًا
 يَا بَحْرُ وَالْحُسْنُ يُطْرَى
 لَكَ الشَّوْاطِئُ وَزُرَا
 أَزْبَادُكَ الْبَيْضُ حَمْرًا
 فَتَقَلِّبُ الْمَاءَ جَمْرًا
 مَرَايِدُ الشُّهْبِ سَهْرَى
 تَحْوِي دَوَارِعَ غُجْرًا
 أَوْ مَنْ تَقَدَّمَ شِيبْرًا
 فَإِنَّمَا رَامَ خُضْرًا
 أَفْرِيقِيَا بِكَ فَخْرًا
 مِنَ الْجَزِيرَةِ وَفَرَا
 لَهَا تَحَطَّكَ جِسْرًا

فَقَامَ بِالْيَدِينِ فِيهَا وَبِالْفِضِيلَةِ نَشْرًا
 وَقَائِدِ فِيكَ حُرٌّ سَيَاقَ الْأَعَاجِمِ أَسْرَى
 وَالْحُرُّ أَنْ تَارَ يَطْعَى كَاللَيْثِ أَنْ جَاعَ يَضْرَى
 أَحَبُّ فِيكَ بُبَاتًا عَلَيِ الْخَطُوبِ وَصَبْرًا
 أَحَبُّ فِيكَ هُرُوءًا بِالْأَقْبُويَاءِ وَسُخْرًا

و - فتح جديد (*)

نَحْنُ الْجِبَالُ بَنُو الْجِبَا ل ، صَدَى الْجِبَالِ بِنَا حَدَا
 رَكِبْتُ إِلَى الْعِرْقَانِ أَتَمَّهُمْ فِي سَرَاهُ وَأَنْجَدَا
 مَنْ سَامَنَا بِإِدَائِيَّةِ قَعَلَى الْجِبَالِ قَدْ اعْتَدَى
 وَمَنْ اسْتَهَانَ بِنَا اسْتَهَأ نَ بِهَا فَحَلَّ بِهِ الرَّدَى
 لَا خَوْفَ مِنْ ظُلْمِ الطَّرِيقِ يَقِي فَقَدْ جَلُونَا الْمُقْصِدَا
 جَاءَ «الْبَشِيرُ»⁽¹⁾ فَنَشَرَ الْأَعْمَى فَأَبْصَرَ وَاهْتَدَى
 شَمِبَ الْجَزَائِرِ بِالْقُلُوبِ بِ إِلَى «الْبَشِيرِ» تَوَدَّدَا
 مَنْ كَانَ لِلْوَطَنِ الْعَزِيزِ فِدَى ، فَفَتَحْنَا لَهُ الْفِدَى
 يَا أَيُّهَا الشُّعْبُ اسْتَيْقِ لِلْمَصَالِحَاتِ وَطْلُ بَدَا
 إِلَهِي أَرَاكَ مُتَكَرِّرًا بَيْنَ الشُّعُوبِ مُتَكَدَا
 أَحْسَنْ خَطَاكَ فَمَنْ يَعْنِ وَكَيْلًا يَعِشُ مُسْتَمْبِدَا
 وَدَعِ الْفِرَاقَ فَإِنَّهُ أَقْصَى الرَّفَاقِ وَبَدَدَا
 وَدَعِ الْهَوَى أَنْ الْهَوَى لَكَ فِي الْعِدَا شَرُّ الْعِدَا
 حِكْمُ هَدَى الْأَسْلَامِ نُرٌّ ضِ اللَّهَ تُرْضِ مُحَمَّدَا
 وَأَقْفُ الْمُدَاةِ الرَّاشِدِيَّةِ بَيْنَ الرَّكْعَيْنِ السُّجْدَا
 صَوْتُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى صَوْتُ الْمُدَاةِ لَهُ صَدَى
 فَمَنْ اسْتَجَابَ لِصَوْتِهِمْ نَالَ النَّعِيمَ السَّرْمَدَا

(*) هذه الابيات جزء من قصيدة انشدت بمناسبة افتتاح مدرسة « الهدى » بمدينة القنطرة قرب بسكرة يوم الخميس 16 صفر عام 1366 هـ ، ومطلعها :
 فَتَحَ جَدِيدًا قَدْ بَدَا فِي فَتْحِ مَدْرَسَةِ الْهُدَى
 هو الشيخ « البشير الابراهيمي » رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي اشرف على حفل افتتاح المدرسة .

(1889 - 1957 م - 1307 - 1377 هـ)

تعريف وتمهيد :

« إيليا أبو ماضي » (*) من كبار شعراء المهجر ، ولد في لبنان عام 1889 م وانتقل الى مصر ، حيث بدأ حياته الأدبية ، ثم هاجر الى أمريكا وانضم الى « الرابطة القلمية » وتأثر بالحياة في موطنه الجديد ، فجدد في الشعر العربي .

والأبيات التي تقدمها لك الآن جزء من قصيدة « الطلاسم » وهي قصيدة طويلة بلغت أبياتها 288 بيتا . وقد تناول فيها الشاعر « الفاز » الوجود التي وقف حائرا أمامها نتيجة ظروفه الخاصة التي عاشها في مهجره ، وتأثره بالتيارات الفلسفية الغربية الحديثة ، وإليك نماذج من حيرته تتضح في الأبيات الآتية :

النص : (*)

(أ)

جئتُ لا أعلمُ من أينَ ولكنِّي آتيتُ ولقدْ أبصرتُ قُدَّاميَ طريقًا فمَشيتُ
وسأبقى سائرًا إنْ شئتُ هذا أمْ آتيتُ كيفَ جِئتُ ، كيفَ أبصرتُ طريقي
لستُ أدري

(ب)

أجديدٌ أمْ قديمٌ أنا في هذا الوجودِ ؟ هلْ أنا حُرٌّ طليقٌ أمْ أسيرٌ في قيودِ ؟
هلْ أنا قائِدٌ نَفسي في حياتي أمْ مَقودٌ ؟ أتمنَّى أنِّي أدري ولكنْ
لستُ أدري

(د)

وطريقي ، ما طريقي ؟ أطولٌ أمْ قصيرٌ ؟ هلْ أنا أصعدُ أمْ أهبطُ فيه وأغورُ ؟
أنا السائرُ في الدربِ أمْ الدربُ يسيرٌ ؟ أمْ كلانا واقِفٌ والدَّهرُ يجري
لستُ أدري

(*) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر . دراسة وشعر . زهير مرزا . سنتي ترجمة مفصلة لحياته وشعره .

شرح وايضاح :

عَبَّرَ الشاعر عن حيرته في مجموعة من الأفكار . تناول في **الفكرة الأولى** مشكلة أصل الوجود واستمرار الحياة ، فالإنسان - في نظر الشاعر - لا يعرف من أين أتى ، ولكنه وجد نفسه يسير في هذه الحياة طائعا أو مُكْرَهًا ، وسيمضي في هذا الطريق .

وفي **الفكرة الثانية** ، يَتَسَاءَلُ الشاعر عن مصدر حيرته وتاريخها في حياة الإنسان فهل شغلت هذه التساؤلات أفكار الناس منذ قديم الزمان ؟ ، وهل لها جذورها البعيدة في النفس البشرية ؟ ، أم أنها حيرة جديدة طارئة ؟

وفي **الفكرة الثالثة** ، يتناول الشاعر مشكلة أعمال الإنسان بين الجبر والاختيار . وراح يتساءل ، هل للإنسان ارادة حرة مستقلة تتحكم في أفعاله وتصرفاته ؟ أم أنه مجبور تسيره قوة خارجية لا سلطان له عليها كأنه الريشة في مهب الرياح ؟

وفي **الفكرة الرابعة** ، يتحدث الشاعر عن مشكلة الغيب والمجهول . ويقرر أنه لا يعرف مقدار حظه من البقاء في الحياة ، أيقصر عمره أم يطول ؟

ولا يستطيع تحديد نصيبه من السعادة أو الشقاء في حياته ، هل يصل الى أعلى درجات المجد أم يسفل في درجات الشقاء والسقوط ؟

وهل سيمضي الى مصيره المحتوم بنفسه أم أن قدره سوف يأتيه وان بقي ساكنا في موضعه ؟

دراسة الأفكار :

النص الذي بين يديك من **الشعر الفلسفي** ، تناول فيه الشاعر عدة مشكلات فلسفية ، هي :

- 1 - مشكلة أصل الوجود واستمرار الحياة .
- 2 - أعمال الإنسان بين الجبر والاختيار .
- 3 - مشكلة الغيب أو المجهول .

وهذه المشكلات ليست جديدة على الفكر الإنساني ، فقد تناولها علماء الفلسفة والكلام .

ولكن اذا عرضنا أفكار الشاعر امام مقاييس الدين الاسلامي ، وجدنا حيرته لا أساس لها ، فكل سؤال رده الشاعر **جواب مقنع** من تعاليم الاسلام ونصوصه .

فوجود الإنسان في الأرض طارئ ومحدث ومن خلق الله تعالى .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَى » (١)

(١) سورة البقرة ، آية رقم 21 .

وأصله من طين :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » (1)

ويرجع وجوده الى آدم وحواء اللذين تناسلا ذريات من الرجال والنساء :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (2)

والهدف من وجوده في هذه الحياة عبادة الله وطاعته .

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (3)

وطريقه العمل في الحياة ، ومراقبة الله في كل شيء :

« وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » (4)

وهو يملك من الإرادة ما يتحمل بها مسئولية عمله :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا » (5)

وليس له ان يعرف مقدار حظه من الحياة ، ولا مقدار عمره في الدنيا . والبحث في هذا يعذب ولا يريحه ، ومن الخير له الا يعلم :

« وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ » (6)

وسواء امضى الى قدره ام جاءه القدر وهو ينتظر ، فالنتيجة واحدة :

« لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » (7)

ومن ثم ، فلا ينبغي ان ننظر الى افكار الشاعر الحائرة على انها مثل عليا لتمثلها ، او عقائد سليمة نعتنقها ، وانما ننظر اليها على انها قيم فنية جمالية تعكس لنا احساس الشاعر بالحيرة والضياع الذي يعاني منه هو ورفاقه المهجريون نتيجة احساسهم بالفربة الموحشة عن الاوطان .

وبهذا يكون الشاعر صادق الاحساس مع نفسه ، اصيلا في التعبير عن شعوره ، وان كانت افكاره وآراؤه مخالفة لتعاليم الدين الاسلامي .

(1) سورة المؤمنون ، آية رقم 12 . (2) سورة الحجرات ، آية رقم 13 . (3) سورة الداريات ، آية رقم 56

(4) سورة التوبة ، آية رقم 105 . (5) سورة فصلت ، آية رقم 46 . (6) سورة لقمان ، آية رقم 34 .

(7) سورة الحديد ، آية رقم 23 .

وطريقة عرض الشاعر لافكاره في النص تخلف عن الطريقة التي عالج بها الفلاسفة هذه الموضوعات ، فهو لا يدعو الى مذهب يناصره بالبرهان ويهدم تقيضه بالدليل على نحو ما يفعل الفلاسفة والمجادون ، ولكنه تناولها من جانب **الفنان المفكر** الذي يتأمل ما في الكون والحياة ، ويرى فيها **امورا يعجز الفكر عن تفسيرها** فيشعر بضعفه .

ويعبر عن ذلك المبدأ بقوله :

حُرٌّ ومذهبٌ كلُّ حُرٍّ مَذْهَبِي ما كُنْتُ بالغاوي ولا المتعصِّبِ
وأحبُّ كلَّ مَهْدَبٍ ولو أَنَّهُ خَصَمِي ، وأرحمُ كلَّ غَيْرِ مَهْدَبٍ
يأبى فُوَادِي أن يَمِيلَ إلى الأَدَى حُبُّ الأَذِيَّةِ من طِبَاعِ العَقَرَبِ

وهذه النزعة التسامحية مظهر من مظاهر التجديد في الشعر العربي ظهرت بصورة واضحة في شعر المهجريين .

وقد سبق الى هذا المسلك الفلسفي في الشعر بعض الشعراء العباسيين وفي مقدمتهم « **أبو العلاء الميري** » ، وقد درست بعض نصوصه في العام الماضي .

وافكار النص واضحة فيها اشارة الى موضوعات فلسفية ، وليس فيها تحليل او تعليل لشيء من ذلك ، وهذا ما يلائم طبيعة الشعر وهدف الشاعر من اثاره هذه المشكلة .

دراسة الأسلوب :

لم يعمد الشاعر الى استخدام **المصطلحات العلمية** مع انه تناول مشكلات فلسفية لها مصطلحاتها المعروفة ، ولكنه اشار اليها بعبارة تدل على موضوع المشكلة ، فقوله : « **هل أنا حر طليق أم أسير في قيودي** » ، عنوان لمشكلة الجبر والاختيار .

وقد تعددت **أساليب الاستفهام** في النص ، وتنوعت أدواته ، ولهذه الأساليب دلالة على قدرة الشاعر على الأداء اللغوي ، فهو يريد **التعبير عن الحيرة الفاتلة** ، والاحساس بالقلق والضيق الذي يعاني منه ، فلجأ الى أساليب الاستفهام ينشد فيها الافصاح عن شعوره بالحيرة ، كما اتخذ من **الأساليب الخبرية** اداة للتعبير عن حيرته حيث كرر عبارة **لست أدري** .

وعبارات النص واضحة ، **والتعبير بها مباشر** لا يعتمد على الصورة او الخيال ، لان طبيعة الافكار التي طرقتها الشاعر لا تحتاج الى شيء من ذلك . والفاظه سهلة فيها عذوبة ونغم .

وقد التزم الشاعر **وحدة التفعيلة** في الوزن العروضي ، وزاد في آخر كل فقرة تفعيلة من نفس النغم ، ولم يلتزم الشاعر **وحدة القافية** ، ولكنه التزم تغييرها كل اربعة ابيات وفي هذا التجديد في **الوزن والتنويع في القافية** مظهر من مظاهر التجديد في الشعر العربي الحديث ، وخاصة عند الشعراء المهجريين .

مجمل القول في النص

- النص من الشعر الفلسفي الذي يعبر عن لون خاص في الأدب العربي الحديث ، يتامل الإنسان والكون ، ويعكس احساس الشاعر بالضياع والحيرة ، وهو بعيد عن الروح الاسلامية .
 - طريقة عرض الشاعر لافكاره تختلف عن طريقة عرض الفيلسوف ، فقد تناولها من جانب الشاعر المتامل لذاته وللكون من حوله بعاطفة صادقة واصالة فنية ، ليخدم بها فلسفته الخاصة ، التي تقوم على اساس من ضعف الإنسان وحاجته الى اخيه الإنسان .
 - تميز أسلوب النص بالبعد عن المصطلحات ، وتعددت فيه اساليب الاستفهام المبررة عن الحيرة المهيمنة على نفسية الشاعر ، وعباراته جيدة لم تعتمد على التصوير ، وقد تعددت فيه القافية وزاد النظم تفعيلة في كل فقرة وبحره العروضي من ((مجزوء الرمل)) :
- فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
- وفي النص من مظاهر التجديد اختيار الموضوع، وطريقة تناوله، وظهور النزعة التأملية ، ووضوح الفكرة ، وبساطة التعبير ، والتنوع في القافية ، والتجديد في الوزن .

المناقشة :

- 1 - هل تقبل افكار الشاعر ؟ وعلى اي اساس تقبلها او ترفضها ؟
- 2 - للشاعر فلسفة خاصة في الحياة ، اشرنا اليها في الدراسة ، فما هي ؟ وما رايتك فيها ؟
- 3 - يختلف الشاعر والفيلسوف في طريقة تصوير التفكير . اشرح هذه العبارة في ضوء دراستك .
- 4 - ماذا يهدف الشاعر من كثرة تساؤله في هذا النص ؟
- 5 - ما سمات الشعر المهجري كما تبدو من خلال دراستك لهذا النص ؟
- 6 - استخرج من النص محسنين بديعيين وبين نوعهما وسر جمالهما .
- 7 - « ام كلثوم واقف والدمع يجري » . في هذا البيت صورة بلاغية ، اشرحها وبين ما فيها من جمال .

السؤال الكتابي :

- « اذا عرضنا افكار الشاعر على مبادئ الاسلام ونصوصه وجدنا حيرته لا اساس لها من الصحة » .
- ناقش هذه العبارة .

المقال الأدبي :

- « كان لهجرة الأدباء العرب الى امريكا تأثير كبير على الأدب العربي الحديث » .
- اكتب مقالا توضح فيه اسباب الهجرة ونتائجها على الأدب العربي .

١ - الطين

نَسَى الطينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تَيْهًا وَعَرَبِدُ
 وكسى الخَرُّ جِسْمَهُ فَنَبَاهِي وحوى المَالَ كَيْسَهُ فَمَرَدُ
 يا أَخِي لَا تَيْلُ بِوَجْهِكَ عَنِي مَا أَنَا فَحْمَةٌ وَلَا أَنْتَ فَرْقَدُ
 أَنْتَ لَمْ تَصْنَعِ الحَرِيرَ الَّذِي تلبسُ واللؤلؤُ الَّذِي تَتَقَلَّدُ
 أَنْتَ فِي البُرْدَةِ المَوْثِقَةِ مِثْلِي فِي كَسَائِي الرديمِ تَشْقَى وَتَسْعَدُ
 لَكَ فِي عَالَمِ النِّهَارِ أَمَانِي وَرؤَى وَالظَّلَامُ فَوْقَكَ مَمْتَدُ
 وَلِقَلْبِي كَمَا لِقَلْبِكَ أَحْلَا مٌ حِسَانٌ فَإِنَّهُ غَيْرُ جَلْمَدُ
 أَمَانِي كُلِّهَا مِنْ تَرَابِ وَأَمَانِيكَ كُلِّهَا مِنْ عَسَجَدُ
 وَأَمَانِي كُلِّهَا لِلتَّلَاشِي وَأَمَانِيكَ لِلخُلُودِ المُوَكَّدُ
 لَا ، فَهَذَا وَتِلْكَ تَأْتِي وَتَمْضِي كذوئِهَا - وَأَيُّ شَيْءٍ يُؤْبَدُ
 أَنْتَ مِثْلِي مِنَ الثَّرَى وَإِلَيْهِ فَلَمَّاذَا يَصَاحِبِي التَّيَهُ وَالضَّدُ
 أَلِكِ القَصْرُ دُونَهُ الحَرَسُ الشَّا كِي وَمَنْ حَوْلَهُ الجِدَارُ المُشِيدُ
 فَامْنَعِ اللَّيْلَ أَنْ يَمُدَّ رَوَاقَا فَوْقَهُ وَالضَّبَابُ أَنْ يَتَلَبَّدُ
 أَيُّهَا الطينُ لَسْتَ أَنْقَى وَأَسْمَى مِنْ تَرَابٍ تَدُوسُ أَوْ تَتَوَسَّدُ

ب - في الحنين إلى الوطن

مَرَّتِ الأَعْوَامُ تَلُو بَعْضُهَا لِلوَرَى ضِحْكَي وَلِي وَحْدِي اِكْتِنَابِي
 كَلَّمَا اسْتَوَدتُ نَفْسِي أَمَلًا مَدَّتِ الدُّنْيَا لَهُ كَفَّ اغْتِصَابِي
 أَفَلَتَتْ مِنِّي حَلَاوَاتُ الرُّؤْيِ عِنْدَمَا أَقْبَلْتَ مِنْ كَفِّي شَبَابِي
 بَتُّ لَا الإِلْهَامُ بَابٌ مُشْرَعٌ لِي وَلَا الإِحْلَامُ تَمْشِي فِي رِكَابِي
 أَشْتَهِي الخَمَرَ وَكَأْسِي فِي يَدِي وَأَحْسُ الرُّوحَ تَعْمُرِي فِي ثِيَابِي
 رَبِّ هَبْنِي لِبلَادِي عَوْدَةً وَلِيَكُنْ للغَيْرِ فِي الأُخْرَى ثَوَابِي

أنا كالشمس الي الشرق اتساي
لا يعيش الشدو في بحر اصطخاب
غرابة الأجسام ليست باغتراب
ح في الشرق على تلك الهضاب
في أسي « تشرين » في لوعة « آب »
أنا في لبنان نجوى وتصابي
دقة النور على تلك الروابي
في كفاح ونضال ووثاب
طالع كالشمس من خلف الحجاب
قبل أن أغدو ترابا في تراب

أيها السائل عني من أنا
لغة الفولاذ هاضت لعتي
لست أشكو إن شكا غيري التوى
أنا في نيويورك بالجسم وبالرؤ
في اتسام الفجر في صمت الدجى
أنا في العوطة زهر وندى
انني ألمح في أوجهكم
وأرى أشباح أيام مضت
وأرى أطراف عصر باهر
لته يسرع كي أبصره

د - الحجر الصفي

سمع الليل ذو النجوم أينما وهو يعنى المدينة البيضاء
فانحنى فوقها كمترق الهمس يطيل السكوت والإصغاء
فراى أهلها نياما كأهل الكهف لا جلبة ولا ضوضاء
ورأى السد خلفها محكم البنيان والماء يشبه الصحراء
كان ذلك الأبن من حجر في السد
أي شأن يقول في الكون شأني
لا رخام أنا فأنحت تما
لست أرضا فأرشف الماء ،
لست درأ تنافس الغادة الحسناء ،
لا أنا دمة ولا أنا عين ،
حجر أغبر أنا وحقير
فلاغادر هذا الوجود وأمضي
وهوى من مكانه وهو يشكو
فتح الفجر جفنه . . . فإذا الطوفان يعنى « المدينة البيضاء »



الى الطفلة

9

لأبي القاسم الشابي
(1909 - 1934 م — 1327 - 1353 هـ)

تعريف وتمهيد :

« أبو القاسم الشابي » من اعظم الشعراء الذين انجبتهم تونس في العصر الحديث .

ولد في قرية « الشابية » بجنوب تونس ، وتلقى علومه الاولى فيها ، ثم التحق بجامعة « الزيتونة » وتخرج فيها عام 1930 م .

وقد رزق « الشابي » موهبة شعرية مبكرة ، غداها بقراءاته المتعددة في عيون الأدب العربي القديم ، والآداب الأوربية المترجمة ، والآداب المهجري ، وأدب رواد النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي ، ومن ثم جاءت نتاجه الشعري جيدا ورسينا وان كان قليلا ، لأن الأيام لم تمهله طويلا ، فقد عصفت به يد المنون ولم يزل في ريعان شبابه ، ففارق الحياة ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره اثر مرضه بداء « تضخم القلب » .

وبالرغم من احساسه بدنو أجله فانه كان داعية الى الكفاح ، قوي الإرادة في بعث أمته ، صادق العزيمة في مقاومة المستعمرين ، متفائلا بالنصر ، مؤمنا بالتضحية من أجل الحياة الكريمة .

ومنذ وطئت أقدام المستعمرين الفرنسيين أرض المغرب العربي ، واستولوا على الجزائر عام 1830 م ، ثم على تونس عام 1881 م والثورات تتوالى ، وحركات الكفاح لا تهدأ .

وللأدباء والشعراء دورهم الكبير في هذا النضال حملوا مسؤوليته بأمانة وشرف وعزم وصبر حتى ظفرت بلادهم بالحرية والاستقلال .

وفي الأبيات التي تقدمها لك صرخة قوية رادعة يقذف بها « الشابي » في وجه المستعمرين - وسترى من خلالها صورة صادقة ل احساسه الوطني العميق .

(أ)

- 1 - أَلَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُسْتَبِدُّ حَبِيبُ الْفَنَاءِ عَدُوُّ الْحَيَاةِ
- 2 - سَخِرْتَ بِأَنَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكَفَّكَ مَخْضُوبَةٌ مِنْ دِمَائِهِ
- 3 - وَعَشْتِ تُدْنِسُ سِحْرَ الْوَجُودِ وَتَبْدُرُ شَوْكَ الْأَسَى فِي رُبَاهُ

(ب)

- 4 - رُوِيْدَكَ ، لَا يَخْدَعَنَّكَ الرَّيِّعُ وَصَحْوُ الْفَضَاءِ وَضَوْءُ الصَّبَاحِ
- 5 - فَفِي الْأَفْقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلَامِ وَقَصْفُ الرَّعُودِ وَعَصْفُ الرِّيَّاحِ
- 6 - وَلَا تَهْرَأَنَّ بِسُوحِ الضَّعِيفِ فَمَنْ يَبْدُرُ الشَّوْكَ يَجْنِ الْجِرَاحِ

(ج)

- 7 - تَأَمَّلْ هُنَالِكَ أَنِّي حَصَدْتُ رُؤُوسَ الْوَرَى وَزُهُورَ الْأَمَلِ
- 8 - وَرَوَيْتَ بِالْدَمِ قَلْبَ التَّرَابِ وَأَشْرَبْتَهُ الدَّمْعَ حَتَّى تَمِلَ

(د)

- 9 - سَيَجْرُقُكَ السَّيْلُ سَيْلُ الدَّمَاءِ وَيَأْكُلُكَ الْعَاصِفُ الْمُشْتَعِلُ

شرح وايضاح :

أ - بدأ ((الشابي)) قصيدته بصيحة قوية جريئة لطم بها وجه المستعمر الفاصب وقال له : إنك ظالم وعاثم ، وحقوق وطاقية ، تكسره الحرية ، وتعشق العبودية ، وليس في قلبك اليحجر رحمة ولا شفقة ولا إنسانية ، فما زلت تهزأ بالام الشعوب الضعيفة ، وتسخر من آهاتها وأاناتها ، مع أنك سبب بلائها وسر شقائها ، فكم سفكت من دماء الأبرياء ، ونهيت من ثروات الشعوب ، وألقيت بالأحرار في غياهب السجون . انك بهذا العدوان الصارخ تجعل من الكون مسرحا لجرائمك وآثامك .

ب - وبعد هذه الصيحة القوية يتوعد الشاعر المستعمر وينذره قائلا : تمهل ولا تسرف في إجرامك ، ولا تنخدع بمظاهر السكون من حولك ، أو استقرار حياتك بين الشعوب الضعيفة المستعبدة ، فإنه الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وعمّا قليل ستهب هذه الشعوب من سبابتها ، ويومئذ ستعرف قوة الصرخات التي كنت تهزأ بها ، وعليك أن تتحمل أوزار فعلك ، وآثام صنعك ، فكما تدين تدان .

(*) لغاني الحياة : أبو القاسم الشابي .

3 - تدنس : وتلوث وتوسخ . 4 - رويدك : اسم فعل امر بمعنى تمهل وانتظر . 7 - انى : كيف .

8 - تميل : سكر . 9 - يجرقك : يكتحك ، وبزبك من طريقه .

ح - وفي الوحدة الثالثة ، يذكر الاستعمار بأثامه قائلا : انظر كيف ازهقت
الأرواح البريئة . وفككت بالشباب الذي كان امل امته . وكيف سالت دماؤهم البريئة
غزيرة تسقي التراب . فجاشت العيون بالبكاء ، وانهمرت الدموع كالطر الغزير .

د - وفي الوحدة الرابعة ، يوضح الشاعر للاستعمار مصره المحتوم فيقول :
ان انهار الدماء التي ارقتها ظلما وعدوانا سوف تستحيل الى طوفان عارم يجرفك في
مسيرته ، وان رياح الثورة المشتعلة ستأكلك في عصفها . والموت والدمار مصرك
المحتوم .

دراسة الأفكار :

موضوع النص من الشعر السياسي ، الذي يهدف الى بعث الروح الوطنية ،
وتقوية النزعات الثورية والوقوف في وجه الظلمة الظالمين . وقد عرفت ان هذا الاتجاه
جديد في الشعر العربي ظهر في العصر الحديث .

واستطاع « الشابي » ان يكسب القضية التي يدافع عنها صبغة انسانية عالمية ،
فهو وان كانت تهدف الى تجنيد الشعب التونسي ليقاوم الاستعمار الفرنسي ، لكن
الشاعر صاغها في افكار يتردد صداها في جميع العقول ، وتتجاوب معها كل الضمائر
فالناس في مختلف بقاع الأرض وعلى مر التاريخ يشعرون بمرارة الظلم والاستعباد ،
ويكرهون الغاشم المستبد .

وهذه النزعة الانسانية العالمية تمثل مظهرا من مظاهر التجديد في الشعر العربي
الحديث ، وان كان لها جذور لدى بعض الشعراء السابقين في مختلف العصور .

فالشاعر المعاصر الجيد هو الذي ينطلق من موقف ذاتي يمس شعوره الشخصي ،
فاذا ما انفع به حاول التعبير عنه من خلال رؤيته الذاتية ، لكنه لا يرقى الى المستوى
الرفيع ، الا اذا استطاع ان يكسب موقفه الذاتي المبر عن عواطف شعبه وآلامه صبغة
انسانية عالمية ، يجد صداها لدى القارئ والسامع ، بحيث يشعر كل واحد منهم
ان الفكرة التي يقرأها او يسمعها هي تعبير عن مشكلته الذاتية .

وبمقدار ما يلمس الشاعر قلوب العديد من الناس يكون حظه في الرفعة والديوع
والخلود . وقد نجح الشابي في تحقيق هذا الاتجاه في النص الذي بين يديك .

واستعان الشاعر بمظاهر الطبيعة المختلفة ليصوغ منها تجربته الشعرية ويبدع
في انشاء عمله الفني . فقد اتخذ من الصباح والظلام والنبات والرياح والماء والهيب
لبنات بنائه الاولى ونسج خيوطه الفنية .

وامتزاج الشاعر بالطبيعة واستخراجه مادة عمله منها اتجاه جديد في الشعر
العربي الحديث ، ظهر ونما على أيدي الشعراء المهجريين وحاكاه من تأثر بهم ، مثل
« علي محمود طه » ، والدكتور « ناجي » ، وغيرهم من الشعراء .

وافكار النص الاساسية هي :

- 1 - صيحة في وجه الظالم المستبد .
- 2 - انذار ووعيد .
- 3 - تذكير بالاثام .
- 4 - نهاية الطغيان .

وهي افكار سلسلة شديدة التلاحم تؤدي الى نتيجة منطقية منسجمة مع ما سبقها من مقدمات .

وقد عاش الشاعر تجربته من خلال أحداث وطنه الاصفر « تونس » ووطنه العربي الكبير ، ثم مجتمعه الانساني الاكبر .

ورأى في هذا العالم المضطرب ، صور الظلم والاستبداد ، وفضائح الطفلة المستعمرين ، وعانى من ويلات الاستعمار ومظاهر العبودية ، وعاش تجربته بصدق واخلاص ، فمبر عن شعوره تعبيرا واضحا واصيلا ، ومن ثم نجح في نقل احساسه الى نفوسنا ، وجعلنا نعيش معه في الحالة الشعورية التي يعانيها مع شعبه .

دراسة الأسلوب :

استعان الشاعر كثيرا بالأساليب غير الباشرة ، واتخذ من الصور الفنية المختلفة وسيلة للتعبير عن أفكاره وتوضيحها .

والصور الفنية في هذا النص ذات تأثير قوي في المعنى ، وهي تدل على قوة الخيال الذي تنعكس فيه العاطفة ، من ذلك قوله في البيت (2) :

« سَخَّرْتَ بِأَنَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ » .

فيه كناية عن قسوة الاستعمار ووحشيته ، لان آهات الشعوب الضعيفة المغلوبة تثير الرحمة والعطف والشفقة ، وكان أحرى بالمستعمر أن يرق لهؤلاء الضعفاء ، لكنه بدلا من ذلك استهزا بهم وسخر منهم .

وقوله في البيت (3) :

« وَتَبَدَّرُ شَوْكُ الْأَسَى فِي رُبَاهِ » .

فيه تشبيه الشوك بالأسى الذي يوحي بمدى العذاب الذي يعانيه الشعب المغلوب على أمره ، ويدل على بشاعة موقف الاستعمار منه .

وقوله في البيت (7) :

« حَصَدْتَ رُؤُوسَ السُّورَى » .

فيه تجسيم لسوء ما يصنمه المستعمر وتضخيم لجرائمه ، فان التعبير بالحصاد يدل على كثرة الضحايا من الأبرياء .

وقوله في البيت (8) :

« وَرَوَيْتَ بِالذَّمِّ قَلْبَ السُّرَابِ » .

فيه تصوير لبشاعة الاستعمار ، وهجوم على جرائمه النكراء ، فان وصول الدماء الى اعماق الأرض يدل على كثرة الدماء المراقاة ، والفعل المضمف « روى » يوحي بالكثرة ايضا .

ومن الأساليب الإنشائية في النص قوله في البيت (1) :

« أَيُّهَا الظَّالِمُ المُسْتَبِدُّ » .

فهذا أسلوب نداء فيه صيحة نائرة وجريئة على الاستعمار تهيب بالشعب أن يواجه الاستعمار بالثورة عليه .

وقوله في البيت (4) :

« رُوَيْدَكَ لَا يَخْدَعَنَّكَ الرَّيِّعُ » .

أمر فيه وعيد وتهديد .

وقوله في البيت (7) :

« تَأْمَلْ هُنَالِكَ » .

انكار وسخط على الاستعمار .

ومن الأساليب الخبرية في النص قوله في البيت (9) :

« سَيَجْرُقُكَ السَّيْلُ سَيْلُ الدِّمَاءِ » .

يدل على تحقيق الوقوع ، والثقة بنجاح الثورة ضد الاستعمار .

ومن ألوان البديع في النص قوله في البيت (1) :

« حبيب ، عدو » .

فيه طباق يوضح مدى التناقض الشديد بين الصفتين .

وقوله في البيت (5) :

« قصف ، عصف » . فيه جناس .

والى جانب جودة العبارة ، وايحاء الكلمة تشمر في جو النص بنغم خفي نادر يناسب احساس الشاعر وجو الموضوع ، ولم يلتزم الشاعر قافية واحدة ، واختار الوقوف بالسكون في آخر كل حرف من حروف القافية ، وهذا يناسب الحالة الشعورية لموضوع النص وهدف الشاعر منه .

مجمل القول فى النص

□ يعتبر هذا النص من « الشعر السياسي التحرري » ، تبدو فيه عاطفة الشاعر قوية ، وتعكس ايمانه بقضية بلاده واخلاصه لها ، وقد ارتقى الشاعر بتجربته الى مستوى الافكار الانسانية العالية ، واستعان بمظاهر الطبيعة ، ليصوغ منها تجربته الفنية ، والوحدة العضوية بين الافكار قوية محكمة .

□ افكار الفصيحة عميقة واضحة ، تتميز بخصوبة خيالها وجمال صورها وقوة تأثيرها . والعبارة مختارة ، والفاظها موحية ، تسير على النهج العروضى التقليدي ، ولكن القافية متنوعة . وقد صاغه الشاعر على بحر المتقارب ووزنه :

« فعولن فعولن فعولن » فعولن فعولن فعولن

□ ومن مظاهر التجديد في النص : اختيار الموضوع ، والتعليق بالافكار في مجال انساني عالمي واللجوء الى الطبيعة ليصوغ منها التجربة الفنية ، والتزام « الوحدة العضوية » بين الافكار ، والتنوع في القافية .

المناقشة :

- 1 - ما الظروف التي اوجت الى الشاعر بهذا النص ؟
- 2 - رسم الشاعر صورة كريمة للاستعمار ، حدد معالمها .
- 3 - الشاعر واثق من نفسه وشعبه ، متأكد من تحقيق النصر . وضع ذلك من النص .
- 4 - اي ابيات النص اوضح دلالة في تصوير شراسة الاستعمار في نظرك ؟ ولماذا ؟
- 5 - وضع جمال التعبير في مخاطبة الاستعمار بقوله : « لا تهزان بنوح الضعيف » .
- 6 - وضع الصورة الشعرية في قوله : « وأشربته الدمع حتى ثمل » .
- 7 - ما مظاهر التجديد في النص ؟

المقال الادبي :

« فمن يبذر الشمول يجني الجراح » .

— اكتب مقالا في هذا المعنى ، مستشهدا بأمثلة من التاريخ القديم والحديث .

السؤال الكتابي .

— عبر بأسلوبك عن ويلات الظلم الاستعماري التي تحل بالشعوب المستعمرة .

أ - تونس الجميلة

أنا يا تونسُ الجميلةُ في لُحِّ
شِرْعَتِي جُبِّكَ العَيْقُ وَإِنِّي
لا أبالي وإن أُريقَتْ دِمَائِي
إنَّ ذا عَصْرٍ ظَلَمَ غيرَ أَنِّي
ضَيَّعَ الدَّهْرُ مَجْدَ شِعْبِي وَلَكِنْ
الهُوى قَدْ سَبَحَتْ أَيَّ سَبَاحِهِ
قَدْ تَدَوَّقْتُ مِرَّةً وَقَسْرَاحَهُ
فَدِمَاءُ العُنَّاقِ دَوْمًا مَبَاحَهُ
مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ شِمْتُ صَبَاحَهُ
سَتَرْدُ الحَيَاةِ يَوْمًا وَشَاحَهُ

ب - من أفناني الرعاة

قالها في وصف الطبيعة ، وقد زار مدينة « عين دراهم » بالشمال التونسي

أقبل الصُّبحُ جَمِيلاً ، يَمَلَأُ الأفقَ بِهَآءِ
قَدْ أَفَاقَ العَالَمَ الحَيِّ وَغَنَى للحَيَاةِ
واقطعني مِنْ كَلِّ الأَرْضِ وَمِرْعَاها الجَدِيدِ
نَعَمْ يَصْعَدُ مِنْ قَلْبِي كَأَنفَاسِ الوُرُودِ
وَإِذَا جِئْنَا الى الغَابِ وَعَطَّانَا الشَّجَرِ
أرَضَعَتُهُ الشَّمْسُ بِالصُّوءِ وَغَدَاهُ القَمَرُ
لِكِ فِي الغَابَاتِ مِرْعَاكِ وَمَسْعَاكِ الجَمِيلِ
فَإِذَا طَالَتْ ظِلَالُ الكَلَالِ الغَضِّ الضَّئِيلِ
فَقَطَمْتُ الزَّهْرَ وَالطَّيْرُ وَأَمْوَاجُ المِيَاءِ
فَأَفِيَّتِي يَا خِرَافِي وَاهْرَعِي يَا شِيَاءِ
وَاسْمَعِي شَبَابَتِي تَشْدُو بِعَسُولِ النَّشِيدِ
ثُمَّ يَسْمُو طَائِرًا كَالْبَلْبُلِ الشَّادِي السَّعِيدِ
فَاقطعني مَا شِئْتُ مِنْ عُشْبٍ وَزَهْرٍ وَكَمَرِهِ
وَأرْتَوِي مِنْ قَطْرَاتِ الطَّلِّ فِي وَقْتِ السَّحْرِ
وَلِي الإِنْشَادُ وَالغَزْفُ إِلَى وَقْتِ الأَصِيلِ
فَهَلُمَّي نُرْجِعِ المَسْمَى إِلَى الحَيِّ البَيْبِلِ

ج - النبي المجهول

أيتها الشَّعبُ ! لَيْتَنِي كُنْتُ حَطًّا
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالسَّيُولِ إِذَا سَا
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالرِّيَّاحِ فَاطْوَِي
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالشَّيْءِ أَغْشِي
لَيْتَ لِي قُوَّةَ العَوَاصِفِ يَا شِعْبِي فَأَلْتَنِي إِلَيْكَ ثَوْرَةَ نَفْسِي
لَيْتَ لِي قُوَّةَ الأَعَاصِيرِ إِنْ ضَجَّسْتَ فَادْعُوكَ للحَيَاةِ بِنَبْسِي !
بَا ، فَأَهْوَى عَلَى الجُدُوعِ بِنَاسِي !
لَتَ تَهْدُ القُبُورَ : رَمًّا بَرْمَسِي !
كَلِّ مَا يَخْتَقُ الزَّهْوَورَ بِنَحْسِي !
كُلِّ مَا أَذْبَلُ الخَرِيفُ بِنَقْسِي !

لَيْتَ لِي قُوَّةَ الْأَعْيُرِ . . . لَكِنَّ أَنْتَ حَيٌّ يَقْضِي الْحَيَاةَ بِرَمْسٍ !
 أَنْتَ رُوحٌ غَبِيَّةٌ تَكْرَهُ النُّوْرَ وَتَقْضِي الدَّهْوَرَ فِي لَيْلٍ مَلْسٍ
 أَنْتَ لَا تُدْرِكُ الْحَقَائِقَ إِنْ طَافَتْ حَوَالِيكَ دُونَ مَنْ وَجَسَ
 فِي صَبَاحِ الْحَيَاةِ ضَمْتَتْ أَكْوَابِي وَأَتْرَعْتَهَا بِخَمْرَةٍ نَفْسِي
 ثُمَّ قَدَّمْتَهَا إِلَيْكَ فَأَهْرَقْتِ رَجِيْقِي وَدُسْتِ يَا شَعْبُ كَاسِي
 فَتَأَلَّمْتُ . . . ثُمَّ أَسَكْتُ آلَا مِي وَكَفَكَمْتُ مِنْ شُعُوْرِي وَحِسِّي
 ثُمَّ نَصَّيْتُ مِنْ أَزَاهِيرِ قَلْبِي بَاقَةً لَمْ يَمْسَهَا أَيُّ أَنْسٍ
 ثُمَّ قَدَّمْتَهَا إِلَيْكَ فَمَزَّقْتِ وَرُوْدِي وَدُسْتَهَا أَيُّ دَوْسٍ !
 ثُمَّ الْبَسْتَنِي مِنَ الْحُزْنِ ثَوْبًا وَبَشُوْكَ الصَّخُوْرِ تَوَجَّتْ رَأْسِي !

هَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى النَّابِ يَا شَمْسِي لِأَقْضِي الْحَيَاةَ وَحْدِي بِيَّاسٍ
 هَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى النَّابِ عَلَيَّ فِي صَيْمِ الْعَابَاتِ أَذْفُنُ بُوْسِي
 ثُمَّ أُنْسَاكَ مَا اسْتَطَعْتُ فَمَا أَنْتَ يَا أَهْلَ لَخْمَرْتِي وَلِكَاسِي
 سَوْفَ أَتَلُوْ عَلَى الطُّيُوْرِ أَنَا شَيْدِي وَأَقْضِي لَهَا بِأَحْزَانِ نَفْسِي
 فَهِيَ تَدْرِي مَعْنَى الْحَيَاةِ وَتَدْرِي أَنْ مَجْدَ النَّفُوْسِ يَقْطَعُ حَسًّا !
 ثُمَّ تَحْتَ الصَّنُوْبِرِ النَّاصِرِ الْحَلُوِّ تَخْطُ السُّيُوْلُ حَفْرَةَ رَمْسِي
 وَتَظَلُّ الطُّيُوْرُ تَلْعُوْ عَلَى قَبْرِِي وَيَشْدُوْ النَّسِيْمُ فَوْقِي بِهَمْسٍ
 وَتَظَلُّ النَّفْصُوْلُ تَمْشِي حَوَالِيَّ كَمَا كُنَّ فِي غَضَارَةِ أَمْسٍ

أَيُّهَا الشَّعْبُ ! أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ لِأَعْبَ بِالْتُّرَابِ وَاللَّيْلِ مُغْسِي !
 أَنْتَ فِي الْكُوْنِ قُوَّةٌ لَمْ تَسْسَهَا فِكْرَةٌ عَبْقَرِيَّةٌ ذَاتُ بَاسٍ !
 أَنْتَ فِي الْكُوْنِ قُوَّةٌ كَبَلْتَهَا ظِلْمَاتُ الْعُصُوْرِيْنَ أَمْسٍ أَمْسِي
 وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ مَنْ كَانَ مِثْلِي فِي حَسَايِي وَرِقَّةِ نَفْسِي !

د - فِي الْغَزْلِ

أَرَاكَ ، فَتَحَلَّوْ لَدِي الْحَيَاةُ وَيَمْلَأْ نَفْسِي صَبَاحُ الْأَمَلِ
 وَتَمْمُوْ بِصَدْرِي وَرُوْدُ عِدَابٍ وَتَحْنُوْ عَلَى قَلْبِي الْمُشْتَعَلِ
 وَيُفْتِنِي فِيكَ فَيْضُ الْحَيَاةِ وَذَاكَ الشَّبَابُ الْوَدِيعُ الثَّمَلِ
 فَأَعْبُدْ فِيكَ جَمَالَ السَّمَاءِ وَرِقَّةَ وَرْدِ الرَّيِّعِ الْخُضَلِ

الفصل الثالث

نصوص من النثر في العصر الحديث



الاستبـداد

10

الكـواكبي

(1265 - 1320 هـ — 1849 - 1902 م)

تعريف وتمهيد :

« عبد الرحمن احمد الكواكبي » مصلح اجتماعي ثائر ، وناقد سياسي حر ، ولد بمدينة حلب بسورية ، ونشأ فيها ، حيث تعلم العلوم الاسلامية والعربية ودرس الفلك والرياضيات والعلوم الطبيعية ، واتقن اللغتين العربية والتركية . ومارس امعلا مختلفة كالتجارة ، والقضاء ، والصحافة .

نظر الكواكبي الى الامة الاسلامية من اقصاها الى ادناها في مشرق الارض ومغربها ، فوجدها تنخبط في ظلام الجهل والضعف والتخلف ، وكانت البلاد العربية - في ذلك الوقت - خاضعة لتركيا ، واصابها ما اصابها من الظلم والتاخر ، بسبب فساد بعض الحكام وطفيانهم ، وخاصة في حكم السلطان التركي « عبد الحميد » ، فجرد الكواكبي قلمه للدفاع عن الشعوب المستضعفة ، وهاجم السلطة العثمانية في عدة مقالات كتبها في جريدة « الشهداء » ، فامرت الحكومة العثمانية باغلاقها ، وزجوا به في السجن ، وجرّدوه من املاكه .

وبعد الافراج عنه ، قرر ان يجند نفسه لايقاظ الشعوب الاسلامية ، وان يقوم بجولات في بلاد المسلمين ينشر افكاره وآراءه . فقام برحلتين كبيرتين زار فيهما البلاد العربية وشرقي افريقيا وبعض بلاد الهند ، ثم القى عصا الترحال في « مصر » اخيرا ، واستقر بها حتى وافته المنية عام 1902 م .

وقد ادى الكواكبي دوره في نهضة الامة الاسلامية بما بثه من افكار تضمنتها آثاره القيمة ، مثل : « ام القرى » و « طبائع الاستبداد » .

وسار في كتبه على منهج خاص ، فوضعها في شكل روائي ، حلل فيها الامراض الاجتماعية والسياسية تحليلا دقيقا ، وانتقد اساليب الظلم التي يستخدمها الحكام للتسلط على المحكومين .

ومن كتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » تقدم لك النص التالي ، حول حقيقة الاستبداد وآثاره السيئة في الشعوب المبتلاة به :

(١)

« مَا أَشَبَّ الْمُسْتَبِدَّ فِي نَسَبِهِ إِلَى رَعِيَّتِهِ بِالْوَصِيِّ الْخَائِنِ الْقَوِيِّ عَلَى آيَاتِهِ أَغْنِيَاءَ ، يَتَصَرَّفُ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ كَمَا يَهْوَى مَا دَامُوا قَاصِرِينَ ، فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَالِحِ الْوَصِيِّ أَنْ يَبْلُغَ الْآيَاتُ رُشْدَهُمْ ، كَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ غَرَضِ الْمُسْتَبِدِّ أَنْ تَتَنَوَّرَ الرَّعِيَّةُ بِالْعِلْمِ .

لَا يَخْفَى عَلَى الْمُسْتَبِدِّ ، أَنْ لَا اسْتِعْبَادَ وَلَا اعْتِسَافَ مَا لَمْ تَكُنْ الرَّعِيَّةُ حُبْمَاءَ ، تَخِطُّ فِي ظِلَامِ جَهْلِ وَتِيهِ عَمَاءَ ، فَلَوْ كَانَ الْمُسْتَبِدُّ طَيْرًا لَكَانَ حُفَّاشًا يَصْطَادُ هَوَامَّ الْعَوَامِّ^(١) فِي ظِلَامِ الْجَهْلِ . وَلَوْ كَانَ وَحْشًا لَكَانَ ابْنِ آوَى^(٢) يَتَلَقَّفُ دَوَاجِنَ^(٣) الْحَوَاضِرِ فِي غِشَاءِ اللَّيْلِ . »

(٢)

« الْعِلْمُ قَبْسَةٌ مِنْ نُورِ اللَّهِ ، وَتَدَّ خَلَقَ اللَّهُ النُّورَ كَثَافًا مُبْصِرًا ، وَوَلَادًا لِلْحَرَارَةِ وَالْقُوَّةِ ، وَجَعَلَ الْعِلْمَ مِثْلَهُ وَضَاحًا لِلْخَيْرِ فَضَاحًا لِلشَّرِّ ، يُوَلِّدُ فِي النَّفْسِ حَرَارَةً وَفِي الرُّؤُوسِ شَهَامَةً .

إِنَّ الْاسْتِبْدَادَ وَالْعِلْمَ ضِدَّانِ مُتَعَالِبَانِ ، فَكُلُّ إِدَارَةٍ مُسْتَبَدَّةٍ تَسْعَى جَهْدَهَا فِي إِطْفَاءِ نُورِ الْعِلْمِ ، وَحَضْرِ الرَّعِيَّةِ فِي حَالِكِ الْجَهْلِ ، وَأَخْوَفُ مَا يَخَافُهُ الْمُسْتَبِدُّونَ مِنَ الْعِلْمِ ، أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ حَقِيقَةَ أَنَّ الْحُرِّيَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَأَنْ يَعْرِفُوا النَّفْسَ وَعِزَّهَا ، وَالشَّرْفَ وَعَظَمَتَهُ ، وَالْحَقُوقَ وَكَيْفَ تُحْفَظُ ، وَالظُّلْمَ وَكَيْفَ يُرْفَعُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةَ وَمَا هِيَ وَظَائِفُهَا ، وَالرَّحْمَةَ وَمَا هِيَ لِذَاتِهَا . »

(٣)

« يَعِيشُ الْإِنْسَانُ فِي ظِلِّ الْعَدَالَةِ وَالْحُرِّيَّةِ نَشِيطًا عَلَى الْعَمَلِ بِيَاضِ نَهَارِهِ ، وَعَلَى الْفِكْرِ سَوَادِ لَيْلِهِ : إِنْ طَعِمَ تَلَذَّذَ ، وَإِنْ تَلَعَى تَرَوَّحَ وَتَرَيَّضَ ، لِأَنَّهُ هَكَذَا رَأَى أَبْوِيَهُ

1 - أهوام : جمع هامة وهي نوع من الحشرات السامة .

2 - ابن آوى : جمعه بنات آوى ، وهو نوع من الحيوانات المفترسة - ق حجم الكلب ، يسطو على الدواجن ليلا فيقتلها .

3 - الدواجن : جمع داجن وداجنة ، والفعل دجن بمعنى أقام يقال : دجن الحمام وغيره : ألف البيوت واستأنس والمراد هنا : المستضعفين من الرجال والنساء .

وَأَقْرَبَاءَهُ، وَهَكَذَا رَأَى قَوْمَهُ الَّذِينَ يَعِيشُ بَيْنَهُمْ يَرَاهُمْ رِجَالًا وَنِسَاءً أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ كُلَّهُمْ دَائِبِينَ عَلَى الْأَعْمَالِ ، يَفْتَخِرُ مِنْهُمْ كَأَسْبِ الدِّينَارِ بِكَدِّهِ وَجِدِّهِ (4) عَلَى مَالِكِ «الْمِلْيَارِ» إِزْثًا عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ، نَعَمْ يَعِيشُ الْعَامِلُ النَّاعِمُ الْبَالِ يَسْرُهُ النَّجَاحُ ، وَلَا تَقْبِضُهُ الْخَيْبَةُ ، إِنَّمَا يَتَنَقَّلُ مِنْ عَمَلٍ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَنْ فِكَّرَ إِلَى آخِرٍ ، فَيَكُونُ سَعِيدًا بِأَمَالِهِ إِنْ لَمْ يُسَارِعْهُ السَّعْدُ فِي أَعْمَالِهِ ، وَكَيْفَمَا كَانَ يَبْلُغُ الْعُدْرَةَ عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَوِيهِ بِمُجَرَّدِ إِيْفَائِهِ وَظَلِيفَةِ الْحَيَاةِ أَيِّ الْعَمَلِ ، وَيَكُونُ فَخُورًا ، نَجِحَ أَوْ لَمْ يَنْجِحْ ، لِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ عَارِ الْعَجْزِ وَالْبَطَالَةِ .

أَمَّا أَسِيرُ الْاسْتِبْدَادِ ، فَيَعِيشُ خَامِلًا ، خَامِدًا ، ضَائِعَ الْقَصْدِ ، حَائِرًا لَا يُدْرِي كَيْفَ يُبَيِّتُ سَاعَاتِهِ وَأَوْقَاتَهُ ، وَيُدْرُجُ (5) أَيَّامَهُ وَأَعْوَامَهُ كَأَنَّهُ حَرِيصٌ عَلَى بُلُوغِ أَجَلِهِ لِيَسْتَتِرَ تَحْتَ التُّرَابِ . . . » .

شرح وايضاح :

عَبَّرَ الْكَاتِبُ عَنْ رَأْيِهِ فِي طَبِيعَةِ الْاسْتِبْدَادِ وَأَثَرِهِ عَلَى الْمَجْتَمَعِ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْإِنْفِكَارِ :

فِي الْفَقْرَةِ (١) : بَدَأَهَا بِالْحَدِيثِ عَنْ عِلَاقَةِ الْحَاكِمِ الظَّالِمِ بِشَعْبِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ الْحَاكِمَ الظَّالِمَ حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَبْقَى شَعْبُهُ جَاهِلًا لِيَقِينَهُ بِنِ بَقَاةِ رَهْنُ بَقَاةِ الْجَهْلِ فِيهِمْ وَأَنْ قِيَادَةَ الْجَهْلَاءِ أَسْهَلُ بِكَثِيرٍ مِنْ قِيَادَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَحَتَّى يَسْتَمِرَّ الْحَاكِمُ فِي ظُلْمِهِ وَجَبْرُوتِهِ لَا تُؤَثِّرُهُ دُمُوعَاتُ الْإِصْلَاحِ ، وَلَا تَنْفِصُهُ نِدَائَاتُ الْيَقِظَةِ وَالْمَقَاوِمَةِ لِسُوءِ مَا يَبْدِيهِ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ ، فَهُوَ يَسْتَفِلُّ جَهْلَهُمْ لظَلْمِهِمْ كَمَا يَسْتَفِلُّ الْخَفَاشُ أَوْ الشُّعْلَبُ ظُلَامَ اللَّيْلِ ابْتِصَادَ فَرِيْسَتِهِ فِي فَفْلَةٍ مِنْ ضِيَاءِ النَّهَارِ .

وَفِي الْفَقْرَةِ (ب) : وَضَحَ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالثَّوْرَةِ ، فَالْعِلْمُ فِي صَنْعِ الثَّوْرَةِ كَالنُّورِ فِي الْحَيَاةِ ، لِأَنَّ النُّورَ يَكْشِفُ مَا حَجَبَهُ الظُّلَامُ أَمَامَ الْعْيُونِ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَيُولِدُ الطَّاقَةَ الَّتِي تُسْرِي بِالْقُوَّةِ فَتُدْفَعُ إِلَى الْعَمَلِ ، سِوَاءِ فِي الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ أَوْ الْآلَاتِ الْجَامِدَةِ الصَّمَاءِ .

وَالْعِلْمُ يَنْبِرُ الْبَصَائِرَ وَالْقُلُوبَ ، فَتَمَيِّزُ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ ، وَالصَّالِحَ مِنَ الْفَاسِدِ ، وَتُزِنُ الْأُمُورَ وَتُحَكِّمُ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَبِالْعِلْمِ يَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ طَاقَةَ حَيَوِيَّةٍ عَلَى الْعَمَلِ الثَّوْرِيِّ بِمَا يَبْعَثُهُ فِي النُّفُوسِ مِنْ كِرَاهِيَةِ الظُّلْمِ وَالْإِسْتِبْدَادِ ، لِأَنَّهُ مَتَى أَدْرَكَ الظُّلْمَ وَشَعَرَ بِهِ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْوُقُوفَ أَمَامَهُ جَامِدًا ، وَمَنْ ثَمَّ كَانَ الصَّرَاعُ دَائِمًا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِبْدَادِ .

4 - جده : اجتهاده .

5 - يدرج : ماضيه درج : طوى ولف .

وفي الفقرة (ج) : أشار الكاتب الى أن الشعوب التي تعيش في ظل الحرية تنشط. في أعمالها ، وَتَجِدُ في السمي وراء رزقها آمنة مطمئنة ، يعتز كل انسان فيها بربحه من عرق جبينه ولو كان قليلا ، ويفتخر به على الأثرياء المتعطلين .

اما الذين قتلت ارادتهم العبودية ، فانك تراهم كسالى خاملين ، ليس لهم آمال تنهض عزائمهم ، ولا اهداف عليا تهون عليهم مشاق الكفاح في حياتهم ، فتثقل ايامهم ، ويقتل الفراغ عمرهم . ويقضي كل منهم حياته ميتا على حد قول الشاعر :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَيْبًا كَأَنَّ بِالْهَيْلِ الْقِلِيلِ الرَّجَاءِ

وينتقل من موت الى موت حتى يواريه التراب في مقره الاخير .

دراسة الأفكار :

((المسئولية)) تكليف لا تشریف ، يستحقها خادم لا مخدوم ، ان اعطاه الشعب ثقته امانة في عنقه ، وعبئا على كاهله احسن استعمالها ، ورعى الله فيمن أسلمه قياده وإن طَوَّهُ السلطة تحت مفرياتها الكثيرة ، فقد زلق وضل ، وقاد شعبه الى الهوان والذل .

ومن هذا المبدأ الاسلامي الانساني الديمقراطي ينفخ الكواكبي في روح الأمة الاسلامية التي رأها تتخبط في دياجير الجهل والتخلف .

وقد عالج الكاتب في هذا النص ثلاث قضايا اساسية ، هي :

1 - بيئة الاستبداد ، وموقف الحاكم المستبد من تعليم شعبه .

2 - اثر العلم في تربية الشعوب وتكوينها العقلي والنفسي ومقاومة الظلم والاستبداد

3 - اثر الحرية او الاستبداد على الشعوب نفسيا واجتماعيا .

وفيما رابت من طريقة عرض الكاتب لافكاره من تحليل منظم ، وتحديد دقيق لابعاد الموضوع ، وفي هجومه على السلطة الحاكمة مع ما عرفت به من ظلم وجبروت ، وفي وقوفه امام الطبقة التي كانت سائدة في عصره تدرك ان النص صورة لملامح شخصيته .

وفي النص قيم اجتماعية وخلقية هامة ، وضحا الكاتب في بيان اثر العلم على الشعوب ، وفضل العمل وقيمته في الحياة . **والعلم والعمل** هما اساس سعادة الشعوب ورفي الامم .

وعاطفة الكاتب صادقة وقوية ، تبدو من خلال الصور التي ساقها في النص ، في صورة تهدف الى جلاء الفكرة وتثبيتها في الذهن .

والكاتب مؤمن بدعوته ، جاد في المطالبة بها ، والسير عليها ، وقد اثمرت جهوده وانتصرت ارادة الشعوب الكادحة في كثير من البلاد الاسلامية .

دراسة الأسلوب :

لم يعمد الكاتب الى توضيح فكرته بمصطلحات علمية يصوغها في أسلوب موجز بسيط مباشر ، ولم يجنح الى الخيال البعيد يصور فيه احساسه ومشاعره ، وانما عمد الى توضيح الحقائق الاجتماعية والنفسية في أسلوب واضح مستعينا بالصور والخيال بالقدر الذي يجلو فكرته ويزيدها وضوحا وتأثيرا .

ومن هنا فان هذا الأسلوب لا يسمى علميا خالصا ، ولا ادبيا محضا ، ولكنه مزيج من الامرين ، وهذا ما اطلق عليه بعض النقاد المعاصرين : « **الأسلوب العلمي المتأدب** » .

وقد استعان الكاتب بالصور البسيطة ، كما استخدم الصور المركبة ، مثل : « صورة الحاكم المستبد مع رعيته » فقد شبهه بالوصي الخائن من جوانب عدة تجمع بينهما : كجهما بقاء الحال على ما هو عليه ، واستنزاف موارد الآخرين ، والعمل على تخلفهم ، والخوف من نضجهم وسريان الوعي بينهم .

ولهذه الصورة ايحاء يشير في النفس الاشتمزاز واحتقار الحاكم المستبد متى اقترن في الذهن بالوصي الخائن لايتام اغنياء ، فاليتم يبعث في النفس دوافع الرحمة والشفقة ، لانه يذكر بالموت وبالعجز ، واولى بالضعيف ان تُرعى حقوقه لا ان تُسرق وتُسلب .

والكاتب في هذه الصورة يستحضر في اذهان سامعيه وقارئييه من جماهير المسلمين الذين يخاطبهم قوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا » (1) .

(1) سورة النساء ، آية رقم 10 .

وفي النص صورة أخرى منها :

« تشبيه المُسْتَبَدِّ بِالْحُقَّاشِ احتقارا لعمله ووصفه بِالْجُبْنِ » .

والاستعارة في قوله :

« حَضَرَ الرَّعِيَّةَ فِي حَالِكِ الْجَهْلِ » .

وعبارات النص واضحة ، والفاظه موحية ذات تأثير في المعنى ، ففي قوله :

« وقد خلق الله النور كشافا مبصرا ، ولادا للحرارة والقوة » .

استخدم الكاتب كلمة « كشافا » و « ولادا » بصيغة المبالغة التي تدل على قوة الكشف ، وعمق الأثر والفاعلية .
وفي قوله :

« إِنْ طِعِمَّ تَلَذَّذَ وَإِنْ تَلَمَّى تَرَوَّحَ وَتَرَيَّضَ » .

صاغ الكاتب افعالا - من اللذة واللهو والراحة - على صيغة تفعل ، التي تدل على الامتزاج بالحدث والتفاعل معه .

وفي النص الوان بديعية مختلفة ، كالسجع في قوله :

« لا اعتسافَ ما لم تكن الرعيّة حمقاء » ، « تَخْبِطُ فِي ظِلَامِ جَهْلٍ وَتِيهِ عَمَاءُ »

والمقابلة في قوله :

« لا يسرُّه النجاح . . . ولا تَقْبِضُهُ الْخَيْبَةُ » .

والطباق في قوله :

« يياض نهاره . . . سواد ليله » .

والجناس في قوله :

« جده جده » .

ولا يخفى عليك ما في هذه الاساليب وغيرها في النص من جمال في الصياغة ووضوح للمعنى .

وفي الاسلوب نغم خفي تحسه وانت تردد كلمات الكواكبي . وهذا الجرس الموسيقي اثر من آثار الثقافة الاسلامية واعظمها تأثيرا فيه اسلوب القرآن الكريم .

واكثر الفاظ النص صريحة في معانيها ، قوية في دلالتها ، وافية بالفرض من الفكرة التي يهدف اليها الكاتب .

مجمل القول فى النص

- النص من الأدب الثوري القومي الذي يهدف الى نهضة الأمة الاسلامية عن طريق كشف ما بها من امراض سياسية واجتماعية ، ووضع الحلول الناجمة لها .
- يقلب عليه التوضيح والتقرير والهدوء النفسي في عرض افكاره بوعي وثبات ، ويركز اهتماما على الفكرة والعناية بها ، والاستدلال عليها بالأمثلة الموضحة لها .
- والكاتب - كما يبدو من خلال اسلوبه - من رواد النهضة الاسلامية الحديثة المعروفين بالجرأة في الحق والاخلاص للأمة والصدق في الجهاد .
- اسلوب النص من قبيل الأسلوب العلمي المتأدب . اعتمد على التصوير الحسي لتقريب الحقائق وتجسيما ، وعباراته قوية واضحة ، والفاظه جزلة موحية .

المناقشة :

- 1 - كيف صور الكاتب الحاكم المستبد ؟ وما رايك في هذه الصورة ؟ مع التعليل .
- 2 - عقد الكاتب مقارنة بين العلم والنور فاشرحها تفصيلا ، وبين أثر كل منهما في الماديات والمعنويات .
- 3 - للعمل قيمة نفسية خلقية اجتماعية . كيف عرض الكاتب لهذه القيمة ؟
- 4 - ما رايك في المبادئ التي نادى بها الكواكبي ؟ وهل تحققت ؟ والى أي مدى ؟
- 5 - ما الفرق بين الصور البيانية المركبة والبسيطة كما فهمتها من هذا النص ؟
- 6 - الفاظ الكاتب موحية ، عين بعضها ، وبين ما فيها من ايجاز .
- 7 - الكواكبي نائر على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية في عصره . وضع هذه الحقيقة من النص .

المقال الأدبي

« الاستبداد يقتل المواهب الفردية ويؤدي بالأمة الى التدهور والانحطاط » .

— اكتب في هذا المعنى ، مستمينا بأفكار النص .

الحياة عقيدة وجهاد

سيد قطب (*)

عِنْدَمَا نَعِيشُ لِذَاتِنَا فَحَسَبُ ، تَبْدُو لَنَا الْحَيَاةُ قَصِيرَةً ضَيْلَةً ، تَبْدَأُ مِنْ حَيْثُ
بَدَأْنَا نَمِي ، وَتَنْتَهِي بِانْتِهَاءِ عُمُرِنَا الْمَحْدُودِ ! ..

أَمَّا عِنْدَمَا نَعِيشُ لِفِكْرِهِ ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ تَبْدُو طَوِيلَةً عَمِيقَةً ، تَبْدَأُ مِنْ حَيْثُ بَدَأَتْ
الْإِنْسَانِيَّةُ وَتَمْتَدُّ بَعْدَ مَفَارِقَتِنَا لَوَجْهِ هَذِهِ الْأَرْضِ ! ..

إِنَّمَا نَرْبِحُ إِضَافَةَ عُمُرِنَا الْفَرْدِيِّ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ، نَرْبِحُهَا حَقِيقَةً لَا وَهْمًا ، فَتَصَوَّرُ
الْحَيَاةَ عَلَى هَذَا التَّحْوِ ، يَضَاعَفُ شَعُورُنَا بِأَيَّامِنَا وَسَاعَاتِنَا وَلِحِظَاتِنَا . وَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ
بِعَدَّةِ السَّنِينَ ، وَلَكِنَّهَا بِعَدَادِ الْمَشَاعِرِ . وَمَا يُسَمِّيهِ « الْوَالِقِيُّونَ » فِي هَذِهِ الْحَالَةِ « وَهْمًا »
هُوَ فِي « الْوَالِقِ » ، « حَقِيقَةٌ » أَصَحُّ مِنْ كُلِّ حَقَائِقِهِمْ ! .. لِأَنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ
غَيْرَ شَعُورِ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَاةِ . جَرَّدَ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنَ الشُّعُورِ بِحَيَاتِهِ تُجَرِّدُهُ مِنَ الْحَيَاةِ ذَاتِهَا
فِي مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيَّةِ ! وَمَتَى أَحَسَّ الْإِنْسَانُ شَعُورًا مُضَاعَفًا بِحَيَاتِهِ ، فَقَدْ عَاشَ حَيَاةً
مُضَاعَفَةً فِعْلًا ...

إِنَّمَا نَعِيشُ لِأَنْفُسِنَا حَيَاةً مُضَاعَفَةً ، حِينَما نَعِيشُ لِلآخَرِينَ ، وَنَقْدُرُ مَا نُضَافُ
إِحْسَانَنَا بِالآخَرِينَ ، نُضَافُ إِحْسَانَنَا بِحَيَاتِنَا ، وَنُضَافُ هَذِهِ الْحَيَاةَ ذَاتَهَا
فِي النَّهَايَةِ .

بَذْرَةُ الشَّرِّ تَبْجُجُ ، وَلَكِنْ يَذْرُوعُ الْخَيْرُ تُشْمِرُ ، إِنَّ الْأَوَّلَى تَرْتَفِعُ فِي الْفُضَاءِ سَرِيعًا
وَلَكِنْ جُدُورُهَا فِي التُّرْبَةِ قَرِيبَةٌ ، حَتَّى لَتَتَحَبَّبَ مِنْ شَجَرَةِ الْخَيْرِ الثُّورَ وَالْهَوَاءَ وَلَكِنْ
شَجَرَةُ الْخَيْرِ تَظَلُّ فِي نَمْوِهَا الْبَطِيءِ ، لِأَنَّ حُمُقَ جُدُورِهَا فِي التُّرْبَةِ يُعَوِّضُهَا عَنِ الدَّفْوِ
وَالْهَوَاوِ . !

مَعَ أَنَّنَا حِينَ نَتَجَاوَزُ الْمَظْهَرَ الْمُرَوَّرَ الْبَرَّاقَ لِشَجَرَةِ الشَّرِّ ، وَنَفْحَصُ عَنْ قُوَّتِهَا
الْحَقِيقِيَّةِ وَصَلَاتِهَا ، تَبْدُو لَنَا وَاهِنَةً هَيْئَةً نَافِثَةً فِي غَيْرِ صِلَابَةٍ حَقِيقِيَّةٍ .. عَلَى حَيْثُ
تَصِيرُ شَجَرَةُ الْخَيْرِ عَلَى الْبَلَاءِ ، وَتَتَمَسَّكُ لِلْعَاصِفَةِ ، وَتَظَلُّ فِي نَمْوِهَا الْهَادِي الْبَطِيءِ ،
لَا تَحْتَلُّ بِمَا تُرْجِمُهَا بِهِ شَجَرَةُ الشَّرِّ مِنْ أَقْدَائِهِ وَأَسْوَاقِهِ ...

(*) أديب مصري معاصر ، بدأ حياته التعليمية في المعاهد الأزهرية ، وتخرج في دار العلوم ثم تابع
دراسته في أمريكا وبعد عودته إلى مصر اشتغل بالتدريس ، وبعض الأعمال الإدارية ، وكتب في الصحف
والمجلات ، وعمل رئيسًا لتحرير جريدة « الإخوان المسلمون » واشتهر بكتاباتهِ الدينية والسياسية
والادبية والتقدية ، ومن أهم آثاره : في ظلال القرآن هذا الدين ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ،
الإسلام ومشكلات الحضارة ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، مهمة الشاعر في الحياة ، وتوفي عام 1965 م .

عندما تنمو في نفوسنا بدورُ الحُبِّ والعطف والخير نُعْفِي أَنْفُسَنَا مِنْ أَعْبَاءٍ وَمَشَقَّاتٍ كَثِيرَةٍ .. إِنَّا لَنْ نَكُونَ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَتَمَلَّقَ الْآخِرِينَ لِأَنَّا سَنَكُونُ يَوْمئِذٍ صَادِقِينَ مُخْلِصِينَ إِذْ نُزَجِّي إِلَيْهِمُ الثَّنَاءَ . إِنَّا سَنَكْشِفُ فِي نَفُوسِهِمْ عَن كُنُوزٍ مِنَ الْخَيْرِ وَسَنُجِدُ لَهُمْ مَزَايَا طَيِّبَةً تُشْنِي عَلَيْهَا حِينَ تُشْنِي وَنَحْنُ صَادِقُونَ ، وَلَنْ يَظْهَرَ لِنَاسٍ نَاحِيَةَ خَيْرَةٍ أَوْ مَزِيَّتَهُ حَسَنَةً تُوَهِّلُهُ لِكَلِمَةِ طَيِّبَةٍ .. وَلَكِنَّا لَا نَطْلَعُ عَلَيْهَا وَلَا نَرَاهَا إِلَّا حِينَ نَتَمُو فِي نَفُوسِنَا بِدَوْرِ الْحُبِّ ...

كذلك لن نكونَ في حاجةٍ لأنْ نُحْمَلَ أَنْفُسَنَا مَوْوَنَةً التَّضَاقُيقِ مِنْهُمْ وَلَا حَتَّى مَوْوَنَةَ الصَّبْرِ عَلَى أَخْطَائِهِمْ وَحِمَاقَاتِهِمْ لِأَنَّا سَنَعْطِفُ عَلَى مَوَاضِعِ الضَّعْفِ وَالنَّقْصِ وَلَنْ نُفْتَشَّ عَلَيْهَا لِنَرَاهَا يَوْمَ نَتَمُو فِي نَفُوسِنَا بِدَرَّةٍ الْعَطْفِ . وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ لَنْ نُجَنِّمَ أَنْفُسَنَا عَنَاءَ الْحَقْدِ عَلَيْهِمْ أَوْ عِبَاءَ الْحَدْرِ مِنْهُمْ فَإِنَّمَا نَحْقِدُ عَلَى الْآخِرِينَ لِأَنَّ بِدَرَّةٍ الْخَيْرِ لَمْ تَنْمُ فِي نَفُوسِنَا نَيْوًا كَافِيًا وَنَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ لِأَنَّ عُنْصَرَ الثَّقَةِ فِي الْخَيْرِ يَنْقُصُنَا .

حين نعتزل الناسَ لِأَنَّا نَحْسُ أَنَّنَا أَطْهَرُ مِنْهُمْ رُوحًا ، أَوْ أَطْيَبُ مِنْهُمْ قَلْبًا ، أَوْ أَرْحَبُ مِنْهُمْ نَفْسًا أَوْ أَذْكَى مِنْهُمْ عَقْلًا لَا نَكُونُ قَدْ صَنَعْنَا شَيْئًا كَبِيرًا ... لَقَدْ اخْتَرْنَا لِأَنْفُسِنَا إِيسَرَ السَّبِيلِ وَأَقْلَبْنَا مَوْوَنَةً .

إِنَّ الْعِظَمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ : أَنْ نَخَالِطَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ مُشَبِّهِينَ بِرُوحِ السَّمَاحَةِ وَالْعَطْفِ عَلَى ضَعْفِهِمْ وَنَقْصِهِمْ وَخَطِيئَتِهِمْ وَرُوحِ الرَّقَبَةِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي تَطْهِيرِهِمْ وَتَثْقِيفِهِمْ وَرَفْعِهِمْ إِلَى مَسْتَوَانَا بِقَدْرِ مَا نَسْتَطِيعُ .

أَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنْ نَتَخَلَّى عَن آفَاقِنَا الْعُلْيَا وَمُثَلِّنَا السَّامِيَةِ أَوْ أَنْ نَتَمَلَّقَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ وَنُثْنِي عَلَى رِذَالِهِمْ أَوْ أَنْ نُشْمِرَهُمْ أَنَّنَا أَعْلَى مِنْهُمْ أُنْفَاءً .. أَنْ التَّوْفِيقَ بَيْنَ هَذِهِ الْمُنَاقِضَاتِ وَسَعَةِ الصَّدْرِ لِمَا يَطْلُبُهُ هَذَا التَّوْفِيقُ مِنْ جُهْدٍ : هُوَ الْعِظَمَةُ .

إِنَّ الرُّوَادَ كَانُوا دَائِمًا . وَسَيَكُونُونَ هُمْ أَصْحَابُ الطَّاقَاتِ الرَّوْحِيَّةِ الْفَائِقَةِ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الشُّعْلَةَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي تَنْصَهَرُ فِي حَرَارَتِهَا كُلُّ ذَرَّاتِ الْعَمَارِيفِ . وَتَنْكَشِفُ فِي ضَوْئِهَا طَرِيقُ الرَّحِيلَةِ ، مَزُودَةٌ بِكُلِّ هَذِهِ الْجَزَائِيَّاتِ ، قَوِيَّةٌ بِهَذَا الرَّادِ ، وَهِيَ تَجِدُّ الشَّرَّ نَحْوَ الْهَدَفِ السَّامِيِّ الْبَعِيدِ ..

هَؤُلَاءِ الرُّوَادُ هُمُ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ بِبَصِيرَتِهِمْ تِلْكَ الْوَحْدَةَ الشَّامِلَةَ ، الْمُتَعَدِّدَةَ الْمَظَاهِرِ فِي : الْعِلْمِ ، وَالْفَنِّ ، وَالْمَقْبِدَةِ ، وَالْعَمَلِ ، فَلَا يَحْقِرُونَ وَاحِدًا مِنْهَا وَلَا يَرْفَعُونَهُ فَوْقَ مُسْتَوَاهِ .

الصَّفَارُ وَحَدَّثَهُمْ ، هُمُ الَّذِينَ يَمْتَقِدُونَ أَنَّ هُنَاكَ تَعَارُضًا بَيْنَ هَذِهِ الْقُوَى الْمُنْتَوِعَةِ الْمَظَاهِرِ ، فَيَحَارِبُونَ الْعِلْمَ بِاسْمِ الدِّينِ ، أَوِ الدِّينَ بِاسْمِ الْعِلْمِ ..

وَيَحْتَقِرُونَ الْفَنَّ بِاسْمِ الْعَمَلِ ، أَوِ الْحَيَوِيَّةَ الدَّافِعَةَ بِاسْمِ الْعَقِيدَةِ الْمُتَّصِفَةِ ! .. ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَدْرِكُونَ كُلَّ قُوَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْقُوَى ، مُنْعَزِلَةً عَنِ مَجْمُوعَةِ الْقُوَى الْآخَرَى الصَّادِرَةِ كُلِّيًّا مِنَ التَّبَعِ الْوَاحِدِ ، مِنْ تِلْكَ الْقُوَّةِ الْكَبِيرَى الْمَسِيطِرَةِ عَلَى هَذَا الْوُجُودِ .. وَلَكِنَّ الرُّوَادَ الْكِبَارَ يَدْرِكُونَ تِلْكَ الْوَحْدَةَ ، لِأَنَّهُمْ مُتَصِلُونَ بِذَلِكَ الْأَصْلِ ، وَمِنْهُ يَسْتَمِدُّونَ ..

إِنَّهُمْ قَلِيلُونَ .. قَلِيلُونَ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ .. بَلْ نَادِرُونَ ! وَلَكِنَّ فِيهِمُ الْكِفَايَةَ :
فَالقُوَّةُ الْمُشْرِقَةُ عَلَى هَذَا الْكَوْنِ ، هِيَ الَّتِي تَصُوِّفُهُمْ ، وَبَعَثَ بِهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمَقْدَرِ
الْمَطْلُوبِ ! .

الِاسْتِسْلَامُ الْمَطْلَقَ لِلْإِمْتِقَادِ فِي الْخَوَارِقِ وَالقُوَى الْمَجْهُولَةِ خَطَرٌ ، لِأَنَّهُ يَقُودُ إِلَى
الْحُرَافَةِ .. وَيَحْوُلُ الْحَيَاةَ إِلَى وَهْمٍ كَبِيرٍ ! ..
وَلَكِنَّ التَّنَكُّرَ الْمَطْلَقَ لِهَذَا الْإِمْتِقَادِ لَيْسَ أَقَلَّ خَطَرًا : لِأَنَّهُ يُفْلِقُ مَنَاوِدَ الْمَجْهُولِ كَيْلَهُ ،
وَيُنَكِّرُ كُلَّ قُوَّةٍ غَيْرَ مَنْظُورَةٍ لِأَلْشَيْءِ الْآلِهَا أَكْبَرُ مِنْ إِدْرَاكِهَا الْبَشَرِيِّ فِي فِتْرَةٍ مِنْ
فِتْرَاتِ حَيَاتِنَا ! وَبِذَلِكَ يُضْعِرُ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ - مَسَاحَةٌ وَطَاقَةٌ ، وَفِيْمَا كَذَلِكَ ،
وَيُجَدِّدُهُ بِحُدُودِ الْمَعْلُومِ وَهُوَ إِلَى هَذِهِ اللَّحْظَةِ حِينَ يَقَاسُ إِلَى قَطْمَةِ الْكَوْنِ - ضَمِيلٌ ..
جِدًّا ضَمِيلٌ ! ..

إِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ . سِلْسِلَةٌ مِنَ الْعَجْزِ مِنْ إِدْرَاكِ الْقُوَى الْكَوْنِيَّةِ أَوْ
سِلْسِلَةٌ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى إِدْرَاكِ هَذِهِ الْقُوَى ، كَمَا سَبَّبَ عَنِ الطُّوقِ وَخَطَا خُطْوَةً إِلَى الْأَمَامِ
فِي طَرِيقِهِ الطَّوِيلِ .

إِنَّ قُدْرَةَ الْإِنْسَانِ فِي وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ عَلَى إِدْرَاكِ إِحْدَى قُوَى الْكَوْنِ الَّتِي كَانَتْ مَجْهُولَةً
لَهُ مِنْذَ لِحْظَةٍ وَكَانَتْ فَوْقَ إِدْرَاكِهِ فِي وَقْتٍ مَا .. لِكَيْفَلَا بَانَ تَفْتَحُ بِصِيْرَتِهِ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ
قُوَى أُخْرَى لَمْ يُدْرِكْهَا بَعْدُ لِأَنَّهُ فِي كَوْرِ التَّجْرِبِ ! .

مَنْ النَّاسُ فِي هَذَا الرِّمَانِ مَنْ يَرَى فِي الْإِمْتِرَافِ بِعَظْمَةِ اللَّهِ الْمَطْلُوقَةِ لُحْصًا مِنْ قِيَمَةِ
الْإِنْسَانِ وَالْمَتَمَارَا لِشَأْنِهِ فِي الْوُجُودِ : كَأَنَّمَا اللَّهُ وَالْإِنْسَانُ نِدَانٌ يَتَنَاكَسَانِ عَلَى الْعَظْمَةِ
وَالقُوَّةِ فِي هَذَا الْوُجُودِ ! .

أَنَا أَحْسَنُ أَنَّهُ كَلِمَا أزدَدْنَا شَعُورًا بِعَظْمَةِ اللَّهِ الْمَطْلُوقَةِ زِدْنَا نَحْنُ أَنْفُسَنَا عَظْمَةً لِأَنَّا مِنْ
صُنْعِ إِلَهٍ عَظِيمٍ ! .

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَرْفَعُونَ أَنْفُسَهُمْ حِينَ يُخْفِضُونَ فِي وَهْمِهِمُ الْهَيْمَةَ أَوْ
يُنْكِرُونَ إِتْمَانَهُمُ الْخُدُودُونَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرَوْا إِلَّا الْأَفْقَ الْوَاطِنَ الْقَرِيبَ ! .

إِنَّهُمْ يظَنُّونَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا لَجَأَ إِلَى اللَّهِ لِإِبَانِ ضَعْفِهِ وَحَجْرِهِ فَمَا الْآنَ فَهُوَ مِنَ الْقُوَّةِ
بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِلَهٍ ! كَأَنَّمَا الضَّعْفُ يَفْتَحُ الْبَصِيرَةَ وَالقُدْرَةَ تَطْمِئِنُّهَا ! .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَجْدِيرٌ بِأَنْ يَزِيدَ إِحْسَاسًا بِعَظْمَةِ اللَّهِ الْمَطْلُوقَةِ كَلَّمَا نَمَتْ قُوَّتُهُ لِأَنَّهُ جَدِيدٌ
بِأَنْ يُدْرِكَ مَصْدَرَ هَذِهِ الْقُوَّةِ كَلَّمَا زَادَتْ طَاقَتُهُ عَلَى الْإِدْرَاكِ ...

أَحْيَانًا تَتَخَفَى الْعُبُودِيَّةُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّيَّةِ فَتَبْدُو أَنْطَاقًا مِنْ جَمِيعِ الْقِيُودِ أَنْطَاقًا مِنْ
الْعُرْفِ وَالتَّقَالِيدِ ، أَنْطَاقًا مِنْ تَكَالِيفِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي هَذَا الْوُجُودِ ! .

إِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا أَسَاسِيًّا بَيْنَ الْأَنْطَاقِ مِنْ قِيُودِ الدَّلِّ وَالضَّمْطِ وَالضَّمْفِ ، وَالْأَنْطَاقِ
مِنْ قِيُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَبْعَاتِهَا . إِنَّ الْأَوَّلَى مَعْنَاهَا التَّحَرُّرُ الْحَقِيقِيُّ أَمَّا الثَّانِيَّةُ فَمَعْنَاهَا
التَّخَلِّيُّ عَنِ الْمَقْرُومَاتِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ إِنْسَانًا وَأَطْلَقَتْهُ مِنْ قِيُودِ الْحَيَوانِيَّةِ الثَّقِيلَةِ !

إنها حرية مُقْتَنَةٌ لآنها في حقيقتها خُضُوعٌ وعبوديةٌ للميول الحيوانية ، تلك الميول التي قَصَّتْ البشرية عُمَرَهَا الطويلَ وهي تكافح لتتخلص من قيودها الخائفة الى جَوْ الحرية الإنسانية الطليقة . . .

لَسْتُ يَمَنُّ يَوْمُونَ بحكاية المبادئ المجرّدة عن الأشخاص لأنه ما المبدأُ بغير عقيدة حارة دافعة ؟ وكيف تُوجَدُ العقيدة الحارة الدافعة في غير قلب إنسان ؟ .

إن المبادئ والأفكار في ذاتها - بلا عقيدة دافعة - مجرد كلمات خاوية أو على الأكثر معانٍ ميتة ! والذي يَمُنَّحُها الحياة هي حرارة الإيمان المُشعَّة من قلب إنسان ! لن يؤمن الآخرون بمبدأ أو فكرة تَنَبَّتْ في ذهن بارد لا في قلب مُشِعٍّ .

أَمِنْ أَنْتَ أَوْلَا بِفِكْرَتِكَ ، آمِنْ بِهَا الى حَدِّ الاعتقاد الحارِّ ! عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون ! ! وإلَّا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة . . .

لا حياة لفكرة لم تَتَمَّصْ رُوحَ إنسان ، ولم تُصَبِّحْ كائناً حياً دَبَّ على وجه الأرض في صورة بشرٍ . . . كذلك لا وجودٌ لشخصٍ - في هذا المجال - لا تُعْمَرُ قَلْبُهُ فِكْرَةً يؤمن بها في حرارة وإخلاص . . .

إن التفريق بين الفكرة والشخص كالتفريق بين الروح والجسد أو المعنى واللفظ عملية في بعض الأحيان مستحيلة وفي بعض الأحيان تخيلٌ معنى التحلُّل والفناء . . . كلُّ فكرة عاشت قد اقتاتت قلبَ إنسان ! أما الأفكار التي لم تُطعمْ هذا الغداء المقدَّس فقد وُلِدَتْ مَيِّتَةً ولم تُدْفَعْ بالبشرية شُبْرًا واحدًا إلى الأمام ! .

من الصعب عليّ أن أتصوّر كيف يُمكن أن نصل إلى غاية نبيلة باستخدام وسيلة خسيسة ! ! إنَّ الغاية النبيلة لا تحيا إلا في قلب نبيلٍ : فكيف يمكن لذلك القلب أن يُطبق استخدام وسيلة خسيسة ، بل كيف يهتدي إلى استخدام هذه الوسيلة ؟ ! حين نَحْوُضُ الى الشطِّ المَرَّغِ بِبِرْكَةٍ من الوَحْلِ لا بُدَّ أن نَصِلَ الى الشطِّ مُلوَّين . . .

إن أحوال الطريق ستترك آثارها على أقدامنا وعلى مواضع هذه الأقدام كذلك الحال حين نستخدم وسيلة خسيسة : ان الدنَسَ سَيَعْلَقُ بأزواجنا ، وسيترك آثاره في هذه الأرواح ، وفي الغاية التي وَصَلْنَا إليها !

ان الوسيلة في حساب الروح جزءٌ من الغاية . ففي عالم الروح لا تُوجَدُ هذه الفوارق والتقسيمات ! الشعور الإنساني وَحْدَهُ إِذَا أَحَسَّ غَايَةً نبيلةً فلن يُطبق استخدام وسيلة خسيسة . . . بل لن يهتدي إلى استخدامها بطبيعته ! « الغاية تُبَرِّرُ الوسيلة ! ؟ » : تلك هي حِكْمَةُ العَرَبِ الكُبْرَى ! ! لَأَنَّ العَرَبَ يَحْيَا بِذَهْنِهِ وفي الذهن يمكن أن توجدَ التقسيمات والفوارق بين الوسائل والغايات .

(1298 - 1356 هـ — 1880 - 1937 م)

تعريف وتمهيد :

استمد «الرافعي» نزعة الفكرية، واتجاهه الادبي من أسرته الدينية، فقد حفظ «القرآن الكريم» على يد والده الذي كان موظفاً بالمحاكم الشرعية، ثم تابع دراسته في إحدى المدارس الابتدائية بقرية «بهيم» في مصر. وهي القرية التي شهدت مسقط رأسه عام 1880 م.

وقد نشأ «الرافعي» فقيراً، فلجأ الى وظيفة صغيرة تعينه على الحياة، وظل يعاني من الفقر طول عمره، ثم أصيب بمرض أفقده سمعه في ريعان شبابه. وبالرغم من الفقر والصمم وأصل الكاتب رسالته الفكرية بأمانة وصدق، فانكب على دراسة الملوم العربية والإسلامية حتى استوى عوده، ونضج فكره، وأصبح كاتباً كبيراً، دافع عن الإسلام والعروبة، وقضى معظم حياته موظفاً في مدينة «طنطا» حتى وافاه الأجل عام 1937 م.

وللرافعي آثارٌ في الشعر والنثر، من أشهرها «إعجاز القرآن» و «البلاغة النبوية» و «السحاب الأحمر» و «أوراق الورد» و «وحي القلم»(*) الذي اخترنا لك منه هذا النص.

وقد عاصر الكاتب أحداثاً عظيمة كان من أهمها محنة الوطن العربي، وأدرك نوايا المستعمرين وأهدافهم الرامية الى تعزيق وحدة العرب بشتى الأساليب، ومن بينها القضاء على اللغة العربية وإحلال اللغات الأجنبية محلها.

ولكن نقطة الشعور الإسلامي العربي، وإخلاص المفكرين والادباء للفتيم وقوميتهم حال دون ذلك.

والرافعي من هؤلاء الكتاب الذين دافعوا عن لغتهم. وسترى كيف عالج هذه القضية في النص التالي :

(*) وهي القلم : مجموعة من المقالات الأدبية والنقدية وبعض القصص القصيرة، نشرت في المجلات والصحف ما بين عام 1934، 1937 م، وتم جمعها في ثلاثة أجزاء، ومعظمها يدور حول قضايا إسلامية وعربية.

(١)

« . . أَمَا اللُّغَةُ فِيهِ صُورَةٌ وَجُودِ الْأُمَّةِ بِأَفْكَارِهَا وَمَعَانِيهَا وَحَقَائِقِ نَفْسِهَا ، وَجُودًا مُتَمَيِّزًا قَائِمًا بِخَصَائِصِهِ : فِيهِ قَوْمِيَّةُ الْفِكْرِ ، تَنَجَّدُ بِهَا الْأُمَّةُ فِي صُورِ التَّفَكِيرِ وَأَسَالِيِبِ أَخْذِ الْمَعْنَى مِنَ الْمَادَّةِ ، وَالذِّقَّةُ فِي تَرْكِيْبِ اللُّغَةِ دَلِيلٌ عَلَى دِقَّةِ الْمَلَكَاتِ فِي أَهْلِهَا ، وَعُمُقُهَا هُوَ عَمَقُ الرُّوحِ وَدَلِيلُ الْحَسَنِ عَلَى مَيْلِ الْأُمَّةِ إِلَى التَّفَكِيرِ وَالبَحْثِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ ، وَكَثْرَةُ مُشْتَقَاتِهَا بَرْهَانٌ عَلَى نَزْعَةِ الْحَرِيَّةِ وَطِمَاحِهَا (1) . فَإِنَّ رُوحَ الْاسْتِعْبَادِ ضَيِّقٌ لَا يَتَسَّعُ ، وَدَأْبُهُ لُزُومُ الْكَلِمَةِ وَالْكَلِمَاتِ الْقَلِيلَةِ .

وَإِذَا كَانَتْ اللُّغَةُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، وَكَانَتْ أُمَّتُهَا حَرِيصَةً عَلَيْهَا ، نَاهِضَةً بِهَا ، مُتَسِّعَةً فِيهَا ، مُكْبِرَةً شَأْنَهَا ، فَمَا يَأْتِي ذَاكَ إِلَّا مِنْ رُوحِ التَّسَلُّطِ فِي شَعْبِهَا وَالمطَابَقَةِ بَيْنِ طَبِيعَتِهِ وَعَمَلِ طَبِيعَتِهِ ، وَكَوْنِهِ سَيِّدَ أَمْرِهِ ، وَمُحَقِّقَ وَجُودِهِ ، وَمُسْتَعْمِلَ قُوَّتِهِ ، وَالْأَخْذَ بِحَقِّهِ . فَأَمَّا إِذَا كَانَ مِنْهُ التَّرَاخِي وَالْإِهْمَالُ وَتَرَكَ اللُّغَةَ الطَّبِيعِيَّةَ الشُّوقِيَّةَ وَإِصْفَارَ أَمْرِهَا وَتَهْوِينَ خَطَرِهَا ، وَإِثَارَ غَيْرِهَا بِالحَبِّ وَالْإِكْبَارِ ، فَهَذَا شَعْبٌ خَادِمٌ لَا مَخْدُومٌ ، تَابِعٌ لَا مُتَبَوِّعٌ ، ضَعِيفٌ مِنْ تَكَالِيفِ السِّيَادَةِ ، لَا يُطِيقُ أَنْ يَحْمِلَ عَظْمَةَ مِيرَاثِهِ ، مُجْتَزِيءٌ (2) بَيْنَ حَقِّهِ ، مُكْتَفٍ بِضُرُورَاتِ العَيْشِ ، يَوْضَعُ لِحُكْمِهِ الْقَانُونَ الَّذِي أَكْثَرُهُ الحِرْمَانُ وَأَقْلَهُ لِلْفَائِدَةِ الَّتِي هِيَ كَالْحِرْمَانِ » .

(ب)

« لَا حَرَمَ (3) كَانَتْ لُغَةُ الْأُمَّةِ هِيَ الِهْدَفُ الْأَوَّلُ لِلْمُسْتَعْمِرِينَ ، فَلَنْ يَتَحَوَّلَ الشَّعْبُ أَوَّلَ مَا يَتَحَوَّلُ إِلَّا مِنْ لُغَتِهِ ، إِذْ يَكُونُ مَنشَأَ التَّحَوُّلِ مِنْ أَفْكَارِهِ وَعَوَاطِفِهِ وَأَمَالِهِ ، وَهُوَ إِذَا انْقَطَعَ مِنْ نَسَبِ لُغَتِهِ انْقَطَعَ مِنْ نَسَبِ مَاضِيهِ ، وَرَجَعَتْ قَوْمِيَّتُهُ صُورَةً مَحْفُوظَةً فِي التَّارِيخِ . لَا صُورَةً مُحَقَّقَةً فِي وَجُودِهِ ، فَلَيْسَ كَاللُّغَةِ نَسَبٌ لِلْعَاطِفَةِ وَالْفِكْرِ ، حَتَّى إِذَا أَبْنَاءُ الْأَبِ الْوَاحِدِ لَوْ اخْتَلَفَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فَنشَأَ مِنْهُمْ نَاشِئٌ عَلَى لُغَةٍ ، وَنشَأَ الثَّانِي عَلَى أُخْرَى وَالثَّلَاثُ عَلَى لُغَةٍ ثَالِثَةٍ ، لَكَانُوا فِي الْعَاطِفَةِ كَأَبْنَاءِ ثَلَاثَةِ آبَاءٍ » . وَمَا ذَلَّتْ لُغَةُ شَعْبٍ إِلَّا دَلٌّ ، وَلَا انْعَطَّتْ إِلَّا كَانَ أَمْرُهُ فِي ذَهَابٍ وَإِدْبَارٍ . وَمِنْ هَذَا يَفْرُضُ الْأَجْنَبِيُّ الْمُسْتَعْمِرُ لُغَتَهُ قَرَضًا عَلَى الْأُمَّةِ الْمُسْتَعْمَرَةِ ، وَيَرْكَبُهُمْ بِهَا ، وَيُسْعِرُهُمْ عَظْمَتَهُ فِيهَا ، وَيَسْتَلْحِقُهُمْ (4) مِنْ نَاحِيَّتِهَا ، فَيُحْكَمُ عَلَيْهِمْ أَحْكَامًا ثَلَاثَةً فِي عَمَلٍ وَاحِدٍ :

١ - طمأنها : طمخ بصره إلى الشيء : ارتفع ، ومصدره طمخ ، وطمأح بالكسرة 2 - مجتزئى : مكتف
3 - لا حرم : لا بد ، أو لا محالة أو حقا ، ولد تحول إلى معنى القسم . لاملن 4 - يستلحقهم :

أَمَّا الْأَوَّلُ ، فَجَبَسُ لُغَتِهِمْ فِي لَفْتِهِ سَجَنًا مُؤَبَّدًا . وَأَمَّا الثَّانِي ، فَالْحُكْمُ عَلَى مَاضِيهِمْ بِالْقَتْلِ مَحْوًا وَنِسْيَانًا . وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَتَقْيِيدُ مُسْتَقْبَلِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ (5) الَّتِي يَصْنَعُهَا ، فَأَمْرُهُمْ مِنْ بَعْدِهَا لِأَمْرِهِ تَبَعٌ .

(ح)

« وَالَّذِينَ يَتَمَلَّقُونَ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةَ يَنْزِعُونَ إِلَى أَهْلِهَا بِطَبِيعَةِ هَذَا التَّلَقُّقِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ عَصَبِيَّتُهُمْ لِلُّغَتِهِمْ قُوَّةً مُسْتَحْكَمَةً مِنْ قَبْلِ الدِّينِ أَوْ الْقَوْمِيَّةِ ، فَتَرَاهُمْ إِذَا وَهَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْعَصَبِيَّةُ يَخْجَلُونَ مِنْ قَوْمِيَّتِهِمْ وَيَتَبَرَّأُونَ مِنْ سَلْفِهِمْ ، وَيَنْسَلِخُونَ مِنْ تَارِيخِهِمْ ، وَتَقْوُمُ بِأَنْفُسِهِمُ الْكِرَاهَةُ لِلُّغَتِهِمْ وَأَدَابِ لُغَتِهِمْ ، وَلِقَوْمِهِمْ وَأَشْيَاءِ قَوْمِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُ وَطَنُهُمْ أَنْ يُوحِيَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ رُوحِهِ ، إِذْ لَا يُوَافِقُ مِنْهُمْ اسْتِجَابَةٌ فِي الطَّبِيعَةِ ، وَيَنْقَادُونَ بِالْحُبِّ لغيرِهِ ، فَيَتَجَاوَزُونَهُ وَهُمْ فِيهِ ، وَيَرْتُونَ دِمَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِهِمْ ثُمَّ تَكُونُ الْعَوَاطِفُ فِي هَذِهِ الدَّمَاءِ لِلْأَجْنِبِيِّ ، وَمِنْ ثَمَّ تُصْبِحُ قِيَمَةُ الْأَشْيَاءِ بِمَصْدَرِهَا لَا بِنَفْسِهَا ، وَبِالْخَيَالِ التَّوَهُّمِ فِيهَا ، لَا بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا ، فَيَكُونُ شَيْءُ الْأَجْنِبِيِّ فِي مَدْهَبِهِمْ أَجْمَلٌ وَأَثْمَنُ ، لِأَنَّ إِلَيْهِ الْمِيلَ وَفِيهِ الْإِكْبَارُ وَالْإِعْظَامُ ، وَقَدْ يَكُونُ الْوَطَنِيُّ مِثْلَهُ أَوْ أَجْمَلُ مِنْهُ ، يَبْدُ (6) أَنَّهُ فَقَدَ الْمِيلَ ، فَضَعُفَتْ صِلَتُهُ بِالنَّفْسِ فَعَادَتْ كُلُّ مُمَيَّزَاتِهِ لَا تُمَيِّزُهُ . »

(د)

« فَاللُّغَاتُ تَنَازَعُ الْقَوْمِيَّةَ ، وَلِهِيَ وَاللَّهِ احْتِلَالُ عَقْلِيٍّ فِي الشُّعُوبِ الَّتِي ضَعُفَتْ عَصَبِيَّتُهَا ، وَإِذَا هَانَتْ اللُّغَةُ الْقَوْمِيَّةُ عَلَى أَهْلِهَا أَثَرَتْ اللُّغَةُ الْأَجْنِبِيَّةُ فِي الْخَلْقِ الْقَوْمِيِّ مَا يُؤَثِّرُ الْجَوُّ الْأَجْنِبِيُّ فِي الْجِسْمِ الَّذِي اتَّقَلَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ فِيهِ . »

أَمَّا إِذَا قَوَّيَتِ الْعَصَبِيَّةُ ، وَعَزَّتِ اللُّغَةُ وَثَارَتْ لَهَا الْحِمِيَّةُ (7) ، فَلَنْ تَكُونَ اللُّغَاتُ الْأَجْنِبِيَّةُ إِلَّا خَادِمَةً يُرْتَفَقُ بِهَا . وَيَرْجِعُ شَبْرُ الْأَجْنِبِيِّ شَبْرًا لَا مَتْرًا . وَتَكُونُ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ لِلُّغَةِ الْقَوْمِيَّةِ مَادَّةً وَعَوْنًا لِكُلِّ مَا هُوَ قَوْمِيٌّ ، فَيُصْبِحُ كُلُّ شَيْءٍ أَجْنِبِيٍّ قَدْ خَضَعَ لِقُوَّةِ قَاهِرَةٍ غَالِبَةٍ هِيَ قُوَّةُ الْإِيمَانِ بِالْمَجْدِ الْوَطَنِيِّ وَاسْتِقْلَالِ الْوَطَنِ ، وَمَتَى تَمَيَّنَ الْأَوَّلُ أَنَّهُ الْأَوَّلُ ، فَكُلُّ قُوَّةٍ الْوُجُودِ لَا تَجْعَلُ الَّذِي بَعْدَهُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ الثَّانِي . »

استلحقه : أماده ونسبه الى نفسه . والمراد هنا : يجعلهم تابعين له . 5 - الاغلال : جمع غل : قيد من حديد في العنق . 6 - يبد : كثير ، وزنا ومعنى ، يقال : هو كثير المال بيد أنه بخيل . وهو اسم ملازم للاضافة الى أن ومموليها ، الا انه لا يقع مرفوعا ولا مجرورا بل منصوبا ، ولا يقع صفة ولا استثناء متصلا ، وانما يستثنى به منقطعا . 7 - الحمية : الابداء والانفة .

أ - يرى الكاتبان وحدة اللغة في الأمة عنوان وحدتها الفكرية والروحية ، وصفات اللغة انعكاس لصفات الأمة . فدقة التعبير اللغوي دليل على قوة الملكات والمواهب ، وعمق اللغة دليل على عمق روح الأمة ، وحبها للتأمل والبحث والتدقيق ، وكثرة مشتقات اللغة ووفرة كلماتها وتنوع عباراتها عنوان على نزوع الأمة الى الحرية والإنطلاق .

وإذا حرص الشعب على لغته وخصائصها السامية ، فذلك يعني حرية الشعب الذي يتحدث بها ، لأنه يعرف قدراته وطاقاته ، ومن ثم يوجه هذه الطاقات الى الأعمال التي تلائمها ، فيحقق وجوده في الحياة ، ويأخذ حقوقه كاملة ، ويصبح سيد نفسه . أما الذين يهلون لغتهم ، ويفضلون عليها لغة غيرهم فهم كالعبيد لا يقدرّون على الاستقلال بأنفسهم ، ولا يستفيدون من ما ضيهم المجيد ليتخلصوا من حاضرهم الشقي ولا ينالون من الحياة الا المذلة والهوان .

ب - ولهذا فان اول ما يهدف اليه المستعمر هو القضاء على لغة الشعوب التي يحكمها ، لأنه يدرك - تماما - أن زوال لغتهم فيه زوال لقوميتهم ، وطمس لمعالم تاريخهم ، وتمزيق لنفوسهم ، وتبديدهم في المجتمع الانساني الذي يعيشون فيه ، فلا يعرفون لهم أصلا ينتمون اليه . ومن ثم يصبح وجود المستعمر بينهم أمرا عاديا لا تنفصه الحركات الوطنية او الثورات الشعبية .

ويدرك المستعمر أن فرض لغته على الشعوب المغلوبة يؤثر عليهم تأثيرا قويا ، فهو يشعرهم بذلتهم ، وعظمتهم ، ويحكم على ماضيهم بالموت ، وعلى مستقبلهم بالتقييد التام له ، وعلى حاضرهم بالجمود والسجن المؤبد .

ج - ويشرح الكاتب خطورة التعلق باللغات الأجنبية ، فانه يقطع الصلة بين الفرد واصله ، فينسلخ من تاريخه ، ولا يوحى اليه وطنه بأسراره ، لأنه فقد دواعي الاستجابة الى مثل هذا الإيحاء ، ويتحول الأمر الى لغة المستعمر ، فيصبح كل ما هو اجنبي من ماديات وادبيات اكمل وأجمل وان كان في الحقيقة أقل شأنًا مما لديه في وطنه ، بسبب تعاطفه مع لغة المستعمر ، وتأثره بها وانقطاع الصلة الروحية بينه وبين وطنه .

د - ثم يؤكد الكاتب أهمية تأثير اللغة الأجنبية في القومية ، ويشبهه بتأثير المناخ الاجنبي على الجسم . ويدعو الكاتب الى التمسك باللغة القومية ، لأنه متى قويت العصبية لها أصبحت اللغة الأجنبية تابعة وخدمة ، ويصبح كل ما هو اجنبي خاضعا لقوة الايمان بالمجد الوطني .

دراسة الأفكار :

تناول هذا النص مشكلة اجتماعية وثيقة الصلة بالسياسة . فحديث الكاتب عن اللغة باعتبارها وسيلة للتعامل والتعارف بين الافراد ، ودلالاتها على طبيعة الشعوب يدخل في نطاق الأدب الاجتماعي .

وحديثه عن اللغة - باعتبارها ميدان صراع بين المستعمر الذي يريد القضاء على اللغة القومية ، وبين الشعوب المستعمرة التي تريد المحافظة على شخصيتها ومقوماتها الذاتية ولغتها - هذا الحديث يدخل في نطاق الأدب السياسي التحرري .

ومع أن الكاتب استوحى موضوعه من بيئته الخاصة ومجتمعه المصري المحدود ، لكنه استطاع أن يخلق بأفكاره في آفاق عالمية إنسانية تناشد فكر كل إنسان فتؤثر فيه . ويجد لها صدى في نفسه ، ويتجاوب معها .

ومصر – موطن الكاتب – كغيرها من البلاد العربية والإسلامية كانت مطمعا للاستعمار الأوربي البغيض ، وقد حاول الانجليز أن يفرضوا لغتهم على المصريين ، فجعلوها لغة الدواوين الرسمية والمدارس والثقافة والعلوم . لكن صحبات الكاتب وأمثاله من الدعاة المخلصين لعروبتهم وإسلامهم حالت دون تحقيق مطامع الأعداء .

وكل من أحس وطأة الاستعمار ، وموقفه من اللغة القومية يشعر بأن الكاتب يخاطبه مباشرة ، ويتحدث في مشكلته الذاتية ، وربما يشعر المستعمرون – أيضا على اختلاف صورهم – بأن الكاتب يكشف خططهم ، ويعري أهدافهم ، وكأنه يلمس فكركم ، ويميش مع عقولهم .

وأفكار النص الأساسية هي :

- 1 – علاقة اللغة بالأمة والفصاحتها عن طبيعة الشعوب .
- 2 – موقف المستعمر من لغته ولغة الشعوب المغلوبة .
- 3 – أخطار التعلق بلغة الأجنبي .
- 4 – ضرورة التمسك باللغة القومية .

وهي أفكار عميقة وغزيرة ، تعكس قدرة الكاتب على ابتكار المعاني وتوليدها ، إذ يتبع الفكرة بأفكار من جنسها تعمقها وتوضحها . يشتق من المعنى معاني تزيده قوة وبيانا . ويمكنك ملاحظة هذه الظاهرة من الفقرة الثانية في النص .

دراسة الأسلوب :

يتميز أسلوب الكاتب بتوضيح المعنى ، لا عن طريق تكرار العبارة أو الكلمة ، وإنما بأشغلي معنى جديد – بأسلوب مغاير – من المعنى السابق ، وإن كان لا ينتقل الى معنى آخر أو فكرة جديدة ، لكنه يعمق المعنى الأول ، ويزيده تفسيراً كما تراه في قوله :

« فتراهم إذا وهنت فيهم هذه العصية يخجلون من قومهم ، ويتبرؤون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بأنفسهم الكراهة للفتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم وأشياء قومهم » .

فانت ترى هنا مجموعة من العبارات حملت مجموعة من المعاني تدور حول فكرة واحدة هي أثر التعلق بلغة الأجنبي .

ومن خصائص أسلوب النص : قوة الأداء اللغوي ، فعباراته قوية النسيج محكمة التعبير رصينة البناء ، والفاظه منتقاة تدل على تمكن الكاتب وسيطرته التامة على أداة تمبيره اللغوي ، وتطويرها لفكره ، وهو فكر عميق فيه ابتكار ، لذا بدا أسلوبه صعبا – خاصة – على من لم يتعود قراءته كثيرا .

وقد استعان الكاتب بالصور البلاغية المختلفة كالتشبيه في قوله :
« حتى أن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم لكانوا في العاطفة
كأبناء ثلاثة آباء » .

وقوله :
« أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثر الجو الأجنبي في الجسم
الذي انتقل إليه » .

والكناية في قوله :
« يركبهم بها » .
فهي توحى بالدلة والهوان ، وتبعث في النفس النفور من المستعمر ولفته .
والاستعارة في قوله : « لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه » .
فهي تشير إلى قيمة العظمة ومسئوليتها الضخمة ، وعبثها الثقيل .
والاستعارة أيضا في قوله :
« وتفيد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها » .

وقوله : « الحكم على ماضيهم بالقتل » .
وفي النص صور بلاغية أخرى يسهل عليك الوقوف عليها ومعرفة دلالتها .

وقد اعتمد الكاتب على الأساليب الخبرية التي تلائم موضوعه . فهي توضح حقائق
اجتماعية وتفسر مشكلات قومية تحتاج الى التحليل والتقرير . والأسلوب الخبري
أقدر على التعبير عن هذه الأمور كلها .

وفي قوله :
« ولهي والله اجتلال عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها » .

أسلوب انشائي يؤكد المعنى ويزيده وضوحا .

ومن ألوان البديع في النص السجع غير المتكلف في قوله :

« اصفار أمرها ، وتهوين خطرها ، وإشار غيرها » .

والطباق في قوله : « بالخيال المتوهم لا بالحقيقة التي تحملها » .

وفي النص محسنات أخرى يمكنك ادراكها .

مجمل القول

- يعتبر هذا النص من الأدب السياسي الاجتماعي التحرري ، الذي يعالج مشكلة إنسانية عالمية ، تنطبق على أي شعب في أي زمان وأي مكان .
- يهدف النص إلى غاية نبيلة ، هي إيقاظ الشعوب وتحذيرها مما بيته لها الاستعمار من الفساد .
- يمتاز النص بجزارة الأفكار ، وابتكار المعاني وتوليدها وتلاحم أجزائه .
- يعكس هذا النص ثقافة الكاتب وخصائص أسلوبه من قوة اللفظ ، وجزالة الأسلوب وشيوع الروح الدينية والقومية ، وقد اعتمد الكاتب على الأساليب الخبرية للمأمته الهدف الذي ينشده وهو تقرير الحقيقة وتوضيحها ، وفيه من الصور البيانية والألوان البديعية ما يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسب الأسلوب جمالاً .
- وقد يشعر القارئ بصعوبة في أسلوبه . وذلك راجع إلى غزارة الفكرة وعمق المعنى ، ومحاولة التعبير عنها بدقة .

المناقشة :

- 1 - كيف دخل هذا النص في نطاق الأدب العالمي ؟
- 2 - ربط الكاتب بين الأمة واللغة . فما العلاقات التي جمعت بينهما ؟ وما رأيك فيها ؟
- 3 - للاستعمار موقف من لغته ولغة الشعوب التي يحتلها . وضحه ، مبيناً الدوافع لهذا الموقف كما شرحها الكاتب .
- 4 - في التعلق بلغة الأجنبي خطورة على الدين والقومية . ناقش هذه الفكرة .
- 5 - للأدب دور في تحرير الأمم لا يقل عن دور المدفع والصاروخ . وضع ذلك .
- 6 - ما خصائص أسلوب الكاتب كما تبدو من خلال دراستك للنص ؟
- 7 - هات من النص صورة بيانية لم ترد في التعليق . وضحها مبيناً سر جمالها .
- 8 - استخرج من النص محسناً يتعلق بالمعنى ، واشرحه .
- 9 - ما البواعث التي أوحت إلى الكاتب بهذا المقال ؟ وما مدى توفيقه في التعبير عن ذلك ؟

تدريب تطبيقي

المقال الأدبي

- ما دور اللغة العربية في محافظة الشعب الجزائري على مقومات شخصيته وانتصاره في ثورته التحريرية الكبرى ؟

السؤال الكتابي :

- وضح العبارة التالية مستعينا بفكر النص :
« اللغة تعبير صادق عن حياة الأمة » .

الدين والمادات *

١ - الدين

« . . والدين هو حقيقة الخلق الاجتماعي في الأمة ، وهو الذي يجعل القلوب كلها طبقة واحدة على اختلاف المظاهر الاجتماعية عالية ونازلة وما بينهما ؛ فهو بذلك الضير القانوني للشعب ، وبه لا يغيره ثبات الأمة على فضائلها النفسية ، وفيه لا في سواه معنى إنسانية القلب .

ولهذا كان الدين من أقوى الوسائل التي يعول عليها في إيقاظ ضمير الأمة وتنبه روحها واهتياج خيالها ، إذ فيه أعظم السلطة التي لها وحدها قوة الغلبة على الماديات ، فسلطان الدين هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته ، ومتى قوي هذا السلطان في شعب ، كان حميا أيثا ، لا تُرغمه قوة ، ولا يعنو للقهر .

ولولا الدين بالشريعة ، لما استقامت الطاعة للقانون في النفس ، ولولا الطاعة النفسية للقوانين ، لما انتظمت أمة ، فليس عمل الدين إلا تحديد مكان الحي في فضائل الحياة ، وتعيين تبعته في حقوقها وواجباتها ، وجعل ذلك كله نظاما مستقرا فيه لا يتغير ، ودفع الإنسان بهذا النظام نحو الأكل ودائما نحو الأكل .

وكل أمة ضعفت الدين فيها اختلت هندستها الاجتماعية ومآج بعضها في بعض ، فإن من دقيق الحكمة في هذا الدين أنه لم يجعل الغاية الأخيرة من الحياة غاية في هذه الأرض ، وذلك لتنظيم الغايات الأرضية في الناس فلا يأكل بعضهم بعضا ، فيعنتي الغني وهو آمن ، ويفتقر الفقير وهو قانع ، ويكون ثواب الأعلى في أن يعود على الأسفل بالمبرة ، وثواب الأسفل في أن يصبر على ترك الأعلى في منزلته ، ثم ينصرف الجميع بفضائلهم الى تحقيق الغاية الإلهية الواحدة ، التي لا يكبر عليها الكبير ، ولا يصغر عنها الصغير ، وهي الحق ، والصالح ، والخير ، والتعاون على البر والتقوى .

وما دام عمل الدين هو تكوين الخلق الثابت الدائب في عمله ، المعترز بقوته ،

*) قدما لك في النص السابق المقوم الاول من مقومات استقلال الأمة في نظر الكاتب ، وهو اللغة .
وتقدم لك المقومين الاخرين وهما الدين والمادات : من مقال « اللغة والدين والمادات » باعتبارهما من مقومات الاستقلال ، [وحي القلم ، ج 3] .

المطمئن إلى صبره ، النَّافِر من الضَّعْفِ ، الأبيِّ على الدُّلِّ ، الكافر بالاستعباد ، المؤمن بالموت في المدافعة عن حَوَازِيهِ ، المجزيِّ بتساميه وبدله وعطفه وإثاره ومفاداته ، العامل في مصلحة الجماعة ، المقيّد في منافعه بواجباته نحو النَّاسِ - ما دام عملُ الدين هو تكوينُ هذا الخلقِ - فيكون الدِّينُ في حقيقته هو جعلُ الحسِّ بالشريعة أقوى من الحسِّ بالمادة ، ولعمري ما يجدُّ الاستقلالُ قوَّةً هي أقوى له وأردُّ عليه من هذا المعنى إذا تقررَ في نفوسِ الأمةِ وانطبعت عليه .

وهذه الأمة الدينية التي يكون واجبها أن تشرق وتسود وتعزَّز ، يكون واجبُ هذا الواجب فيها ألا تسقط ولا تخضع ولا تذلل .

وبتلك الأصول العظيمة التي ينشأ الدِّينُ الصحيح القوي في النَّفسِ ، يتميا النجاح السياسيُّ للشعبِ المحافظِ عليه المنتصرِ له ؛ إذ يكون من خلال الطبيعة في زعمائه ورجاله الثباتُ على النزعة السياسية ، والصلابة في الحقِّ ، والإيمانُ بمجد العمل ، وتغليبُ ذلك على الأحوال المادية التي تترسُّ ذَا الرأي لتفتنه عن رأيه ومذهبه : من مالٍ ، أو جاهٍ ، أو منصبٍ ، أو موافقةِ الهوى ، أو خشيةِ النِّقمةِ ، أو خَوْفِ الوعيدِ ، إلى غيرها من كلِّ ما يستميلُ به الباطلُ أو يرهبُ به الظلمُ .

ولا يذهبُ عنك أنَّ الرجلَ المؤمنَ القويَّ الإيمانِ المتليءَ ثقةً وقيناً ووفاءً وصدقاً وعزماً وإصراراً على فضيلته وثباتاً على ما يلقى في سبيلها - لا يكونُ رجلاً كالناسِ ، بل هو رجلُ الاستقلالِ الذي واجبه جزءٌ من طبيعته وغايته السَّاميةُ لا تنفصلُ عنه ، هو رجلُ صدقِ المبدأ ، وصدقِ الكلمة ، وصدقِ الأمل ، وصدقِ النزعة ، وهو الرجل الذي ينفجرُ في التاريخ كلما احتاجت الحياةُ الوطنيةُ إلى إطلاقِ قنابلها للنصر .

ب - العادات

« . . . والعاداتُ هي الماضي الذي يعيشُ في الحاضرِ ، وهي وحدةٌ تاريخيةٌ في الشعبِ ، تجمعُهُ كما يجمعُهُ الأصلُ الواحدُ ، ثم هي كالدين في قيامها على أساس أدبي في النفس ، وفي اشتغالها على التحريم والتحليل ، وتكاد عاداتُ الشعبِ تكونُ دينا ضيقاً خاصاً به ، يحصرُهُ في قبيله ووطنه ، ويحققُ في أفرادِهِ الألفةَ والتشابكَ ، ويأخذهم جميعاً بمذهبٍ واحدٍ ، هو إجلالُ الماضي .

وإجلالُ الماضي في كل شعب تاريخي هو الوسيلةُ الروحيةُ التي يستوحى بها الشعبُ أبطاله ، وفلاسفته ، وعلماءه ، وأدباءه ، وأهل الفنِّ منه ، فيوحون إليه

وَحَيِّ عَظَمَائِهِمُ الَّتِي لَمْ يَغْلِبْهَا الْمَوْتُ ، وَبِهَذَا تَكُونُ صُورُهُمُ الْعَظِيمَةُ حَيَّةً فِي تَارِيخِهِ ،
وَحَيَّةً فِي أَمَالِهِ وَأَعْصَابِهِ .

وَالْعَادَاتُ هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي تَجْعَلُ الْوَطْنَ شَيْئًا نَفْسِيًّا حَقِيقِيًّا ، حَتَّى لَيْشَعُرَ الْإِنْسَانُ
أَنْ لَارْضِيهِ أُمَّةُ الْأُمِّ الَّتِي وَلَدَتْهُ ، وَلِقَوْمِهِ أَبُوَّةُ الْأَبِ الَّتِي جَاءَ بِهِ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَلَيْسَ
يَعْرِفُ هَذَا إِلَّا مَنْ اغْتَرَبَ عَنْ وَطَنِهِ ، وَخَالَطَ غَيْرَ قَوْمِيهِ ، وَاسْتَوْحِشَ مِنْ غَيْرِ عَادَاتِهِ ،
فَهَنَّاكَ ، هُنَاكَ يَثْبِتُ الْوَطْنَ نَفْسَهُ بِعَظْمَةٍ وَجَبْرُوتٍ كَانَتْ وَحْدَهُ هُوَ الدُّنْيَا .

وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ النَّاشِئَةُ فِي النَّفْسِ مِنْ أَثَرِ الْعَادَاتِ هِيَ الَّتِي تَنْبُتُ فِي الْوَطْنِيِّ رُوحَ
التَّمَيُّزِ عَنِ الْأَجْنَبِيِّ ، وَتُوجِّسُ نَفْسَهُ مِنْهُ كَأَنَّهَا حَاسَةُ الْأَرْضِ تَنْبَهُ أَهْلَهَا وَتُنذِرُهُمُ
الْخَطَرَ .

وَمَتَى صَدَقَتْ الْوَطْنِيَّةُ النَّاشِئَةُ فِي النَّفْسِ أَقْرَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَجْنَبِيٍّ فِي حَقِيقَتِهِ
الْأَجْنَبِيَّةِ ، فَكَانَ هَذَا هُوَ أَوَّلُ مَظَاهِرِ الْإِسْتِقْلَالِ ، وَكَانَ أَقْوَى الذَّرَائِعِ إِلَى الْمَجْدِ
الْوَطْنِيِّ .

وَبِاللُّغَةِ وَالِدِينِ وَالْعَادَاتِ ، يَنْحَصِرُ الشَّعْبُ فِي ذَاتِهِ السَّامِيَةِ بِخُصَائِصِهَا وَمَقُومَاتِهَا ،
فَلَا يَسْهُلُ اتِّزَاعُهَا مِنْهَا وَلَا انْسِلَاخُهَا مِنْ تَارِيخِهَا ، وَإِذَا أَلْجَى إِلَى حَالٍ مِنَ الْقَهْرِ
لَمْ يَنْخَذِلْ وَلَمْ يَتَضَمَّعْ ، وَاسْتَمَرَّ يَعْمَلُ مَا تَعْمَلُهُ الشُّوْكَةُ الْحَادِثَةُ : إِنْ لَمْ تَتْرُكْ
لِنَفْسِهَا ، لَمْ تُعْطِ مِنْ نَفْسِهَا إِلَّا الْوَحْزَ . . . » .

ج - فِي اللَّهْبِ وَلَا تَحْتَرِقُ (*)

« فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ ، أَضْطَرَّتْهَا ظُرُوفُ الْحَيَاةِ إِلَى أَنْ تَكُونَ رَاقِصَةً فِي أَحَدِ الْمَلَاهِي .. كَانَتْ
تَرْقُصُ ، وَحِينَ تَعُودُ إِلَى بَيْتِهَا كَانَتْ تُصَلِّي . وَلَمْ تَسْتَطِعْ وَحَوْلَ الرِّذِيلَةِ أَنْ تَدْتَسَّ فِيهَا
جَوْهَرَ الْفَضِيلَةِ .

أَفِي الْمُمْكِنِ هَذَا ١٤

فَتَاةٌ ، مَفَاكِهِةٌ مَدَاعِبَةٌ ، تُحْيِي لَيْلَهَا رَاقِصَةً مَغْنِيَةً ، حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَ اللَّيْلُ لِيَمْضِيَ ،
وَاتَّبَعَهُ الْفَجْرُ لِيَقْبَلَ - انْكَفَأَتْ إِلَى دَارِهَا ، فَخَرَجَتْ مِنْ زِينَتِهَا ، وَخَلَعَتْ رُوحًا وَبَلَسَتْ
رُوحًا ، وَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ ، وَكَيْفَ اللَّهُمَّ لِيَيْكَ ! ثُمَّ ذَهَبَتْ فَتَوَضَّأَتْ وَأَفَاضَتْ النُّورَ
عَلَيْهَا ، وَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا تُصَلِّي .

وَلَمَّا رَأَيْتُهَا شَهِدَ قَلْبِي لَهَا بِأَنَّ عَلَى وَجْهِهَا مَعَ نُورِ الْجَمَالِ نُورَ الْوُضُوءِ ، وَأَنَّهَا
مُتَحَرِّرَةٌ مَمْتَنَّةٌ فِي حِصْنٍ مِنْ قَلْبِهَا الْمُؤْمِنِ ، يَسْطُرُ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا .

(*) وحى القلم ج ١

وعندي أن المرأة إذا كان لها رأيٌ دينيٌ ترجعُ إليه وكان أمرُها مجتمعا في هذا الرأي وكانت أخلاقها محشودةً له متحفلةً به - فتلك هي الياقوتة التي تُرمى في اللهب ولا تحترقُ . .

ولما سألتها عن حالها قالت الياقوتة ، أغني الراقصة :

— أخذني أبي من عهد الطفولة بالصلاة ، وأثبت في نفسي أن الصلاة لا تصحُّ بالأعضاء إن لم يكن الفكرُ نفسه طاهراً يُصليُّ لله مع الجسم ، فإن كانت الصلاةُ بالجسم وحده لم يزدد المرء من رُوح الصلوة إلا بُعداً ، وقرَّ هذا في نفسي واعتدتهُ : إذ كنت أتعبدُ وأستحضرُ التَّيَّةَ في قلبي ، وأحصرُّ بكلي في هذا الجزء الطاهر قبل أن أقول : «الله أكبر» ، وبذلك أصبح فكري قادراً على أن يخلع الدنيا متى شاء ويلبسها ، وأن يخرج منها ثم يعودُ إليها ، ونشأت فيه القوة المصنَّعة التي تجعلهُ قادراً على أن ينصرف بي عمّا يُفسد رُوح الصلوة في نفسي ، وهي سرُّ السدين وعمادِهِ .

ورأيتُ أبي يصليُّ ، وكذلك رأيتُ أمِّي ، فلا تكادُ تلمُّ بي فكرةً آثمةً إلا اتصبا أمامي ، فأكرهُ أن أستلثم اليهما فأكونُ الفاسدة وهما الصالحان ، واللثيمة وهما الكريمان ، فدمني نفسه - ببركة الدين - يحرسني كما ترى .

قلت : وهذا الرقصُ . . ؟

قالت : نعم ، إنه قضي علي أن أكون راقصةً ، وأن ألتس العيش من أسهل ثلاث طُرُق وألينها وأبعدها عن الفساد ، وإن كان الفسادُ ظاهرها ، أريدُ الرقصَ ، أو الخدمة في بيتٍ أو العمل في السوق . وأنا مطيقةٌ لحررتي في الأولى ، ولكتي لن أملكها في الأخيرتين ما دام على هذا الميسم من الحسن ، وكم من امرأة متحجبة وهي عارية الروح ، وكم من سافرة وروحها متحجبة ، إن كنت لا تعلم هذا فاعلمهُ ، ليس السؤالُ ما سألت ، بل يجبُ أن يكونَ وضعهُ هكذا : هل ما ترى هو في ثيابي فقط ؟ أو هو في ثيابي ونفسي ؟

ها أنتَ ذا تغلغلُ نظرتك في عيني الى المعاني البعيدة ، فهل عيني راقصة ؟

قلت : لا والله ، ما أرى عيني راقصةً ، ولكن عيني مجاهدٍ في سبيل الله ! . .
فاستضحكتُ وقالت : بل قل : عيني مجاهدٍ يهزمُ كلَّ يومٍ شيطاناً أو شياطين ! . .

د - أحلام في الشارح(*)

المنظر : طفل متشرد كان هو وأخته نائمين على عتبة « البنك » .

« على عتبة البنك نام الغلام وأخته يقترشان الرُخامَ البارد ، ويلتحفان جَوًّا رُخامياً في بَرْدِهِ وصلابته على جسيهما .

الطفل متككبٌ في ثوبه كأنه جسم قُطِعَ ورُكِمَت أعضاؤه بعضها على بعض ، وسُجِّيتْ بِنُوبٍ ، ورُمِيَ الرأسُ من فوقها ، فمال على خَدِهِ .

والفتاة كأنها من الهزال رَسْمٌ مَخْطَطٌ لامرأةٍ بدأها المصور ثم أغفلها إذ لم تعجبه !
كتب الفقر عليها للأعين ما يكتب الذبول على الزهرة : أَنَّهُا صَارَتْ قَشًّا . . .

نائمةٌ في صورة مَيْتَةٍ ، أو كميته في صورة نائمة . وقد انسكب ضوء القمر على وجهها ، وبقي وجهٌ أخيهما في الظل . كأن في السماء ملكاً وجَّهَ المصباح إليها وحدها ، إذ عرف أن الطفل ليس في وجهه علامة همٍّ وأن في وجهها هي كل همِّها وهمِّ أخيها .
وكان رأسُ الطفل إلى صدر أخته . وقد نام مطمئناً إلى هذا الوجودِ النَّسْوِيِّ ، الذي لا بد منه لكل طفل مثله ما دام الطفلُ إذا خرج من بطنِ أمِّه خرج إلى الدنيا وإلى صدرها معاً !

ونامت هي ويدها مرسله على أخيها كيد الأم على طفلها . يا الهي نامت ويدها مستيقظة ! .

أهْمَا طِفْلَانِ ؟ أم كِلَاهِمَا تِمْنَالٌ لِلنَّسَانِيَّةِ الَّتِي شَقِيَّتْ بِالسُّعْدَاءِ فَعَوْضَهَا اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ أَلَّا تَجِدَ شَقِيًّا مِثْلَهَا أَلَّا تَضَاعَفَتْ سَعَادَتُهَا بِهِ ؟

تمثالان يُصَوِّرَانِ كَيْفَ يَسْرِي قَلْبُ أَحَدِ الْحَبِيبِينَ فِي الْجِسْمِ الْآخِرِ فَيَجْعَلُ لَهُ وجوداً فوق الدنيا لا تصل الدنيا إليه بفقرها وغناها ولا سعادتها وشقاؤها لأنه وجود الحبِّ لا وجود العمرِ ، وجودٌ سحرِيٌّ ليس فيه معنى للكلمات ، فلا فرق بين المال والتراب ، والأمير والصعلوك ، إذ اللغة هناك احتسّاس الدَّمِّ ، وإذا المعنى ليس في أشياء المادة ، ولكن في أشياء الارادة .

تحت يد الأخت الممدودة ينام الطفل المسكين ، ومن شعوره بهذه اليد ، خَفَّ ثَقُلُ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِهِ .

(*) وحي القلم ج 1 .

لم يُبَالِ أَنْ نَبَذَهُ الْعَالَمُ كُلَّهُ مَا يَجِدُ فِي أَخْتِهِ عَالَمَ قَلْبِهِ الصَّغِيرِ ، وَكَأَنَّهُ فَرَحٌ
 مِنْ فَرَاخِ الطَّيْرِ فِي عُيْتِهِ الْمُعَلَّقِ ، وَقَدْ جَمَعَ لِحْمَهُ الْفَضَّ الْأَحْمَرَ تَحْتَ جَنَاحِ أُمِّهِ
 فَأَحْسَسَ أَهْنَأَ السَّعَادَةِ حِينَ ضَيَّقَ فِي نَفْسِهِ الْكُونَ الْعَظِيمَ ، وَجَعَلَهُ وَجُودًا مِنَ الرَّيِّشِ .
 وَكَذَلِكَ يَسْعُدُ كُلُّ مَنْ يَمْلِكُ قُوَّةَ تَغْيِيرِ الْحَقَائِقِ وَتَبْدِيلِهَا ، وَفِي هَذَا تَفْعَلُ الطِّفْلُ
 فِي نَشْأَتِهِ عَمْرَهَا مَا لَا تَفْعَلُ بَعْضُهُ مَعْجَزَاتُ الْفَلَسَفَةِ الْعُلْيَا فِي جُمْلَةِ أَعْمَارِ الْفَلَسَفَةِ .
 وَمَا صَنَعَ الَّذِينَ جُنُوا بِالذَّهَبِ ، وَلَا الَّذِينَ فُتِنُوا بِالسُّلْطَةِ وَلَا الَّذِينَ هَلَكُوا بِالْحُبِّ
 وَلَا الَّذِينَ تَحَطَّمُوا بِالشَّهَوَاتِ - إِلَّا أَنَّهُمْ حَاولُوا عِبَانًا أَنْ يَرشُوا رَحْمَةَ اللَّهِ لِتُعْطِيَهُمْ
 فِي الذَّهَبِ وَالسُّلْطَةِ وَالْحُبِّ وَالشَّهَوَاتِ - مَا نَوَلَتْهُ هَذَا الطِّفْلُ الْمَسْكِينِ النَّائِمِ فِي
 أَشْعَةِ الْكَوَاكِبِ تَحْتَ ذِرَاعِ كَوْكَبِ رُوحِهِ الْأَرْضِيِّ .
 إِلَّا أَنَّ أَعْظَمَ الْمُلُوكِ لَنْ يَسْتَطِيعَ بِكُلِّ مَلِكِهِ أَنْ يَشْتَرِيَ الطَّرِيقَةَ الْهَيْئَةَ الَّتِي
 يَنْبِضُ بِهَا السَّاعَةُ قَلْبُ هَذَا الطِّفْلِ » .

هـ - أَمْرَاءُ لِلْبَيْعِ (*)

قال أحدُ تلاميذ «عزِّ الدِّينِ بنِ عبدِ السلامِ» : ما رأيتُ مثْلَ شَيْخِي سُلْطَانِ
 الْعُلَمَاءِ عَزِّ الدِّينِ بنِ عبدِ السلامِ⁽¹⁾ فَلَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ شَيْئًا
 تَصْنَعُهُ طَبِيعَتُهُ كَمَا يَصْنَعُ جِسْمُهُ الْحَيَاةَ ، فَلَا يُبَالِي هَلَكًا فِيهِ أَوْ عَاشَ ، إِذْ هُوَ فِي
 الدِّمِّ كَالْقَلْبِ لَا تَنَالُهُ يَدُ صَاحِبِهِ وَلَا يَدُ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ وَلَا تَرْفٍ وَلَا
 نَعِيمٍ ، فَكَانَ تَجْرِدُهُ مِنْ أَوْهَامِ الْقُوَّةِ لَا يُغْلِبُ ، وَاتْتَرَعَ خَوْفَ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِهِ فَعَمَّرَتْهُ
 الرُّوحُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِي تُخِيفُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَخَافُ ، وَكَانَ بِهَذِهِ الرُّوحِ كَأَنَّهُ تَحْوِيلٌ
 وَتَبْدِيلٌ فِي طِبَاعِ النَّاسِ ، حَتَّى قَالَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرِسَ وَقَدْ رَأَى كَثْرَةَ الْخَلْقِ فِي
 جَنَازَتِهِ حِينَ مَرَّتْ تَحْتَ الْقَلْعَةِ : الْآنَ اسْتَقَرَّ أَمْرِي فِي الْمَلِكِ ، فَلَوْ أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ دَعَا
 النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ عَلَيَّ لَا تَتَزَعَّ مَنِّي الْمَلِكَةُ !

وَكَانَ سُلْطَانُهُ فِي دِمَشْقِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ ، فَاسْتَجَدَّ بِالْأَفْرَنْجِ عَلَى الْمَلِكِ نَجْمِ
 الدِّينِ أَيُوبِ سُلْطَانِ مِصْرَ ، فَغَضِبَ الشَّيْخُ وَأَسْقَطَ اسْمَ الصَّالِحِ مِنَ الْخُطْبَةِ وَخَرَجَ
 مَهَاجِرًا ، فَأَتْبَعَهُ الصَّالِحُ بَعْضَ خَوَاصِّهِ يَتَلَطَّفُ بِهِ وَيَقُولُ لَهُ : مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ تَعُودَ
 إِلَيْنَا صَبْرًا وَمَا كُنْتَ عَلَيْهِ وَأَكْثَرَ مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْتَ خَشِيعٌ لِلسُّلْطَانِ وَتُقْبَلُ يَدُهُ ! فَقَالَ لَهُ
 الشَّيْخُ : يَا مَسْكِينُ ! أَنَا لَا أَرْضَى أَنْ يُقْبَلَ السُّلْطَانُ بِدِي ! أَنْتُمْ فِي وَادٍ وَأَنَا فِي وَادٍ .

1 - هو الامام العظيم شيخ الاسلام عبد العزيز بن عبد السلام ولد في دمشق توفى في مصر عام 660 هـ .

(*) وحى القلم ج 3

ثم قَدِمَ إلى مصر في سنة 639 هـ ، فأقبل عليه السلطانُ نجمُ الدِّينِ أيوبُ وتحفَى به وولاه خطابةَ مصرَ وقضاءَها . وكان أيوبُ ملكًا شديدَ البأسِ ، لا يجسرُ أحدٌ أن يُخاطبَهُ إلا مُجيبًا . ولا يتكلَّمُ أحدٌ بحضرته ابتداءً ، وقد جمع من الممالِك الترك ما لم يجتمع مثله لغيره من أهلِ بيته ، حتى كان أكثرُ أمراءِ عسكرِه منهم . وهم معروفون بالخشونةِ والبأسِ والفظاظةِ والاستهانةِ بكلِّ أمرٍ ، فلَمَّا كان يومُ العيد صعدَ إليه الشيخُ وهو يعرضُ الجندَ ويظهرُ ملكه وسَطوتهُ والأمراءُ يقبلونَ الأرضَ بين يديه : فناداه الشيخُ بأعلى صوتِه لسمع هذا المَلأ العظيم . يا أيوبُ ثم أمره بإبطال منكرِ أتمى إلى عليه في حانةٍ تُباعُ فيها الخمرُ ، فرسم السلطانُ لوقته بإبطالِ الحانةِ واعتذرَ إليه .

فحدثني الباجي قال : سألت الشيخَ بعد رجوعه من القلعة وقد شاع الخبرُ ، فقلت : ياسيدي ! كيف كانت الحال ؟

قال : يا بني ، رأيت في تلك العظيمة فخيت على نفسه أن يدخلها الغرورُ فتبطره فكان ما باديتُه به . قلت أما خفتُه ؟

قال يا بني ، استحضرتُ هيةَ الله تعالى فكان السلطانُ أمامي كالقط (*) ولو أن حاجةً من الدنيا في نفسي لرأيتُه الدنيا كلها : بيد أني نظرت بالآخرة فامتدت عيني فيه إلى غير المنظورِ للناس ، فلا عظيمةَ ولا سلطانَ ولا بقاءَ ولا دُنيا ، بل هو لا شيء في صورة شيء .

نحن يا ولدي مع هؤلاء كالمعنى الذي يُصححُ معنى آخرَ ، فإذا أمرناهم فالذي يأمرهم فينا هو الشرعُ لا الإنسانُ ، وهم قوم يروون لأنفسهم الحقَّ في إسكاتِ الكلمةِ الصحيحةِ أو طمسِها أو تحريفِها ، فما بُدَّ أن يقابلوا من العلماءِ والصالحين من يرون لأنفسهم الحقَّ في إنطاقِ هذه الكلمةِ وبيانها وتوضيحها ، فإذا كان ذلك فهنا المعنى بازاء المعنى ، فلا خوفَ ولا مبالاةَ ولا شأنَ للحياةِ والموتِ .

وانما الشرُّ كلُّ الشرِّ أن يتقدمَ اليهم العالمُ لحظوظِ نفسه ومنافعِها ، فيكون باطلا مزورا في صورة الحق ، وههنا تكون الذاتُ مع الذاتِ ، فيخشع الضعفُ أمام القوة ، ويذل الفقرُ بين يدي الغني ، وترجو الحياةَ لنفسها وتخشى على نفسها ، فإذا العالمُ من السلطانِ كالخشبةِ الباليةِ النَّحْرَةَ حاولت أن تقارعَ السَّيفَ !

(*) هذه كلمات الشيخ بحرفها .

كلّاً يا ولدي ! إن السلطانَ والحكّامَ أدواتٌ يجب تعيينُ عملِها قبل إقامتها ، فإذا
تفكّكتْ واحتاجتْ إلى مساميرٍ دُقّت فيها المساميرُ وإذا انفتق الثوب فمن أين للابرة
أن تسلك بالخيط الذي فيها إذا هي لم تخزه ؟

إن العالم الحقّ كالمسارِ ، إذا أوجَدَ المسارَ لذاته دون عَمَلِهِ كَثُرَتْ به كلُّ
خشبةٍ . .

قال الامامُ تقيّ الدين : وطئى الأمراءُ من المالكِ وثقلتْ وطأئهم على الناسِ ،
وحيثما وُجِدَتِ القوّةُ المسلّطةُ المستبدّةُ جعلت طغيانها واستبدادها أدباً وشريعةً ، إلا
أن تقومَ بإزائها قوّةٌ معنويّةٌ أقوى منها ، ففكّر شيخنا في هؤلاء الأمراءِ وقال : إن
خداعَ القوّةِ الكاذبةِ لشعورِ الناسِ بابّ من الفسادِ ، اذ يحسبون كلّ حسن منها هو
الحسن ، وإن كان قبيحاً في ذاته ولا أقبح منه . ويروون كلّ قبيح عندها هو القبيح .
وإن كان حسناً ولا أحسن منه .

وقال : ما معنى الامارة والامراء ؟ وانما قوّة الكل الكبير هي عماد الفرد الكبير
فلكل جزء من هذا الكل حقه وعمله ، وكان ينبغي أن تكون هذه الامارة أعمالاً
نابعة قد كبرت ، وعظمت فاستحقت هذا اللقبَ بطبيعةٍ فيها كطيعة : أن العشرة
أكثرُ من الواحد ، لا أهواء وشهوات وذرائل ومفاسد تتخذ لقبها في الضعفاء بطبيعة
كطيعة أن الوحش مفترسٌ .

وفكر الشيخ فهده تفكيره إلى أن هؤلاء الامراء ممالكُ ، فحكم الرق مستصحب
عليهم لبيت مال المسلمين ، ويجب شرعاً بيعهم كما يباع الرقيق !

بلغهم ذلك فجزعوا له وعظم فيه الخطبُ عليهم ، ثم احتدم الامرُ وأيقنوا أنهم
بازاء الشرع لا بازاء القاضي ابن عبد السلام .

وأفتى الشيخُ أنه لا يصح لهم بيعٌ ولا شراءٌ ولا زواجٌ ولا طلاقٌ ولا معاملةٌ ،
وأنه لا يَصِحُّ لهم شيئاً من هذا حتى يباعوا ويحصلَ عتقهم بطريقٍ شرعيٍّ ! .

ثم جعلوا يتسبّبون إلى رضاه ، ويتحمّلون عليه بالشفاعات ، وهو مُصرٌّ لا يعبأ
بجلالة أخطارهم ، ولا يخشى اتّسامته بعداوتهم ، فرفعوا الأمرُ إلى السلطانِ ، فأرسل
إليه فلم يتحوّل عن رأيه وحكّيه .

وَأَسْتَشْنَعُ السُّلْطَانَ فَعَلَهُ وَحَقَّقَ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَ مِنْهُ دَخُولَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَقَبِحَ عَمَلَهُ وَسِيَاسَتَهُ وَمَا تَطَاوَلَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ إِلَّا نَفْسُهُ وَمَا تَكَادَ تَصِلُ يَدُهُ إِلَى مَا يَقِيمُهُ ، وَهُمْ وَافِرُونَ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْقُوَّةُ وَلَهُمُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ .

وَاتَّهَى ذَلِكَ إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ فَغَضِبَ وَلَمْ يُبَالِ بِالسُّلْطَانِ وَلَا كَبَّرَ عَلَيْهِ إِعْرَاضَهُ ، وَأَزْمَعَ الْهَجْرَةَ مِنْ مِصْرَ ، فَكَتَرَى حَمِيرًا أَرْكَبَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ عَلَيْهَا وَمَشَى هُوَ خَلْفَهُمْ يَرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمْ يَبْعُدِ إِلَّا قَلِيلًا نَحْوَ نِصْفِ بَرِيدٍ حَتَّى طَارَ الْخَبْرُ فِي الْقَاهِرَةِ فَفَزِعَ النَّاسُ وَتَبِعُوهُ لَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ وَلَا صَبِيٌّ ، وَصَارَ فِيهِمُ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ وَالتَّجَارُ وَالْمُحْتَرِفُونَ كَأَنَّ خُرُوجَهُ خُرُوجُ نَبِيٍِّّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَاسْتَعْلَنَتِ قُوَّةُ الشَّرْعِ فِي مَظَاهِرِ الْحَاكِمِ الْأَمْرِ مِنْ هَذِهِ الْجُمَاهِيرِ ، فَقِيلَ لِلْسُّلْطَانِ أَنْ ذَهَبَ هَذَا الرَّجُلُ ذَهَبَ مَلِكُكَ !

فَارْتَاعَ السُّلْطَانُ فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ وَلَحِقَ بِالشَّيْخِ يَتَرَضَّاهُ وَيَسْتَدْفَعُ بِهِ غَضَبَ الْأُمَّةِ ، وَأَطْلَقَ لَهُ يَأْمُرُ بِمَا شَاءَ ، وَقَدْ أَيْقَنَ أَنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْعَيْشِ وَالجَاهِ وَلَيْسَ طَيْلِسَانًا الْعُلَمَاءِ كَمَا يَلْصِقُ الرِّيشَ عَلَى حَجَرٍ فِي صُورَةِ الطَّائِرِ .

وَرَجَعَ الشَّيْخُ وَأَمَرَ أَنْ يُعَقَّدَ الْمَجْلِسُ وَيُجْمَعَ الْأُمَرَاءُ وَيُنَادَى عَلَيْهِمُ لِلْمَسَالُومَةِ فِي بَيْعِهِمْ ، وَضُرِبَ لِذَلِكَ أَجَلًا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ قَدْ تَعَامَلَهُ كُلُّ الْقَاهِرَةِ لِيَتَهَيَّأَ مِنْ يَتَهَيَّأَ لِلشِّرَاءِ وَالسَّوْمِ فِي هَذَا الرَّقِيقِ الْغَالِي !

وَكَانَ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمَمَالِيكَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ ، فَبَعَثَ إِلَى الشَّيْخِ يَلِظُهُ وَيَسْتَرْضِيهِ ، فَلَمْ يَعْأَ الشَّيْخَ بِهِ ، فَهَاجَ هَائِجَهُ وَقَالَ : كَيْفَ يَبِيعُنَا هَذَا الشَّيْخُ وَيُنَادِي عَلَيْنَا وَيُنْزِلُنَا مِنْزَلَةَ الْعَبِيدِ وَيُفْسِدُ مَحَلَّنَا مِنَ النَّاسِ وَيَتَذَلُّ أَقْدَارَنَا وَنَحْنُ مَمْلُوكُ الْأَرْضِ ؟ وَمَا الَّذِي يَفْقَدُ هَذَا الشَّيْخُ مِنَ الدُّنْيَا فَيَدْرِكُ مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَنَّهُ يَفْقَدُ مَا لَا يَمْلِكُ وَيَفْقَدُ غَيْرَ الْمَوْجُودِ ، فَلَا جَرَمَ لَا يَبَالِي وَلَا يَرْجِعُ عَنْ رَأْيِهِ مَا دَامَ هَذَا الرَّأْيُ لَا يَمُرُّ فِي مَنَافِعِهِ وَلَا شَهَوَاتِهِ وَلَا فِي أَطْمَاعِهِ ، كَالَّذِينَ نَرَاهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ، أَمَا وَاللَّهِ لِأَضْرَبَنَّهُ بِسَيْفِي هَذَا ، فَمَا يَمُوتُ رَأْيُهُ وَهُوَ حَيٌّ .

ثُمَّ رَكِبَ النَّائِبُ فِي عَسْكَرِهِ وَجَاءَ إِلَى دَارِ الشَّيْخِ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَطَرَقَ الْبَابَ فَخَرَجَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّطِيفِ وَرَأَى مَا رَأَى ، فَانْقَلَبَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ لَهُ : انْجِ بِنَفْسِكَ أَنْتَ الْمَوْتَ ، وَأَنْتَ السَّيْفُ وَأَنْتَ . . . وَأَنْتَ .

فما اكْتَرَتْ الشَّيْخُ لَدَيْكَ وَلَا جَزَعٌ وَلَا تَغْيِيرٌ ، بَلْ قَالَ لَهُ ، يَا وَلَدِي ! أَبُوكَ أَقْلٌ
مَنْ أَنْ يَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ !

وخرج لا يعرف الحياة ولا الموت ، فليس فيه الانساني بل الإلهي ، ونظر إلى
نائب السلطنة وفي يده السيْفُ ، فانطلقت أشعةٌ عَيْنَيْهِ فِي أعصاب هذه اليدِ فبيست
و وقع السيْفُ منها .

وتناوله بروحه القوية . فاضطرب الرجلُ وتزلزل وكانما تكسر من أعصابه فهو
يرعد ولا يستقر ولا يهدأ .

وأخذ النائبُ يبكي ويسأل الشيخَ أَنْ يدعُوَ له ، ثم قال : ياسيدي ! ما تصنع بنا ؟
قال الشيخ : أنادي عليكم وأبيعكم !

– وفيما تصرف ثمننا ؟

– في مصالح المسلمين ،

– ومن يقبضه ؟

– أنا .

وكان الشرع هو الذي يقول (أنا) فتمَّ للشيخ ما أراد ، ونادى على الأمراء
واحدًا واحدًا ، واشتط في ثمنهم ولا يبيع الواحد منهم حتى يبلغ الثمن آخر ما يبلغ ،
وكان كل أمير قد أعد من شيعته جماعة يستامونه ليشتروه

وَدُمِغَ الظلمُ والنفاقُ والطغيانُ والتكبرُ والاستطالةُ على الناس بهذه الكلمة التي
أعلنها الشرعُ .

أمراء للبيع . . . ! أمراء للبيع . . .

طريق التقدم

شهد النصف الأول من القرن العشرين تحولا ملحوظا في أسلوب الاستعمار فلم يعد يعتمد على القهر بقوة السلاح بصورة سافرة كما كان من قبل لأنه أدرك أن هذا الأسلوب لم يعد ملائما ، لتيقظ الشعوب ، وقيام كتل ومنظمات دولية تحول دون ذلك . فلجأ إلى أساليب متعددة من أهمها : الاستعمار الثقافي ، وهو الذي يوجه الفكر ويخضعه لمبادئ المستعمرين .

ومع أن معظم الشعوب العربية تحررت من الاستعمار ، فلإنها ما تزال تتعلق ببعض آثاره ، تمجد أعماله وتشيد بصناعاته ، وتفضلها على صناعاتها الوطنية .

والذي لا شك فيه أن الدول الاستعمارية قد قطعت شوطا طويلا في ميدان التقدم الفكري والتطور الصناعي والتقني ، وليس ذلك راجعا - بالطبع - إلى فضل في لغتها أو دينها . وليس تأخر الشعوب العربية عن الوصول إلى ما وصلت إليه تلك الدول ناتجا عن تمسكها بلغتها ودينها . إنما يكمن ذلك في عدة أمور :

أولا : أن تاريخ الأمم والشعوب لا يثبت على حالة واحدة من الضعف أو القوة . والأمة الإسلامية - كامة عريقة - مرت بها أطوار : سادت العالم فترة من الزمن ، واستبدلتها الأعداء حينما تخلت عن أسباب قوتها المتمثلة في دينها ولغتها .

ثانيا : أن التقدم الفكري والتقني الذي صاحب أوروبا في نهضتها المعاصرة يرجع إلى أساس من تراثنا الإسلامي العربي الذي أهملناه فترة طويلة من الزمان . ولما كان الزمن والتطور لا يقفان عند فترات الضعف فقد سارت عجلة الحياة والتطور بمن أمسك زمامها ، وقد واصل الأوروبيون مسيرة الحياة بتطويرهم للمبادئ والأفكار والأسس التي استمدوها من التراث الإسلامي العربي في شتى الميادين ، وساعدهم على ذلك ما استفلوه من ثروة مالية وبشرية خلال فترة الاستعمار البغيض .

ثالثا : كان لموجة الاستعمار الأوربي أثر بالغ السوء في نفوس العرب أجمعين ، فقد استطاع هذا الاستعمار أن يحاصرهم داخل نفوسهم وأن يشككهم في قدراتهم وثرواتهم ، وأن يحول دون تقدمهم بمختلف الأساليب ، مما جعل الهوة سحيقة بين تقدمهم وتخلفهم .

تلك هي الحقائق التي أدت بنا الى التخلف عن غيرنا من الدول المتقدمة في العصر الحديث . واصبح لزاما علينا ان نعرف هذه الحقائق ، وأن نعيها جيدا حتى نستطيع أن نضع خطتنا في النهوض على أسس واعدة سليمة .

لما دامت امتنا سادت العالم عندما تمسكت بدستورها العظيم المتمثل في القرآن والسنة ، وانتكست عندما طرحت العمل بهذا الدستور وراء ظهرها ، فان الرجوع اليه هو طريق التقدم المنشود .

وما دام لنا ماض عريق قامت عليه النهضة الأوربية الحديثة ، واستفادت منه نظريا وتطبيقيا في شتى الميادين ، وحققت به تقدما ملحوظا ، فان تمثّل هذا الماضي العظيم في نفوسنا سيدفعنا الى إحيائه وبعثه ويكون لنا هاديا في طريق التقدم .

وما دنا قد عرفنا أهداف المستعمرين منا - على اختلاف أساليبهم ومراميهم - فعلىنا أن نقاومهم بالسلاح الذي يهاجموننا به عسكريا أو اقتصاديا أو ثقافيا أو نفسيا .

وان أمة لها من عراقه الماضي ما لأمتنا الإسلامية العربية ، ولها من وعيها بالحاضر ما يشدّها الى التطلع إلى ماضيها العظيم ، لا بدّ وأن تحرّز النجاح في وقت سريع .



عَبْقَرِيّ

12

للعقّاد

(1889 - 1964 م — 1307 - 1384 هـ)

تعريف وتمهيد :

« عباس محمود العقاد » مفكر حر ، واديب كبير ، جدد في النثر والشعر . وعاش حياة فكرية خصبة الف فيها نحو مائة كتاب ، وآلاف المقالات في الادب والسياسة والتاريخ والدين .

ولد في مدينة « أسوان » بصعيد مصر ، وتلقى علومه الاولى في إحدى مدارسها الابتدائية ، ثم انقطع عن التعليم ، ولكنه واصل قراءاته الواسعة في مختلف العلوم والفنون باللغتين العربية والانجليزية .

وقد اشتغل في بعض الوظائف الحكومية والاهلية ثم تركها ليتفرغ للصحافة والتأليف ويساهم في المجالات العلمية المتعددة حتى وافاه الاجل بالقاهرة في عام 1964 م ودفن بمدينة « أسوان » .

وأبرز سمات العقاد التي تمثل حياته وفكره هي حبه للحرية وإيمانه العميق بان الإسلام هو دين الحرية وأنها اساس لسعادة الفرد ، وصلاح المجتمع !

وقد عاصر الكاتب حملة مسعورة على الاسلام سَنَّها بعض المتعصبين الأوربيين ، ثم أركى نارها الملحدون الشيوعيون ، فتصدَّى لهم بقلمه ، ودافع عن دينه دفاعاً يعتمد على الفكر الحر والمنطق المجرد ، والتقد الموضوعي .

وقد كتب « العقاد » سلسلة من العقريات : « عبقرية محمد » - صلى الله عليه وسلم - و « أبي بكر » و « عمر » و « خالد » - رضي الله عنهم - وغيرهم من عظماء المسلمين . ومن كتابه « عبقرية عمر » تقدم لك النص التالي ، وسترى من خلاله كيف صور العقاد جانباً من جوانب العظمة في شخصية عمر ، وكيف كان ظهور هذه العظمة مرتبطاً بظهور الاسلام وانتشاره .

النص :

« . . لمْ أَنْ عَبْقَرِيًّا (١) يَفْرِي (٢) فَرِيهِ . . »

(أ)

« كَلِمَةٌ قَالَهَا النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي عُمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَهِيَ كَلِمَةٌ لَا يَقُولُهَا إِلَّا عَظِيمٌ عَظْمَاءُ ، خُلِقَ لِسِيَّاسَةِ الْأُمَّمِ وَقِيَادَةِ الرِّجَالِ .

(ب)

فِي مَنَ عِلَامَاتِ الْعِظَمَةِ الَّتِي تُحْيِي مَوَاتِ الْأُمَّمِ أَنْ تَخْتَصَّ بِقُدْرَتَيْنِ لَا تُمَهَّدَانِ (٣) فِي غَيْرِهَا :

أُولَاهُمَا : أَنْ تَبْتِغَتْ كَوَامِنَ الْحَيَاةِ وَدَوَاقِعَ الْعَمَلِ فِي الْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا (٤) وَفِي رِجَالِهَا الصَّالِحِينَ لِخِدْمَتِهَا ؛

وَالْأُخْرَى : أَنْ تَنْفِذَ بِبَصِيرَتِهَا إِلَى أَعْمَاقِ النُّفُوسِ فَتَعْرِفَ بِالْبِدِيَةِ الصَّابِغَةِ وَالْوَحْيِ الصَّادِقِ فَيَمَّ تَكُونُ عِظَمَةُ الْعَظِيمِ ، وَوَلَايَ الْمَوَاقِفِ يَصْلُحُ ، وَبِأَيِّ الْأَعْمَالِ يَصْطَلِحُ (٥) وَمَتَى يَحِينُ أَوَالُهُ وَتَجِبُ نُدْبَتُهُ ، وَمَتَى يَنْبَغِي التَّرِيثُ (٦) فِي أَمْرِهِ إِلَى حِينِ .

(ج)

كَلَّمَا الْقُدْرَتَيْنِ كَانَ لِهَمَّا الْحِظُّ الْوَافِرُ فِي سِيرَةِ « عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ » .

فَأَيْنَ - لَوْلَا الدَّعْوَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ الَّتِي بَعَثَتْ كَوَامِنَ الْعِظَمَةِ فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ - كُنَّا نَسْمَعُ « بَابِنِ الْخَطَّابِ » ؟ ، وَأَيُّ مَوْضِعٍ لَهُ كَانَ مِنْ مَوَاضِعِ هَذَا التَّارِيخِ الْعَالَمِيِّ الَّذِي يَزْخُرُ بِكِبَارِ الْأَسْمَاءِ ؟

إِنَّهُ الْآنَ اسْمٌ يَقْتَرِنُ بِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ ، وَدَوْلَةِ الْفَرَسِ ، وَدَوْلَةِ الرُّومِ ، وَكُلِّ دَوْلَةٍ لَهَا نَصِيبٌ فِي التَّارِيخِ ؛ فَأَيْنَ كُنَّا نَسْمَعُ بِاسْمِ « عَمْرٍ » لَوْلَا الْبَعْثَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ؟

(د)

لَقَدْ كَانَ وَلَا رَيْبَ (٧) خَلِيقًا (٨) أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى مَكَانِ الزَّعَامَةِ بَيْنَ بَنِي عَدِيٍّ ، أَلِ الْأَقْرَبِيِّينَ ، أَوْ بَيْنَ قُرَيْشٍ ، قَيْسَلَةَ الْكَبْرَى ، ثُمَّ يَنْتَهِيَ شَأْنُهُ هُنَاكَ كَمَا أَنْتَهَى

١ - العبقرى : نسبة إلى وادي عبقر . وهو وادٍ يسكنه الجن - كما تزعم العرب - في الجزيرة العربية ، وينسب إليه كل عظيم فريد في نوعه ، والمقصود هنا أنه يملك قوة الإبداع والابتكار في تصريف الأمور .
٢ - يفري : يقطع . ٣ - تمهد : تعرف . ٤ - بأسرها : بأكملها . ٥ - يسطلع بالامر : يقوم به .
٦ - التريث : الانتظار . ٧ - لا ريب : لا شك . ٨ - خليق : جدير .

شأن زعماء آخرين لم نسمع لهم بخبر ، لأنهم عظموا أو لم يعظموا يعطون البيعة كفاء ما تطلب من جهدٍ ودِرَايةٍ ، وهي تطلب منهم ما يُذكرون به في بيئتهم ، ولكنها لا تطلب منهم ما يُذكرون به في أقطار العالم البعيد .

وَقَدْ كَانَ « عُمَرُ » قَوِيَّ النَّفْسِ بَالِغًا فِي الْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ عَلَى قُوَّتِهِ الْبَالِغَةِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ الطَّمَعِ وَالِافْتِحَامِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَمُنُّ يَنْدَفِعُونَ إِلَى الْعَلْبَةِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ بِغَيْرِ دَافِعٍ يَحْفَظُهُ إِلَيْهِ وَهُوَ كَارِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مَقْطُورًا عَلَى الْعَدْلِ (٩) وَإِعْطَاءِ الْحُقُوقِ ، وَالتَّزَامِ الْحُرْمَاتِ مَا التَّزَمَهَا النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ، وَكَانَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَهْتَبَهُ خَطْرٌ عَلَى قَيْلِيَّتِهِ أَوْ عَلَى الْحِجَازِ وَمَحَارِمِهِ الْمُقَدَّسَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَيَنْبَرِي (١٠) لِدَفْعِهِ ، وَيَبْلِي فِي ذَلِكَ بِلَاءً يَسْمَعُ بِهِ الْعَرَبُ فِي جِيلِهِ وَبَعْدَ جِيلِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْدُو ذَلِكَ النِّطَاقَ (١١) وَلَا هُوَ يُبَالِي أَنْ يُمَعِنَ (١٢) فِي بِلَائِهِ حَتَّى يَعْدُوهُ (١٣) .

بل كان من الجائز غير هذا وعلى تقيضه .

كان من الجائز أن تفسد تلك القوة بمعاقره الخمر والانحراف ، فإنه كان في الجاهلية - كما قال - صاحب خمر يشربها ويحبها ، وهي موبقة (١٤) لا تؤمن حتى على الأقوياء إذا أدمنوها ولم يجدوا من زواجر (١٥) الدين أو الحوادث ما يصرفهم عنها ، ويكفهم عن الإفراط في معاطاتها .

فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الَّذِي عَرَفَهُ تَارِيخُ الْعَالَمِ - وَوَلِدُ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ دُونَ سِوَاهَا - بِهَا عَرِفَ ، وَبَعِيرِهَا لَمْ يَكُنْ لِيَعْرِفَ فِي غَيْرِ الْحِجَازِ أَوْ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

شرح وايضاح :

(١) استهل العقاد حديثه عن عظمة عمر بما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - في شأن عمر من أنه رجل عظيم يضع الحل الحازم الصريح الواضح المحدد لكل مشكلة تعترضه ، وقد بلغ في هذه القدرة مبلغا لم يصل إليها غيره من الرجال ذوي العقريات المعروفة ، وكفى بشهادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - برهانا على ذلك فهو أعظم العظماء في السياسة الحكيمة والقيادة الرشيدة .

(ب) ويرى العقاد أن بعث أمة من الأمم يحتاج إلى عبقرية عظيمة مثل عبقرية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلامات العظمة تظهر في قدرتين :

٩ - مفلور على العدل : كان له ميل طبيعي إليه . 10 - ينجري : يتصدى . 11 - لا يعدو النطاق : يتجاوز ما يشد به الوسط ، والمقصود هنا أنه لا يتجاوز الحدود . 12 - يمعن : يستمر . 13 - يعدوه : يتجاوز . 14 - موبقة : مهلكة . 15 - زواجر : جمع زاجر ، وهو الوازع الذي يحول بين الشيء وإيسانه .

اولاهما : القدرة على البعث الشامل والتغيير الجذري ، واستنهاض مريمة كل فرد من افراد الامة وخاصة رجالها الموهوبين حتى تتحول بنفسها الى طاقة حيّة نشيطة .

وثانيهما : أن يكون العبقرى العظيم ذا موهبة وقدرة على فهم الناس وادراك طبائعهم وقدراتهم فيجعل كل انسان فى الموضع الذى يصلح له ، وينتج فيه ، ويختار الوقت الملائم لاسناد المهمات له ليضطلع بها على أحسن وجه وأكمله (ح) وقد توافر الشرطان فى تاريخ عمر بن الخطاب إذ كان البعث المحمدي شاملا للامة وكانت العبقرية المحمدية تجعل كل ذي موهبة وصاحب قدرة فى الموضع المناسب له .

ومن هنا ظهرت عبقرية عمر . فهى مدينة لظهور الدعوة المحمدية أولاً واخيراً . ولولاها ما سمع التاريخ بعمر مقترنا بدولة الاسلام ودولة الفرس والروم وكل دولة عرفها التاريخ .

(د) لقد كان لعمر - حقا - مواهب شخصية ربما نشحت ليتولى زعامة قومه او زعامة قريش كلها ، لكنه لا يبلغ ما بلغ إليه من بُعد الصيت لولا الدعوة المحمدية التى جعلت منه شخصية عالية .

وقد كان عمر قوى النفس ، ولكنه لم يكن من أصحاب الطموح ، ولم يكن ليندفع الى التوسع ما لم تكن هناك ضرورة تدفعه الى ذلك ، كان يفار على قبيلته فيدفع المخيرين عنها ، ويحقق انتصارا عليهم يتسامح به الناس فى زمانه او بعد زمانه ، لكنه لا يصبح حاكما على الحجاز والشام ومصر والعراق ، ومؤسس دولة اسلامية اقترن ظهورها الحقيقي فى التاريخ بالفاروق « عمر بن الخطاب » .

وكان عمر فى جاهليته ممن يشربون الخمر ، وكان من الممكن ان يعطّل ادمان شربها تلك القوة النفسية التى عُرِف بها ، فإن الخمر كثيرا ما تهلك مُدْمِنِيهَا .
فعبقرية عمر بلا شك ، وليدة الدعوة المحمدية ، بدونها ما كان له ذكر خارج الحجاز او الجزيرة العربية .

دراسة الأفكار :

التزم العقاد فى دراسته لـ « عبقرية عمر » منهاجا خاصا أساسه ابراز جوانب العظمة فى شخصية عمر مع التزام الصدق فى كل ما يصدره عليها من أحكام ، او ما يشبه لها من صفات ، غير مسئول عما سوى ذلك من الجوانب الأخرى .

وقد نجح الكاتب فى تطبيق هذا المبدأ كما يبدو لك من استهلال النص بشهادة عظيم العظماء « محمد » - عليه الصلاة والسلام - لعمر بالعبقرية الفذة .

والنص من ادب التراجم والسير الذى يرمى الى احياء التاريخ الاسلامي المجيد بتكريم رجاله ، ونشر أفكارهم ، وتوضيح عظمتهم ، حتى تكون أقوالهم وأعمالهم

مثلاً يقتدي به الشباب المسلم ، وحصناً يحمي فيه من خطر تيارات الإلحاد والاباحية والزيف والضلال فينهضون بامتهم بعد كبوتها ، ويصلون ما انقطع من امجاد ماضيها بحاضرها وغدها .

وعاطفة الكاتب صادقة . يتضح ذلك من **الإلحاح** على ابراز الفكرة ، ومناقشة ابعادها : فعمرد وشخصية قوية لكن هذه الشخصية القوية وان رشحته لمنصب قد لا يتجاوز حدود عشيرته أو اقليمه فإنها لا تعطيه من الفرصة مثل ما اعطته الدولة الاسلامية ، وربما كانت هذه القوة سببا في انحرافه واختفائه كغيره من الكثيرين الذين عاقروا الخمر فاهلكتهم . وهكذا يستمر « العقاد » في تأملاته الفكرية حتى يجلوها ، ويوضحها أقوى توضيح .

وافكار النص الأساسية تلخص فيما يلي :

- 1 - وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعبقرية عمر .
- 2 - علامات العظمة التي يقوم عليها بناء الأمم .
- 3 - سيرة عمر وحظها من الدعوة المحمدية .
- 4 - عبقرية عمر وليدة ظهور الدعوة المحمدية .

وهي كما ترى افكار وثيقة الترابط ، فالقضية التي بدأ بها الكاتب تسلمنا الى نتيجة حتمية منطقية في جو من الحوار الوجداني يرضي العقل والشعور .

وهي تتميز بالوضوح والعمق الذي يحتاج إلى صبر وتأمل لادراك معانيها القريبة والبعيدة .

دراسة الأسلوب :

العقاد من كتاب المعنى الدين يهتمون بالفكرة أولا ، ولكنه لا يهمل الأسلوب . فهو يستخدم الالفاظ القوية والجمل المحكمة دون افراط في المقدمات ، أو لجوء الى التكرار ، أو توكيد بالكلمة أو الجملة ، ويكفيه من الكلمة ما يعبر عن المعنى ، ويفصح عن الشعور ، فاذا ما اتبعها بكلمة أخرى فليس ذلك لاحداث نغم موسيقي في الجملة وانما لتعميق المعنى واثراء الفكرة (1) .

ولم يلجأ الكاتب في هذا النص الى اسخدام الصور البيانية من تشبيه أو استعارة أو كناية ، لان اهتمامه بالفكرة وتعميقها وطبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه والهدف الذي يريد الوصول اليه لا يحتاج الى مثل هذه الصور ، وانما يحتاج الى التمييز المباشر المحكم الذي اتبعه الكاتب في هذا النص .

وقد تنوع أسلوبه بين « الخبر والانشاء » .

و « أساليبه الخيرية » تشبه قرار القاضي بعد الاستماع الى كل الآراء المتعارضة ليفصل في القضية بالحكم القاطع .

(1) تطور الادب الحديث في مصر منذ بداية القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العظمى الثانية د. احمد هبكل

من ذلك قوله :

« فعمر بن الخطاب الذي عرفه تاريخ العالم وليد الدعوة المحمدية
دون سواها بها عرف وبغيرها لم يكن ليعرف في غير الحجاز أو
الجزيرة العربية . »

و « اساليبه الانشائية » تهدف الى تقرير الحكم وتقويته . فَكَلَّ هَمَّ الْكَاتِبِ مَوْجَهٌ
الى خدمة الفكرة التي يعرضها . من ذلك « الاستفهام » في قوله :

« فاين - لولا الدعوة المحمدية التي بعثت كوامن العظمة في امة
العرب - كنا نسمع بابن الخطاب ؟ واي موضع له كان من مواضع
هذا التاريخ العالمي الذي يزخر بكبار الاسماء ؟ »
« فاين كنا نسمع باسم عمر لولا البعثة المحمدية ؟ »

وعبارات النص قوية السبك ، الفاظها مختارة ، فيها جهد ، وليس فيها تكلفٌ
معيب .

وقد تبدو في أسلوبه صعوبة ، وليس مردها الى غموض في الفكرة ، او قلق
في التعبير عنها ، وانما يرجع الى عمق الافكار ودقة صياغتها .
وَكَانَ الْعَمَادُ يَقُولُ عَنْ هَذِهِ الظاهرة في أسلوبه : « أَنَا لَنْ أَكُونَ مَرَوِّحَةً لِلْكَسَالِيِّ
النَّائِمِينَ » .

مجمل القول في النص

- النص من ادب التراجم والسير ، الذي يهدف الى احياء التراث التاريخي
والديني بتصوير نماذج بطولية ، تبعث عظمة ماضيهِ ويستمد بها بناء
حاضرهِ ومستقبلهِ .
- افكار النص عميقة واصحة مترابطة ، اولاًها الكاتب جهداً يَبِينُ عن
مذهبه في الاهتمام بالمعنى .
- اسلوب النص محكم ، ليس فيه ايجاز مخل ، او طول ممل ، ويتميز
بالاقناع الفكري ، والالاحاح على الفكرة ، وميله الى التعبير المباشر ، ليقرر
الحقيقة التي يريد اثباتها ، وقد تبدو فيه صعوبة بسبب عمق المعنى ودقة
الصياغة

المناقشة :

- 1 - اين تكمن عظمة الرسول - عليه الصلاة والسلام - كما وضحها الكاتب ؟
- 2 - ما معنى « لم ار عبقرية يفري فرية » ؟
- 3 - كيف برهن العماد على دعواه بان عبقرية عمر وليدة الدعوة المحمدية ؟

4 - لماذا لم يعتمد الكاتب في هذا النص - كثيرا - على الصور البيانية في التعبير عما يريد ؟

5 - ما خصائص أسلوب العقاد على ضوء دراستك لهذا النص ؟

6 - هل تشعر بصعوبة في فهم أسلوب الكاتب ؟ وما مصدرها ؟

7 - استخرج من النص أسلوب قصر ووضحه .

8 - تخير أسلوبا انشائيا ، وبين أداته ، ونوعه ، والفرض منه ، واثره في المعنى .

المقال الأدبي :

« في حياة الفاروق عمر بن الخطاب مواقف بطولية عظيمة » .

— تخير موقفا ، وصوره بأسلوبك مستعينا بمعلوماتك التاريخية .

نموذجان من أدبه :

أ - منهج الكواكبي في الإصلاح كما يراه العقاد (*)

فكر « الكواكبي » كثيرا وأطال التفكير في جميع المسائل التي بنى عليها « دعوته الى الإصلاح » ، وهي دعوة محيطية بشئون الشرق الاسلامي في زمنه على الاجمال ، وشئون الشرق العربي على التخصيص ، وليست من الدعوات التي تتجه الى ناحية واحدة ، أو تنحصر في جزء من أجزاء الحياة العامة التي تتفرق العناية بها بين أشتات من المصلحين .

وقد نهج في دعوته « منهج العلم التجريبي » أو « الفلسفة العملية » ، فنظر في جميع العلل ، وقدر جميع الوجوه . واعتمد البحث في تلك العلل من ناحية النفي وناحية الاثبات ، فلا يزال بالعلّة المقدّرة يتتبع أغراضها ويستقصي آثارها ، ويرى أين مكان الصواب من تطبيقها على الواقع وتفسيرها بالرأي ، وأين مكان النقص الذي تقصر فيه عن تفسير الواقع وموافقة الأحوال !

ويبدو لنا منهجه في التفكير والمراجعة من أسلوب كتابته اللدّين عرض فيهما آراءه في علل الضعف وشفعهما بما يقترحه لعلاج ذلك الضعف والوقوف به عند حده واستئصال أسبابه ودواعيه !

فهو في كتاب « أمّ القرى » يختار أسلوب المساجلة بين طائفة من أصحاب الآراء ، يعرض على لسان كل منهم وجهة نظر يشرحها من جانبه ويتلقى الرد عليها من مخالفه ومنهم من يعلل الضعف بالجهل ، ومن يعلله بالفقر ، أو يعلله بالاستبداد ، أو يعلله بالخوف والجبين وفساد الأخلاق ، أو يعلله بالتواكل والتسليم للمقادير ، ومنهم من يلقي

(*) الرحالة عبد الرحمن الكواكبي : عباس العقاد .

التبعية فيه على الأمراء أو العلماء أو الخاصة دون العامة ، أو على العامة دون الخاصة . ويعود باللائمة تارة على المسلمين ، وتارة على أعداء الاسلام . ثم يتراءى للقارئ من بين مطارح الأفكار ومذاهب الحوَار مبلغ كل علة من الأثر ومبلغ كل أثر من الأصالة في الضرر ومبلغ الاشتراك بينهما في التأثير ، وإيهما أحق بالابتداء أو أحق بالارجاء .

وانما يطلعُ القارئ في الواقع على رأيٍ مفكّرٍ واحدٍ يذهبُ بالنظر في شتّى مذاهبه ، ويراجع نفسه فيما يعمُّ له من خواطره التي طُرأت له فامتحنها وثبت عليها أو عدل عنها

اما أسلوبه في كتاب « طبائع الاستبداد » فهو أسلوب التقسيم واستيفاء الكلام على كل موضوع من الموضوعات أخذًا وردًا وشرحًا واستدراكًا وتقليبًا للفكرة على وجوهها كما تطورت في ذهن صاحبها وتقدمت بين بدايتها ونهاية التفكير فيها ، وكل موضوع من موضوعات الكتاب عن الدين أو المجد أو العلم أو المال أو السياسة بحث مفروغ منه بين جوانب المناقشة وخواطر الظن والاستدراك وادلة التشكيك والتنفيذ مما ينم عن بحث طويل في ذلك الموضوع لم يقف عند سوانحه الأولى من الظن العاجل والرأي الفطري .

فمن اليسر - من أجل هذا - أن نسمي دعوة « الكواكبي » فلسفة اجتماعية ، أو نسميها مذهبًا فلسفيًا . . . ولكننا لم نشأ أن نسميها بشيء من ذلك لأن الدعوة هنا عمل يزيد عن التفكير . . .

فالدعوة التي تسمى فلسفة تدور على البحث والنظر ، ثم تتركُّ العمل على قواعدها لمن يؤمنُ بها ويقدر على تطبيقها ، وقد يكون البحث فيها مطلقًا غير محدد بزمن من الأزمنة أو بلد من البلدان ، ولكنه يُرسلُ على إطلاقه كما ترسل القوانين الرياضية لمن يخترع لها أدواتها ويوفق بينها وبين مطالبها . فهي فكرة معلقة على زمن مجهول غير محدود .

ولا نحسب أننا نسمي دعوة « الكواكبي » باسمها الصحيح إذا سميناها مذهبًا فلسفيًا . ! فصاحب « أم القرى » لا يعرض لنا فكرة معلقة على مجال ولا يعرض لنا مذهبًا نقابله بمذهب يعقب عليه ، ولكنه يعرض لنا برنامجًا يتبعه عمل وقرار تنتهي إليه مذاهب الخلاف .

ب - فلسفة الصوم (*)

من العبادات القديمة في تاريخ التدين عبادة الصوم بأنواعه الكثيرة . . .

ومن المرجح دائما أن العقائد التي تلازم النفوس زمنا طويلا لا ترجع في نشأتها الى أصل واحد ولا علة واحدة ، والصيام أحد هذه العقائد التي تحصى لها أصول كثيرة في علم الأجناس البشرية وعلم المقابلة بين الأديان ...

(*) على الاثر : عباس العقاد .

فهو في بعض مظاهره ضَرْبٌ من عبادة الموتى أو عبادة الأرواح ...

فكان بعض الناس يجوعون باختيارهم حُزناً على موتاهم ، ثم تطور هذا الصوم فأصبح مفروضاً على الأحياء ترضية لأرواح الموتى ، لكيلا تغضب هذه الأرواح إذا تمتّع الأحياء بالطعام وبالشراب وهي محرومة منه .

وبعض الصيام يرجع إلى ارضاء أرباب القبيلة ولا سيّما الأرباب التي تتكفل لها بالنصر في ميادين القتال . وهناك أسباب أخرى تقترب بنشأة الصوم في القبائل الهمجية الأولى .

وقد تعدّدت حِكْمُ الصَّوْمِ في رَأْيِ رَجَالِ الدِّينِ من المسلمين وغير المسلمين ، فحكمة الصوم عند بعضهم أنه تعليم للأغنياء ليشعروا بحاجة الفقراء ، وحكمته عند بعضهم أنه تكفير عن الخطايا بعقاب الأجساد التي تعاني ما تعانيه من الجوع والظما ، وعند بعضهم أنه تطهير للجسم وتنزيهه عن الحاجات الحيوانية الى الطعام والشراب . وأحسن الحكم موقفاً من العقل والنفس أن الصوم تدريب للعزيمة والخلق وتغليب لقوة الروح . وهو شرف انساني لا يزهد فيه الأغنياء ولا الفقراء . وكل من هؤلاء هؤلاء مفروض عليه الصيام .

كذلك تنزيه الجسد عن المطالب الحيوانية لا يمنع الانسان أن يشعر على كل حال بأنه محتاج الى الطعام والشراب ، ولا مصلحة له في نسيان هذه الحقيقة ما دام يذكرها دائماً بعد ذلك النسيان .

فأحسن ما يقال في حكمة الصوم كما فرضته الأديان الكتابية انه رياضة نفسية وأنه تدريب للخلق والإرادة .

والدين ينكرون الأديان ويدكرون للصوم أضراراً جسدية يغفلون عن الواقع الذي كان في وسعهم أن يتنبهوا إليه . لأن التعرينات العسكرية كثيراً ما تقوم على فرض الشدائد الجسدية على الجنود تصحيحاً لأجسامهم وتعويداً لهم على مقاومة الطوارئ التي يستهدفون لها من قِبَلِ الحرِّ والبرد ، واختلاف الطعام والشراب . كثيراً ما يفرض الأطباء نوعاً من الصيام على بعض المرضى فيستفيدون منه ، ولا يمنعونهم من تحقيق فائدته أنهم يفيرون عادات التغذية أو مواعيدها بضعة أيام أو بضعة أسابيع .

أما الذين يأخذون على الصيام أنه انكار للذات وبقية من بقايا تعذيب الجسد في شريعة الهنود الأقدمين - فهؤلاء يكسبون معنى الصيام من النقيض الى النقيض ، لأن الصيام أثبات للإرادة وتقرير للعزيمة . ومن أثبت ارادته وقرره عزيمته فهو في الواقع يعزز نفسه ولا ينفيها أو ينكرها ، وعلى نقيض ذلك من سخر نفسه لشهواته واستسلم للمغريات التي تحيط به ، فإنه في الواقع ضائع النفس منكر الذات ، متقلب بين العوامل الحسنية كما تتقلب الريشة في مهاب الرياح ، وليس أثبت نفساً ولا أبعد من فناء الذات ممن يعرف له نفساً مستقلة عن اغراء المطامع والشهوات أو يسيطر بارادته على معيشته في الزم الأشياء لجسده ، وهما الطعام والشراب .

فالصيام رياضة معقولة ، ورياضة كَوَيَّة ، وليست هي رياضة الامم التي تَمَانُ الحياة وتزهّد في نصيبها من الدنيا ، بل هي رياضة الامم السيّدة المطاعمة ، لان الارادة اول شرط من شروط السيادة ، وليس اظهر من قوة الارادة في اداء فريضة الصيام ...

ونمتقد ان طريقة الصيام في الاسلام هي انفع الطرق في تربية الارادة واستقلالها عن العادة التي تشبه الاوامر الآلية في بعض الاحيان . لان العزيمة تتجدد بالصيام الاسلامي كل يوم ، اذ يتحوّل الصائم كل يوم من اباحة المطاعم والمناعم في ساعات الليل الى تحريمها في ساعات النهار ، وهذه مزية للطريقة الاسلامية تجعل العزيمة امرا متجددا ما بين الصباح والمساء ، ولا تلحقها بحكم العادة التي يستمر عليها الصائم ثم يالفها بالاستمرار فلا يحتاج الى القوة النفسية التي يحتاج اليها في اوائل الصيام . ومن استطاع في كل يوم ان يعقد عزمه على الصوم شهرا كاملا فثلك استطاعة باقية لا تخدله بقية ايام السنة ، ولا تحتاج الى مرانة اطول من هذه المرانة في كل عام .

ولا يحسب على الصيام ما يقع فيه بعض الناس من الشطط والاسراف ، او من سرعة الانتقال بين الحرمان المطلق قبل غروب الشمس الى المتاع المطلق بعد الغروب . فكل رياضة من الرياضات هي عرضة لمثل ذلك الشطط وذلك الاسراف ، ومن تجاوز الحد في السباحة او في العدو او في حمل الاثقال فانما اللوم عليه فيما يصيبه وليس على فنون الرياضة التي يقصدها الرياضيون .

على ان الصيام قد اصبحت له في العالم الاسلامي اليوم مزية غير مزية الرياضة الروحية والفريضة الدينية ، لانه اصبحت موسما اجتماعيا تتغير به مظاهر الحياة البيئية والاجتماعية في بلاد المسلمين . ولا نظير لهذا الموسم الاجتماعي بين ابناء الاديان الاخرى على اختلاف مذاهبها في الصيام ، لان الزائر الغريب قلما يشعر بفرق ظاهر بين الحياة العامة التي يحيها ابناء تلك الاديان في ايام الصيام ، وفي غير ايامه ، ولكنه يشعر بهذا الفرق في كل مكان حيثما نزل بامة من الامم الاسلامية ، لان ليالي رمضان بسهراتها وزياراتها وافراح الاطفال فيها هي موسم نادر المثال بين مواسم السنة وفصولها ، وهي الفرصة التي تتكح فيها الالفّة بين الناس اشد ما تتاح بين جموع تتكون من الملايين وعشرات الملايين ، فموسم رمضان هو موسم اسرة واحدة تاكل في موعد واحد وتسهر على نمط واحد وتصلّي وتتلو الدعاء في اوقات معلومة لكل فرد من افرادها وتتزاور وتتشاور ، وتعمل ما وسعها لبسط السلام ومنع الخصام ، وهذه الاسرة الواحدة هي امم الاسلام .

التعريب بين الامس واليوم

اللفة كائن اجتماعي ينبض بالحياة ، ويتأثر بالمناخ الذي يعيش فيه ، فهي تزدهر وتنشط في ظل الانتفاضات السياسية والاجتماعية والفكرية ، وتمضي مُسيرة لحركة الحياة من حولها ، ويُعْتَرِبُها من الصفات ما يجعلها خليقة بذلك ، فتشرب مفرداتها بسبب ما يضاف إليها من مصطلحات ومفاهيم علمية وأدبية ، وتسهل قواعدها نتيجة لجهود العلماء الذين يتوفرون لخدمتها والاشتغال بها ، وتقترب الهوة بين الفصحى والعامية ؛ إثرًا من آثار تقارب الفكر بين عامة الناس والجماعة المثقفة من العلماء والادباء ، وتنتشر في الأرض بسبب إقبال كثير من الناس على تعلمها اخلا بأسباب الرُّقْمِ .

أما إذا تَرَدَّتْ الأمة في دركات الضعف ، سَفَّتْ لفتها ، وتَفَوَّقَتْ داخل حدود مَعْيَنَةٍ ، وانصرف الناس عنها إلى غيرها ، حتى ابتأوها المتطلعون إلى السمو والتقدم . وتاريخ البشرية سَجِلٌ حافل بترديد هذه الحقيقة ، ويكفي أَنْ نُلقِيَ نظرة على تاريخ امتنا الاسلامية نستخلص منه أكثر من شاهد ودليل :

ففي بداية عصر النهضة الاسلامية (*) امتدَّتْ حدود الخلافة الاسلامية من بلاد السُّنْدِ والصِّينِ في الشرق إلى جبال البرانس في أوروبا غربًا ، وردد الناس في هذه البلاد لغة القرآن الكريم التي لم تقف عند حد التعبير عن المتطلبات الروحية فحسب بل استحوزت على جميع جوانب مطالب الانسان المادية والعلمية في ذلك الوقت ، وكان عامل التعريب من بين العوامل الهامة التي أُكْتَسِبَتْها تلك المميزات .

فقد شهد القرن الثاني للهجرة طوفانا من بحور التعريب تدفقت من حضارات اليونان والرومان والهند والفرس ، وشملت علوم الطب والهندسة والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق والادب والفنون .

وكان لحركة التعريب اثر كبير في كيان الأمة الاسلامية من الناحيتين المادية والروحية فحينما انموت حركة التعريب في تلقيح الفكر العربي غدت اللغة العربية

(*) اواخر حكم الخلافة الاموية ومستهل حكم الخلافة العباسية في القرن الثاني للهجرة .

مقصدا لطلاب المعرفة من شتى بقاع الارض يفدون على الجامعات العربية زرافات ووحدا و استقبلت جامعات قرطبة بالاندلس العديد من الوافدين اليها من الطلاب الأوربيين .

ولم يكن تفوق المسلمين في ميدان الفنون الحربية على أعدائهم في تلك الحقبة من التاريخ - بمنفصل عن كيان التقدم العلمي والتقني الذي حوته لغتهم العربية . فبعلم « الكيمياء » العربية استطاع أحد العلماء أن يصنع نوعا من القنابل الحارقة أذهلت الصليبيين ودمرت حصونهم المنيعه في مدينة « عكا » وسقطت على أيدي جيوش الناصر صلاح الدين الأيوبي في 8 جويليه 1181 م .

ولقد أدركت أوروبا ما تحتويه لغة العرب من حضارة فجدت في نقلها الى لغاتها المتعددة قبيل نهضتها المعاصرة التي أخذت في النمو ابتداء من أوائل القرن الخامس عشر الميلادي .

وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي اتجه العرب الى التعريب من جديد واخذوا ينقلون الى اللغة العربية ثقافات الأمم المتقدمة في العصر الحديث وما زالت هذه الحركة موضع اهتمام كبير في جميع البلاد العربية .

وهذا المفهوم السابق للتعريب شيء آخر يختلف عن مفهوم قضية التعريب التي تمر بها الجزائر في هذه الفترة الراهنة من تاريخنا ، فليس التعريب هو الترجمة أو نقل التراث الحضاري من اللغات الأجنبية الى لغتنا العربية وإنما التعريب عندنا هو : عودة الشخصية الجزائرية الى كيانها الأصلي والحقيقي بعد أن كادت تمزقها يد الاستعمار البغيض (*) .

انه بهذا المعنى مطلب مادي وروحي معا ... مطلب مادي ، لانه يحدد أبعاد شخصيتنا ويرسم معالم كياننا ووجودنا في هذه الحياة ... ومطلب روحي لانه يرتبط بديننا وعقيدتنا ، فالجزائر أمة مسلمة ، واللغة العربية هي ترجمان الاسلام ، بها سَطُرَ دستور الخالد المتمثل في القرآن الكريم والسنة الشريفة (ومن حاول اصلاح أمة اسلامية بغير دينها فقد عرض وحدتها للانحلال وجسمها للتلاشي ، وصار هادما لعرشها بنية تشييده ، ومن أعرض عن اللغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه) (**) !

(*) حرص الاستعمار خلال الحقبة الطويلة التي جسم فيها على صدر البلاد بكل قوة أن يحو الشخصية الجزائرية ، فجنّد كل طاقاته لذلك . وأصدر في عام 1904 م قانونا يمنع التعليم باللغة العربية الا برخصة تحدد نشاطه ووفق شروط أهمها : اقتصار التعليم على تحفيظ القرآن الكريم لا غير ، عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو الى التحرر من الظلم والاستبداد ، استبعاد دراسة التاريخ العربي والاسلامي والتاريخ المحلي ، استبعاد دراسة الادب العربي بجميع فنونه . والى جانب ذلك فقد عمد الاستعمار الى فرسة الإدارة والاقتصاد والتعليم وحارب العقيدة الاسلامية وجعل من مساجدها كنائس وتكنات بل واتخذ منها أحيانا اصطبات . (التعريب في الجزائر ، المؤتمر الثاني - ديسمبر 1973 ، ص 4) .

(**) من كلمات الشيخ مبارك الميلي ، الفكر والثقافة في شمال افريقيا - انور الجندي - ص 301

وإذا كانت ارادة شعبنا التي تستمد قوتها من ارادة الله وقفت - في صلابة - أمام اطماع المستعمرين ، وحقت انتصارات عسكرية وسياسية واقتصادية ، وردت للجزائر وجهها الأصيل ، واستعادت بذلك شخصيتها الحقيقية ، فان معالم هذا الوجه وتلك الشخصية تظل شوهاء ما لم يكتمل لها جانبها الثقافي . وأول مقومات استقلالنا الثقافي هو استرداد شخصيتنا العربية وتخليصها من شوائب اللقاح الأجنبي الدخيل ولن يكتمل استقلالنا الثقافي الا بعودة اللسان العربي المعبر عن الفكر والمترجم عن الاحساس القومي والديني ، فاللغة هي المظهر الخارجي للشخصية :

« وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا » .

والتعريب الذي يكمل استقلالنا ليس هو التعريب اللغوي فحسب فإن هذا التعريب وحده لا يكفي ، وإنما التعريب الذي تنشده امتنا هو القيمة الروحية والقدرة النفسية والملكة الذهنية التي تُعكس على التفكير والتعبير ، وتظهر في السلوك والعادات والتقاليد ، فهو كما يوضحه الدكتور عبد الله الركيبي بقوله :

« ان من يقرأ بالعربية او يكتبها قد يلتقي مع أيّ أجنبي يحسن العربية ، يلتقي مع المستشرق الذي يتقن العربية قبل أصحابها ، يلتقي مع من يتعلم لغة أجنبية بغرض التعامل مع أصحابها ، في حين أن التفكير هو المهم في الموضوع فربما وجدنا مواطننا لا يحسن العربية ، ومع هذا يدافع عن العربية والعروبة أكثر من بعض الذين يتقنون العربية فالذين ينظرون إلى التعريب نظرة لغوية يحرفونه عن مضمونه ويسعون في الوقت نفسه إلى تكريس الاقليمية ويعملون على استمرار التجزئة وإبقاء الأمة العربية جسدا بلا روح ، فالوحدة لا تتم مع الاقليمية ، ولا مع التعريب اللغوي وإنما تتم مع التجانس الفكري ، مع تعريب التفكير » (*).

ان الدعوة الجادة الى التعريب لا تحمل من قريب أو بعيد انغلاقا على العالم المتمددين أو الجهل باللغات الحية ، أو تقوُّقنا داخل حدود معارف لغتنا وحدها . إنّ الذي يعتز بشخصيته ، يعتز بلغته ، والذي يعتز بلغته يعتز بفكره ، ومن ثمّ يكون حريصا على دوام امداده بالزاد ، عن طريق معرفة اللغات الأخرى ونقل ما تحمله من تيارات وآراء وحضارة تناسب طبيعتنا وديننا وعاداتنا وتقاليدنا ، ثم صبّه في بوتقة لغتنا ، لينصهر بروحنا ويصبح غذاء ناضجا سهل الهضم للذيل المداق .

(*) مجلة الامالة عدد 17 ، 18 - ديسمبر 1973 جانفي .

ومع أن قضية التعريب مطلب جماهيري إلا أنها ككل مطالب الشعوب تحتاج إلى جهود في سبيل تحقيق غاياتها ، وإلى قوة تتغلب بها على اجتياز العقبات التي تقترضُ طريقها ، لكنها تبقى - دائما - عوائق هائلة وموقوتة ، لا تلبث أن تزول أمام تيار ارادة الأمة الواعية ، وهذا ما تبدو آثاره في مختلف المجالات الرسمية والشعبية في بلادنا فقد خطت الوزارات والمصالح الحكومية تدفعا ارادة الجماهير خطوات هامة في طريق التعريب .

ففي مجال التعليم ، تمَّ تعريب المرحلة الابتدائية ، وفتحت مدارس ثانوية كاملة التعريب بقسميها الأدبي والعلمي ، وشهدت الجامعات انطلاقة واسعة سواء في مجال الدراسات الانسانية او كليات العلوم .

وظهر العديد من الصحف والمجلات العربية كصحيفة الشعب والنصر ومجلة الثقافة ومجلة الوان ، ومجلة الأثير .

ونسبة البرامج العربية المذاعة عن طريق المذياع او التلفزة في نمو مطرد وقامت وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بإنشاء المعاهد الدينية ، واستضافت عددا من الطلاب الأفارقة المسلمين ، وفتحت الجامعة الشعبية .

ونجحت وزارة العدل في أن تجعل من اللغة العربية لغة القضاء في جميع مؤسساتها القضائية .

وفي شتى الوزارات جهود تختلف قوة وضعفا نتيجة لما يتاح لها من امكانيات وظروف . وان ما أفسده الاستعمار في قرنٍ وثلث من الزمان سوف نُعيد إصلاحه بمشيئة الله في بضع سنوات بمزيد من العزم والارادة المنبثقة عن الاقتناع والإيمان ، كل إنسانٍ من خلال تحمله مسؤوليته في بناء وتشبيد صرح امتنا المجيدة .



فروسية

13

المازني

(1308 - 1369 هـ) — (1890 - 1949 م)

تعريف ونمهيذ :

ولد الكاتب الساخر « ابراهيم عبد القادر المازني » في مدينة القاهرة ، وتعلم في مدارسها الابتدائية والثانوية والعالية ، وبعد تخرجه من مدرسة « المعلمين العليا » اشتغل بالتدريس في المدارس الحكومية ، ثم تركه وتنقل ما بين العمل بالتدريس في المدارس الحرة والصحافة ، حتى وافته المنية عام 1949 م .

والمازني ناقد ونائر وشاعر ومترجم ، اجاد اللغتين العربية والانجليزية ووجد في الادب العربي الحديث . وله كتب في الادب والنقد منها : « حصاد الهشيم » ، « قبض الريح » ، « خيوط العنكبوت » ، « من النافذة » ، « ثلاثة رجال وامرأة » ، « صندوق الدنيا » ، « ابراهيم الكاتب » و « الديوان » (*).

وتجمعت عوامل مختلفة جعلت من المازني كاتباً ساخراً ، فقد كان قصيراً ، ضئيل الحجم ، شديد الذكاء والحساسية ، المت به محن كثيرة في حياته : من يتم في صباه ، الى قسوة المنون عليه في اختطاف زوجه الاولى والثانية ، ثم ابنته الوحيدة ، واصيب بكسر في ساقه لازمه حتى الموت . فنظر الى الحياة نظرة الساخر . وانعكس ذلك على أسلوبه حتى اصبحت السخرية طابعاً مميزاً له بين كتاب العصر الحديث .

وكان المازني شغوفاً بالقصة والافصوصة يترجم ما راق له من عيون الادب الاوربي ، ويؤلف بأسلوبه القصصي في شتى الاغراض والموضوعات والنص الذي تقدمه لك من كتابه « صندوق الدنيا » ، الذي ضمنه مجموعة من الاقاصيص ، واخترنا لك واحدة منها ، لتتعرف من خلالها على فن الفكاهة في الادب العربي الحديث ، وطبيعة السخرية التي امتاز بها المازني .

النص :

« دُعِينَا أَنَا وَطَائِفَةٌ مِّنَ الْإِخْوَانِ إِلَى قَضَاءِ يَوْمَيْنِ فِي ضَيْعَةِ أَحَدِهِمْ ، وَكَانَتْ قَرِيْبَةً مِّنْ إِحْدَى الصَّوَاغِي ، فَرَكِبْنَا الْقَطَارَ إِلَى . . . وَهَنَّاكَ وَجَدْنَا طَائِفَةً بَحْتِي مِنَ الْخَيْلِ وَالْبَعَالِ وَالْحَمِيرِ ، فَتَوَهَّمْتُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّ هُنَاكَ سَوْقًا لِلدَّوَابِّ ، أَوْ مَعْرَظًا لَهَا . ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّهَا لِرُكُوبِنَا ، فَاخْتَرْتُ مِنْ بَيْنِهَا حِمَارًا صَغِيرًا ، وَهَمَمْتُ بِامْتِطَائِهِ ، وَلَكِنْ

(* الديوان : كتاب في النقد الفه المازني بالاشتراك مع العقاد وطبع لأول مرة عام 1921 م .

صَاحِبِ الصَّيْغَةِ وَدَاعِينَا عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرْكَبَ الْمَازِنِي حِمَارًا ، وَجَاءَنِي بِجَوَادٍ أَصِيلٍ
وَأَقْسَمَ عَلَيَّ لِأَرْكَبَهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ رُكُوبَهُ وَإِنَّهُ لَا عَهْدَ لِي بِالْخَبْلِ
وَدَنَوْتُ مِنْ بَعْضِ الْخَدِيمِ وَهَمَسْتُ فِي أُذُنِهِ هَذَا السُّوَالُ :

قُلْ لِي : كَيْفَ تَرَكَبُ هَذَا الْحِصَانَ ؟

فَتَأْتَلِينِي مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ وَعَلَى فِيهِ طَيْفٌ ابْتِسَامَةٍ : عَلَى ذَيْلِهِ !

قُلْتُ : عَلَى مَاذَا ؟

قَالَ عَلَى ذَيْلِهِ ؛ وَأَشَاحَ عَنِّي بِوَجْهِهِ .

فَدَهَبْتُ إِلَى الْجَوَادِ وَأَدْرْتُ عَيْنِي فِي ذَيْلِهِ ، ثُمَّ هَزَزْتُ رَأْسِي وَعُدْتُ إِلَى الْخَادِمِ
أَسْأَلُهُ :

أَلَا تَنْظُنُّ يَا صَاحِبِي أَنَّ الْأَحْزَمَ أَنْ أَمْتِطِيَهُ قَرِيبًا مِنَ الْعُنُقِ لِأَسْتَطِيعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ
أَنْ أُطَوِّقَهُ بِذِرَاعِي ؟

فَلَمْ يَزِدِ الرَّجُلُ عَلَيَّ أَنْ قَالَ : رَبِّمَا ! وَانصَرَفَ عَنِّي إِلَى سِوَايَ ؛

وَكُنَّا جَمِيعًا فِي هَرْجٍ وَمَرْجٍ ، نَصِيحٌ وَنَضْحَكٌ ، وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا ؛
فَنَادَيْتُ مُضِيفَنَا وَقُلْتُ لَهُ : أُرِيدُ سُلْمًا .

قَالَ فِي دَهْشَةٍ : سُلْمًا ! مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ ؟

قُلْتُ : حَاجَتِي إِلَيْهِ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْعَدَ ظَهْرَ هَذَا الْمُجَلِّيِّ يَا صَاحِبِي !

فَضَحِكَ وَقَالَ : أَنَا أَسَاعِدُكَ ! وَدَفَعَنِي عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ دَفْعَةً خِيلَ إِلَيَّ أَنَّهَا
سَتُلْقِينِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى .

وَسِرْنَا مَسَافَةً عَلَى مَهَلٍ ، ثُمَّ وَخَزَ أَحَدُنَا دَابَّتَهُ فَمَضَتْ تَعْدُو ، وَاسْتَحَثَّ آخِرُ
مَطِيئَتِهِ وَانْطَلَقَ بِهَا وَرَاءَهُ ، وَاقْتَرَبَ مِنِّي ثَلَاثٌ وَأَهْوَى عَلَيَّ جَوَادِي بِعَصَا مَعَهُ فَوَثَبَ
الْجَوَادُ وَرَاحَ يَسْبِقُ الرِّيحَ أَوْ هَكَذَا خَيْلَ إِلَيَّ وَأَنَا أَعْلُو وَأَهْطُ فَوْقَهُ ، ثُمَّ أَحْسَسْتُ
أَنَّ أَمْعَائِي سَتَنْقَطِعُ ، وَأَتَلَمَّسُ بِيَدِي شَيْئًا أَمْسِكُهُ وَأَتَعَلَّقُ بِهِ ، فَيَفِلْتُ مِنْ قَبْضَتِي كُلِّ
مَا تَصِلُ إِلَيْهِ ، فَارْتَمَيْتُ عَلَى عُنُقِهِ وَطَوَّقْتُهُ وَجَعَلْتُ أَنْادِي مَنْ حَوْلِي وَأَنَا شِدْهُمْ الذِّمَّةَ

وَالضَّيْمِ وَالْمَرْوَةِ أَنْ يَوْقِفُوا هَذَا الشَّيْطَانَ ، وَأَذْرَكَ أَحَدَ إِخْوَانِي الْعَطْفَ عَلَيَّ فَصَاحَ بِي : وَلَكِنْ كَيْفَ نُوَقِّفُهُ وَنَحْنُ رَاكِبُونَ ؟ فَعَاظَنِي مِنْهُ هَذَا الْبَلَهُ ، وَلَمْ يَمْنُنِي مَا فِي الْمَوْقِفِ مِنْ فُكَاهَةٍ عَلَى الرَّغِيمِ مِنَ الْأَلَمِ الَّذِي أَعَانِيهِ ، وَمِمَّا أَتَوَقَّعُهُ إِذَا ظَلَّ الْجَوَادُ يَرْكُضُ بِي ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا بَلَهُ ، انزِلْ وَاقْبِضْ عَلَى ذَيْلِ حَصَانِي وَشُدَّهُ !

وَكَانَ أَحَدَ الْحَدِيمِ قَدْ أَدْرَكَنِي ، وَأَمْسَكَ بِاللِّجَامِ ، وَرَدَّ الْجَوَادَ . فَمَا أَسْرَعَ مَا انْحَدَرْتُ عَنْهُ ، وَكَأَنَّمَا أَعْجَبْتَنِي جِلْسَتِي عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَخْرَجَتْ سِيَّجَارَةً وَأَشْعَلَتْهَا وَذَهَبَتْ أُدْحِنٌ . وَجَاءَنِي مُضِيفُنَا عَلَى أَثَرَانِي ، فَسَأَلَنِي : أَتَنْوِي أَنْ تَقْعُدَ هُنَا إِلَى الْأَبَدِ ؟ فَأَعْضَيْتُ عَلَى سَوْأَلِهِ فَقُلْتُ : إِنَّ بِي حَاجَةً إِلَى الشُّعُورِ بِبَيَاتِ الْأَرْضِ بَعْدَ كُلِّ هَذَا التَّقَلُّلِ وَتِلْكَ الرَّغْزَعَةِ ! . قَالَ : وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَظَلَّ جَالِسًا هَكَذَا ، إِنَّ أَمَامَنَا سَيْرَ سَاعَةٍ ! قُلْتُ : سَأَلَحِقَ بِكُمْ إِذَا أَوْ أَرْجِعُ إِذَا كَانَ لَا يَدَّ مِنْ رُكُوبِ هَذَا الزَّلْزَالِ ! قَالَ : وَلَكِنْ لَا يَلِيقُ أَنْ تَرْكَبَ حِمَارًا ! قُلْتُ ، وَقَدْ صَارَ فِي وَسْعِي أَنْ أَضْحَكَ : فِي وَسْئِكَ أَنْ تَمْلِقَ وَرَقَةً تَكْتُبُ فِيهَا « أَنَّهُ جَوَادٌ مَطْهَمٌ » ! قَالَ : لَا تَمْرَحْ ، قُمْ ارْكَبْ حِمَارِي هَذَا ! قُلْتُ : إِذَا كَانَ الْحِمَارُ عَالِيًا فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَوَادِ ؟

قَالَ بِلَهَجَةِ الْيَائِسِ أَوْ الْمُنْتَقِمِ : إِذَا خُذَ هَذَا ! وَأَشَارَ إِلَى جَحِشٍ قَمِيٍّ مِهِنٍ يَرْكَبُهُ خَادِمٌ ، لَا سَرَجَ عَلَيْهِ وَلَا لِيْجَامَ لَهُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَامْتَطَيْتُهُ بِوَتْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِلَا مَعِينٍ ، وَاعْتَرَضْتُنَا فَنَاهَا عَرِيضَةً عَلَيْهَا أَلْوَاخٌ مُشَبَّهَةٌ بِتَقْوَمِ مَقَامِ الْجِسْرِ ، وَبَيْنَ الْأَلْوَاخِ الْمَاءُ تَحْتَهَا يَسُرُّ عَلَى الْأَقْلَى ، فَلَمَّا تَوَسَّطَهَا الْجَحِشُ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَقِفَ ، وَرَأَاهُ مَنْظَرُ الْمَاءِ فَأَجَالَ فِيهِ عَيْنِيهِ بَرْهَةً ثُمَّ حَطَّ إِلَى حَاقَةِ الْجِسْرِ - وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجِزٌ - وَمَدَّ عُنُقَهُ إِلَى الْمَاءِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَصِيرُ النَّظَرِ ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَكُونَ أَقْدَرُ عَلَى رُؤْيِهِ خِيَالِهِ فِي الْمَاءِ وَاجْتِلَاءِ طَلْعَتِهِ الْبَيْهَةِ فِي صِقَالِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا لِي : إِنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ ، فَتَزَلَّتْ عَنْهُ وَقُلْتُ لَهُ : يَا عَزِيزِي إِنْ مِنْ دَوَاعِي أَسْفِي أَيْبِي مُضْطَرٌّ أَنْ أَنْتَرِكَ إِلَى الْمَاءِ وَخَدَكَ فَإِنَّ يَأْبِي يُفْسِدُهَا الْمَاءَ ، وَهِيَ غَالِيَةٌ إِذَا كَانَتْ حَيَاتِي رَخِيصَةً .

وَلَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ قَلِيلًا غَيْرَ رَأْيِهِ ، إِمَّا لِأَنَّ الصُّورَةَ الَّتِي طَالَعْتُهُ فِي الْمَاءِ كَانَتْ مُضْطَرِبَةً مَشْوَهَةً ، وَعَجَزَ الْمَاءُ عَنْ آدَاءِ مَا فِيهَا مِنْ جَمَالٍ وَرَوْعَةٍ ، أَوْ لِاعْتِبَارَاتِ حِمَارِيَّةٍ أُخْرَى لَمْ يَكْأَشِفْنِي بِهَا . فَأَدَارَ وَجْهَهُ وَمَضَى غَيْرَ مُلْتَمِعٍ إِلَيَّ ، غَيْرَ أَنِّي لَحَقْتُ بِهِ بَعْدَ أَنْ اجْتَازَ الْجِسْرَ ، وَقُلْتُ لَهُ : تَعَالَ ، لَا تَهْرَبْ مِنِّي يَا صَاحِبِي ، وَكُنْتُ عَلَى ظَهْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَ مِنْ الْاعْتِرَاضِ أَوْ الْاجْتِحَاجِ أَوْ الْإِفْلَاتِ .

وَيَطُولُ بِنَا الْكَلَامِ إِذَا أَرَدَتْ أَنْ أَصِفَ كُلَّ مَا أَمْتَعَنِي بِهِ مِنَ الْفِكَاهَاتِ الْعَلِيَّةِ .
فَقَدْ كَانَ فِيهِ عِنَادٌ وَصَلْفٌ ، وَكَانَ يَأْبَى أَنْ يَتَوَسَّطَ الطَّرِيقَ ، وَلَا يُرْضِيهِ إِلَّا أَنْ يَحْكَّ
جَنْبَهُ فِي كُلِّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ عَرَبَةٍ أَوْ حَائِطٍ . وَكَانَ رَبِّمَا وَقَفَ وَعَرَسَ رَجُلِيهِ فِي
الْأَرْضِ وَنَامَ ، وَتَعَوَّدَتْ مِنْهُ ذَلِكَ ، وَقَطِنْتُ إِلَى أَنَّهُ ذُو مِرَاجٍ مُسْتَقِيلٍ ، فَكُنْتُ أَنْزَكُهُ
وَاقْفًا حَتَّى يَنْتَبِهَ مِنْ هَذِهِ الْأَغْفَاءَاتِ أَوْ يَعُودَ مِنْ سَبْحَاتِ عَقْلِهِ السَّقْرَاطِيَّةِ فَيَسْتَأْنِفُ
السَّيْرَ .

وَحَسْبِي وَحَسْبُ الْقُرَّاءِ أَنْ أَقُولَ لَهُمْ : إِنِّي أَسِفْتُ عَلَى فِرَاقِهِ لَمَّا انْتَهتِ الرَّحَلَةُ
وَتَمَنَيْتُ لَوْ أَنَّ صُحْبَتَنَا كَانَتْ أَطْوَلَ .

دراسة الأفكار :

القالب الذي صاغ فيه الكاتب تجربته الفنية ينتمي الى جنس ادبي يسمى
« الاقصوصة » .

والفرض الذي ينتمي اليه موضوع الاقصوصة هو « الفكاهة » وقالب الاقصوصة
بمفاهيمه المحددة في النقد الحديث جديد على الادب العربي . اما موضوع الفكاهة
فليس جديدا ، وان ظهر في الادب الحديث بصفة تختلف عن الصيغة القديمة .

وافكار الاقصوصة بسيطة ليس فيها ابتكار او عمق او تحليل لظواهر نفسية
او اجتماعية ، والكاتب لا يهدف الى شيء اكثر من التظرف في الحديث والامتناع الفكري
وموضوع الاقصوصة وصف رحلة شارك فيها الكاتب مع بعض اصدقائه لزيارة
صديق ثري في مزرعته ، وقد استخدموا الخيول والحمر في الوصول الى المزرعة .
ويفيض الكاتب في وصف ما حدث له عندما ركب الحصان ، فازعجه لسرعته ، ثم
استبدله بحمار ضعيف له مزاج خاص .

ولكن الجديد في الاقصوصة ، والطريف : هو عرض هذه الاحداث في اسلوب
قصصي فيه سخرية وجاذبية وامتناع .

والاقصوصة بزمانها ومكانها واحداثها تعتبر من « الادب المحلي » الذي يمثل
البيئة والمجتمع المصري في عصر الكاتب .

واوضح مظاهره « الاقطاع » المتمثل في الضيعة وصاحبها وما عنده من دواب
وخدم .

اما احداث القصة فهي قليلة ولكنها واضحة مفصلة وثيقة الترابط والترتيب
تتابع في نمو حتى تكون الازمة او « العقدة » وهي تتجلى في هذه الاقصوصة عند
الموقف الذي يجلس فيه الكاتب على الأرض ويرفض استمرار ركوبه الحصان ويعرض
على صديقه فكرة الرجوع وعدم اتمام الرحلة .

وبعدھا يأتي « الحل » عندما يمتطي حمارا ضعيفا لا يخشى من ركوبه خطرا وهذا الحل يتفق ورغبة البطل ويشعر معه بالسعادة والراحة فيعكس ذلك على قارئه .

أما شخصيات الاقصوصة فأهمها البطل وهو الكاتب وقد أبدع في وصف مشاعره وخوارج نفسه وهو بحق بارع في التعبير عن ذاته . ينسج من روحه أسلوبا شفافا فلا يكتف في داخله شيئا ، بل يكشف عن جميع خطراته وهواجسه وكل ما يدور برأسه من تصورات وأفكار .

وقد رسم الكاتب صورة البطل منسجمة تماما في أقوالها وأفعالها مع الملامح العامة التي أعطاها لها . وبقيّة شخصيات القصة ثانوية استعان بها الكاتب في تنوع الأسلوب وتنقله بين الوصف والحوار .

والاقصوصة بعناصرها الفنية مظهر من مظاهر تأثير الحضارة الأوربية في الأدب العربي الحديث .

دراسة الأسلوب :

لم يستعن الكاتب بالأساليب البيانية في النص بل عمد الى التعبير المباشر المطول محاولا تجسيم الصورة ووضعها أمام القارئ .

وقد أكسب الحوار أسلوبه حيوية تدفع الملل ، فتعددت فيه « الأساليب الانشائية » المختلفة الأغراض الى جانب « الأساليب الخبرية » .

ولا يخفى عليك الوقوف على هذه الأساليب وإدراك معانيها . وأسلوبه المباشر ينساب دون كلفة بعيدا عن « المحسنات اللفظية » المصطنعة وان جاء ببعض المحسنات فهي قليلة وطبيعية . من ذلك « الجناس » في قوله :

« هرج ومرج »

والطباق في قوله :

« خيل الي وانا اعلو واهبط »

والمقابلة في قوله :

« ثيابي غالية اذا كانت حياتي رخيصة »

ويمكن أن نلاحظ على الأسلوب بصورة عامة ميله الى البساطة والسهولة وان جنح في بعض الأحيان الى استخدام كلمات جزلة قوية مثل كلمتي « المجلي » ، « المطهم » وغيرهما في بعض جمل الاقصوصة ، ولكن ذلك لا يؤثر في وضوح الفكرة ومتابعتها في يسر .

كما تلاحظ على أسلوبه الاستطراد في الوصف والعناية بالتفاصيل والمبالغة في تصوير الأحداث سواء أكان الكاتب جادا أم هازلا .

وتتضح لك المبالغة في قوله :

« دفننى على ظهر الجواد دفعة خيل الى انها ستلقيني على الأرض

من الناحية الأخرى » .

وأوضح سمات أسلوبه السخرية وهي روح الكاتب في أدبه تشمله موضعا وعاطفة وفكرة وأسلوبا .

مجمل القول

□ النص القصوة فكاهية ، موضوعها بسيط فيه جاذبية وامتاع واثارة وتسلية . والأقصوة بزمانها ومكانها من الأدب المحلي ، الذي يمثل البيئة المصرية في عصر الكاتب .

□ أسلوب النص سهل وافيح يتنوع بين الوصف والحوار وفيه استطراد وعناية بالتفاصيل ، ويعتمد على التعبير المباشر ، والمبالغة في الوصف . وتشيع فيه روح السخرية .

المناقشة :

- 1 - الى أي جنس أدبي ينتمي هذا النص ؟ وما مقوماته الفنية ؟
- 2 - ماذا تعرف عن أدب الفكاهة العربية قديما وحديثا ؟ أشر الى نماذج من ذلك .
- 3 - ما رأيك في موضوع القصة وقيمتها ؟
- 4 - « المازني » كاتب ساخر دفعته ظروفه الى هذا اللون من الكتابة . ناقش هذه العبارة .
- 5 - هل نجح الكاتب في تصوير شخصية البطل ؟ وكيف ؟
- 6 - عرف أسلوب الكاتب بالمبالغة في وصف الأحداث ، والاستطراد والعناية بالتفاصيل . وضح هذه الخصائص من الأقصوة من غير ما ورد في الدراسة .
- 7 - تخير من الأقصوة أسلوبا انشائيا ووضحه .
- 8 - أي عبارات القصة أثارت ضحكك ؟ وأي أحداثها أهاج سرورك وامتالك ؟ ولماذا ؟

المقال الأبوي :

— للأقصوة العربية المعاصرة جدور في الأدب العربي القديم ، ولكنها بصورتها الفنية الكاملة اثر من احتكاك الأدب العربي بالأدب الغربي . وضح ذلك .

الجمال في نظر المرأة

يَسْتَفْرِبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ رَأْيَ الْمَرْأَةِ فِي الْجَمَالِ ، وَمَا يَبْدُو أَحْيَانًا مِنْ شُدُودِهَا فِي ذَلِكَ عَمَّا أَلْفَهُ الرَّجَالُ شُدُودًا لَا مَجَالَ لِلشَّكِّ فِيهِ . وَيُحِيلُونَ أَكْثَرَ مَا يَلَاحِظُونَهُ مِنْ هَذَا عَلَى الرَّيِّعِ فِي الْفِطْرَةِ أَوْ السَّقِيمِ فِي الذَّوْقِ أَوْ نَقْصِ فِي التَّهْدِيدِ ، أَوْ غَيْرِ هَذَا وَذَلِكَ ، مِمَّا يَرْجِعُ إِلَى تَشَاةِ الْمَرْأَةِ وَالْأَوْسَاطِ الَّتِي عَاشَتْ فِي عَالَمِهَا . وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ لِهَذَا تَأْثِيرَهُ إِلَى حَدِّ مَا . وَلَكِنْ هَذَا لَا يَحِلُّ الْمَعْضَلَةَ . وَمَا أَسْهَلَ أَنْ نَنْفُضَ الْأَكْفَ مِنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِأَنْ نَحِيلَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَذْوَاقِ وَالْفِطْرِ صِحَّةً وَسُقْمًا . إِذْنِ لِمَا بَقِيَ شَيْءٌ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَتَفْكِيرٍ .

وَلَوْ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَهَا مِثْلُ حَظِّ الرَّجُلِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعَقْلِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّفْكِيرِ وَالتَّنْقِصِ وَالتَّرْتِيبِ لَعَرَفْنَا رَأْيَهَا فِي الْجَمَالِ مِثْلَ مَا عَرَفْنَا رَأْيَ الرَّجُلِ ، وَلَأَرَاخُنَا ذَلِكَ مِنْ إِجْهَادِ النَّفْسِ لِلِلْسَامِ بِوَجْهَةِ نَظَرِهَا الَّتِي لَمْ تَكْشِفْ عَنْهَا . وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْحَيَاةِ شَاءَتْ غَيْرَ ذَلِكَ إِلَى الْآنِ . وَابْتِ أَنْ تَجْعَلَ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ سَوَاءً . وَحَسَبْنَا مِنَ الْفَرْقِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي تَكْوِينِ الْجِسْمِ ، وَمَا لَا بَدَّ أَنْ يَنْشُجَ عَنْ هَذَا التَّكْوِينِ الْمُخْتَلِفِ مِنَ الِاسْتِعْدَادَاتِ وَالْكَفَافَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ . وَمِمَّا قِيلَ عَنْ تَسَاوِيِ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ ، وَعَلَى كَثْرَةِ مَا يَلْهَجُ بِهِ الْبَعْضُ مِنْ أَلْهَمًا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَرْأَةِ مِثْلُ حَقُوقِ الرَّجُلِ - لِقَوْلِ : إِنْ بَيْنَهُمَا عَلَى الرَّفِيقِ مِنْ ذَلِكَ وَسِوَاهُ تَبَاهُنًا جَوْهَرِيًّا . فَلَئِنْ لِلرَّجُلِ أَتْدَاهُ تِدْرُ اللَّبَنِ ، وَلَا مَا يُعْوَلُ الْفِذَاءُ إِلَى لَبَنِ يَرْضَعُهُ الْوَلَدُ وَيَتَعَدَّى بِهِ ، وَهُوَ لَا يَحْمِلُ الْأَجْنَةَ فِي جَوْفِهِ ، وَلَا فِي جَوْفِهِ مَكَانٌ مُعَدٌّ لِذَلِكَ . وَكَمَى بِهَذَا اخْتِلَافًا كَبِيرًا يُحِيلُهُمَا مَخْلُوقَيْنِ وَيَجْعَلُهُمَا جَنَسَيْنِ . وَنَحْنُ لَمْ نَأْتِ مِنْ وَجْهِ لِمَا اخْتِلَافِ فِي التَّكْوِينِ الْأَعْلَى بَعْضُهَا وَإِلَّا عَلَى مَا يَحْتَمِلُ الْمَقَامَ ذِكْرَهُ مِنْهَا . وَلَيْسَ يَعْجِزُ الْقَارِئُ أَنْ يَتَصَوَّرَ النَّوْعَيْنِ ، وَأَنْ يَنْصِي فِي الْمَقَابَلَةِ إِلَى نَهَائِيَّتِهَا .

وَقَدْ شَاءَتْ الطَّبِيعَةُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ أَكْثَرَ تَمْثِيلًا فِي حَيَاتِهِ لِلْفَرْدِيَّةِ مِنْهُ لِلنَّوْعِيَّةِ ، فَكَتَبَتْ عَلَيْهِ - أَوْ عَلَى الْأَصْحَحِ اسْتَوْحَتْ قُوَّتَهُ مِنْهُ - أَنْ يَتَوَلَّى هُوَ مَكَاْفَحَةَ الطَّبِيعَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ قُوَى وَكَائِنَاتٍ مِنْ جَنَسِهِ وَغَيْرِ جَنَسِهِ ، وَأَنْ يَتَكَلَّفَ بِالسَّعْيِ . وَالسَّعْيُ يَمْرُضُ لِلْإِخْطَارِ ، فَلَا مَتَدَوِّحَةَ لَهُ عَنِ الْاِحْتِيَالِ لِذَفْعِهَا بِالْقُوَّةِ إِذَا تَهَيَّأَ لَهُ ذَلِكَ وَبِالْمَكْرِ وَالتَّذْبِيرِ ، وَحَسْنِ التَّصَرُّفِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ . وَلِمَا لَمْ تَكُنِ الْحَيَاةُ لِقَمَّةً

سَائِمَةٌ فَقَدْ اِخْتَجَّ إِلَى مَعَالِبَةِ الصِّعَابِ وَمُعَالَجَةِ تَذَلُّلِهَا ، وَهُوَ فِي كُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُرُهُ
يُصَادِفُ مَا يَنْبَغُ غَرِيْزَةَ حِفْظِ الدَّاتِ أَوْ صِيَانَةَ النَّفْسِ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا صَارَتْ هَذِهِ
الغريزة أقوى وأنضج وأسرع تنبهاً وأكثر عملاً ، لِأَنَّ حَيَاتَهُ تَجْعَلُ أَعْمَالَهُ مُتَّصِلَةً بِهَا
أَكْثَرَ مِنْ اتِّصَالِهَا بِغَرِيْزَةِ حِفْظِ النَّوْعِ . وَهُوَ لِذَلِكَ أَحْسَنُ بِهَا وَأَسْرَعُ تَأْتِيراً مِنْ نَاحِيَّتِهَا .
وَمِنْ هُنَا كَانَتْ الْأَنَانِيَّةُ فِي الرَّجُلِ أَظْهَرَ وَأَقْوَى . وَالْمَأَمَّةُ يَلَاحِظُونَ ذَلِكَ وَيَقْطُنُونَ
إِلَيْهِ وَيَذْهَبُونَ فِيهَا وَضَعُوهُ مِنْ أُمَّثْلِهِمْ إِلَى أَنَّ الْأُمَّ أَحْنَى عَلَى طِفْلِهَا مِنْ أَبِيهِ . وَقَدْ
تَرَى الرَّجُلَ يُدَاعِبُ طِفْلَهُ بَرَبَّةً أَوْ سَاعَةً ، وَلَكِنَّكَ قُلْ أَنْ تَعِدَّ رَجُلًا يَقْوَى عَلَى مَا تَقْوَى
عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ مِنْ مَلَازِمَةِ الطِّفْلِ ، وَالْمَثَابِرَةِ عَلَى مُدَاعَبَتِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى التَّحَدُّثِ إِلَيْهِ ،
وَمِنْ تَوْهَمٍ مَا لَعَلَّهُ يَرْتَسِمُ عَلَى صَفْحَةٍ وَجْهِهِ مِنَ الْحَرَكَاتِ أَوْ يَنْدُبُ عَنْهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ
وَاحْتِمَالِ ذَلِكَ وَمَا هُوَ أَشَقُّ مِنْهُ سَاعَةً بَعْدَ أُخْرَى وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَشَهْرًا تَلُوَ شَهْرٍ
وَحَوْلًا عَقَبَ حَوْلٍ .

وَلَا حِظَّ غَيْرَ ذَلِكَ . أَيُّ الْاِثْنَيْنِ أَصْلَحُ لِلتَّمْرِيضِ ؟ الْمَرْأَةُ بِلَا نِزَاجٍ ، لِأَنَّ الْمَرْضَ
يُرَدُّ الْمَرْءَ إِلَى مِثْلِ عَجْزِ الطُّفُولَةِ وَحَاجَتِهَا ، وَمَا عَسَى صَبْرُ الرَّجُلِ عَلَى الطُّفُولَةِ وَمَا
يُضَاهِيهَا ؟ وَالْمَرْأَةُ أَقْسَى مِنَ الرَّجُلِ وَأَغْلَظُ كَيْدًا مِنْهُ - عَلَى رَأْيِ فِينَنْجِر - وَإِلَّا لَمَا
اِحْتَمَلَتْ أَوْجَاعَ الْمَرْضَى عَلَى نَحْوِ مَا تَرَى ، وَفَرَّ الرَّجُلُ مِنْهَا . أَوْ هِيَ تَسْتَفْرِقُهَا
الغريزة النوعية بكل ما تنطوي عليه وتلك حكمة من الله بالغة ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا
اسْتَطَاعَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَقُومَ بِوَقْفِيَّتِهَا الْجِنْسِيَّةِ وَمَا يَنْطَوِي تَحْتَهَا مِنَ الْمَشَاقِّ الَّتِي لَا قِبَلَ
لِلرَّجُلِ بِهَا . وَلَا شَكَّ أَنْ بَقَاءَ النَّوْعِ رَهْنٌ بِالْمَرْأَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ ، وَهِيَ فِي ذَلِكَ مِثَالُ
التَّضْحِيَةِ التَّامَةِ . وَحَسْبُكَ دَلِيلًا مَا تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ أخطارِ الحنلِ والوضع . وَهِيَ عَلَى
عِلْمِهَا بِهَذَا الْخَطَرِ الْحَيَوِيِّ وَفِرْعَهَا مِنْهُ ، وَاسْتَهْوَالِهَا لَهُ ، لَوْ حُيِّرَتْ لِاخْتَارَتْ أَنْ
تَسْتَهْدِفَ لَهُ ، وَهِيَ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ لَيْسَ عَلَيْهَا أَنْ تُجَاهِدَ جِهَادَ الرَّجُلِ وَلَا أَنْ تُعَالِجَ
مَا يُعَالِجُهُ مِنَ الْكِفَاحِ وَالتَّدْبِيرِ وَدَرِّهِ الْأَخْطَارِ وَتَذَلُّلِ الْمَصَاعِبِ ، وَلِهَذَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ
أَسْرَعُ تَأْتِيراً عَلَى الْعُمُومِ بِكُلِّ مَا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْجِنْسِ وَالْأُمُومَةِ ، لِأَنَّ وَظِيفَتَهَا دَائِرَةٌ عَلَى
مُخَوَّرِهَا ، وَهِيَ لِفَرَطِ إِحْسَاسِهَا بِالْأُمُومَةِ تُحِبُّ كُلَّ رَقِيقٍ لَطِيفٍ - أَيُّ مَا هُوَ
كَالْأَطْفَالِ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْكِبَارِ - وَتُعَانِقُهُ وَتُقَبِّلُهُ وَلَوْ كَانَ جَمَادًا لَا يُحِبُّ وَلَا يُحْسِنُ
لَا الْعِنَاقَ وَلَا التَّقْبِيلَ ، وَلَا يُجَازِي لَمَّا بَلِّغِم . وَإِذَا كَانَتْ الْغَرِيْزَةُ النَّوْعِيَّةُ فِيهَا أَكْثَرَ
عَمَلًا وَأَقْوَى فِعْلًا فَهِيَ أَحْسَنُ بِالْجَمَالِ مِنَ الرَّجُلِ وَإِنْ كَانَتْ أَضْيَقَ فَعَمَّا لَهُ .

[من كتاب « حصان الهشيم »]
للمازني



الرسول في صباه

14

طه حسين

(1307 - 1393 هـ) - (1889 - 1973 م)

تعريف وتمهيد :

الدكتور ((طه حسين)) عميد الأدب العربي الحديث ، ولد سنة 1307 هـ ، 1889م بقرية في صعيد مصر (*) وتعلم في كتاب القرية حتى حفظ القرآن الكريم ، وبالرغم من فقدته البصر في طفولته - اثر مرض أصابه في عينيه - فقد تابع دراسته في الأزهر ثم اتجه الى الجامعة الأهلية المصرية ونال منها درجة الدكتوراه في دراسة لأبي العلاء المعري وبعد ذلك أوفدته الحكومة المصرية في بعثة دراسية الى فرنسا فحصل من جامعتها على درجة دكتوراه الدولة في أطروحة كتبها عن ابن خلدون ، ولما عاد الى مصر اشتغل بالتدريس في الجامعة ، وظل يترقى في مناصب ادارية وسياسية حتى أصبح وزيراً للتعليم .

ولم تشغله مناصبه الادارية والسياسية عن مواصلة كتاباته ، فالف ما يزيد على ثمانين كتاباً من أشهرها : « الأيام » ، « حديث الأربعاء » ، « على هامش السيرة » « الفتنة الكبرى » و « مع أبي العلاء المعري في سجنه » وكتب العديد من المقالات في الادب والسياسية والنقد والتاريخ والديانات في مختلف الصحف والمجلات .

والنص الذي تقدمه لك يصور جانباً من سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو من الدراسات التي تهدف الى احياء التراث التاريخي والديني الذي يعرض صوراً من حياة الأبطال وسيرهم لتكون قدوة للأجيال المعاصرة واللاحقة ، وفي هذا النص يعرض الكاتب مرحلة من حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ووصفاً لأخلاقه الكريمة في صباه ، تتضح لك فيما يلي :

القصص :

(١)

كان فقيراً لا يكاد يملك شيئاً ، وكان يكتب قوته من رعي الغنم ، ولكنه فتى من قريش ، ومن أشرفها ، ورعي الغنم قد يليق بالصبي وبأمثالهم من الذين لم يتقدم بهم الشباب . فأما اذا شَبَّوا واستتموا قوتهم فليس لهم بد من أن يسلكوا طرقاً أخرى

(*) قرية مربة الكيلو بمدينة مغاغة بعد حوالي 170 كلم جنوبي القاهرة .

الى الرزق ، وَعَمَّهُ صَاحِبُ تِجَارَةٍ ، وقد مات أبوه تاجراً ، وجده كان صاحبَ تِجَارَةٍ ،
أيضاً ، فما يَنْمَعُهُ أَنْ يَسْتَلِكَ الطَّرِيقَ الَّتِي أَلْفَتْ قَرِيشٌ سُلُوكَهَا ؟ .

(ب)

وقد أَقْبَلَ عَلَيْهِ عَمَّهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَنْبَاهَ أَنَّ « خَدِيجَةَ نَتَّ حُوَيْلِدٍ » امْرَأَةٌ غَنِيَةٌ مِنْ
أَكْثَرِ قَرِيشٍ مَالًا وَأَوْسَطِهِمْ نَسَبًا قَدْ جَهَّزَتْ تِجَارَةً ضَخْمَةً إِلَى الشَّامِ ، وَنَصَحَ لَهُ بِأَنْ
يَكُونَ رَسُولَهَا بِتِجَارَتِهَا تِلْكَ ، وَأَنْبَاهَ بِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَعَى فِي ذَلِكَ عِنْدَ « خَدِيجَةَ »
إِنْ صَحَّ عَزْمُهُ عَلَى السَّفَرِ . فَقَبِلَ الْفَتَى ، وَرَضِيَتْ خَدِيجَةُ . وَرَأَتْهُ مَكَّةَ ذَاتَ يَوْمٍ
خَارِجًا فِي قَافِلَتِهَا إِلَى الشَّامِ يَصْحَبُهُ غُلَامٌ لَخَدِيجَةَ يُقَالُ لَهُ : « مَيْسَرَةٌ » . وَقَدْ بَلَغَ
الشَّامَ فَبَاعَ وَاشْتَرَى ، وَعَادَ مَعَ الْقَافِلَةِ فَادَّى إِلَى خَدِيجَةَ تِجَارَتَهَا وَأَدَّى إِلَيْهَا مَعَ
هَذِهِ التِّجَارَةِ رِبْحًا لَمْ يُتَّخِمْ لَهَا فِي تِجَارَةٍ قَطُّ ، وَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ التِّجَارَةَ إِلَّا
وَسِيلَةً لشيءٍ آخَرَ وَرَاءَهَا ، فَقَدْ وَقَعَ الْفَتَى مِنْ قَلْبِ خَدِيجَةَ ، وَإِذَا هِيَ تُرْسِلُ إِلَيْهِ
مَغْوِيَّةً لَهُ بِخُطْبَتِهَا ، وَإِذَا هُوَ يَخُطِبُهَا ثُمَّ يَصْبِحُ لَهَا زَوْجًا ، وَهِيَ تَكْبُرُهُ بِخَمْسِ عَشْرَةَ
سَنَةً - فِيمَا يَقُولُ الرَّوَاةُ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَاشَ فِي مَكَّةَ عَيْشَةَ الْمُفَوَّرِينَ ، لَا يَشْكُو حَاجَةً وَلَا يَجِدُ ضَيْقًا
كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الضُّحَى : « وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » .

(ج)

وقد أُتِيحَ لَهُ مِنْ خَدِيجَةَ (الْوَلَدُ) ، وَأُتِيحَ لَهُ مَعَهَا الْأَمْنُ (وَالدَّعَةُ) . وَلَكِنَّهُ فِي ذَلِكَ
الطَّوْرِ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ ظَهَرَتْ فِيهِ خِصَالٌ لَمْ تَكُنْ مَأْلُوفَةً فِي شَبَابِ قَرِيشٍ ، فَهُوَ شَدِيدٌ
النَّفَرَةَ مِنَ اللَّهِ ، وَشَدِيدٌ النَّفَرَةَ مِنَ اللَّفْمِ أَيْضًا ، وَهُوَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ التَّكْلِيفِ
وَأَقْرَبِهِمْ إِلَى الإِسْمَاجِ وَالْيَسْرِ ، وَهُوَ أَبْغَضُ النَّاسِ لِهَذِهِ الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَ قَوْمُهُ
يَعْبُدُونَهَا . مُخْلِصِينَ ، أَوْ مُتَكَلِّفِينَ ، وَهُوَ أَصْدَقُ النَّاسِ إِذَا تَكَلَّمَ ، وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَامَلَ ،
وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ كَلِّ مَا يُزْرِي بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْصَلَ النَّاسِ لِلرَّحِمِ ،
وَأَرْعَاهُمْ لِلْحَقِّ ، وَأَشَدَّهُمْ بِإِثَارِ اللَّيْرِ ، فَهُوَ يَجِدُ عَمَّهُ الَّذِي كَفَلَهُ صَيًّا وَيَأْفِعًا قَدْ كَثُرَ
وَلَدُهُ ، وَقَلَّ مَالُهُ ، وَيُرِيدُ أَنْ يُعَيِّنَهُ دُونَ أَنْ يُؤْذِيَهُ ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ صَيِّتَهُ « عَلِيًّا » وَيُرَدُّ
عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَايَةِ وَاللِّطْفِ وَالرِّبِّ بِمَضَى مَا آدَى إِلَيْهِ أَبُوهُ حِينَ كَانَ صَيًّا يَتِيمًا ، وَقَدْ
شَاعَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ ، وَعُزِّفَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ حَتَّى أَحَبَّتْهُ قَرِيشٌ ، وَسَمَّتهُ « الْأَمِينُ »
وَعَامَلْتَهُ عَلَى أَنَّهُ الْأَمِينُ حَقًّا .

دراسة الأسلوب :

امتاز الكاتب بإحساس قوي نحو المواقف التاريخية ، وله قدرة بارعة على هضمها وصياغتها في قالب قصصي جذاب ، حتى يحل اليك أن ما يرويه من أحداث كان مجهولا بالنسبة اليك وان كان لك سابق معرفة به .

وقد اعتمد الكاتب على الأسلوب المباشر في سرد أحداث موضوعه ولم يكن بحاجة إلى الاستعانة بالأساليب البيانية التي تعتمد على الخيال والصورة .

والفاظ النص عذبة ، غاية في العذوبة فيها صفاء ونقاء ، والعبارة تنحدر سلسة سهلة لها نغم موسيقي تانس له الأذن ، ويتفتح له القلب ، والجمل أميل إلى القصر ، ولكن العبارة أطول من المعنى ، فمثلا « عمه صاحب تجارة ، وقد مات أبوه تاجرا ، وجده كان صاحب تجارة أيضا » كل هذه الجمل يمكن التعبير عنها بقولنا كان أبوه وعمه وجده تاجرا ، ولكن هذا الطول في العبارة لا يبعث الملل في الأسلوب وإنما يجعله منسابا سهلا يستطيع القارئ متابعته يسر .

وفي النص تكرار لبعض العبارات مثل :

قوله : « لا يشكو حاجة ولا يجد ضيقا »

وقوله : « شاعت عنه هذه الأخلاق ، وعرف بهذه الصفات »

وتظهر ثقافة الكاتب الإسلامية في أسلوبه فهو يستشهد « بالقرآن الكريم » من ذلك قوله :

«ومند ذلك اليوم عاش في مكة ... كما قال تعالى : « وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى »
والأسلوب طلق مسترسل فيه بعض « المحسنات البديعية » التي تزيده عذوبة وجمالا . « كالجناس » في قوله :

« شديد النفرة من الله ومن الناس »

و « الطباق » في قوله :

« أبعد الناس عن الكلف وأقربهم إلى اليسر »

وقوله : « كثر ولده وقل ماله » .

وفي النص بعض المحسنات التي يمكن معرفتها وإدراك ما فيها من جمال .

مجمل القول

- النص من « ادب السيرة » الذي يَهْدِفُ الى إحياء التراث التاريخي الاسلامي ليكون قدوةً أمام الاجيال المعاصرة والأجيال ؛
- أسلوب النص قصصيّ جذابّ ، يميل الى التعبير المباشر ، بالفاظ عذبة ، وجمل قصيرة ، وعبارات أطول من المعنى ، فيها تكرارٌ وسهولة وبساطة .

المناقشة :

- 1 - رسم الكاتب صورة لحياة فتیان قريش قبل البعثة المحمدية . وضحاها على ضوء ما فهمت من النص .
- 2 - لماذا قبل الرسول - عليه السلام - زواجه من خديجة ؟ وكيف تم ذلك الزواج ؟ وما آثاره على حياة الرسول عليه السلام ؟
- 3 - كانت نفسية الرسول - صلى الله عليه وسلم - في صباه مهينة لتقبل الوحي . اشرح هذه العبارة .
- 4 - ما الأفكار الرئيسية التي تعرض لها الكاتب في هذا النص ؟
- 5 - بم تصف أسلوب الكاتب ، مستعينا بقراءتك لهذا النص ؟ وهل يعجبك ؟ ولماذا ؟
- 6 - اخرج من النص أسلوبا انشائيا وبينه .
- 7 - لم يعتمد الكاتب في هذا النص على الصور البلاغية . فلماذا ؟
- 8 - وضح « محسنا بديعيا » من النص مبينا اثره في الأسلوب .
- 9 - درست نصا « للعقاد » . فهل تلاحظ اختلافا في الأسلوب بين الكاتبين وما هو ؟

المقال الأدبي :

- كان للسيدة خديجة دور فعال في حياة الرسول عليه السلام جعله يقول - في مقام المفاضلة بين نسائه - « ما أبدلني الله خيرا منها » .
- وضح هذا الدور مبينا اثره على الدعوة الاسلامية .

السؤال الكتابي :

- اكتب - بأسلوبك - الخصال التي عرف بها الرسول - عليه السلام - مستعينا بما ورد في النص .

٢ - الأدب الانشائي والأدب الوصفي

« . . وهنا أعودُ الى ما قلته في غير هذا الموضوع من أن الأدب أدبان ؛ أحدهما « أدبٌ إنشائيٌّ » ، والآخرُ « أدبٌ وصفيٌّ » . فأما الأدبُ الانشائيُّ فهو هذا الكلامُ نظماً ونثراً ، وهو هذه القصيدة التي ينشدها الشاعرُ ، والرسالة التي ينشئها الكاتبُ ، هو هذه الآثارُ التي يحدِّثها صاحبها لا يريد منها إلا الجمالَ الفنيَّ في نفسه ، لا يريدُ بها إلا أن يصفَ شعوراً وجده ، أو إحساساً أحسَّه ، أو خاطراً خَطَرَ في لفظٍ يملأه رقةً وليناً وعدوبةً وروعةً ، أو عنفاً وخشونةً . هو هذه الآثارُ التي تصدَّرُ عن صاحبها كما يصدَّرُ التفريدُ عن الطائرِ الفردِ ، وكما ينبعثُ العُزفُ من الزهرةِ الأرجةِ ، وكما ينبعثُ الضوءُ عن الشمسِ المضيئةِ . هو هذه الآثارُ الطبيعيَّةُ التي تُمثلُ نحواً من أنحاءِ الحياةِ الانسانيةِ . هو هذا النحوُ الفنيُّ حينَ يتخذُ طريقَ الكلامِ ، مثله كمثلِ التصويرِ والغناءِ وغيرِهما من هذه الفنونِ التي تُمثلُ ناحيةَ الجمالِ في نفوسنا .

هذا « الأدبُ الانشائيُّ » هو الأدبُ حقاً ، هو الأدبُ بمعنى الكلمةِ الصحيحِ ، هو الأدبُ الذي ينحلُّ الى شعرٍ ونثرٍ ، والذي ينتجُه الكتابُ والشعراءُ لا لأنهم يريدون أن ينتجوا ، بل لأنهم مضطرون إلى إنتاجه اضطراراً في أولِ الأمرِ بحكمِ هذه الكلماتِ الفنيةِ التي فطَّرهم اللهُ عليها ، وهذا الأدبُ الانشائيُّ خاضعٌ لكلِّ ما تخضعُ له الآثارُ الفنيةُ من تأثيرٍ بالبيئةِ والجماعةِ والزمانِ وما الى ذلك من المؤثراتِ الأخرى ومن تأثيرٍ في هذه المؤثراتِ أيضاً : هو مرآةٌ لنفسِ صاحبه ، وهو مرآةٌ لعصره ويُنبتُه كلما عظمَ حظُّه من الجودةِ والإتقانِ ، وهو يحكمُ هذا متغيرٌ متطورٌ قابلٌ للتجديدِ . وإذاً فنستطيعُ أن نفهمَ في سهولةٍ أن يكونَ فيه قديمٌ وجديدٌ ، وأن يكونَ بينَ أصحابِه أنصارُ القديمِ وأنصارُ الجديدِ ، يأتي ذلك من أنه مُتصلٌ بمزاجِ الأديبِ أو من أنه مظهرٌ لمزاجِ الأديبِ ، ونحنُ نعلمُ أن الناسَ كانوا وسيظلُّونَ أبداً مُنقسمينَ في حياتهم وشعورهم الى محافظينَ ومُتطرفينَ ومُعتدلينَ ، أولئك يقدِّرونَ القدماءَ ، وهؤلاءُ يحدِّدونَ ، والآخرونَ يتوسَّطونَ بينَ أولئك وهؤلاءِ .

وهذا الأدب متفاوتٌ بطبعه في الحظ من الجودة والرداءة ، وفي الحظ من الاتصال بنفس صاحبه والبعد عنها .

هذا الشاعر صادقٌ قوِّي الشخصية ، قليل الحفلِ برضى الناس عنه أو سُخطهم عليه ، فشعره خَلِيقٌ أن يكونَ قِطعةً من نفسه .

وهذا الشاعرٌ مُجَبِّ لإرضاءِ الناس ، كارهٌ لِسُخطهم ، حريصٌ على أن يَفنى فيهم لا على أن يَفنوا فيه فشعره يَمَثُلُ لنا الناسَ أكثرَ ممَّا يَمَثَلُهُ هو ، أو قَلَّ شعره يَمَثُلُ الناسَ ولا يَمَثُلُ منه هو إلا هذه الناحية التي أشرنا إليها ، فأما عواطفه الخاصة وآراؤه الخاصة فلا تكادُ تَظْهَرُ فيه . وعلى هذا النحو يَخْصُصُ الأدبُ الانشائيُّ لكلِّ هذه المؤثراتِ التي أشرنا إليها ولمؤثراتٍ أخرى لا نستطيعُ الآن أن نَلمَّ بها .

وهنا يظهرُ الأدبُ الثاني أو ما سَمَّيناهُ : « الأدبُ الوصفيُّ » ، هذا الأدبُ الوصفيُّ لا يتناولُ الأشياءَ من حيثِ هي ، لا يتناولُ الطبيعةَ وجمالها ، لا يتناولُ العاطفةَ وحرارتها ، لا يتناولُ الرضا والسخط ، لا يتناولُ الفرحَ ولا الحزنَ ؛ وإنما يتناولُ « الأدبُ الانشائيُّ » الذي يَمَثُلُ هذه الأشياءَ تمثيلاً مباشراً - كما يقولون - وهو يتناولُ هذا الأدبُ الانشائيُّ مفسراً حيناً ، ومؤرخاً حيناً آخر ، وهو يتناولُ هذا الأدبُ الانشائيُّ بما اتفقَ الناسُ على أن يُسموه « نقداً » .

فأما الأدبُ الانشائيُّ فهو - كما قدَّمنا - الأدبُ حقاً ، وأما الأدبُ الوصفيُّ فهو ما اتفقَ المحدثونَ على أن يُسموه « تاريخُ الأدبِ » .

نظرات في الأدب والنقد

حقيقة النقد الأدبي :

الناس يفهمون النقد فهمين مُنناضين تناقضاً شديداً وكلاهما خاطئ الأثر ، فمنهم من يفهم النقد جنداً خالصاً وثناً طيباً وتقريباً من غير تحفظ . والنقد عند هؤلاء ضربٌ من المدح يُقصد منه ترويح الكتاب وإذاعة أمره من المدح بين الناس . ومنهم من يفهم النقد على أنه طعنٌ وقَدْحٌ وتَجريحٌ ودلالة على السيئات . فهو يكرهه ويكره أصحابه ويكره تأليف الكتب حتى لا يتعرضوا لالسيئتهم واقلابهم ، فان اضطرته حياته وصناعته الى التأليف فهو يتوسل الى الناقدين الا يعرضوا لكتابه بخير ولا بشر وأن يُخلوا بينه وبين القراء يقرؤونه فيرضون عنه او يسخطون عليه ..

وفي الحق أنّ الصلة بين النقاد والمؤلفين دقيقة بطبعها لا تخلو من الحرج . كلنا يحب الثناء ويمتدح انه مُستحق له ، وكلنا يكره الذم ويعتقد انه خليق الأبتعاض له ، ولكن شيئاً ينقصنا مع هذا وهو أن نُقدّر العلم قدره ونؤمن بأن لا قوام للعلم بغير النقد . ولا أكاد أفهم أنّ رجلاً يستحق أن يوصف بأنه عالم او اديب او من طلاب العلم والادب اذا لم يكن يُقدّر النقد وحاجة العلم والادب اليه .

النقد إذاً حاجة طبيعية لكل حركة علمية او ادبية او فنية ، ولكن النقد لا خير فيه ولا نفع منه اذا لم يكن حراً من كل قيد من هذه القيود المنكرة التي تحول بين النقاد وبين أداء واجبه على وجهه .

وظيفة الناقد الأدبي :

إنّ الاديب مهما يكن أمره كائن اجتماعي لا يستطيع أن ينفرد ولا أن يستقل بحياته الادبية ، ولا يستقيم له أمر الا اذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس ، فكان صدق حياتهم وكانوا صدق لإنتاجه ، وكان مِرآة لما يدبغ فيهم من رأي وخاطر وما ينفذوهم به من هذه الآثار الادبية على اختلاف الوانها . وهو في حاجة الى أن يشعر بهذه الصلة والى أن يراها قوية متمينة مترددة بينه وبينهم كما يتردد الرسول بين المحبين ، ذلك يدفعه الى العمل وينشطه للانتاج ويقدمو نفسه بالمعاني ، ويشير فيه الخواطر والآراء ويشيع في لفته القوة والحدة والنشاط ويلائم بين هذه اللغة وبين قلوب الذين يقرؤونه على اختلاف طبقاتهم ومنازلتهم في جمهور الناس . ومن هنا ينشأ لؤن من الاديب الذي يحقق الصلة بين المنتج والمستهلك وتحققها على أتم وجه واقواه وانفعه لانه يقوم مقام الرسول بين هذين العاشقين اللذين يختصمان حيناً وياتفان حيناً آخر . وهما الاديب والجمهور . وهذا اللؤن الجديد من الادب هو النقد الذي يبلغ الى الناس رسالة الاديب فيدعوهم اليها ويرغبهم فيها ، أو يصرفهم عنها ويؤهدهم فيها .

الضمير الأدبي :

الضمير الأدبي الصحيح صلب لا يعرف المرونة ماضٍ لا يعرف التردد، قاسٍ لا يعرف ليناً . ترى الأديب يتلون في أشياء كثيرة ، ولكنه لا يتلون في الأدب . تراه يُعْرِطُ في أشياء كثيرة ولكنه لا يُعْرِطُ في الأدب . انظر الى هذا الشاعر قد اتخذ لنفسه هذا المذهب في الشعر أو فرَضَ هذا المذهب على نفسه فرَضاً ، وتَلَمَّ به اللَّمَاتُ وَبِمَتَّحَنَ في حياته ما شاء الله من ضروب الامتحان ، ولكنه لن يَغَيِّرَ مذهبَه في الشعر . فاما ان يَبِيعَ مذهبَه بمذهبٍ آخرَ لأنَّ الناس يريدونه على ذلك ، فهذا شيء لا سبيلَ إليه لأن الأديبَ الخَلِيقَ بهذا الاسم لا يفكر في الناس ولا يحفل بهم ولا يقف عند ما يريدون وما لا يريدون وانما يفكر في الأدب وحده وَيَحْفَلُ بالأدب وحده ويقف عند ما يريد الأدب وحده . والأديب هو اصدق صورة للرجل المجتهد الذي لا رَأْيَ له ولا إرادة ولا اختيارَ فيما يَنْتِجُ من الآثار الأدبية الخالصة ، هو أشبه شيء بالأداة التي تُوَجَّهُ ، وهي لا تعرف كيف تُوَجَّهُ . وأشبه شيء بالمرأة التي تتلقى الصورَ وهي لا تعرف كيف تتلقاها ، وأشبه شيء بالرجل الملهم الذي ياتيه الوحي وهو لا يعرف كيف ولا من اين ياتيه . هذا هو الضمير الأدبي الذي يتيح لأصحابه البقاء ويتيح لهم ان يكونوا ائمة للناس وقادة للحضارة . فأما هذه الضمائر الضعيفة الفاترة التي لا تعرف ثباتاً ، ولا تُقَدِّرُ على مقاومة ، ولا تُحِشُّ استقراراً ، ولا استمراراً ، فلست أدري ما هي ، ولكنني اعلم حق العليم انها ليست ضمائر أدبية وانما هي ضمائر تستطيع ان تُسَمِّيَها بما شئت من الأسماء وأن تُصِفَها بما أُحِبَّتْ من الأوصاف .

صورة الأدب :

فصورة الأدب ومادته شيان لا يفترقان او هما شيء واحد اذا شئت ، وأصفُ اليهما عنصرًا ثالثًا ما نَصَحَ أن يَسْتَمْتَلَ العددُ في مثل هذا الموضع . وهذا العنصرُ يَلْزَمُهُما لزوما لا فكاك منه وهو عنصرُ الجمال ، فالناس يتحدثون بالألفاظ التي تدل على المعاني ، وهم يتبادلون ما يدور في رؤوسهم من الخواطر وَيَحْفِقُونَ بهذه الألفاظ ذوات المعاني وما يحتاجون اليه من الأغراض والآداب ، ولكنهم في أحاديثهم وقضاء أغراضهم وآدابهم لا يَتَشَبَّهُونَ أدباً الا ان يتمدوا وَيَشْتَأَنُوا به ويقصدوا اليه حين يكتب أحدهم الى صاحبه رسالة يضع فيها خلاصة نفسه في هذه الصورة الجميلة الرائعة التي تُسَمِّيها أدباً . وحين يكتب أحدهم لخاصة الناس او عامتهم رسالة يتهيا لها ويتأنق فيها ويريد أن تبلغ قلوبهم وأن تُثَبِّرَ فيها ما يُريد أن يُثَبِّرَ من العواطف والشعور .

مميزات للأدب العربي :

في تاريخ ادبنا العربي ظاهرة لعله أن يُشارِكَ فيها غيرَه من الآداب الكبرى قديماً وحديثاً ، ولكنها تُسَمِّيَنَ فيه على نحو أوضح وأجلى مما تُسَمِّيَنَ في غيره من الآداب . فقد عَمَرَ الأدبَ اليوناني القديم قروناً طويلاً ثم القى بينه وبين الناس سِتاراً ، فلمَّا استأنفت الأمة اليونانية الحديثة حياتها المعاصرة انشأت لنفسها أدباً مهما تكن الصلة

بينه وبين الأدب القديم فهو ليس جزءاً منه ولا استمراراً له . فالأدب اليوناني القديم ما دُنَّ حَيٌّ بِنَفْسِهِ ، أريد أنه لا يَسْتَمِدُّ حَيَاتَهُ من أمةٍ حَيَّةٍ ، تَنْمِيهِ وَتَقْوِيهِ وَتَضِيْفُ إِلَيْهِ ، وإِذَا يَسْتَمِدُّ حَيَاتَهُ من هذه الشخصية القوية التي وهبها له اليونان القدماء . فنحن حين نقرأ آثارَ هُومِرُوسٍ أو بندار أو افلاطون لا نفكر في الأمة اليونانية المعاصرة ولا نصلُّ هذه الآثارَ القديمةَ الخالدةَ بما تُنتِجُهُ من الشعر والنثر ، وإنما نقرأ هذه الآثارَ ونفكرُ في الأمة اليونانية القديمة التي أنتجتها ، وتُوثِّقُ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ الصَّلَةَ بيننا وبين هذا الأدب القديم والأجيال التي أبدعته ليست أضعفَ من الصَّلَةِ بين الأمة اليونانية المعاصرة وبين ذلك الأدب وتلك الأجيال . وربما كان من المُحَقِّقِ أَنْ بَعْضَ البِشَائِ الأَدبِيَّةِ والفنيَّةِ في غَرْبِ أوربا وفي فرنسا خاصَّةً أَكْثَرُ الأَصْلا بالأمَّة اليونانية القديمة وتراثها الأدبي والفني والفلسفي من الأمة اليونانية المعاصرة نفسها . فلسَّتُ أعرفُ مثلاً أَنَّ الأمَّةَ اليونانيةَ الحديثةَ قد أهدت إلى العالم الحديث شاعراً كرايين أو كاتباً كجيروودو أو شاعراً كاتباً كبول فاليري وكل هؤلاء وغيرهم من أدباء الغرب الحديث يعيشون مع الأمة اليونانية القديمة ويدوقون أدبها وفنّها وفلسفتها ، وَيَحْيُونَ هذا الأدبَ والفنَّ وهذه الفلسفةَ على نحوٍ لم تصل إليه الأمة اليونانية الحديثة بعد . ومثل هذا يمكن أن يُقالَ بالقياس إلى الأدب اللاتيني . فهذان الأدبان العظيمان يَسْتَمِدُّانِ حَيَاتَهُمَا الخالدةَ من قوتها الذاتية ، لِأَنَّ صَحَّحَ هذا التعبيرِ ، وهذه الخصلة هي التي تَمَيَّزُهُمَا بَيْنَ الأَدَابِ التي استطاعت أن تَقَهَّرَ الدَّهْرَ وَتَكْفُلَ لِنَفْسِهَا الخلودَ .

أمَّا أدبنا العربيُّ فقد عَمَرَ بِضَعَةَ عَشْرٍ قرناً إلى الآن ، واختلفت عليه في أثناء هذه القرونِ خطوبٌ كثيرةٌ متباينةٌ وجهته الواثمة من التوجيه واخضعته لضروب من التطور ، ولكنّه ما زال حياً قوياً يستمد حَيَاتَهُ وقوته من شخصيته العظيمة ، ويستمد حَيَاتَهُ وقوته من هذه الأجيال التي لا تزال حيةً مُحْتَفِظَةً بِفَضْلِ من قُوَّةٍ ، والتي لا تزال ترعاه وتكلِّوه وتنفِّخُ فيه من رُوحها كما تستمد منه قُوَّةً وَتَأْيِيداً فهي تمنحه وتأخذ منه ، وهي تعيش عليه وتعيش له وتعيش به ، شَأْنُهَا معه كشأنها مع ما يَقُومُ حَيَاتُهَا المادية من الأرض والجبال والأنهار . فالحياة الزمنية للأدب العربي لم تنقطع ، ويظهر أنها لن تنقطع .

فالظاهرة التي يمتاز بها أدبنا والتي تمكنا من درسيه وتبع أطواره ، هي أنه قديمٌ جداً وحديثٌ جداً قد اتصل قديمه بحديثه اتصالاً مستقيماً لا انقطاع فيه ولا التواء . ففيه خصائص الأدب القديمة ، وفيه خصائص الأدب الحديثة ، وفيه ما يمكننا من استخلاص حديثه من قديمه ، وما يقينا عن كثير من الفروض . أدبنا العربي كائنٌ حَيٌّ ، أشبه شيء بالشجرة العظيمة ، التي ثبتت جذورها وامتدت في أعماق الأرض ، والتي ارتفعت عُصُونُهَا وانتشرت في أجواء السماء ، والتي مضت عليها القرون والقرون وما زال ماء الحياة فيها غزيراً يجري في أصلها الثابت في الأرض وفي فروعها الشاهقة في السماء .

تطور الخطير في الأدب العربي الحديث :

على أن هناك تطوراً آخرَ لأدبنا الحديثِ أعظمَ خطراً وابعداً أثراً من كلِّ ما قدِّمتَ وهو الذي سيؤججه الأدبُ في المستقبل القريب إلى غاياته التي لا يستطيع منها تحوُّلاً أو انصرافاً فيما امتقد . ولهذا التطور الخطير وجهان : أحدهما يتصل بأشخاص الأدباء ، والآخرُ يتصل بالموضوعات التي يطرقها الأدباء . فأما الوجه الأول فنستطيع أن نتبيَّنه في سهولة ويسرٍ وإذا نظرنا إلى حافظ وشوقي والمنفلوطي من جهة ، وإلى العقاد والمازني وهيكل من جهة أخرى ، فقد كان الأدباء الثلاثة الأولون لا يعيشون لأدبهم وإنما يعيشون بأدبهم ، أريد أنهم كانوا يتخلدون الأدبَ وسيلةً إلى الحياة وإلى حياة لا تمتاز بالاستقلال ، أما الثلاثة الآخرون فشاثرون على هذا النوع من الحياة ، ومُبغضون لهذا النوع من الأدب ، يكبرون أنفسهم أن يحميهم هذا العظيم أو ذلك ويكبرون أدبهم أن يرعاه هذا القوي أو ذلك . هم يعيشون أو لا يعيشون أحراراً ، لم ينتجون أو لا ينتجون أحراراً . وهم يأتون أن يؤدوا عن إنتاجهم الأدبي حساباً لهذا أو ذاك . هم مُستقلون في إنتاجهم الأدبي بأدق معاني هذه الكلمة وأكثرها . وقد تقول أنهم ينتجون للجمهور ، فهم مدينون للجمهور بحياتهم الأدبية ، ولكن الجمهور هذا شيء شائع مجهول لا يستطيع أن يعبث بحرية الأديب ولا أن يعرَّض كرامته للمالجب . وكل إنسان في بيئة متحضرة إنما يعيش للجمهور وبالجمهور ، كما أن الجمهور نفسه يعيش لكل إنسان وبكل إنسان . فالظاهرة الخطيرة في أدبنا الحديث هي هذه الكرامة التي كسبها الأدباء لأنفسهم ولأدبهم والتي مكنتهم من أن يكونوا أحراراً فيما يأتون وفيما يدعون . أما الوجه الثاني لهذا التطور فهو أن هذه الحرية نفسها قد فتحت للأدباء أبواباً لم تكن تفتح لهم حين كان الأدب خاضعاً للسادة والعظمة . وقد أثرت ظروفُ التطور الإنساني في توجيه هذه الحرية . فقد كان الأدباء القدماء يؤثرون للسادة والعظمة بما ينتجون ، فأصبح الأدباء المحدثون يؤثرون أنفسهم ويؤثرون الفن ويؤثرون الشعب بما ينتجون . وكذلك عكف الأدباء على أنفسهم فحللوا وعرضوها ، واستخرجوا من هذا التحليل علماً كثيراً وممتعاً عظيماً . وكذلك فرغ الأدباء لفنهم فجودوه كما يريدون وكما يستطيعون وكما يريد الفن ، لا كما يريد هذا السيد أو ذاك . وكذلك عكف الأدباء على الشعب ، فجعلوا يدرسونه ويتعمقون درسه ، ويعرضون نتائج هذا الدرسي ويظهرون الشعب على نفسه فيما ينتجون له من الآثار . وهذا كله قد رَكَمَهُ إِلَى الصِّدْقِ والدقة ، وجعله إنسانياً فردياً ، ووضع حيث وصفت الآداب الحية الكبرى نفسها بحكم التطور الذي دفعتها إليه ظروف الحياة الحديثة .

ادب الحياة وادب الشعب توفيق الحكيم

ادب العيشة :

الاتجاه الغالب المميز للادب الجديد هو - ولا شك - ادب الحياة . وأود قبل كل شيء ان أسميه « ادب الحياة » ، لأن عبارة : « الادب في سبيل الحياة » قد اثارت لبساً ومغوضاً في الاذهان وجعلت الكثيرين يقولون : إن كل ادب حتى المأخوذ من بطون الكتب القديمة في السير والحكم والبلاغة انما هو في سبيل الحياة وتجميلها وتهذيبها وهذا صحيح . ولكن ليس هذا ما يقصده الادب الجديد ولا شك . فثبات الادب الجديد يريدون من « ادب الحياة » ان يكون شيئاً آخر غير « ادب الكتب » . واذا كنت قد فهمت غرضهم جيداً فهم يريدون ان يقوم الادب على التجربة الحية لانسان او مصر او شعب ، وان تكون هذه التجربة صادقة - ومن هنا جاء اهتمامهم بالواقعية - فلا تزييف ولا تهويل حتى لا تفسد الصور وتوجب الحقائق ، تلك الحقائق التي هي وسيلة العصر الحديث لفهم نفسه ووعي مشكلته ، وإدراك مدى قدرته على حلها ، والكفاح من أجل التطور بمصره وبذلك يخرج الادب من وظيفة الحلية البديعة الساكنة فوق الصدور ، إلى وظيفة النور البراق المتحرك الذي يفتح الأبصار ، ويثير ما في داخل النفس البشرية ، ويبرز ما في الاذهان من أفكار معاصرة .

هذه النظرة إلى الادب عند شبابتنا صائبة لأنها وليدة الصدق . لانها نتيجة طبيعية . انها رد فعل طبيعي على عصر « ادب الكتب » الذي طغى طغياناً جارفاً على ادبنا العربي طوال سنوات عديدة خلّت ، بل طوال قرون . فقد كان مجرى حياة الاديب في تلك العصور هو ان ينبع من كتب ويصّب في كتب . اما تجربته الخاصة في الحياة ، واتصاله الشخصي بمجتمعه وعصره وآراء ذلك العصر ، والافكار التي يضطرب فيها العالم المحيط به اما كل هذا فلم يكن له في اغلب ما يتسج من حساب . ولو ان الباحث الجاد يستطيع ان يجد نماذج حقيقية لادب الحياة في بعض انتاج الاجيال السابقة فهو إذا ليس بالشيء الجديد كلياً .

ولكن شبابتنا مع ذلك على حق ، لأن « ادب الحياة » هو رد الفعل الطبيعي على « ادب الكتب » في جملة الأمر . وإن لم يكن شباب اليوم هم اول السائرين في هذا الاتجاه كذلك هم على حق عندما ارادوا البحث في مقاييس أخرى للجمال الفني ، ومن حيث الاسلوب والمضمون ، تتفق مع نظرته تلك . فمن حقهم ان يفتح امامهم باب الاجتهاد ، كما فتحة من سبقهم .

كل هذا من حقهم ، ولكن الذي ليس من حقهم هو ان يستهينوا بادب الحياة

وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ تَسْجِيلٌ سُرِيعٌ لِمَا تُصَادِفُهُ الْعَيْنُ الْقَاصِرَةُ عَلَى سَطُوحِ الْأَشْيَاءِ ، دُونَ حَاجَةٍ إِلَى ثِقَافَةٍ وَاسِعَةٍ وَإِطْلَاعٍ عَمِيقٍ ، وَتَكْوِينٍ مَتِينٍ لِلْمَلَكَاتِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ .

ان المتشائمين - وارجو ان يكونوا مخطئين - يخشون على ادباء الجيل الجديد من ضعف البنية الثقافية .

ان أدب الحياة في بلادنا لن يكون عميقاً إلا إذا كان الاديب نفسه عميقاً في اطلاعهِ وفكرهِ وفيه ، كما كان « تُولستوي » او « فوركي » او « بروناردشو » .

« ادب الحياة » أصعب من « ادب الكتب » ، لأنه أكثر اتساعاً وغوراً ، لأنه يشمل الكتب والحياة معاً ...

بل ان اهمال التكوين الثقافي ، وعدم الإحاطة بالمعرفة ، من منابعها الأولى إلى آخر ما وصلت إليه ، كل هذا قد أدّى إلى شيء كثير من التخبط والخلط وسوء التطبيق لهذا الأدب الجديد « ادب الحياة » ، مما نتج عنه قيام صحاح الاستخفاف او الارتياب او التجريح ، مناهضة هذا الاتجاه والداعين اليه تكادات تضيع قضيتهم .

اذا ارادوا إذا انتصاراً فعليهم ان يتجنبوا الخفة والتسرّع ، وان يتمسكوا بالصبر والجلد ، وان يتسيدوا على العمل والجهد واطلاع على ما كان ويكون ، ليبرزوا لنا « الحياة » في عمقها واتساعها وشمولها للفكر والمعرفة والتجربة ، لأن تلك هي الحياة : تجربة وفكر ومعرفة !

ادب الشعب :

من العبارات التي تُطلق كثيراً في مختلف الآداب بل في كل مكان في هذه العصور والأيام قولهم : ان الادب للشعب .

وكان الضروري والطبعي حقاً ، ان تجري هذه العبارة على الألسنة وان تُصبح لها قوة العقيدة ، لان الشعب في عصورنا الحديثة أصبح هو مصدر السلطات ، به وله يتيم كل أمر من امور المجتمع والحياة ، فمن المنطق ان يكون الادب من بين تلك الامور التي تتم به وله .

ولقد قيل إن القلم كالسياسة يتبع الحاكم ، ويوم كان الحاكم فرداً أو طبقة أرستقراطية كان الادب يصور هذه الطبقة ويعني بما يهتمها وما يروق لها من المسائل والمشاعر ، فكانت الموضوعات تدور حول شؤون الملك ، وانتصارات الحروب وبطولة المعارك والفروسية ، والفخر والمجد والحب في مختلف ألوانه وغير ذلك مما يشغل حياة طبقة بعينها ، وكل ذلك في أساليب مترفة متحلقة عالية يطرّب لها قوم نشؤوا في قصورهم على أيدي جهابذة المربين .

أما وقد أصبحَ الحاكمُ هو الشعبُ نفسه فكلُّ هذا يجبُ ان يتغيرَ . هذا قولٌ معقولٌ ؛
ولكنَّ الآراءَ التي تَجْرِي مَجْرَى العقيدةِ هي دائماً أصعبُ الآراءِ تفسيراً ، لأنَّه
ما من أحدٍ يخطُرُ له ان يقلِّبها على وجهها ، او يحاولُ بحثها او فحَصها . إنه يتلقاها
وكفى أن الشمسَ تصنعُ النهارَ . هل هذا امرٌ يحتاجُ الى مناقشةٍ ؟

ولكنَّ يجبُ ان نتعوَّدَ مناقشةَ الحقائقِ التي تبدو واضحةً أولَ وهلةٍ ، ان هذا
قد يكشفُ لنا عن اشياءَ قد تكونُ في بعضِ الأحيانِ أهمَ لادراكنا من الحقائقِ نفسها .
مما بلغتُ النظرَ مثلاً ان شاعراً مثلَ « هوميروس » كان يروي أساطيرَ ملوكٍ ،
وحُبَّ وبطولةٍ في ملامحِهِ المشهورةِ ، فمن الذي انتفعُ بهذا الشعرِ وطربُ له وأعجبُ
به ؟ ... أهمُ الملوكُ وحدهم ؟ ... اهي الطبقةُ الأرستقراطيةُ وحدها ؟ ... العجيبُ ان الذي
انتفعُ بهوميروسُ هو الشعبُ .. هي الشعوبُ في مختلفِ العصورِ .

فهل نسَمي ادب « هوميروس » ادباً للشعبِ اذاً ؟ ..

او يجبُ ان نُخرجهُ من هذا الوصفِ ؟ ...

كذلكَ الحالُ مع « سوفوكليس » مثلاً ، ان مآسيه كانت تدورُ حولَ الانسان
والالهةِ ،والانسانُ عنده كان صورةً ملكٍ او اسرةً ملكيةً في كثيرٍ من الأحيانِ ، ولكنَّه
هذه المآسي كانت تُعرضُ في الساحاتِ ويحضرُها الشعبُ ويُعجبُ بها ويتنفعُ بما
فيها ويتعلمُ من دروسها ويتهدبُ ويرقى ...

فماذا نُسَمِّي تراجيدياتِ « سوفوكليس » وامثاله ؟ ... اهي ادبُ للشعبِ الذي
انتفعُ بها فعلاً ؟ ... ام نُحرِّمها من هذه الصفةِ ؟ ...

فاذا تركنا العصورَ القديمةَ ، وجئنا الى العصورِ الحديثةِ التي بزغَ فيها فجرُ
الديمقراطيةِ الجديدةِ ، ونظرنا الى كاتبٍ مثلِ « ابسن » قضى حياته يُؤلفُ المسرحياتِ
الاجتماعيةَ ، التي يعلنُ فيها الثورةَ الجامعةَ العنيفةَ على الآراءِ العتيقةِ والاضاعِ
الرجعيةِ .

هذا الاديبُ الاجتماعيُّ الحديثُ ، اذا بحثنا عن أثره لم نجدُه الا في نطاقِ ضيقٍ
من دراساتِ الطبقةِ المثقفةِ ، اما موضعُ مسرحياته من اعجابِ الشعبِ فلا يكادُ يذكرُ .
انه اديبُ مثقفٌ نائزٌ يُعالجُ شؤونَ المجتمعِ العصريِّ ولكنَّ الشعبَ لا يعرفُ عمله ولا
ينتفعُ به ، وان شعوبَ أوروبا الحديثةِ كلها تعرفُ اوبريت « الارملة الطروب »
« لفرانز ليهار » اكثرَ ممَّا تعرفُ مسرحياتِ « ابسن » التي لا يمكنُ ان تمثلَ في عاصمةِ
اوربيةٍ متحضرةٍ ، اكثرَ من حفلاتِ معدوداتِ على مدى اعوامٍ ، يشاهدُها جمهورٌ معينٌ
من طبقةٍ معينةٍ من ارستقراطيةِ الفكرِ .

هل يمكن أن نُسَمِّيَ إِذَا أَدَبَ « ابسن » أَدَبًا للشعبِ ، أم نُخْرِجُهُ مِنْ هَذَا الوَصفِ ؟
وَإِذَا أَخْرَجْنَاهُ فَتَحَتَّ أَيُّ عِنَوانِ نَضَعُهُ وَهُوَ لَيْسَ بِمَنْ يُصَوِّرُونَ الملوِكِ الأَمراءِ ؟ ...

كذلك الحال مع « برناردشو » هل هو أديبٌ للشعبِ ؟ ... أم هو أديبٌ لِطَبَقَةٍ
مُتَّفَقَةٍ يُمكنُ أَنْ نَسَوِّيَهَا طَبَقَةَ الأرسْطَرطاطيةِ الأَهْنيَّةِ ، وَهِيَ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تُتَابِعَ
حِوَارَ « برناردشو » المُتَكَلِّمِ بِأَصْوَافِ الدِّكَاةِ الرَّفِيعِ والسُّحْرِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ ؟ ..

نُخَلِّصُ مِنْ هَذَا إِلى سِؤالٍ :

هل أَدَبُ الشَّعبِ هو الأَدَبُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ الشَّعبُ ، حتَّى إِذَا تَنَاوَلَ مَوْضُوعَاتِ
بَعِيدَةٍ عَنِ الشَّعبِ ؟ أمْ أَنَّ أَدَبَ الشَّعبِ هو الأَدَبُ الَّذِي يَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَاتِ تَمَسُّ
المُجْتَمَعَ وَشُؤُونَ الشَّعبِ ، ذُونَ أَنْ يَصِلَ إِلى إِمتاعِ الشَّعبِ أو نَفْعِهِ ؟ ...

بِعبارةِ أُخْرَى : هل أَدَبُ الشَّعبِ هو الأَدَبُ الَّذِي يُكْتَبُ عَنِ الشَّعبِ وَإِنْ لَمْ يَنْفَعَهُ ،
أم هو الَّذِي يُكْتَبُ لِيَنْفَعَهُ الشَّعبُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَنَهُ ؟ ...

المسألةُ إِذَا سَهَلَةٌ كَمَا كَانَتْ تَبْدُو أَوَّلَ وَهَلَّةٍ وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ تَقَدَّمَ أَحَدُنَا بِالجوابِ قائلًا :

لَيْمَ لَّا يَكُونُ أَدَبُ الشَّعبِ هو الأَدَبُ الَّذِي يُكْتَبُ عَنِ الشَّعبِ وَيَنْفَعُهُ الشَّعبُ وَيَنْتَفِعُ
بِهِ ؟ ...

هَذَا جِوابٌ مُقْنِعٌ وَلَا شَكَّ . وَلَكِنَّ المِثْمَ لَيْسَ الجِوابُ ، المِثْمُ هو وَجُودُ هَذَا الأَدَبِ
بِالفِعْلِ هل هو موجودٌ ؟ .. هل في الدُّنيا اليَوْمَ أديبٌ عَالِمِيٌّ في مِثْكَائِهِ « هوميرُوس » أو
« سوفوكليس » أو « ابسن » أو « برناردشو » اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْتُبَ عَنِ الشَّعبِ أَدَبًا
ذَا قِيَمَتِهِ وَأَنْ يَصِلَ بِهَذَا الأَدَبِ إِلى صَيِّمِ الشَّعبِ في مُخْتَلِفِ طَبَقَاتِهِ الوَاسِعَةِ لَا في
بَلَدٍ وَاحِدٍ ، بَلْ في بِلادِ العَالَمِ . رَبِّمًا كَانِ كِتابُ « الف ليلة ليلة » يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ الوَصفُ ،
وَلَكِنَّ شَرْطًا يَنْفُضُهُ ، هو أَنَّهُ لَا يُعَالِجُ شُؤُونَ الشَّعبِ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي نُرِيدُهَا اليَوْمَ .

مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَقَدْ نَتَقَأَلُ بِوُجُودِ هَذَا الأَدَبِ الَّذِي يُكْتَبُ عَنِ الشَّعبِ ، وَيُنْتَفِعُ
الشَّعبُ ، وَيَنْفَعُ الشَّعبُ .

وَلَكِنْ ذُونَ وَجُودِهِ صُورَاتٌ وَعَقَبَاتٌ لِأَنَّ هَذِهِ الشَّرُوطَ مُجْتَمِعَةٌ شاقَّةٌ عَسِيرَةٌ .

فَقَدْ نَجَدُ الأَدِيبَ الَّذِي يُنْتَفِعُ وَلَا يَنْفَعُ . وَهَذَا أَدَبٌ ساقِطٌ .

وَقَدْ نَجَدُ الأَدِيبَ الَّذِي يَنْفَعُ وَلَا يُنْتَفِعُ ، وَهَذَا أَدَبٌ مَحْدُودٌ .

وَقَدْ نَجَدُ الأَدِيبَ الَّذِي يَمْتَنِعُ وَيَنْفَعُ وَلَكِنَّهُ لَا يَتَّخِذُ مِنَ الشَّعبِ مَوْضُوعَهُ ، وَهَذَا
أَدَبٌ قَدْ يُوَصَّفُ بِأَنَّهُ غَيْرُ نَسَمِيٍّ .

وقد يَكُونُ شَعْبِيَّ الموضوعِ ونافعاً ومُمتِعاً ، وَلَكِنَّهُ لِعُلُوِّ مُسْتَوَاهُ الْأَدَبِيِّ بَطِيءُ التَّفَوُّذِ
في الجَمَاهِيرِ ...

قد يَسْأَلُ سَائِلٌ يُرِيدُ التَّيْسِيرَ : هل مِنَ الصَّرُورِيِّ للأدبِ مِنْ أَجْلِ الشَّعْبِ أَنْ
يَتَّخِذَ مَوْضُوعَهُ دَائِمًا الشَّعْبَ نَفْسَهُ ؟ ... لماذا لا يُعَدُّ كُلَّ أدبٍ يُمَتِّعُ الشَّعْبَ وَيَنْفَعُهُ
وَيَتَّفَعُ إِلَيْهِ أَدَبًا مِنْ أَجْلِ الشَّعْبِ حَتَّى إِنْ لَمْ يَكْتُبْ عَنْهُ أَنَّهُ لَهُ مَادَامَ يَنْفَعُهُ وَيُعَيِّرُهُ وَيَطْوِرُهُ ؟
إِنِّي في الحَقِيقَةِ آمِيلٌ إلى الأَخْلِ بهذا الرَّأْيِ ...
حَقًّا لَمْ لَا ؟

أَلَا تُفِيدُنِي إِلا إِذَا تَحَدَّثْتَ عَنِّي ؟

أَلَا يُمَكِّنُ أَنْ أَتَفَعَّ مِنْ آيٍ حَدِيثٍ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ ؟

إِنَّ مُشْكِلَاتِي قد تَتَضَخَّعُ لِعَيْنِي ، وَاِنَّتِ تَعَالِجُ مُشْكَلَاتِ الْآخِرِينَ ... إِنِّي أَقْدُ أَفْرَفُ
نَفْسِي مِنْ خِلَالِ تَصْوِيرِكَ لِعَيْرِي ، وَأَفْهَمُ تَجَارِبِي إِذَا مَرَّنتُ تَجَارِبَ غَيْرِي ، كُلُّ هَذَا جَائِزٌ ،
المَهْمُ لَيْسَ قَوْلُنَا نَحْنُ الْأَدَاءُ إِنَّ « الأدب للشعب » إنما المَهْمُ هو أَنْ يَجِدَ الشَّعْبُ
نَفْسَهُ الْأَدَبَ الَّذِي يُنَاسِبُهُ ، وَيَنْفَعُهُ ، وَيُمَتِّعُهُ ، وَيَرْفَعُهُ ، وَيُعَيِّرُهُ ، وَيَطْوِرُهُ ، ويقولُ :
« هَا هُوَ ذَا أَدَبِي الَّذِي أُرِيدُ ، قَدْ وَجَدْتُهُ ! »

وهو لا يقول ذلك عادةً في صُورَةٍ إِفْبَالٍ عَظِيمٍ عَلَى ذَلِكَ الْغِذَاءِ الْمُتَمَتِّعِ النَّافِعِ وَنَدْمًا
يُوجَدُ ، يُقَدِّرُ مَا يَقُولُهُ في صُورَةٍ أَنْعَاشٍ سَائِلٍ ، مِنْ تَأْيِيرِ الْقَوِيِّ عَلَى بِنْيَتِهِ الْفِكْرِيَّةِ
غَمَّا تَنْتَمِشُ الشَّجَرَةَ كُلِّهَا ، وَيَخْضُرُ وَرَقُهَا وَنَدْمًا تَجِدُ الْغِذَاءَ الطَّيِّبَ الْمُبِيدَ (*) .

(*) من أدب الحياة - توفيق الحكيم .



تاريخ المرأة استشهاد طويل

15

هي زيادة

(1886 - 1941 م - 1304 - 1360 هـ)

تعريف وتمهيد :

وُلِدَتِ الكاتبةُ الأدبيةُ « ماري الياس » المعروفةُ باسم « مَيّ زيادة » في مدينة « الناصرة » بفلسطين ، من أسرة لبنانية الأصل ، وتَلَقَّتْ علومها في مدرسة « الراهبات اليوسفية » ، فأجادت اللغة الفرنسية في طفولتها ، وتأثرت بالنزعة الرومانتيكية في الأدب الفرنسي .

ثم هاجرت مع والدها الى مصر ، واتجهت الى دراسة الآداب العربية فأجادتها ، كما اتفنت عدة لغات مَكْنَتَهَا من الاطلاع على الآداب العالمية .

تَرَوَّدَتِ الكاتبة من هذه الثقافة الواسعة ، فأعانتها على فَهْمِ الحياة والتعبير عن شؤونها ، فَكَتَبَتْ مجموعةً من المقالات ، في بعض الصحف المصرية ، اثارت إعجاب كبار الكتاب والأدباء المعاصرين لها فَضَّحَوْها الى صفوفهم ، وجعلوها مَوْضِعَ تكريم وتقدير ، وما لَيْسُوا ان تَرَدَّدُوا على « نَدْوِيهَا الأدبية » التي كانت تقيمها اسبوعياً بدارها ، وكانوا يتناقشون حول مُخْتَلَفِ الموضوعات ، وَيَحْتَصِمُونَ فيما بينهم لاسباب عديدة ، ومهما كانت الاسباب التي تدفعهم الى الاختصام ، فإنّ لَدَاكَ آثَارَهُ الْجَيِّدَةَ على الأدب العربي الحديث .

فُرِئَتْ « هي » بِرِقَّةِ الإحساس وَرَهَافَةِ الشعور وَجَبِيَّتَانِ العاطفة ، وكانت على حَظٍّ وافر من الجمال الرُّوحيّ ، فَتَعَلَّقَ بحبها بعض الكتاب والشعراء من امثال : « جبران خليل جبران ، والرافعي ، والعقاد » ، وتبادلت معهم رسائل ، تُعَدُّ عيوناً في الأدب العربي الحديث ، وخاصة رسائلها الى جبران .

ولعلَّ أَحْصَبَ فتراتِ عُمُرِها إنتاجاً واكثَرَهَا استقراراً ، تلك الفترة التي قضتها في مصر في اليَقْدِ الثالثِ من القرن العشرين .

ثم تَوَالَّتْ على الكاتبة أحداثٌ نَفْسيَّةٌ أدت بها الى العزلة والانطواء ، وَتَنَقَّلَتْ ما بين مصر ، والشام ، واوربا طلباً للإسْتِشْفَاءِ ، ولكن حالتها النفسية كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم حتى وَاقَتْهَا الْمَيِّتَةُ في مصر عام 1941 م .

ومن أشهر آثارها « باحثة البادية ، والمساواة ، وكلمات وإشارات » ، ومعظم كتبها تتناول موضوعاتٍ سياسيةً واجتماعيةً .

وقد مرّ بك : ان قضية تحرير المرأة(*) كانت من اهم قضايا الفكر والادب في العصر الذي عاشت فيه الكاتبة .

وفي النص الذي تقدمه لك صورة صادقة لمرحلة الصراع الفكري حول قضية المرأة ، نسهم فيه واحدة من بنات حواء لتدافع عن جنسها ، وتطالب بانصافهن واعطائهن حقوقهن كاملة في البيت والمجتمع .

النص :

(أ)

« سَلَّ عَنْهَا الذُّهُورَ الْمُتَدَخَّرَجَةَ فِي هَاوِيَةِ الزَّمَانِ ، لَوْ كَانَ لِلذُّهُورِ لِسَانٌ لِأَنْبَاتِكَ بِمَا يُدْمِي الذُّؤَادَ ، الْمَرْأَةُ ! لَقَدْ جَعَلْتَهَا الْمَهْجِيَّةَ حَيَوَانًا يَبْتِيئًا ، وَحَبَسَهَا الْجَهْلُ مَتَاعًا مُتَمَلِّكًا لِلرَّجُلِ ، يَسْتَعْمِلُهُ كَيْفَمَا شَاءَ ، وَيَهْجُرُهُ إِذَا أَرَادَ ، وَيَحْطِمُهُ إِذَا خَطَرَ لَهُ فِي تَحْطِيمِهِ خَاطِرٌ ، كَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدَةً شَقِيَّةً وَأَسِيرَةً ذَلِيلَةً ، ثُمَّ ارْتَقَتْ مَعَ مُرُورِ الْأَجْيَالِ إِلَى دَرَجَةِ طِفْلَةٍ قَاصِرَةٍ ، إِلَى لُعْبَةٍ يَلْهُو بِهَا السَّيِّدُ فِي سَاعَاتِ الْفَرَاغِ ، إِلَى تَمَثُّلِ بَهْرَجَةٍ تَتَرَاكُمُ عَلَيْهِ الْأَثْوَابُ الْحَرِيرِيَّةُ وَالْجَوَاهِرُ الثَّمِينَةُ ، وَمَنْ مَتَا يَذْرِي بِمَا كَانَتْ تَشْتُرُهُ الْأَثْوَابُ الْحَرِيرِيَّةُ وَالْجَوَاهِرُ الثَّمِينَةُ ، مِنْ قُرُوحِ الْقَلْبِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَمْ يَضَيِّدْهَا بَشَرٌ ؟

(ب)

تَارِيخُ الْمَرْأَةِ اسْتِشْهَادٌ طَوِيلٌ أَلِيمٌ ، وَمِنْ أَغْرَبِ الْغَرَائِبِ أَنَّهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا فِي الْقَدَمِ صَدِيقًا وَلَا نَصِيرًا ، كَانَتْ عَامَةً الشَّعْبِ تَكْرَهُهَا وَتَخَفِرُهَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ عَلَى قَوْمٍ جَاهِلِينَ ، تَحَجَّرَتْ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ ، وَصَمَّتِ الْأَفْهَامُ ، فَهَمُّ لَا يُدْرِكُونَ شَيْئًا مِمَّا يَتَجَاوَزُ دَائِرَتَهُمُ الصَّغِيرَةَ .

(ج)

لِكَيْتِي أَرَى الْأَمْرَ عَجِيبًا ، بَلْ فَطِيعًا ، مِنْ رِجَالِ نَحْسَبُهُمْ نَوَائِغَ زَمَانِهِمْ وَقَادَةَ أَفْكَارِ الْعَالَمِ ، لَمْ يَذْكُرْ شِعْرَاءَ اللَّاتِينَ مِنَ الْمَرْأَةِ إِلَّا جَمَالَ جَسَدِهَا ، وَلَيْسَ فِي قِصَائِهِمْ مَا يَدُلُّ عَلَى تَلَمُّسِ آثَارِ النَّفْسِ وَرَاءَ ظُلُوهْرِ الْجَسَدِ ، وَجَمِيمُهُمْ مُتَّقِنٌ عَلَى تَسْمِيئِهَا « الشَّيْطَانِ الْجَمِيلِ » ، أَوْ « يُنْبِغُ الْمَسْرَاتِ السَّامَةِ » .

(د)

وَشِعْرَاءُ الْيُونَانِ : « سَخِيلُوسُ » وَ « أَوْرِيْدِسُ » وَغَيْرُهُمَا يَسْتَوْنَهَا - بِسَاطَةِ كَلِمَتِهِمْ - « بَلِيَّةَ الْعَالَمِ » . أَمَّا الْفَلَّاسِفَةُ ، فَكَتَفِي بِأَنْ أذْكَرَ هُنَا كَبِيرَهُمْ « أَفْلَاطُونَ » ، أَفْلَاطُونَ الْإِلَهِيِّ ، الَّذِي يَعْتَبِرُهُ تَارِيخُ الْفِكْرِ أُمَّةً بِأَسْرِهَا ، أَفْلَاطُونَ ذَا الْأَحْلَامِ الْفَائِضَةِ

(*) راجع نصيدة حافظ ابراهيم من الشعر الاجتماعي .

والمبادئ السامية الذي لم يترك موضوع إصلاح سياسي أو أدبي إلا عالجه رغبة في إسماع العالم - أفلاطون لم يفكر قط في تحسين حالة المرأة ولم يهتم بدرس أخلاقها واستكشاف درجتها العقلية والاستعدادية، ماذا أقول ؟

إن أفلاطون هذا قضى حياته أسفا لأنه ابن امرأة، وكان يصرخ بإزدياده أمه، ويعتقد أن من كان جباناً من الرجال في هذا العالم فعند ولادته مرة أخرى تنقص روحه في جسد حيوان أو في جسد امرأة . .

(هـ)

وما علم « أفلاطون » أن امرأة سعلّم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة في مدرسة « الإسكندرية » ، وأن تلك المرأة لا يمنعها شبابها العنق وجمالها الرائع أن تكون أعظم علماء عصرها ، تلك هي الفتاة « هيباتيا » ابنة « أثينوس » الرياضي الشهير التي قتلت رجلاً في شوارع الإسكندرية في أوائل القرن الرابع ، فذهبت شهيدة علمها وإخلاصها ورغبتها في إشهار التعاليم الأفلاطونية الجديدة .

المناقشة :

- 1 - ما رايك في نظرة افلاطون الى المرأة وموقف الكاتبة منه ؟
- 2 - بماذا فسرت الكاتبة موقف الرجال من المرأة خلال عصور التاريخ السابقة ؟
- 3 - كيف كانت نظرة الشعراء اليونانيين واللاتينيين الى المرأة كما وضحتها الكاتبة ؟
- 4 - لخص الافكار الاساسية في النص وضع لكل فكرة عنوانا مناسباً .
- 5 - من النص تدرك السمات العامة لاسلوب الكاتبة ، أشر الى خصائص اسلوبها مع التمثيل .
- 6 - تبدو الاصاله والصدق والالتزام في اختيار موضوع النص :
وضح ذلك على ضوء الاحداث الاجتماعية التي عاصرتها الكاتبة .
- 7 - استخرج من النص صورة بيانية واشرحها .
- 8 - عين أسلوباً إنشائياً في النص ثم فصله وبين أثره في المعنى .
- 9 - هات من النص محسناً بديعاً وبين سرّ جماليه .
- 10 - أين تفتحت مواهب الكاتبة ؟ ومتى كان ذلك ؟ وما اشهر آثارها الأدبية ؟
- 11 - هل كانت الكاتبة اول اديبة عربية اقامت ندوة ادبية تستقبل فيها ادباء عصرها ؟
وضح ذلك ، مستعينا بدراساتك السابقة .

المقال الأدبي :

سجل تاريخنا العربي قديمه وحديثه صفحات مشرفة للمرأة العربية في الميادين السياسية ، والاجتماعية ، والأدبية .

ناقش هذا الموضوع مع الاستشهاد .

(١)

العيون

تلك الأحداق القائمة في الوجوه كَتَاوَيْدًا^(١) من حلك ولَجِينٍ .
تلك المياه الجائلة بين الأشفار^(٢) والأهداب كبحيرات تنطقن بالشاطئ وأشجار
الخور .

العيون ! ألا تدهشك العيون ؟

العيون الرَّمَادِيَّةُ بِأَحْلَامِهَا .

والعيون الزرقاء بَتَوَعُّعِهَا .

والعيون العَسَلِيَّةُ بِحَلَاوَتِهَا .

والعيون البَيْتِيَّةُ بِجَاذِبِيَّتِهَا .

والعيون القَاتِمَةُ بِمَا يَتَنَاوَبُهَا مِنْ قُوَّةٍ وَعَذُوبَةٍ .

جميع العيون .

تلك التي تُدَكِّرُكَ بِصَفَاءِ السَّمَاءِ .

وتلك التي تُرِيكَ مَفَاوِزَ الصَّحْرَاءِ وَسَرَابَهَا .

وتلك التي تُعَرِّجُ بِخِيَالِكَ فِي مَلَكُوتِ أَثِيرِيٍّ كُلُّهُ بِهَاءٍ .

وتلك التي تَمُرُّ فِيهَا سَحَابٌ مَبْرُقَةٌ مَهْضِبَةٌ .

وتلك التي لَا يَتَحَوَّلُ عَنْهَا بَصْرُكَ إِلَّا لِيَبْحَثَ عَنْ شَامِقٍ فِي الْوَجْهِ .

العيون الضَّيْقَةُ الْمَسْتَدِيرَةُ ، وَالعيون اللَّوْزِيَّةُ الْمَسْتَطِيلَةُ .

وتلك الرحيبة اللواظ البطيئة الحركات .

وتلك التي تَطْفُو عَلَيْهَا الْأَجْفَانُ الْعَلِيَا بِهَدْوٍ كَمَا تُرْفَرِفُ أَسْرَابَ الطُّيُورِ الْبِيضَاءِ

عَلَى بَحَيْرَاتِ الشَّمَالِ .

وتلك الأخرى ذَاتُ اللَّهَيْبِ الْأَخْضَرِ الَّتِي تَلْسُومِي شُعَاعَهَا كَعُقَاقِفِ كَلَّابٍ عَلَى

الْقَلْبِ فَتَحْتَجِجُهُ^(٣) وَغَيْرَهَا ، وَغَيْرَهَا ، وَغَيْرَهَا .

1 - تعاويد : ج. تمريذة : الرقبة . 2 - الأشفار : ج. شفر : حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر .

3 - احتجن الشيء : احتواه وضمه إلى نفسه

وَأَنْتَ مَا لَوْ نَ عَيْنِيكَ ، وَمَا مَعْنَاهُمَا ، وَالْيَ أَيُّ نَقْطَةِ بَيْنَ الْمَرْئِيَّاتِ أَوْ وَرَاءَهَا
تَرْمِيَانِ ؟

فَمَ إِلَى مِرَاتِكَ !

وَانظُرْ إِلَى طَلَسَمِيكَ السِّحْرِيَّتِي ، هَلْ دَرَسْتَهُمَا قَبْلَ الْيَوْمِ ؟
تَفْرَسُ فِي عَمَقِ أَعْمَاقِهِمَا ، تَتَبَّعُ الذَّاتَ الْعَلِيمَةَ الَّتِي تَرُصِدُ حَرَكَاتِ الْأَنَامِ وَتُسَايِرُ
دَوْرَةَ الْأَقْلَاقِ وَالْأَزْمِنَةِ .

فِي عَمَقِ أَعْمَاقِهِمَا تَرَى كُلَّ مَشْهَدٍ ، وَكُلَّ وَجْهِ ، وَكُلَّ شَيْءٍ .

وَإِذَا سَأَلْتِ أَنْ تَعْرِفَنِي ، أَنَا الْمَجْهُولَةُ ، تَفْرَسُ فِي حَدَقَتَيْكَ يَحْدِثُنِي نَظْرُكَ فِي نَظْرِكَ
عَلَى رَغْمِ وَنُكْ .

(ب)

من أدب الرسائل

إلى باحثة البادية

تَعَثَّ الْكَاتِبَةُ رِسَالَةً إِلَى صَدِيقَتِهَا بَاحِثَةِ الْبَادِيَةِ « مَلَكٌ هِفْنِي نَاصِفٌ » (*)
تَحْيِيَةً وَتَحَنُّنًا عَلَى مَوَاصِلَةِ الْكِفَاحِ مِنْ أَجْلِ تَحْرِيرِ الْمَرَاةِ وَالنَهْوضِ بِهَا .

وَفِيمَا يَلِي نَقَدَمُ لَكَ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ :

« تَرَأَيْتِ بِاسْمِكَ قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَكَ ، وَاتَّخَذْتِ ذِكْرِي عُنْوَانًا لِنَهْضَةِ الْمَرَاةِ
الْمِصْرِيَّةِ قَبْلَ أَنْ أَطَالِعَ مَقَالَاتِكَ ، لِأَنَّ أَصْوَاتَ الْجُمْهُورِ قَدْ انْتَفَقَتْ فِي السَّأءِ عَلَى
فَضْلِكَ ، غَيْرَ أَنِّي عَمَّرْتُ بِالْأَمْسِ عَلَى مَجْمُوعَةِ كِتَابَاتِكَ النَّفِيَّاتِ ، فَأَلْحَنَيْتِ عَلَيْهَا
سَاعَاتٍ طَوِيلًا حَتَّى إِذَا لَيْتِي فِيهَا أَنِّي أَقْلَبُ صَفْحَاتِ نَفْسِكَ الْمُتَفَكِّرَةِ الْمُتَوَجِّعَةِ .

بِالْأَمْسِ لَمَسْتُ نَفْسِكَ وَقَرَأْتُ أَفْكَارَكَ فَعَمَّرْتُ عَلَى حِرَاحِ بَلِيغَةٍ وَوَدِدْتُ تَقْيِيلَهَا
بِقَفَّتِي وَرُوحِي وَمَا أَطَبَّقْتُ الْكِتَابَ إِلَّا وَأَنَا أَلِيمٌ بِنَائِي عَلَى غَيْرِ هُدًى ، وَلَمْ يَكُنْ
ذَلِكَ إِلَّا لِجَلَالِ لَصَفْحَاتِ قَلْبَتِهَا وَحُبِّ لِنَفْسِ اسْتَجْوَابَتِهَا فَعَرَفْتَهَا . فَيَا مَنْ ارْتَفَعَ قَلْبُهَا
إِلَى فِكْرِهَا وَانْحَنَى فِكْرُهَا عَلَى قَلْبِهَا . آتِنَا الْبَاحِثَةَ لِمَ تَصْمِيْنِ ؟ » (1)

(*) رائدة من رواد النهضة النسائية ، ولدت بمصر عام 1886 م ، ونشأت بها وكسبت عدة مقالات
وتوفيت عام 1918 م . انظر : دراسات أدبية ج 1 عمر الدسوقي .

(1) مجلة الهلال ، ص 16 - نوفمبر 1968 م .



جَمَازُ الحَكِيمِ وَالزَّوْجِ

16

رِفْصًا حَوْحُو

(1911 - 1956 م - 1330 - 1376 هـ)

تعريف وتمهيد :

ولد ((أحمد رِفْصًا حَوْحُو)) ببلدة « سيدي عقبة » من ولاية الأوراس وفي بلدته حفظ القرآن الكريم ، وتلقى مبادئ العلوم العربية والفرنسية . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره توجه الى « سكيكدة » ليتابع دراسته في « الكوليج » وبعد أربع سنوات من دراسته فيها عاد الى بلدته ليعمل موظفا في البريد .

وفي عام 1934 م هاجر مع أسرته الى « المدينة المنورة » فنهل من نبعها العربي الأصيل ، ونال الشهادة العليا عام 1938 م من مدرسة العلوم الشرعية ، واشتغل بعد تخرجه أستاذا فيها .

وفي أثناء إقامته بالحجاز شارك في تحرير مجلة « المنهل » المكية ونشر فيها بعضا من قصصه ومقالاته وترجماته من الأدب الفرنسي وكان يكتب في مجلة « الرابطة العربية » التي يصدرها أمين سعيد بمصر . وفي عام 1946 م قرر العودة الى الجزائر ، وفي طريق عودته مر بمصر وقضى فيها شهرا . وإثر رجوعه الى الوطن استقر بمدينة « قسنطينة » وانضم الى « جمعية العلماء المسلمين » ، وعمل مديرا لمدرسة « التربية والتعليم » ، وعندما فتح « معهد ابن باديس » أبوابه عام 1947 م عين أمينا عاما لإدارته . وفي سنة 1949 م أصدر مع فئة من شباب العلماء بقسنطينة جريدة شعبية أسبوعية للنقد والكفاح سميت « الشعلة » وأسندت إليه رئاسة تحريرها فكان يحرق باب « المسامر » يدقها في ظهر الاستعمار وأذناه المارقين عن الوطن والدين (*) . وللكتاب نشاط فني في المسرح والتمثيل ، فقد أسس « جمعية المزهرة القسنطينية » عام 1947 م وله آثار أدبية منها « غادة أم القرى » ، « مع حمار الحكيم » ، « نماذج بشرية » ، « صاحبة الوحي » .

وقد أتبعه أن يقوم برحلات متعددة زار خلالها روسيا وفرنسا وإيطاليا وتشيكوسلوفاكيا ، وكان لهذه الرحلات أثر في أدبه وفكره ! وظل الكاتب يمارس نشاطه الأدبي والفني والإصلاح من أجل نهضة بلاده حتى استشهد عام 1956 م .

ومن أهم الظواهر الاجتماعية التي أثار اهتمام الكاتب هي « مشكلة الزواج بالأجنبيات » . وبطريقة الحوار والرمز والسخرية عالج هذا الموضوع الاجتماعي الهام ، ومن خلاله تناول بعض القضايا الاجتماعية والنفسية المختلفة ، كما ستراه في دراستك للنص التالي :

(*) من مقال للاستاذ عبد الرحمن شيبان نشر في جريدة الصباح التونسية في شهر افريل عام 1957 .

النص :

جاءني حمارٌ الحكيم مُبَكِّراً هذا الصباح على خلاف عادته كلَّ يوم ، فتمجبتُ من ذلك ، لأنني أعرفه دقيقَ المحافظةِ على النظامِ والمساوِيتِ ، وهو لا يتخلف دقيقةً واحدةً عن الوقتِ المحددِ ولا يتقدم عنه . فأوجستُ خيفةً⁽¹⁾ من هذا التكبير وعرفتُ أن في الأمرِ جديداً عن أعمالنا المعتادة . وما كاد يجلس حتى ابتدرته⁽²⁾ :

خيِّراً إن شاء الله ، هذه الزيارةُ المبكرةُ ؟

قال : جئتُك في مسألة خاصة .

قلت : لو لم أعرفك حماراً ، لقلت انك أتيتَ تستدين مِنِّي بعضَ النقودِ .

قال : وهل لك نقودٌ حتى يطمعَ الناسُ في الاستدانةِ منك ، فإن كلَّ ثروتك هذه القصاصاتُ من الورق التي تنفع لإيقاد النارِ .!؟

— فكَّرتُ قليلاً في قوله ، ثم قلت له :

حقاً ما تقول . . فلا تنفع عصارةُ هذه الأفكارِ إلا لإيقاد النارِ ، وهي مع ذلك كلُّ ثروتي وعزائي .

— ثم قلت : دعنا من هذا ، وقل ما سبب هذه الزيارةُ المبكرةُ ؟

قال : جئتُ أستشيرك في أمرٍ مهم .

قلت : هل هو عمل جديد ؟

قال : لا . : لم أعثرُ حتى الآن على عملٍ يشرفني .

قلت : اذن ماذا ؟

قال : ما رأيك في الزواج ؟

قلت : رأيي في الزواج هو رأي « برنارد شو » ، فهو كالجمعية السرية ، الخارج عنها يجهل عنها كلُّ شيء ، والمنخرط فيها لا يستطيع أن يقولَ عنها شيئاً .

قال : لم أعني هذا ، وانما أقصدُ زواجي ، ما رأيك في زواجي أنا ؟ فقد خطر ببالي أن لا أبقي عازباً ، فإن ذلك يجبر علي الشبهاتِ ، ويحطُّ من قيمتي كحمار اجتماعي ! ثم لا بد من خلفٍ صالحٍ يخلفني ! .

1 - اوجست خيفة : احسست خوفاً . 2 - ابتدرته : ابتدر القوم امراً : بادر بعضهم بعضاً وتسبقوا اليه ، والمراد هنا : اسرعت اليه بقولي .

— مكثتُ بزهةً مُشدوها⁽¹⁾ ولم أدري بماذا أجيب ، لاني لم أعالج ولو مرة زواجا من زواج أبناء آدم حتى أعطي رأيي السيد في زواج حمار من أتان⁽²⁾ .

قلت : لا أستطيع أن أفيدك برأي في هذه المسألة ، لاني لم يستقر لي رأي حتى الآن عن أيها أحسن : الزواج أم العزوبة ؟ فاذا ذهبت إلى العزب وجدتهم يتمنون الحياة الزوجية ويتلهمون عليها ، واذا باحثت المتزوجين في هذا الشأن وجدتهم يتحون على الزواج باللائحة ويقولون إنه شر لا بد منه ، ولني لا أدري أي الفريقين على حق وأي الرأي أصوب .

قال : هذا عندكم يا أستاذ . . أتم البشر ، لأن أغلبكم جهل الرسالة التي خلق من أجلها ، فقد تغلبت عليكم الأنانية وحب الذات ، الرجل والمرأة على السواء . أما نحن فلا يجهل أي منا أنه حمار ابن حمار ، خلق للعمل الشاق ، والميش البسيط ، فانك لا تجد في فصيلتنا من تعدته نفسه بأنه أفضل من الحصان لو لم ينكره الزمن ، وانك لا تجد في فصيلتي من ينسئ علفاً من القمح ، ولا تجد من يلوم الدهر أو يتبرم⁽³⁾ من الحياة أو يشتكي من الدنيا ، فكلنا راضين عن حياته قانع بها . وعليه ، فبأننا غير شائكم ويمكنك أن تعالج مسألة زواجي دون أن تخشى أن تعرضك أية مشكلة .

قلت : ألا يمكنك تأجيل هذه المسألة إلى فرصة أخرى ، فان لدينا مسائل هامة تتطلب البحث المستعجل ؟

قال : لا يمكنني ذلك . . فان مسألة زواجي أهم من كل مهم .

قلت : كنت تتهمنا نحن البشر بالأنانية وحب الذات ، واذا بك غارق فيها لأذنيك الطويلتين ! .

قال : أبدا ، ليس هذا الأمر من الأنانية في شيء ، فأنا لم أوثر نفسي ، وإنما أردت أن أكون كجميع أبناء الفصيلة ، ومعظم ما هنالك أنني أحسست بنقص في شخصيتي أحببت إتمامه .

قلت : دعنا من هذا الجدل البيزنطي ، وقل لي : هل وقع اختيارك على صاحبة الحساب والنسب ؟

1 - مشدوها : مدمرنا . 2 - اتان : أنثى الحمار . 3 - يتبرم : يضجر .

قال : إنك تعرفني أجنبيا في هذه الديار ، لا أعرف فيها حمارًا ولا أتانًا .

قلت : ومن قال لك اني اشتغلتُ مَكَارِيًا^(١) أو خفِيرَ اصطِلاتٍ حتى أعرفَ فصائلَ الحميرِ وأفرقَ بين الخبيث منها والطيب ؟ .

قال : لا تغضب يا أستاذ . . واشمِلي بحِلْمِكَ . . فاني لم أقصد شيئًا مما ذكرتُ !
قلت : - في حدة - اذن ماذا ؟

قال : أريد استشارتك في نوع شريكة العُمر .

قلت : خذ لك أبةَ آتَانٍ^(٢) تَعَثُرُهُ عليها والسلام .

قال : لا تنس أنني لستُ كبقية الحمير ، فأنا أتمتع ببعض الثقافة !
قلت : فاسألُك إذن مسلكَ المثقفين .

قال : ماذا تعني ؟

قلت : أعني أن تتزوج بأتانٍ أجنبية !

قال : ما هذا الهديان ؟ .. أأصبتُ في عَقْلِكَ ؟ . .

قلت : أبداً ، فان الشائع في هذه الأيام هو زواج المثقفين بأجنبيات ، وأيُّ مانع في أن يتزوج حمارًا المثقف بأتانٍ أجنبيةٍ تَلِيقُ بمقامه المحترم ؟ !

قال : انك لا تعي ما تقول !

قلت : لماذا ؟

قال : أما يكفي هذا الانحلالُ الاجتماعيُّ والخُلُقِيُّ الذي جرَّه زواجُ بعضِ رجالِكُم

من الأجنبيات حتى أضيفَ إليه انحلالاً آخرَ في فصيلة الحمير ؟

قلت : كيف ذلك ؟

قال : زواجي من أتانٍ أجنبيةٍ تخالفني في الجنس والعادات والتفكير ، فيه خطورةٌ كبيرة على أخلاقي وعاداتي وتفكيري .

قلت : يبدو لي أنك تُهَوِّلُ الأمرَ . . ولا تنس أنك أنت الذي سَتَزَوَّجُهَا ، وعليه ، فأنت الذي ستفرضُ عليها عاداتك وأخلاقك وتَصَبُّها في قالبك .

1 - مكاريا : مكري الدواب ، ويغلب على الحمير والبغال .

قال : لاني لم أر حتى الآن حمارا شرقيا تزوج بأتان غربية ، ولكنني أعرف كثيرا من الرجال الشرقيين تزوجوا من نساء أجنبيات ، ولم أر بينهم من استطاع أن يعرب زوجته الغربية ، وقليلون جدا الذين لم تُفَرِّجَهُمْ أزواجهم !

— فكرتُ مِلياً ثم قلت : هذا صحيح . ولكن ما هي الأسبابُ يَأْتِرِي حتى أُعْطِي رأيي السيدَ في زواج حمار من أتان ؟ ! .

قال : هناك أسبابٌ تتعلق بأخلاقِ المرأة من حيثُ هي امرأةٌ ، وأسبابُ خاصة تضاف إلى أخلاقِ المرأة الأجنبية .

قلت : انك ستثورط في فلسفة عقيمة !

قال : الأمر بسيط جدا واليك بيانه .

قلت : هات . . .

قال : المرأة على وجه العموم تَهيمُ بحب التسلط على الرجل ، وهي تبذل ما في وسعها لذلك ، لا تعرف الملل ولا الكلال ، وهي على وجه العموم أيضا عديمة الثقة بأقواله وأفعاله ، فهي تنفر من الامتثال لأوامره وتعاليمه ونصائحه الا اذا اضطررت الى ذلك رَغْبَةً فيه أو رَهْبَةً منه ، وذلك لأن جُرمَوم الأناثية في المرأة أقوى منه في الرجل ، فهي تحب التسلط عليه ، والتحكّم فيه ، وترغب في انقياده لها ، وفي نفس الوقت تكره الخاضع لسلطانها ، وتبغضُ الراضي بحكمها ، وتحب الثائرَ عليها المتمردَ عنها .

قلت : ما هذه المتناقضاتُ في الجنس اللطيف ؟

قال : نعم ، إنه لجنسٌ غريب ، ثم استرسل في تحليله فقال :

— ان المرأة مع أنانيتها تشعر بضعف طبيعي غريزي فيها ، فهي من الناحية النفسانية ترتاح الى الرجل القوي الذي ييسطُ عليها سلطانه العارِمَ ويتسلطُ عليها ، فتستكين اليه لأنها تشعر بحمايته ورعايته ، فهي تريده ضعيفا وتبغضُ صَعْفَه ، فهي تجد مُتَعَةً في التغلب عليه لكنها تجد حسرةً في استسلامه اليها ،

لأنه بهذا الاستسلام ينهار في قلبها ذلك الحصن الذي كانت تتمتع بحمايته وترتأخ الى قوته وجبروته .

قلت : ثم ما ذا ؟

قال : هذه الأسباب العامة ، وهي تتعلق بأخلاق المرأة من حيث هي ، ويضاف إليها بالنسبة للأجنبية أنها ترى نفسها أرقى منه عنصرا وأسمى حضارة ، ترى نفسها ابنة حاكم وهو ابن محكوم ، سيده وهو مسود ، ترى في زواجها منه تنازلا منها لطبقته ، فهي اذن تمن (1) وتتدال ، وما عليه الا أن يرضى ويتدلل ، والا حدث الخلاف وساد الشقاق وكان بعد الزواج الطلاق .

قلت : ان كلامك حق ، لكني لا أتحمل مسؤولية .

قال : دعنا من هذا ولنعد للموضوع !

قلت : نصيحتي لك أن تصرف فكرك عن الزواج ، فأنت حمار وديع ، وإني أخشى عليك من تسلط الأثى وسيطرتهما عليك فيخيرك المجتمع الذي أخذ يعجب بك وبأرائك السديدة .

قال : صدقت ، يجب أن نعيش للمجتمع ومع المجتمع .

دراسة الأفكار :

اتخذ الكاتب من قلمه سلاحا يجاهد به في سبيل تحرير بلاده من الاستعمار وآثاره البغيضة في المجتمع ، ومن بينها ظاهرة الزواج بأجنبيات .

والكاتب لم يعالج هذه الظاهرة من جانب تحسين النسل ، ولا من جانب الظروف التي دفعت الى وجودها في المجتمع الجزائري وغيره من المجتمعات العربية ، وانما يعالجها باعتبارها ظاهرة اجتماعية لها خطورتها على مقومات الشخصية ، وهو بذلك لا يلوم من دفعتهم ظروف الهجرة او غيرها الى الزواج بأجنبيات ، وانما يلوم فريقا من الناس دفعهم احساسهم بالنقص في نفوسهم وفي بنات وطنهم ، فحسبوا انهم يكملون نقائصهم عندما تقبل الزواج بهم واحدة من بنات المستعمرين الاجانب .

والكاتب في هذا النص يعالج هذه الظاهرة بطريقة تهكمية لاذعة ، ومما لا شك فيه أن لهذا الزواج آثاره السيئة على الوحدة الوطنية في المجتمع الجزائري ، فاختلاف الشخصية داخل الاسرة الواحدة يؤدي الى تمزق المجتمع كله ، ومن جهة اخرى قد

(1) تمن : من عليه بما صنع : ذكر وعدد له فعله من الخير ، وهو تكدير تنكر لينة القلوب .

يكون هذا الزواج سببا في بوار المسلمات الجزائريات ، فيسقطن وينحرفن . ومتى كان للمستعمرين كيان في الاسرة الجزائرية أصبح لهم اقدام ثابتة في الوطن باسره .

وموقف الكاتب من هذه المشكلة ليس جديدا على الفكر الاسلامي ، ولا على المجتمعات العربية الحديثة ، فقد ندد بهذه الظاهرة كثير من المصلحين في مختلف المجتمعات الاسلامية والعربية ، من امثال « قاسم أمين » و « باحثة البادية » وغيرهما .

وقد تناول الكاتب في هذا النص - الى جانب موضوعه الاساسي ، وهو الزواج بالاجنبيات - مجموعة من القضايا الاجتماعية والنفسية من بينها :

(١) ظاهرة التناقض عند المرأة ، وبرز معالمها تدبذبا بين الرغبة في تملك الرجل وفرض سيطرتها عليه ، وبين راحتها التامة في الخضوع له والاستسلام لقوته .

وقد اكد هذه الظاهرة كثير من الباحثين المهتمين بدراسة المرأة من امثال « شوبنهاور »(*) الفيلسوف الالماني ، و « سيمون دي بوار » ، و « العقاد » وغيرهم من الدارسين .

(ب) ظاهرة الأنانية في الطبيعة البشرية .

(ج) تعلق الانسان بالماديات .

(د) قلق الانسان وتبرمه من الحياة بصورة عامة ، واضطراب موقفه من الزواج بصفة خاصة ، فالتزوج يرى فيه قدرا محتوما ، والعزب يبحث عن قدره . وكلاهما يندب حظه في الحياة .

وايس فيما تناوله الكاتب من مشكلات اجتماعية او ظواهر نفسية جديد يذكر لا في اكتشاف الظاهرة ولا في فلسفتها ولا في علاجها .

ولكن الجديد بحق - هو عرض الكاتب لانكاره ، وتصويره لتلك الظواهر ، فهو ينفذ ببصيرة ناقبة الى عيوب المجتمع ، ويقدر على تحديدها تحديدا واضحا ، ثم لا يهدمها بالطريقة المباشرة التي تعتمد على النصح او التحذير ، وانما يشير الى ضرورة علاجها عن طريق تجسيم العيوب وتضخيمها وابرازها ، بوضعها في الصورة التي تشير في النفس التهمك والسخرية . اشبه ما يكون بالرسام الذي يتخذ لنفسه ارضية قاتمة سوداء ، ثم يحدد اطارها بالوان زاهية بيضاء ، فتتجمع داخل الارضية ابعاد الصورة محددة المعالم .

(*) « شوبنهاور » ترجمة عبد الرحمن .

ومن تصوير الكاتب لمجتمعه تدرك أنه كاتب ملتزم يصور بصدق طبيعة مجتمعه الفيور على مقومات شخصيته ، فالهدف من الزواج - كما وضحه النص في حوار الكاتب مع حمارة - اتقاء الشبهات ، وكسب قيمة اجتماعية ترفع مكانته بين الناس . واختيار الزوجة يتركز حول الحسب والنسب .

وافكار النص واضحة تبدو فيها لمسات الفنان المخلص لعمله ، المؤمن بقيمة فنه في تحرير مجتمعه .

دراسة الأسلوب :

النص نوع من المقال القصصي ، يستعير من القصة لغة الحوار ، وحواره يمتاز بالسرعة ، فالجمل التي يجريها على لسان أحد المتكلمين قصيرة الفواصل ، قليلة الكلمات . كما تراه في قوله :

« قال : جئت أستشيرك في أمر مهم » .

« قلت : هل هو عمل جديد ؟ » .

« قال : لا ، لم أعثر حتى الآن على عمل يشرفني » .

« قلت : اذن ماذا ؟ » .

« قال : ما رأيك في الزواج ؟ » .

وتشيع في أسلوب الكاتب ظاهرة السخرية ، ويمكنك ملاحظتها بوضوح في هذا النص - من ذلك قوله :

« ولو لم أعرفك حمارا لقلت انك أتيت تستدين مني بعض النقود » .

وقوله على لسان حمارة :

« لم أحصل حتى الآن على عمل يشرفني » .

وقوله :

« لم أر حتى الآن حمارا شرقيا تزوج بأتان غربية » .

وقوله :

« وأي مانع في أن يتزوج حمارنا المثقف بأتان أجنبية تليق بمكانه الرفيع » .

وهي سخرية هادفة ، استوحاها الكاتب من ظروف حياته الخاصة ، وظروف مجتمعه الجزائري الذي كانت تسوده - في عصر الكاتب - قيم وافكار ونظم معينة حول المرأة والدين والسياسة ، ومن هنا فان السخرية في ادب « حوجو » تختلف عن سخرية غيره من الادباء الساخرين الذين يهدفون اول ما يهدفون الى الامتاع والترويج .

وقد أحم الكاتب عدة موضوعات ثانوية على موضوعه الأصلي ، فبينما يعالج قضية الزواج بأجنبيات يتعرض لمجموعة قضايا منها :

- 1 - رغبة الانسان في الاقتراف .
- 2 - وصف المفكرين بالفقر المادي .
- 3 - السخرية من معظم الأعمال التي يقوم بها الانسان .

ولم يستطع الكاتب ان يربط هذه الموضوعات بموضوعه الأصلي مما اضعف التثام عناصر موضوعه .

ويبدو ان اهتمام الكاتب باهدافه الوطنية ، وانشغاله باصلاح بعض الأوضاع الاجتماعية ، كان أهم لديه من عنايته بالنواحي الفنية .

واتخذ الكاتب من أسلوب الحوار سبيلا لتحقيق أهدافه الإصلاحية في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والظواهر النفسية .

ولما كان الحوار هو الطابع الذي يميز أسلوب النص ، فقد تعددت الأساليب الانشائية المختلفة الأنواع والأغراض .

وعبارات النص سهلة واضحة تلائم الموضوع والأفكار والقالب الفني ، والأغراض التي يهدف الكاتب الى تحقيقها .

وأسلوبه مباشر ، لم يعتمد كثيرا على الصور البيانية ، وان وردت فهي قليلة ، من ذلك قوله :

« تتهننا نحن البشر بالأنانية ، واذا بك غارق فيها لأذنيك » .

فهذا التعبير فيه استعارة تدل على المبالغة في الأنانية وشدة التمسك بها .

ومن السوان البديع في النص : الطباقي في قوله :

« وأفرق بين الخبيث منها والطيب » .

والجناس في قوله :

« لا نعرف الملل ولا الكلل » .

والسجع في قوله :

« فهي اذن تمن وتتدلل ، وما عليه الا أن يرضى ويتذلل » .

وهي محسنات في موضوعها غير متكلفة ، تزيد الأسلوب عدوبة وجمالا .

مجمل القول

□ النص من الأدب الاجتماعي الذي يعالج مشكلات اجتماعية ، صاغه الكاتب في قالب يعتمد على الحوار ، وعالج فيه قضية الزواج باجنيبات ، ووضع خطورة هذا الزواج ، وحل بعض جوانب المرأة بصفة خاصة ، والانسان بصفة عامة .

□ افكار النص سهلة وليست جديدة ، وغير متناسقة . واسلوبه سهل يميل الى السخرية ، ويعتمد على التعبير المباشر ، وفيه العديد من الاساليب الانشائية التي تلائم الحوار ، وفيه من المحسنات البديعية ما يزيد رونقا وجمالا .

المناقشة :

- 1 - ما اهم الموضوعات التي تعرض لها الكاتب في هذا النص ؟
- 2 - ما الاسباب التي دفعت الكاتب الى مهاجمة الزواج بالاجنيبات ؟
- 3 - كيف فلسف الكاتب تناقض المرأة ؟ وما رأيك فيه ؟
- 4 - قارن بين أسلوب السخرية عند « المازني » و « رضا حوحو » من خلال دراستك لبعض نصوصهما .
- 5 - استخرج من النص صورة بيانية ومحسنا بديعيا وشرهما .
- 6 - قام الكاتب بعدة رحلات في بلدان مختلفة النزعات والاتجاهات . تحدث عن رحلاته مشيرا الى بعض التناقضات في المجتمعات التي زارها .

السؤال الكتابي :

للكاتب رأي في الزواج بالاجنيبات ، وللإسلام موقفه من هذه المشكلة .

— ناقش رأي الكاتب في ضوء ما قرره الإسلام . موضحا رأيك .

١ - صديقي الشاعر (*)

عرفته تلميذاً في المدرسة ، وكان طفلاً صغيراً قميء القامة ضعيف البنية نحيل العضلات ، لكنه يتوقد ذكاءً وفطنةً متصفاً بشيء غير قليل من الصدوذ عن بقية زملائه ، ينظر إليهم بعين الإزدراء والاحتقار وهم يمارسون ألعابهم الصبيانية لأنه كان لا يلعب ولا يشارك زملاءه ألعابهم بل تحده دائماً متأبطاً كتاباً أو غارقاً في المطالعة أو محتدداً في المناقشة مع كبار الطلبة ، فالمركب النقصي في جسمه خلق فيه قوة فكرية استعملها ليتم بها هذا النقص ، فهو يكره ذوي الأجسام الضخمة وكثيراً ما تجده يترنم بالشعر الذي قيل في هجو الضخام ويحفظ منه الشيء الكثير .

كان ثائراً على أنظمة مدرسته برماً بها ، يقترح طرقاً شتى لإصلاحها ، بينما كان بقية زملائه لا يفرقون بين الفس والسمين من برامج دراستهم ، وكان كذلك متمرداً ناقماً على ذوي الجاه والسطوة ، تواقاً الى الحرية يتمناها في قوضى .

اهتمت به ولاحظته عن كثب ، وإذا به يقرض الشعر ، ويستعمله في الذود عن نفسه والانتقام من أعدائه فيهجم عليهم بهجوه اللاذع كما يمنح أصدقاءه من مديحه واطرائه ، فعليت حينئذ أله وهب مواهب الشاعر الفكار من طفولته ، وأله خلق ليكون شاعراً ، وقد كان بالفعل يحب الشعر ويعني به الى حد بعيد .

عرفته في أيامه الأولى فتمنيت له مستقبلاً فينا م جيداً وإن كنت في الوقت نفسه أعطف عليه ، وأرأف به من هذا المستقبل البائس ، مستقبل الفن ، فكنت مشفقاً على جسمه النحيل وكتفيه الهزيلتين من حمل عبء رسالة الأدب الثقيلة ، كنت أخشى أن لا يقوى على متاعها وقساوتها في هذه الأيام التي تخرف فيه العمالقة تحت حمل الأدب الثقيل الشاق .

يريد صديقي أن يضيء لكنه يعيش في بيئة حالكة الظلمة لا يبدد ظلمتها نوره الضئيل ، فكنت أخشى عليه من الاحتراق ، ولكنه خلق ليؤدي هذه الرسالة في الحياة فلا بد من التضحية في سبيلها ، وها هو يضحى ، وهو يسعى كالغراشة الى اللهب .

(*) صاحبة الوحي : احمد رضا حوجو .

ومرّت سنوات ، وبَدَتْ له بعض الآثارِ في الصَّحْفِ ، فتساءل الناسُ وذهبوا
يبحثون عنه حتى اذا ما بدا لهم بسنّه الصغيرِ وجسمه النحيلِ وقامته القصيرةِ ، ولوّا
عنه هارين ، وزال اعجابهم بِشِعْرِهِ وَفَنِّهِ ، كَأَنَّ الفَنَّ بِالْأَجْسَامِ الغليظة الضخمةِ
والقاماتِ الفارعةِ الطولِ .

ومضى صديقي الشاعر يَشُقُّ طريقه الشائكَ الى الامام رغم العقبات التي كانت
تعترض سبيله ، عقبات شتى جديرةٌ كُلُّها بأن تَصُدَّ أَيَّ شخصٍ آخرَ مهما كان قويا
عن هَمَّتِهِ ، ولكنها كانت بالنسبةِ إليه موادَّ خِصْبَةً يستلهمها قريضه ويستوحىها معانيه .

حرَّضَتْهُ هذه النكباتُ على التعلُّقِ بالشعرِ والتمسك به ، فقد وجد فيه سَلَوَتَهُ إلى
أن قطع اليومَ هذا الشوطَ الشاسعَ في طريقه الى خمائل الشعرِ الفينانيةِ ، وقد تقدّمت
به السنون بعض الشيء واكتسب من تجاربها وإحِنها الشيءَ الكثيرَ .

اطلعت على بعض منتجاته بعد مرور سنين لم أراه خلالها ولم أسمع عنه مدتها
شيئا ، فوجدتها ماثلة الى النضوج تدل بجلاء على روحه الشعرية القوية ، ونزغته
الوثابة الى السمو ورغبته الملحة في اقتفاء أثر المجيدين من شعراء العصر ، وهي مع
كل ذلك سلسة الأسلوب رائعة المعاني ، لا يظهر عليها طابع التكلف ، وانما يبدو
عليها طابع الملكة الشعرية المفطور عليها .

واجتمعت بصديقي الشاعر بعد فراق سنين فوجدته حامل السمعة مغمور الحقوق
تَنَكَّرَ له زمانُهُ ، وهو لا يزال في مرحلته الأولى من حياته الأدبية ، أنكره قومه
فلفظوا شعره ولم يستمعوا إليه ، (وكان هو ضنينا عليهم بِنَاتِ أفكاره) فقد تَعَوَّدَ
قومه أن يسمعوا الشعر من أفواه المشايخ الطوال العراض ذوي العمائم الكبيرة
واللحي الطويلة ، فكيف يقبلونه اليوم من هذا الشاب القميء النحيل الذي لا يقوى
رأسه الصغيرُ على حَمْلِ عمامة ولا تصلح ذُقْنُهُ الجَدْبَاءُ لِإنبات لحية كَثَّة فلم يَكُنْ
الذنب ذنبه .

حاول صديقي أكثر من مرة مزاحمة مشايخ الشعر - كما يسميهم - الذين
فرضوا أنفسهم ضريبة على الشعر وأوقفوه على أنفسهم ، فنظم شعرا
يمتاز بمعانيه الرائعة القوية ، ونعمته الموسيقية العذبة وأسلوبه السلس لم يمهده قومه
من قبل فأنكروه ، ونظم غيره كلاما أجوف فقبلوه وصدقوا له ، ولم يحط هذا من

عزيمته ولم يوهن من نشاطه ، بل اكتفى بأن مَطَّ شَفْتِيهِ هُزْءًا وسخرية وَغَدَا يَزْوِي بعيداً عنهم في عالمه الفني الجميل .

لم يصب صديقي الشاعرَ بَعْدُ داءُ الشُّرَّةِ ، ولعلَّه يعيش طيلةَ حياتهَ بعيداً عن هذا الداءِ فيعيشُ مخلصاً لِنَفْسِهِ مُكْرِّساً حَيَاتَهُ لَهُ ، فهو لا يحسن الإعلانَ عن نفسه ، يجهل النفاق ولا يعرف المَلَقَ الَّذين يُقَرِّبُونَهُ من ذوي الشأن والجاه فيمهدون له مكانة في المجتمع تختلف بالنسبة لمكانة غيره من الشعراء بقدر ما يقوم به من النفاق وما يبذله من الملق لا بقدر مكائته الفنية ، وما تفيض به نفسه من الشعر الرائع القوي ، فقد تحكمت المادة في كل شيء حتى في الشعر والأدب اللذين هما أبعدُ شيء عن المادة وأَوْضَارِهَا ، اسكَنَ شاعرنا أبعدُ الناس عن هذه الطبقة ولعلَّه أيضاً أشدُّ الناس مَقْتًا لها وأكثرهم سُخْرِيَةً بها ، ولا يمكن أن يكون شاعر مطبوع الا كذلك فهو يعيش في دنيا قَرِيضِهِ ، دنيا لا تست اليهم بصلة قريبة ولا بعيدة حيث يؤدي ضريبة حياته الفنية : الآلام والجحود والحرمات كما يؤديها غيره مِمَّنْ أصَابَهُمُ القَدْرُ بِمِخْنَةٍ هذه اليراعة ومتاعب هذا الفكر .

ب - مع حمار الحكيم (*)

انتهيتُ من مطالعةٍ لذيذةٍ لكتاب « حماري قال لي » لتوفيق الحكيم ، واستلقيت في مقعد مريح بعض الشيء ، مريح بالنسبة الي ، أنا الذي قضيت ثلاثين حِجَّةً من حياتي بين مقاعد الدراسة ومقاعد العمل ، وكلها لا تَمَّتْ إلى الراحة واللِّين بصلة قريبة ولا بعيدة .

ثم استفرقت في تفكير عميق محاولاً هَضْمَ ما قرأتُ ، وما هي الا دقائق حتى أغفَت عيناى وألقى عليّ الكرى رداءً اسود خفيفاً ، ورايت فيما يرى النائمُ اليقظُ حماراً صغيراً لطيفاً تبدو عليه علاماتُ الذكاءِ والفطنةِ ، يطل على برأسه من وراء مقعدي فعرفته على الفور دون اشكال او عناء فقد كان حمار توفيق الحكيم برأسه ورجله . فقلت له : انت حمارُ الحكيمِ ؟ ... فقد عرفتك ! فافتَرَّتْ شفتاه الغليظتان عن ابتسامةٍ عريضةٍ وقال :

— عرفتنى هكذا بسهولة دون اشكالٍ ؟

قلت : — نعم فإنَّ معالمَكَ لم تَخْفَ عليّ .

قال : — فانا مشهور اذن في بلادكم ؟

قلت : — دون شكٍّ ... ومن يجهل حماراً فيلسوفاً مثل حضرتك . حَرَكَ الحمار الفيلسوف اذنيه الطويلتين ثم قال :

(*) مع حمار الحكيم : احمد رضا حوحو .

— إِنَّكَ لَمْ تَخْطِي ، فَقَدْ لَاحَظْتَ كَثِيرًا مِنَ الْحَمِيرِ يَتَمَتَّعُونَ بِشَهْرَةٍ كَبِيرَةٍ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ .

قلت : — وما سببُ هذه الزيارة يا تُرى ؟

قال : — اسْتُدِّيْتُ خِصِيصًا لِاهْتِي فِي مَحَطَّةِ الْإِدَاعَةِ الْجِبْرَالِيَّةِ .

قلت : — تفني في الإذاعة ؟ يا للعجب !

قال : — وما وجه العجب ؟ لِإِنَّ صَوْتِي جَمِيلٌ . فهل تريد أن أسمعَكَ شيئًا ، مجانًا دون مقابل ؟

قلت — لا .. لا .. لا هِدْمْتُ بَرَوْلَةَ وَإِحْسَانَكَ ، وَلَكِنْ أَلَيْسَ صَوْتُكَ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لِكَثْرَةِ الْحَمَارِ الْمَطْرَبِ عَنْ أَسْنَانِهِ ضَاحِكًا ثُمَّ قَالَ :

— سَوْفَ يَتَّبِعُنَّ لَكَ أَنْ صَوْتِي أَحْسَنَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي أَمْتَدْتَ سَمَاعَهَا كُلَّ يَوْمٍ أَلَمْ أَرْدَفْ قَائِلًا :

— سَوْفَ لَا تَخْسِرُ شَيْئًا ، فَإِنَّ لَمْ يَعْجَبَكَ صَوْتِي وَفَنِي فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَدِيرَ لَوْلَبِ الْجِهَازِ بِمَنْفٍ كَمَا اعْتَدْتَ أَنْ تَفْعَلَ .

وَأَرَدْتُ أَنْ أُغَيِّرَ مَجْرَى الْحَدِيثِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ الْحَمَاسُ إِلَى رَفْعِ عَقِيْبِرَتِهِ بِالْفِئَاءِ ، فَقُلْتُ لَهُ :

— كَيْفَ فَارَقْتِ صَاحِبَكَ ؟

قال : — مِنْ تَعْنِي ؟ تَوْفِيقَ الْحَكِيمِ ؟ فَقَدْ ضَيَّعْتُ ذَرْعًا بِهَذَا الرَّجُلِ ، لِأَنِّي كَلِمًا وَضَعْتُ بَرْنَامَجًا إِصْلَاحِيًّا إِلَّا وَقَامَ بِإِفْسَادِهِ عَلَيَّ .

قلت : — رَغِمَ سَدَادُ آرَائِكَ فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مِنْ يَهْضُمُهَا غَيْرَهُ .

— وَهَلْ حَقِيقَةٌ أَعْجَبَتْكَ آرَائِي ؟

— نَعَمْ وَجَدْتُهَا سَدِيدَةً .

— هَلْ تَرِيدُ أَنْ أُوجِّهَ إِلَيْكَ بَشْيءٍ مِنْ فِلْسَفَتِي ؟

قلت له : — أَنْتَ حَمَارُ أَفْكَارِكَ جَرِيئَةٌ ، وَالْحَالُ عِنْدَنَا غَيْرَ الْحَالِ عِنْدَكُمْ وَإِنِّي أَحْسَى أَلَّا تَقْوَى مَعْدَتَنَا الْمَكْدُودَةَ عَلَى هِضْمِهَا .

قال الحمير الفيلسوف :

— لا .. لا .. إِنَّكَ تُبَالِغُ ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَشْرَحَ لِي آيَةَ مُشْكَلَةٍ مِنْ مُشَاكَلِكُمْ وَسَافِيْدِكُمْ بِرَأْيِي السَّدِيدِ فِيهَا .

قلت : — إِنَّ مُشَاكَلَنَا كَثِيرَةٌ وَحَيَاتُنَا مَعْقَدَةٌ ، وَلَكِنْ لَا بَأْسَ ، أَيُّ مَوْضُوعٍ تَرِيدُ أَنْ نَبْحَثَ ؟

— اقْتَرَحِي أَنْتَ الْمَوْضُوعَ .

لا !! اقترحي أنت .

قال بخبث : — إِنَّكَ تَحْتَرِسُ كَثِيرًا !!. فَلْنَتَكَلَّمْ فِي السِّيَاسَةِ .

قلت : - دعني من السياسة ، أياها الحمار السياسي ، انها لم تَنْضَجْ بعد في بلادنا ولا زالت تعتمد على المصالح الشخصية والحزبات الفردية ، أكثر من اعتمادها

على المبادئ والأفكار والمصلحة العامة ، وانا لا أريد أن الطَّحَّ نَفْسِي بأَوْحَالِهَا .

حَكَ الحمار قَدَالَه بِرَجُلِهِ وقال :

- هل تريد أن نَطْرُقَ موضوعَ المِرَاةِ ؟

- كُنْ مُرْتاحًا من هذه الناحية فلا وجود للمرأة في بلادنا .

- عجباً اتميشون بدون نساء ؟ وكيف تتناسلون ؟

قلت : - لدينا آلاتٌ للنسل نحفظ بها في بيوتنا .

قال : - هذه مشكلةٌ عَوِيصَةٌ دعنا منها ، فلنبحث في الفقه فإنَّ لي آراءً جديدةً فيه لا تَخْلُو من فائدة .

- أرى أن تحتفظ بها لتحدَّثَ بها فقهاءنا علَّهم يستفيدون منك شيئاً جديداً .

- لنتكلم إذن في الدين .

- دينٌ مَنْ ؟

- الدِّينُ الاسلامي .

- أعلم ذلك ، لكن دين الحكومة أم دين الشعب ، الدين الرسمي أم الدين الحرُّ ؟

- عجباً !.. وهل لكم اديان عديدة ؟

- دينان فقط ..! دين رسمي تشرف عليه الحكومة ويحرسه رجالها من موظفي

المساجد والطرق ودين حر يعتقده الشعب ويتزعمه رجال الإصلاح فيه .

قال : - والتعليم ؟

قلت : - هناك التعليم الرسمي وهو فنيٌّ على قاعدة فلسفية عميقة وغامضة

في نفس الوقت ، وهي تَعَلَّمٌ لَتَجْهَلُ ...

قال : - عجباً !.. يتعلم ماذا ؟ ويجهل ماذا ؟ فإنِّي لا أكاد افهم شيئاً .

قلت متضجراً : - وائى لك أن تفهم فلسفتنا العميقة . ثم أردفتُ قائلاً : وأما التعليم

الحر فإنَّ له لجنة عليا ، تستطيع أن تتصل بها لتقدم لها آراءك ومقترحاتك .

قال : - وهل يروقك حديث الأدب والفنون ؟

- لا أدب لدينا ولا فنون ولا صحافة ولا هم يحزنون ، فضحك بملء فيه وقال :

- إنَّك لرجلٌ متشائمٌ ، لكن لا بد من طَرَقِ أي موضوع ، فلنتكلم في الاقتصاد !

قلت : - أما رجال المال والتجارة فانهم لا يضيئون اوقاتهم المادية الثمينة في قراءة

مهاتراتنا ، وأما القراء فإنَّهم لا يملكون ما يشترون به ما يريدون مطالعته ، وهم في

غِنَى عن خبرتيك الاقتصادية .

قال : - لقد اعيايني البحث اقترح أنت موضوعاً شيئاً نتباحث فيه ملياً .

قلت : - اختر بين موضوعين : الفقر والجهل .
 قال مشمزا : - إنَّ فلسفة الحمير فلسفة راقية لا تنازل الى هذه الاشياء
 الحقيرة ، ثم القى نظرة خاطفة على ساعته الرّجّلية وصاح :
 - لقد حان وقتي ولم نصل إلى نتيجة ، فاستودعك الله والى اللقاء .
 واستيقظت من غفوتي وبحركة آلية فتحت جهاز الراديو ، واذا بصوت مزعج
 ينطلق منه ، وسمعت ابني يقهقه على مقربة مني وهو يردد :
 - اما حمار عجيب .

قلت : - من ؟ حمار الحكيم ... هل هو يعني ؟
 قال متمجبا : حمار يعني ؟ ما لك ، اعني حمار توفيق الحكيم ، واراني كتاب
 « حماري قال لي » الذي كان يطالعه .

ج - ابن البهيورة (*)

- 1 -

كان يومُ الأحدِ أوَّلَ يومٍ من فصلِ الربيع ، وكانت جميعُ هذه المخلوقاتِ التي
 تعمر هذه الأرياف من جبال ووديان وأشجار وأزهار وحيوانات من وحوش وطيور
 كلها تنتظر بفارغ صبرها طلوعَ الشمس من مخبئها ، وتتطلعُ باشتياق إلى انكشافها
 من ستائرِها ، ليتمتعوا بحرارتها النافعة ويحتفلوا بأشعتها الجميلة بعد ما احتجبتْ
 عليهم طوال فصل الشتاء كَلَّةً ، وَحَلَّتْ محلها تلك السُّكْبُ الكثيفةُ والفيومُ الثقيلةُ
 وَكَمَّ رَقَمَتْ الطبيعةُ ، وَحَسَّتْ مناظرَها عندما برقتْ الشمسُ وفُهِرَ لأوَّلِ مرَّةٍ منذ
 أشهر طوَالٍ ، أوَّلُ نُعَامِها يلعبُ كأنه قسبٌ ذهبيٌّ مرصعٌ بِلَوْنِ دُرِّيَّةٍ ، فالدهرت
 الأزهار واخذت المصالير تفتي أجمل العائنها وخرجت الوحوش من أدغالها لتشاهد
 هذا المنظر الفدَّ البديع ، أو لتحتفل بهذا البشير الذي جاء يُبَيِّرُهُم بدخولِ فصل
 الربيع الزاهر الذي هو غرامُهُم الوحيد وشوقُهُم الفريد ، ولم تكن هذه الحيواناتُ
 وهذه النباتاتُ وهذه الجماداتُ وحدها محتفلةٌ بهذا اليوم الجميل ، بل كان بينهم
 من النوع الانساني من يشاركُهُم في أفراحهم ، وهو « علي » الشاب الريفِي الذي كان
 جالسا على هَضْبَةٍ يشاهد من بعيد غَنَمَهُ تَرعى وهو يعزف بكل قواه على مزماره فتردد
 له الجبال من وراء البحيرة صدى الزمار فتزيده طربا وسرورا ، وفي تلك اللحظة
 نفسها بدا شَحْصٌ من بعيد يسمى بِحُطَوَاتٍ سريعةٍ قاصداً البحيرة ، ثم صار يقرب
 شيئا فشيئا الى أن تجلَّى ، فظهر أنه امرأة في العقد الثالث من عمرها تحمل بين يديها
 طفلا صغيرا ، وهي مُصَفَّرَةٌ الوَجْهَ مضطربة الفكر باكية العين فتتأملُ تارةً طِفْلَها
 وتلتفت أخرى وراءها كأنَّ أحدًا يراقبُ حركاتِها وسكناتِها من بعيد .

(*) من ادب رضا حوحو القصصي اخترنا لك هذه القصة وهي مأساة اجتماعية نشرها بمجلة المنهل
 أيام اقامته بالحجاز .

ولا شكَّ أَنَّ عَلِيًّا ، راعيَ الغنم شاهداها حيث وضع مزماره وطفقَ يلاحظ هذه المرأة من دون أن تراه ، ويتعجب من الباعث الذي أتى بها في هذا الصباح الباكر ، ولا شك أنها مشت جزءا كبيرا من الليل حتى وصلت هذا الموضع الثاني في هذه الساعة المتقدمة من النهار ، والمرأة حَصْرِيَّةٌ على ما يبدو من لباسها وهيئتها ، وأقرب مدينة الى هذا الريف لا تقل مسافتها عن ثلاث ساعات بالعدو السريع ، وما هي الا بُرْهَةٌ قصيرة حتى وصلت المرأة الى ضفاف البحيرة ووضعت حِمْلَهَا على الرُمْلَةِ الناعمة ، وهو ولدٌ صَغِيرٌ (لا يتجاوز عمُرُهُ بضعة أشهر) جميلُ الصورة ، اخذ يشاهد جمال الطبيعة الساحر بعينه السوداوين ، ويتسم لهذه الحياة كأنها كلها سعادةٌ وسرورٌ غير شاعر بما تحمله من متاعب واكدار وبؤس وشقاء وحزن والم ، واخذت هذه الأم العجيبة تتامله أنا ، والبحيرة أخرى ، كأنها تريد أن تقارن ما بين جمالهما الباهر ثم انحنت على الطفل وطبعت على خديه قُبْلَتَيْنِ حَارَتَيْنِ وعيناها تَسْحَانُ بِالْمَبْرَاتِ ثم انتصبت قائمة ، وبعد ما اقت عليه نظرة اخيرة كلها عطف وحنان خاطبته قائلة :

– الوداع يا عزيزي ! أنت في كنف الله يابني ورعايته ! فابتسم هو لها ظاناً أنَّها تداعبه ثم قَلَّتْ راجِعَةً من حيث أتت ، وقلبا يَقَطُرُ دما ، ولكن عليا الذي كان يشاهد من أعلى الهضبة هذا الحادث المؤلم قفز من مكانه منطلقا كالبرق يريد ادراك هذه المرأة الغريبة الأطوار التي تركت صغيرها في هذه البادية الخالية وبمجرد ما أحست به خرجت عن شعورها والتفتت نحوه صارخة في وجهه :

– دعني ! ، اتركني ! ، خذوه ان شئتم ، واعطفوا عليه انه بريء لا ذنب له . واخذت تلطم وجهها وتصبح الى أن حَرَّتْ مَفْشِيًّا عليها ، وأسرع الى كوخه (الذي يبعد عن هذا المكان بقدر نصف ميل) ليستنجد بأمه المجوز وأخيه الصغير لإسعاف هذه المرأة المصابة ، وأخذ معه الطفل لانه لم يأمن عليه اغتيال الوحوش الضَّوَارِي ، وفي تلك الساعة سمع رجل من بعيد صراخ المرأة فأسرع نحوها مستبشرا مبسما وهو يردد هذه العبارة : – رمته والله وقد تحقق الأمل ! غير انه لما رأى « عليا » تراجع واخفى ما بين الأشجار اللتفة ولما بدا له « علي » من بعيد ، يعدو ، قاصدا منزله أسرع نحو المرأة وافاقها بِمَقَارٍ كان معه وَفَرَ بها . وَكَمْ عَظُمَ اندهاشُ علي حين رجع ووجد المرأة التي تركها مَفْشِيًّا عليها قد اختفت ، تاركةً ولداً عند هذه الأسرة الريفية المفطورة على الرحمة والإنسانية .

— 2 —

بينما كانت سلمى العجوز أم علي ، تُرَضِّعُ الطفل من البان غَمِيمًا ، وولداها الريفيانِ القليظانِ يفيض قلبهما رافةً وحنانا على هذا الطفل الغريب الطاهر البريء كانت أمُّه (نَجَاةٌ) منطلقة بها سياراة تنهب الأرض نهباً وبجوارها رجل يهددها بمسدس فائلا :

– قولي حالا ! ايتها الخبيثة ، والا فتلتك !! هل حقا قتلته ؟ ... فاجابته وهي تحاول اخفاء الحقيقة بعبارات مُقَطَّعةٍ بالبكاء :

— أجل . أجل . قتلته . رَمَيْتُهُ فِي الْبَحْرِ حَسْبَ أَمْرِكَ . ولما أطمأن الرجل أدخل سلاحه وكَفَّ عن تهديدها وانتقل من تلك الحالة الشديدة الى حالة لطف ورفق ، وتحول ذلك الشيطان ملكا واخذ يشجعها واعداً إيَّاهَا بالسعادة الدائمة بجواره .

وَسَكَنَتْ نَجَاةً مِنْ رَوْعَيْهَا ، واطمأنَّ خَاطِرُهَا قليلا على ابنها وانزوت في ركن السيارة وأخذت تصفي لداكرتها وهي تُمَلِّي عليها جميع أدوار حياتها ، حادثةً حادثةً وشرعت تطورات حياتها المنصرمة تُعْرَضُ بين عينيهَا مُفَصَّلَةً كأنَّهَا على شريط سينمائي ، فنبتسم تارة وتعبسُ أخرى ، وتذكرت أيام الصَّبَا وكيف كانت في زمن الطفولة مَكْسُوءَةً بعطف ابنيها وَحِينُوْ أمها ودلال جميع أفراد أسرتها الى أن سَبَبَتْ وتزوجتْ بَابنِ عَمِّهَا الذي كان مُتَيِّمًا بحبها ، وقد كان شابا جميلا ثريًا ، إلا أَنَّهُ كَانَ هَادِنًا خَمُولًا ، لا يتكلم الا عند الحاجة : ولهذا كان قلبُ نَجَاةٍ مشغولًا عنه بِحُبِّ رَجُلٍ آخَرَ وهو « عَزَّةُ » الشاب المرخُ الطروبُ .

وكانت نَجَاةٌ قَدْ تَعَرَّفَتْ به قبل اقترانها بَابنِ عَمِّهَا وَأَحَبَّتَهُ الى حَدِّ الإِفْرَاطِ ، لكن هل يُجِدِّي حُبُّهَا شَيْئًا وَيَجْنِي ثَمَارًا مع اوامر أبيها الصارمة الذي قرر أن تتزوج بَابنِ عَمِّهَا ويجب أن يطاع ، وكانت تظن هي أنها ستستطيع أن تضحي بألف غرام في سبيل ارضاء ابنيها وانَّهَا تقدر على التَقَلُّبِ على حُبِّهَا ، ولكن عبثًا حاولت اخماد نار قلبها ، ففي كل لحظة تتصور عَزَّةً وابتسامته العذبة ، وكلما طردتْ خيالاتها عن افكارها تكاثرت هذه وتعاظمت وقد كان عَزَّةٌ لا يجهل عاطفة نَجَاةٍ نحوه بل كان هو الآخر يقاسمها من بعد حُبِّهَا والامها .

وفوجئت نَجَاةٌ ذات يوم بوفاة ابويها فازدادت آلاما على آلامها ، وشجونا على شجونها ، فبكتهما وبكت غرامها معهما ولكن ما يسعها الا الصبرُ والكتمانُ ولا سيما أنها ستصبح والدةً بعد أيام قلائل ، ولاحظ زوج نَجَاةٍ تأثرها واضطرابها والآلامَ الشديدةَ التي كانت تحاول اخفائها وكتمانها ، وكان يعطل ذلك بفراق ابويها (اللذين كانت تتفانى في حبهما) وَثِقَلَ حَمْلُهَا ، أملًا أنَّهَا سوف تضع حملها وتتسلَّى بطفلها عن احزانها وسوف ترجع تلك الابتسامة العذبة التي كانت لا تَفْتَرُّ أن تملو شفيتها والتي فقدتها منذ زمان غير قصر .

— 3 —

بعدما انتهى رشاد زوج نَجَاةٍ من التجوال في مزارعه الفسيحة ، جلس على هضبة صفيرة ، وطفق يتأمل الشمس التي أخذت تستر رويدا رويدا وراء هذه الجبالِ الشامخةِ قاصدةً مقرَّها ليحل محل انوارها المشرقةِ ظلامٌ دامسٌ ، وليأتي بدل حرارتها الممتعة بردٌ قارسٌ ، وكم كان منظرها خَلَابًا حين غروبها ، وقد كان جديرا بأن يفتن قلب رشاد الذي يعشق الجمال ويتصوره في كل شيء ، ولكنه كان مشغول البال بما تكابده زوجه من آلام الحمل ، ولذا لم يُعِر هذا المنظر أدنى التفاتةٍ ، وانما عندما غربت الشمس واختفى قرصها ارتعدت فرائصُ رشاد واحسَّ بحزن شديد يستولي عليه ، وسارت رجفة باطنية في سائر أعضائه لم يستطع تحليلها وبينما هو



كذلك اذ رأى من بعيد خادمةً يُهْرُولُ قاصدا نحوه فقفز رشاد من مكانه وتلقاه مستفسرا وهو مضطرب محتار من هذه الهواجس التي تندره بكارثة عظيمة ولكن سرعان ما اطمأن قلبه المحتار وهدأت نفسه الثائرة حيث رأى علامات الاستبصار والسرور تلوح على وجه الخادم ، ولم تخن رشاد فراسته فالخادم يحمل بين جنبيه حَبْرَ المولود الجديد استبشر رشاد ونسي ما يخلج في ضميره من الخواطر المظلمة فامتطى لفوره صهوة جواده وانطلق مسرعا قاصدا بيته ليرى ابنته وَيُقْبِلَ زوجته وهو يبني صُروحًا من الأحلام والآمال ، ولم يشعر بالشخص الذي كان مختفيا وراء الشجرة القريبة مُصَوِّبا نحوه مسدسه ، ولم يترك رشاد آماله وأحلامه الكاذبة الا حين ما سقطت تحت طلقات المسدس العديدة التي أخذت تمطر عليه من يد عدوه المجهول الذي اختفى فيما بين الأشجار الكثيفة كأنه شيطان رجيم ، تاركا رشاد يتخبط في دمانه ، ولم يرحم شبابه ، ولا الطفل الصغير الذي ينبغي ان يعيش لاجله ، ولم يُمهله على الاقل حتى يُقْبَلَ طفله ويهنئ زوجته ...

وكان الحاطبُ العمُّ احميدٌ قد سمع من داخل كوخه الذي لا يبعد كثيرا عن مكان العادة الطلقات النارية تَعَقَّبُها صيحاتُ رجلٍ أخذت تضعف شيئا فشيئا وأسرع يستطلع الخبر ، وكم عظم اندهائهُ وثار عجبهُ عندما رأى رشادا ذلك الرجل الهادئ المحبوب عند الجميع ، وذلك الرجل الذي يفيض قلبه عطفًا وحنانًا على الضعفاء والمساكين ، وكم فمر العم نفسه بكرمه ، متخبطا في مصرعه ، مُصَرِّجًا بدمائه ، ودنا الحاطب من القتل ، وكم سُرَّ لما وجده لا يزال حيًّا .

— لا بأس عليك يا بُنَيَّ لا بأس ..

— آه .. لم ادري يا عم احمد أيُّ بلو هذه اللطافة المجرمة التي لتكت بي في هذه الساعة التي كنت اظن انني اسعد البشر ليها آه ... ما اظلمك ايها الانسان . لم يستطع الحاطب المسكين حَبْسَ قَبْزَائِهِ التي أخذت تهطل على لحيته الكثيفة كأنها مطر مزير . عندما سمع هذه الجملة بكى لها قلبه دما قبل عينيه ولكنه رَفَمَ هذا كله لم يياس من روح الله بل أخذ يُسَجِّعُ الشاب بمبارات مُقَطَّعةً بالبكاء الذي يُخْفِيهِ ما بين لحظة وأخرى ، ولكن رشادا الذي كان لا يشك في مصيره ولا يرتاب في أمره قاطعه قائلا :

— لا اظن يا عم احمد اني ساعيش الى الفد ، وإنما ارجوك ان تحملني الى كوخك لأُتِيْلِمَ هناك الرُّوحَ الى بارئها بهدوء ، وتذهب انت الى الشرطة تخبرها بالامر . وبعد ما حمل الحاطب الصريع الى كوخه ووضعه على فراشه المكوّن من اوراق الشجر اليابسة ، قصد المدينة ليوصل الخبر ، وبعد ما بعد الحاطب — وكان الليل قد أرخى سُدُولَهُ — وبقي رشاد وحده خطر بباله ان يخط كلمة لزوجته قبل ان يفارق هذه الحياة وبرغم ضعفه الشديد أخرج من جيبه دفتر مذكراته وبعد ما اشعل مصباحه الكهربائي الصغير أخذ على نوره الضئيل يسجل خواطره الأخيرة .

« نجاة العريضة !

« الله وحده يعلم كم أحببتك يا نجاهة ! هو وحده يعلم مقدار عظمة هذا الحب ، فهل تبادليني الحب يا قُرى ولو بمقدار ذرةٍ منه ؟ فإن كان كذلك فإني ساقية إذن حياً ستقيدا ما دام ذلك الجزء البسيط من عطفك يشملني ، ولا يهمني هذا الذي يُسميه الناس موتا ، فمماتي يا نجاهة هو اذا لم يبق لي في قلبك ذكري ..

« نجاتي العزيزة !

« جاني نبأ وضعك وأنا في مرارعي ، فاسترعتُ نَحْوَكِ لأفيلك وأقبلَ بطفنا العزيز وكانت ساعتئذٍ خواطر حزينة تختلج في ضميري ، وكم أكدت لي بأنني لن أراكما ابدا ولم اعتبر مُهراب البين الذي كان ينبثق فوق رأسي ، بل استرعتُ نَحْوَكِما يا عزيزتي ، ولكن المنيّة أبت إلا أن تختطفني قبل وصولي اليكما . ولم أشعر الا والسماء تُغيظُ علي رصاصا .

« أشياء كثيرة يا نجاهة أريد أن أقولها لك غير أنني احسستُ بيدي ثقلتُ ، وقوتي خارت . والذي أوصيك به في هذه اللحظة الاخيرة هو أن لا تَضَيِّي علي بزيارتك قُبْرِي !

« وفي الختام أُصرِّح بأنني لا اتهم احدا ، وأما العمُّ احمدُ فلم ينقلني من مصرعي الا بمحضِ رغبتني ، فالوداع ! الوداع . ايها العزيزان ، والله هو المنتقم . »

رشاد

وما كاد رشاد يختم خطابه حتى احسَّ بسهام الموتِ تخترقُ قلبه . وما هي الا لحظة² حتى فارق هذه الحياة الدنيا واسلم الروح الى بارئها ...

— 4 —

بكت نجاهة زوجها وندبت طفلها الذي اصبح يتيما ، وكان الحزن الفتاك يستولي عليها ويذهب بها لولا ان عزة عشيقها الاول الذي لم تنسه رغم هذه الكارثة العظيمة ادركها بنصحه وتشجيعه ونفخ في قلبها فاثار حُبها الكمين ، وبُعِثت فيها روح جديدة ، بل ابدلت تلك المرأة الازملة المنكوبة بفقدان زوجها المصابة بيتم ابنها ، فتاة في زهرة شبابها تبسم لها الحياة ، فتاة تبني في كل آن قصورا شامخة من احلام الحب وتفرس في كل لحظة رياضاً زاهرة من آمال الغرام وما هي الا ايام قلائل حتى اصبح فقيدتها نسيا وحل محله عزة الذي تزوجته نجاهة واسلمته عيان قلبها ، فاصبح يتصرف في احوالها حسب مشيئته و ارادته .

ولم يتكف عزة هذا التصرف الذي يراه الى اجل مسمى ولم يقنع بهذه السيطرة التي يعتقد انها سوف تُنتزع منه متى ما كبر الولد واذا رزق هو اولادا أفيميشون فقراء كما عاش هو جُل حياته ؟ كلا !.. لا يريد هذا النعيم الزائل ولا يبني صرح حياته على هذه السعادة المؤقتة ، بل ينبغي ان يلحق الطفل بابيه ويترك الميدان واسما لغيره ومن حين ما اختلجت هذه الأفكار في نفس عزة اصبح يفكر صباح مساء في كيفية تنفيذها واخيرا اهتدى ، ليست نجاهة تنفاني في حبه وتصحني بكل غال في سبيل مَرْضَاتِهِ ؟ فلماذا لا يستعمل هذا الحل في تنفيذ خطته ؟ وَجَرَّب ذات يوم فعرض الامر على زوجه معللاً بأنه لن يستطيع الحياة مع هذا الطفل الذي يدركه زوجها القديم

وانها عن قريب تصبح ذات اولاد آخرين تَسَلَّى بهم عن هذا الطفل الذي لم تحب اياه ابدا ، ولم تستطع نجاة تَحْمَلْ هذه الضربة الموجهة من يدي حبيبها ، بل اصْفَرَّ وجهها حتى كاد يُفَمِّي عليها وراحت تساورها الظنون واي قلب على وجه البسيطة ، قلب حيوان او انسان ذكر او انثى ، يستطيع تحمل فكرة كهتية الفكرة ويرضى بقتل طفله وقطع رِلْدَةَ كِبِدِهِ ! ولكنَّ الحُبَّ الامى يفعل بصاحبه المُدْهَشات ويحميه على الفطع الجرائم ، ولا يزال مرة وراء مشيقتة حتى اقنمها بصحة نكرته ، واجبرها عليها ، وكان من امرها ما اسلفناه .

عشر سنوات مضت ونجاة تتردد في خلالها على البحيرة فتجد نالبا طفلها بجانب الذي يسميه ابي « علي » وكان هذا لا يجهل انها امه ، ولكنه يتجاهل منتظرا الفرصة المناسبة لرفع الفطاء ، وتارة تجد الام ابنها يلعب في تلك البقعة نفسها التي تركته فيها قبل سنين ، فتفيض عليه من عطف الامومة وَحُؤْلَاهَا وقد الفها الولد اُلْفًا شديدا حتى صار كلما ابتعدت عنه خفق قلبه الصغِيرُ لفراقها فاتهم نفسه بالفلو في حب هذه المرأة الغريبة ، ولكنه لم يَسْبَعُهُ إِلَّا المجيء خصيصا لهذا المحل للاجتماع بها وكثيرا ما يقول في نفسه لماذا لم يجعل الله هذه المرأة « التي نُحِبُّه وَتُحَسِّنُ اِلَيْهِ » اُمَّهُ وها هو اليوم اصبح في الحادية عشرة من عمره فصار رجلا يرعى الغنم بنفسه ومِرَارًا تاتيه نجاة من بعيد حاملةً مَلْبًا كثيرةً من الحلوى واللُّمْبَ فيشتغل الولد في اللعب والاكل وتبقى هي في حراسة غنمه وتراقب جميع حركاته وسكناته ، باكية نادمة علي ما فعلته من ابعاد ابنها ، وتزوجها ، لان زوجها صار منذ اشهر عاكفا على الخمر والميسر ينهب ما لها نهبيا ولا يجيئها الا نادرا ، وعاتبته ذات يوم ، وكان ساعتئذ في حالة سُكْرِ فلطم وجهها وَهَدَّدَهَا بالحاقها بزوجها وطفلها ان لم تصمت . وقمت هذه الجملة على قلب نجاة كأنها سهم وصار الضياء في وجهها ظلما ، وفهمت ان هذا المجرم هو الذي قتل رشاد ، او تأمر على قتله واهتدت الى جميع الاشرار التي نصبها لاقتناص ثروتها وسرعان ما استحال ذلك الحب العظيم بغضا شديدا ، ونهضت لغورها قاصدة ابنها لتأتي به وتذهب الى الشرطة لاخبارهم عن المجرم ولكنها ما كادت تصل الى شاطئ البحيرة حتى احست بحركات خفى تتبعها فالتفت واذا بعزة الذي لم يترك لها الوقت لاي مفاهمة كانت ، بل وثب عليها كأنه أسد ضار ماسكا برقبته ، ولم يشعر هذا الا ونصل حاد يمرق احشاه فارتخت يدها وسقط قتिला ونهضت نجاة متعجبة واذا بها تجد ابنها امامها عاريا ، وبيده خنجر يَقَطُرُ دَمَا . كان الولد يَسْتَجِمُّ في الجانب الآخر من البَحِيرَةِ حينما رأى هذا الرجل الوَحْشِي يخنق المرأة التي يحبها كثيرا وتحسن إليه كثيرا وَأَحْسَنَ بدافع عظيم وباعث ملح يدفعه الى قتل هذا الرجل الذي يبغضه بغضا شديدا ، وان كان لم يره في حياته قط فأسرع نحوه وقبل ان يرتدي ملابسه اخرج منها خَنْجَرَهُ الحاد الذي اَعَدَّهُ لمصارعة الدُّنَّابِ وطمن به الرجل فارتمت عليه نجاة وهي تردد هذه الكلمات :

— آه !! يا ولدي العزيز انْعَدَّتْ اُمِّكَ ، وانتقمت لايك !! .. (*)

(*) مجلة المنهل ، السنة الثانية ، مارس 1938 م .

تعليق على أدب رضى حوحو

يمتاز أدب الأستاذ أحمد رضا حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد ، فانك لا تكاد تقرأ له فصلا من فصوله ، أو قصة من أقاصيصه ، أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك بهذا الثالوث الجميل الحبيب . . . ولا تظن أن كاتبنا يتكلف هذه الخصائص تكلفا ، أو يسعى إليها سعيا ، بل انها لتنبعث من نفسه الخفيفة الصادقة الناقدة انبعاثا ، فهو خفيف في كلامه ، خفيف في نكته ، خفيف في حركته وسكونه . وهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق ، وينظر الى كل ما تقع عليه عينه بروح نقدية تنفذ الى صميم الأشياء ، وتعبير واحد جامع ، فان رضا حوحو في أدبه هو نفس رضا حوحو في حياته من غير ما تعديل أو « رتوش » !..

عرفت الأستاذ حوحو منذ سنة 1948 م ، فتم الاتصال بيننا كأننا نشأنا في أسرة واحدة ، أو تخرجنا من معهد واحد ، وكنا بحكم هذه العشرة الصافية أسسنا بجمعية زميلين آخرين جمعية حرة متمردة على الأوضاع دعوناها « اخوان الصفاء » واستمرت هذه الجمعية تواصل أعمالها واجتماعاتها بدار أخينا حوحو ، بروح انشائية وثابة كان من آثارها هذا الكتاب الذي يقدم نفسه **بخطه** للقراء . ففي ليلة من تلك الليالي الزاخرة قدمت للأخ حوحو « **حماري قال لي** » للأستاذ توفيق الحكيم (وكانت الحرب قد حرمتنا زمنا طويلا من بريد الشرق) فالتهمه في سهرة واحدة . واعاده الي في الغد ، وهو معجب بموضوعه ، مأخوذ بأسلوبه فقلت - وكنا قد انقطعنا عن النشاط الكتابي في البصائر - لا تدع هذه الجدوة التي اوقدها الأديب الحكيم في نفسك ، تخمد دون أن تقوم بعمل ما ..

فقال : - ماذا تريدني أن أعمل ؟

قلت : - تجند قلمك لتوجيه هذا الشعب الذي كثر مستغلوه وقل خادموه ، على نحو ما فعل توفيق الحكيم بمصر . . . وذلك ما كان ، فما أصبح قراء البصائر حتى راوا « **حمار الحكيم** » يخترق الحدود المصرية فيمسي في القطر الجزائري يجب انحاءنا ناشرا آراءه الحرة الصريحة (بنفس الشجاعة ونفس اللباقة) فكانت هذه الفصول الأدبية والاجتماعية ، التي استمدتها القراء فطلبوا منها المزيد لما عالجت من موضوعات مبتكرة ، ذات ألوان مختلفة ، بتفكير طليق وأسلوب خفيف طريف . . .

ان مجتمعنا قد تحرر الى حد بعيد من الخرافات التي نسجتها الجهالة على عقيدته الدينية ، ولكنه لا يزال يرسف في اغلال عقائد اجتماعية باطلة تعوقه عن التطور والتقدم ، فهو لا يزال خرافيا في السياسة والاقتصاد ، خرافيا في التربية والتعليم والفنون ، خرافيا في النظر الى المرأة والزواج والاسرة ، خرافيا في نظره الى الحياة كمجتمع متمدن يعيش في القرن العشرين .

ومن هنا كانت حاجته الى المصلح الاجتماعي ماسة وضرورية ، ومن هذا المصلح يا ترى ؟

اعتقد ان علماءنا الأحرار أخذوا - ولا يزالون يأخذون - بيد الشعب في كثير من الميادين ، كميدان نشر الفضيلة وحب الخير والتعاون وما الى هذا من القواعد الخلقية اللازمة لبناء أي مجتمع قوي سليم ، ولكنهم - نظرا لما يحيط بمراكزهم من اعتبارات مختلفة أسرها الوقار والتحفظ - فهم لا يستطيعون التحليق في جميع الأجواء ، ولذلك تراهم من قديم المصور يسايرون الركب ولا يقودونه . والجماعة البشرية لا تنقاد الا للفارس السباق !

فان المصلح المرجو لمعالجة ادواء مجتمعنا اذن ، انما هو الأديب الموفق الذي وصفه الاستاذ حوحو في « فصل الأدباء والفنانون » بقوله : الأديب هو الذي يستطيع ان يصل الى اعماق النفوس فيحثلها ، والى اعماق الأشياء فيصورها ، وهو الذي يجعل من ادبه لفة روحية يخاطب بها ارواح الغير ويعبر بها تعبيرا صادقا عن مشاعره وتصوراته دون ان يحسب حسابا لسخط هذا او رضا ذلك .

ولاجل هذا تراني انظر الى هذا الكتاب الذي يقدمه « حمار الحكيم » الى القراء في هذا الثوب التشيب ، نظرة تفاعل وتقدير ، فهو لعمري نواة صالحة لغرس الروح النقدية في صفوفنا ، هذه الروح الجموح التي تسمى الأشياء بأسمائها ، وتكشف عن الحقائق ما يغطيها من الثياب البالية والأغشية الموهة ، حتى تبدو عارية جليلة يلمسها الأعمى ويراهها الأصم !..

فما عليك يا صاحب « حمار الحكيم » الا ان تواصل جهادك الأدبي بهذه العزيمة الجريئة ، فتعمل ما وسعك العمل على طبع اقاصيئك ومسرحياتك الكثيرة التي شاهدها الجمهور الجزائري فهام بها هياما . وثق أنك اذ تسير في هذا السبيل فانك تنير الطريق لابناء امتك ، وتعينهم على حل مشاكلهم الفردية ، ومعالجة امراضهم الاجتماعية . وخير الأدب ما كان من الشعب والى الشعب ، وثق ، من جهة أخرى . أنك بجهادك هذا تعمل على تعمير المكتبة الجزائرية الفارغة ، وتضع لبنة قوية في صرح ادبنا الجزائري الحديث (*).

(*) مقدمة كتاب مع حمار الحكيم للاستاذ عبد الرحمن شيبان .

(1889 — 1940 م)

تعريف وتمهيد :

« عبد الحميد بن باديس » باحث النهضة الجزائرية الحديثة ، وُلِدَ في « قسنطينة » وتعلّم فيها ، ثم رحل إلى « تونس » وتلقّى دروسه في جامعة الزيتونة ، ولما رجع إلى الجزائر ، اتخذ من المساجد منارة العلم ، واتّسع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها الفضل في نشر الثقافة العربية وبثّ الروح الإسلامية بين الجزائريين ، وأصبحت تعاليمها ومبادئها ولقود الثورة المسلحة ضد المستعمرين الفرنسيين حتى وفرت راية الحرية فوق ربوع البلاد* .

وفي الوقت الذي كانت فيه فرنسا تفرض سيطرتها الفاشمة ، واستعمارها البغيض على وطننا وعلى غيره من البلدان ، كانت تحتفل بعيد حريتها في الرابع عشر من جويلية في كل عام ، على مزاىي ومستمع من الشعوب التي تستعمرها ، فمير عابث بمشاعرهم ، بل كانت تدعو الجماهير الشعبية إلى المشاركة في مهرجانات عيد حريتها ، مما أثار سطوة الكآب على استهتار الاستعمارين بالقيم الإنسانية ، وما يبدؤونه من تناقضات بين القواليم والمعالم ، إذ يقيمون احتفالات للحريّة في بلاد تعاني من احتلالهم الفاسم .

تصدّى الإمام الحر لهذا الاستغلال الاستعماري بكتابة هذا النص في عام 1939 م يناجي فيه الحرية بمجموعة من الخواطر والألكار تنضح لك فيما يلي :

النص :

(١)

« أَيَّتَهَا الْحُرِّيَّةُ الْمَحْبُوبَةُ ! »

تَحْتَفِلُ بِأَعْيَادِكِ الْأُمَّمَ ، وَتَتَعَبِّ لِنْتِجِيدِكِ التَّمَايِلِ ، وَتَتَشَادِقُ (١) بِأَنْجَادِكِ
الْحَطْبَاءِ وَيَتَعَمَّى بِمَقَاتِيكِ الشُّعْرَاءِ ، وَيَتَفَقَّنُ فِي مَجَالِيكِ (٢) الْكُتَّابِ ، وَيَتَهَالِكُ مِنْ
أَجْلِكَ الْأَبْطَالُ وَتُسْفِكُ فِي سَيِّلِكَ الدِّمَاءَ ، وَتُدْكُ لِسَرَاكِ (٣) الْقِلَاعِ وَالْمَعَاوِلِ
وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتِ فِي هَذَا الْوُجُودِ ؟

(*) ستاتي ترجمة مفصلة لحياته وادبه .

1 - تتشادق : تتحدث بملء شديها ، والشدة زاوية الفم من باطن الخدين . 2 - مجاليك : اظهار حقيقتك . 3 - سراحك : تخليصك .

- كَمْ مِنْ أُمَّمٍ تَحْتَفِلُ بِعِيدِكَ ، وَقَدْ وَصَعَتْ نِيرَ الْعُبُودِيَّةِ^(٥) عَلَى أُمَّمٍ . . . وَأُمَّمٍ . . .
- وَكَمْ مِنْ قَوْمٍ نَصَبُوا لَكَ التَّمَائِلَ فِي الْأَرْضِ . وَقَدْ هَدَمُوا فِي الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ وَالتَّفُوسِ .
- وَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ فِيكَ مَفَّوهِ وَقَدْ كَمَّ عَنْ ذِكْرِكَ الْأَقْوَاهِ^(٥) .
- وَكَمْ مِنْ شَاعِرٍ فَتَسَهُ جَمَالِكَ ، وَلَكِنْ لَا شُعُورَ لَهُ مَعَ الْمُسْتَعْبِدِينَ .
- وَكَمْ مِنْ كَتَلِبٍ أَلْبَسَكَ الْحَلَالَ الصَّافِيَةَ^(٦) مِنْ نَسَخِ آفَلَاوِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنْبِيكَ خِرْقَةً^(٧) بَلِيَّةً مِنْ صُنْعِ يَدِهِ .
- وَكَمْ مِنْ أَبْطَالٍ اسْتَشْهَدُوا لِإِنْقَاذِكَ وَلَكِنْ خَلَفَهُمْ مَنْ قَضَى عَلَيْكَ فِي مَهْدِكَ^(٨) .
- وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ زَكِيَّةٍ كُبِّتَتْ بِهَا صَحَائِفُ تَارِيخِكَ ، وَلَكِنْ مَنَحَتْهَا دِمَاءُ قُلُوبٍ تَحَدَّرَتْ دُمُوعًا مِنَ الْجَفُونِ .
- وَكَمْ هُدِمَ لِسَرَاكِ مَا هُدِمَ ، وَلَكِنْ بِنِيَّ عَلَى أَنْقَاضِهِ^(٩) سُجُونُ الْأَحْرَارِ .
- فَأَيْنَ أَنْتِ أَيَّتَهُمَا الْحَرِيَّةُ الْمَحْبُوبَةُ — فِي هَذَا الْوُجُودِ ؟ » .

(ب)

- « فَتَشْتُ عَنْكَ فِي قُصُورِ الْأَغْنِيَاءِ ، فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ قَدْ اسْتَعْبَدَهُمُ الدِّينَارُ وَالدَّرْهَمُ — تَيْسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ — وَعَلَّتْ^(١٠) أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمُ الشَّهَوَاتُ . فَتَشْتُ عَنْكَ فِي أَكْوَاحِ الْفُقَرَاءِ ، فَوَجَدْتُ الْمَسَاكِينَ قَدْ قَيَّدَهُمُ الْفَقْرُ قَرَمَاهُمْ فِي عِيَابَاتِ^(١١) الْجَهْلِ وَدَرَكَاتِ الشَّقَاءِ^(١٢) »
- فَتَشْتُ عَنْكَ فِي الشُّعُوبِ الْقَوِيَّةِ ، فَوَجَدْتُ الْعَتَاةَ الطَّعَاةَ قَدْ قَيَّدَتْهُمْ الْأَطْمَاعُ فِي ثُرَوَاتِ الضَّعْفَاءِ .
- فَتَشْتُ عَنْكَ فِي الشُّعُوبِ الضَّعِيفَةِ ، فَوَجَدْتُ الْأَنْضَاءَ الْمُرْهَقِينَ قَدْ كَبَلَهُمُ اسْتِبْدَادُ الْأَقْسَوِيَاءِ .

4 — نير العبودية : تبودعا . 5 — كم الاقواه . وضع عليها الكمامة فاستكتمها واخرسها . 6 — العلل الصافية : الثياب الواهمة الفضفاضة . 7 — العرقلة : القطعة من الثياب البالية . 8 — الهد : المكان المهد لنوم الطفل الرضيع . 9 — الانقاضي : بقايا الهدم . 10 — علت : قيدت . 11 — العيابات : جمع عيابة ، وهي القبر . 12 — دركات الشقاء : منازل السفلى .

(ج)

« فَأَيْنَ أَنْتِ أَيَّتَهَا الْحُرِّيَّةِ الْمَحْبُوبَةِ ، مِنْ هَذَا الْوَرَى (13) ؟
— أَنْتِ . . . أَنْتِ الْحَقِيقَةُ الْحَقِيقَةُ حَفَاءَ حَقِيقَةِ الْكَهْرَبَاءِ !

— أَنْتِ . . . أَنْتِ الرُّوحُ السَّارِيَّةُ فِي عَالَمِ الْأَحْيَاءِ !

وَلَكِنْ خَفَيْتِ بِدَاثِكِ فَقَدْ تَجَلَّيْتِ عَلَى مَنْصَةِ الطَّبِيعَةِ فِي سَاطِ الْأَرْضِ وَأَجْزَاءِ
السَّمَاءِ ، فَأَبْصَرْتِكِ عَيُونُ الْكَتَحَلْتِ بِإِلْمِدِ الْحَقِيقَةِ وَأَقْتَبَسَتْ مِنْكَ عُقُولُ صُفَلْتِ بِالْمَرْقَانِ
وَاحْتَضَنْتِ صُدُورًا أُبْرِيَتْ بِالْإِيمَانِ ، وَتَدَوَّقَتْكَ نُفُوسٌ مَا عَبَدَتْ إِلَّا اللَّهَ ، وَخَدَمَكَ
قَوْمٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ .

(د)

« آءِ . . . آءِ أَيَّتَهَا الْحُرِّيَّةِ الْمَحْبُوبَةِ ، وَآءِ سَوْقَاهُ إِلَيْكَ ، بَلْ وَآءِ سَوْقَاهُ إِلَيْهِمْ !
الْمَحْيَا مَحْيَاهُمْ ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتِهِمْ .

أَنْقِذِ اللَّهُمَّ بِهِمْ عِبَادَكَ ، وَآخِي بِلَادِكَ ، وَأَلْحِقْنَا — اللَّهُمَّ بِهِمْ — غَيْرَ مُبَدِّلِينَ وَلَا
مُفَيِّرِينَ . . . آمِينَ .

شرح وايضاح :

١ - يبدأ الكاتب بنداؤه بوجهه الى الحرية التي يَمَنُّهَا وَيُحِبُّهَا كُلُّ إِنْسَانٍ حُرٍّ فِي
هذا الوجود ليقول لها : لَقَدْ قَلَّمْتُكَ الْمُسْتَعْمِرُونَ وَاسَافُوا إِلَيْكَ ، يَمَعِدُونَكَ بِالْأَوَالِمِ ،
وَيُنْتَهِكُونَ حُرْمَاتِكَ بِالْأَعْمَالِ ، تَنَاقَضَهُمْ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ تَسْرِيٍّ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَحْتَفِلُونَ بِعِيْدِكَ ،
يَسْتَمِيدُونَ غَيْرَهُمْ ، وَبَيْنَمَا هُمْ يَنْصَبُونَ لَكَ التَّمَائِيلَ ، إِذْ هُمْ يَحْطَمُونَهَا فِي قُلُوبِ
الشعوبِ الْمُسْتَعْمَرَةِ ، وَكثيرا مَا بُلِّغَتْ مِنْ أَجْلِكَ الْأَرْوَاحُ وَالنِّمَاءُ ، وَلَكِنهَا ذَهَبَتْ مَدْرًا
بِمَا نَالَ الضَّمْفَاءَ الْأَبْرِيَاءَ مِنْ قَمْعٍ وَاضْطِهَادٍ عَلَى أَيْدِي الظُّلْمَةِ وَالْمُسْتَبْرِينَ .

ب - ثم رَاحَ الْكَاتِبُ يَبْحَثُ عَنِ الْحُرِّيَّةِ عِلَّةً يَطْفُرُ بِهَا هُنَا أَوْ هُنَاكَ ، فَيَقُولُ : لِمَ أَجْدُكَ
عِنْدَ الْأَغْنِيَاءِ لِأَنَّهُمْ مَشْغُولُونَ عِنْدَ بَأْمَوَالِهِمْ وَشَهْوَاتِهِمْ ، وَلَا عِنْدَ الْفُقَرَاءِ لِأَنَّ الْبُؤْسَ
يَقُوقُهُمْ مِنَ التَّطَلُّعِ إِلَى مَعَالِيكَ ، وَلِمَ أَجْدُكَ عِنْدَ الشُّعُوبِ الْقَوِيَّةِ ، لِأَنَّ الطِّفَاةَ قَدْ أَمَتَّهُمْ
أَطْمَاعُهُمْ فِي تَرَوَاتِ الضَّمْفَاءِ ، وَلَا عِنْدَ الشُّعُوبِ الضَّمِيفَةِ لِأَنَّهُمْ مُكَبَّلُونَ بِقِيُودِ الظُّلْمِ
وَالِاسْتِعْبَادِ .

ج - وَبَعْدَ أَنْ صَوَّرَ الْكَاتِبُ وَاقِعَ الْحُرِّيَّةِ فِي جَوْهَا الْقَائِمِ ، رَاحَ يَبْلُغُ عَنِ إِيمَانِهِ بِهَا
وَتَفَاؤُلِهِ بِمُسْتَقْبَلِهَا ، فَيَقْتَرِرُ أَنَّ الْحُرِّيَّةَ حَقِيقَةٌ وَاقِعَةٌ ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ لَا تُزَيُّ ، وَإِنَّمَا
تَسْرِي فِي عَالَمِ الْأَحْيَاءِ بِمِثْلِ تَيَّارِ الْكَهْرَبَاءِ ، وَإِنْ أَحْتَقَّتْ بِدَاتِهَا قَمَطَاهِرُهَا تَمَلَا الْأَرْضَ
وَالسَّمَاءَ ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ ، لِأَنَّ الظُّلْمَ وَالطِّفْيَانَ يَقِفَانِ عَقْبَهُ فِي

13 - الوری : الخلق او الناس .

طريق الوصول إليها ، ولا يُبَصِّرُهَا إِلَّا مَنْ اَمْتَلَا قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ الْحَقِّ ، وَتَدَوَّقَ جَمَالَ
الحرية وتَسَلَّحَ بِالْعِلْمِ والمعرفة ، وهو العِلْمُ الذي يقوم على الإيمان بالله وتَصْدِيقِ
انبيائه المرسلين .

د - وبعد أن وَصَحَ الكاتب طريقة الوصول الى الحرية أَخَذَ يَتَشَوَّقُ إليها وإلى
أهلها ، ويدعو أمته إلى الخَلَّاصِ مِمَّا تُعَانِيهِ وَاللَّحَاقِ بِالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ
عباده المؤمنين .

دراسة الأفكار :

هذا النص من الأدب السياسي الذي يَكْتُفِ أساليب الاستعمار ، وطريقته
الاستعمارية في إثارة مشاعر الشعوب المستضعفة ، ويبين تناقض المستعمرين وأتاريتهم
وَاسْتِهَانَتَهُمْ بِالْإِيمَانِ الْإِنْسَانِيَّةِ .

وإن كان الكاتب لا يخاطب الاستعمار مباشرة ، ولا يهاجمه بطريقة قَلْبِيَّةٍ سَاهِمَةٍ
- كما كَعَلَ كَثِيرٌ مِنَ المصلحين من أمثال : الكواكبي ، والأفطاني - فإنه يَدْمَعُ أصمالمهم
بالجزري . وَيُلْزِمُهُمُ الْحُجَّةَ القاطعة على ظلمهم وطفانهم ، وهو بهذا المنهج يوضح طريق
الثورة أمام المواطنين الجزائريين ، ويُوَجِّهِ إليهم بضرورة الخَلَّاصِ مِنَ المستعمرين .

ومن هذا النص نستطيع التَّعَرَّفُ على شخصية الكاتب ، فهو نالر في تَعَلُّلِ وَدَوِيَّةِ
وشجاع في غير تَهَوُّرٍ ، يُغَلِي مِنَ الألم دون تَكْرُوفٍ ، ويشعر بالمرارة دون قَوْلٍ أَوْ صُرَاخٍ .
ولعل أهم مميزات شخصية الكاتب تلك النزعة الدينية التي تبدو بوضوح في هذا
النص ، فقد ربط الكاتب بين إدراك الحرية - وهي أَمْرٌ سياسي اجتماعي - وبين
الإيمان ، بل جعل الإحساس بها قاصرًا على الدين امتلات قلوبهم بِنُورِ العقيدة الصحيحة
والإيمان السليم .

والكاتب بهذه الرُّوحِ الدينية يَنْفُذُ إلى قلوب سامعيه ، لانه يَسْتَحِثُّ فِيهِمْ أَقْرَبَ
عقيدة ، وَأَحَبَّهَا إلى نفوسهم ، وهي عقيدة الإيمان بالله ، التي تَمْلِكُ - وَحَدَهَا - تَوْجِيهَ
صفوفهم ، وَجَمَعَ كلمتهم ، وَتَجَنَّبَ كُلَّ طاقاتهم وَعَزَائِمِهِمْ .

وفي هذا الربط بين الحرية والدين دليل على فَهْمِ الكاتب طبيعة شعبه ومجتمعه ،
وقدرته على النفاذ اليه والتاثير فيه .

وأفكار النص الأساسية هي :

- 1 - تَنَاقُضُ المستعمرين بين أقوالهم وأفعالهم ،
- 2 - لا حرّية في بيئته يَهَيِّئُونَ عليها المستعمرون ،
- 3 - حقيقة الحرية ووسيلة إدراكها ،
- 4 - تَشَوُّقٌ إليها وَدَعْوَةٌ إلى العمل من أجل بُلُوغِهَا .

وهي أفكار تتميز بالوضوح والتسلسل والإقناع الفكري والوجداني اللذين يُوَزِّنَانِ
في العقول والقلوب .

دراسة الأسلوب :

إذا تأملنا أسلوبَ الكاتب في هذا النص أمكننا أن نُميِّز فيه عدَّة خصائص أهمُّها :

اولا : التَّكْرَارُ: وهَدَفَ الكَاتِبُ مِنْهُ قُوَّةَ المعْنَى وَتَوَكِيدَهُ ، وَقَدْ بَاتِيَ التَّكْرَارُ فِي اللفظ مثل قوله :

« أَنْتِ . . أَنْتِ الْحَقِيقَةُ الْخَفِيَّةُ . . » [فقرة (هـ) س 2]

وقد باتي بتزويد مرادفٍ للمبارة مثل :

« . . يَتَمَالَكُ مِنْ أَجْلِكَ الْأَبْطَالُ . . » [فقرة (و) س 2]

« كَمْ مِنْ أَبْطَالٍ اسْتَشْهِدُوا لِإِنْقَاذِكِ . . » [فقرة (ا) س 13]

وهذا التَّكْرَارُ ملائمٌ لهَدَفِ الكَاتِبِ إِذْ يُوجِي بالتَّزَكُّيزِ عَلَى شَيْئٍ وَمَعِينٍ كَمَا تَرَى فِي الْمَثَالِ الْآخِرِ ، حَيْثُ يُرْشِدُ الكَاتِبُ بِطَرِيقَتِهِ الْوَاعِيَةَ إِلَى طَرِيقِ الْخَلَّاصِ مِنَ الْمُسْتَعْمَرِينَ .

وفي قوله :

« أَيْنَ أَنْتِ فِي هَذَا الْوُجُودِ ؟ » [فقرة (و) س 3]

ثم يقول :

« وَأَيْنَ أَنْتِ أَيُّهَا الْحَرِيَّةُ الْمَحْبُوبَةُ مِنْ هَذَا الْوَرَى » [فقرة (هـ) س 1]

إنما يَهْدِفُ إِلَى تَأْكِيدِ صَبَاحِ الْحَرِيَّةِ بَيْنَ الطِّغَاةِ الْمُسْتَبِدِّينِ .

ثانيا : التَّأَكُّرُ بِأَسْلُوبِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ :

« غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى آغْصَانِهِمُ الشَّجَوَاتِ » [فقرة (ب) س 2]

فهو مأخوذ من قوله تعالى :

« وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا لَمَّا قَالُوا لَئِن يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ (*) » .

ثالثا : الاستشهاد : كما في قوله :

« تَوَسَّعَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ وَالِدِرْهَمِ . . » (**)

وهو حديث شريف

(*) من سورة المائدة ، آية رقم 64 .

(**) رواه البخاري ، رياض الصالحين للنوري ص 456 ، طه بيروت .

وظاهرة التآثر بالقرآن الكريم والاستشهاد بالحديث النبوي الشريف
تفكس لنا ثقافة الكاتب الدينية كما مرّ بك .

وقد تنوّع أسلوبه بين العبر والإنشاء ، وتعدّدت فيه الأساليب الإنشائية .
من ذلك قوله :

« أيتها الحرية المحبوبة . . . وَآشُوقَاهُ » . [فقرة (م) س 1]

إلى استفهام في قوله :

« أين أنت من هذا الوجود » [فقرة (م) س 3]

إلى امر بمعنى الدعاء في قوله :

« أَنْقِذِ اللَّهُمَّ يَوْمَ عِبَادِكَ » . [فقرة (د) س 3]

ولا يخفى عليك ما وراء هذه الأساليب وغيرها - في النص - من قيم جمالية في
المعنى والأسلوب .

كما استعان الكاتب بالأساليب البيانية الكثيرة المختلفة لتوضيح أفكاره .

كالتشبيه في قوله :

« أنت . . أنت الحقيقة الخفية خفاء حقيقة الكهرباء » [فقرة (هـ) س 2]

والكناية في قوله :

« كَمْ مِنْ دِمَاءٍ زَكِيَّةٍ كُتِبَتْ بِهَا صَحَائِفُ تَارِيخِكَ » [فقرة (م) س 14]

والاستعارة في قوله :

« كَبَلَهُمْ اسْتِبْدَادُ الْأَقْوِيَاءِ » [فقرة (ب) س 7]

وقوله :

« وَتَذَوَّقَتْكَ نَفْسٌ » [فقرة (هـ) س 16]

وفي النص العديد من الصور ، فتأملها جيدا لتستطيع الوقوف عليها وتذوّق ما
فيها من جمال .

وعبارات النص واضحة إلا ما ندر مثل قوله :

« وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ زَكِيَّةٍ كُتِبَتْ بِهَا صَحَائِفُ تَارِيخِكَ وَلَكِنْ مَحْتَهَا دِمَاءٌ »

قُلُوبٍ تَحَدَّرَتْ دُمُوعًا مِنَ الْجُفُونِ » . [فقرة (م) س 14]

فهو كناية ممّا يعانیه المضطهدون على أيدي الاستعماريين من قمع وظلم كلما طالبوا
بالحرية والمدالة ، وهذا القمع والاضطهاد يُبطلان ما يَرَدُّه المستعمرون الفرنسيون
من مزاعم حول ما كان لهم من ماضي كوريتي تحرري.

ولعلك تلاحظ ما في هذا التعبير من قَدَمٍ وُضُوحٍ ، ولا شك في أن طريقة الكاتب التي كان يهاجم بها الاستعمار سَبَّبَ في ذلك القموض .

ومن المَحَسِّنَاتِ البديعية في النص :

الِطَّبَائِ فِي قَوْلِهِ :

« الْمَحْيَا مَعْيَاهُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتَهُمْ » [فقرة (د) س 2]

وَالسَّجْعُ فِي قَوْلِهِ :

« يَتَشَادِقُ بِأَمْجَادِكِ الْخُطَبَاءُ ، وَيَتَغَنَّى بِمَفَاتِيكِ الشُّعْرَاءِ » [فقرة (هـ) س 1]

وفي النص العديّد من المحسنات البديعية يمكنك الوقوف عليها .

مجمل القول في النص

□ يُعْتَبَرُ هذا النص من الأدب السياسي التحرريّ ، وهو يعكس منهج الكاتب في دعوته إلى العربة ، وطريقته في الثورة على الاستعمار ، وهي طريقة « الإيحاء ، والنداء » غير المباشر ، وذلك بنشر الوفي وتوضيح الحقائق ، لإعداد المواطنين للنضال والتحرر .

□ وفي النص روح دينية تدل على وغي الكاتب بطبيعة شعبه ، وتمشّكه بالإسلام ، وأفكاره واضحة وإن كانت مطروقة ، لكنّ طريقة العرض جيدة وجديدة ومُفَنِّعة ، فيها تسلسل فكريّ ، وارتباط وجذائيّ .

□ يمتاز أسلوبه بالتكرار ، سواء في اللفظ أو العبارة ، وهذا التكرار يكتسب أهمية كبيرة للملءة أسلوب الكاتب مع منهجه التحرري الثوري ، وعبارته واضحة ، والفاظه ممتازة . وفيه من المحسنات البديعية ما يجلّو أفكاره ويحوّل أسلوبه .

□ وفي النص تأثّر بالقرآن الكريم واستشهاداً بالحديث الشريف . كما انه تعتمد فيه الأساليب الإنشائية المختلفة الأفراسي ، ليكتسب الخبر - بعد ذلك - صيغة التأييد والحكم الذي لا يُفَوَّرُ البرهان أو الدليل . وعاطفة الكاتب صادقة تتجلّى لك بوضوح خلال الصور البلاغية المتعددة .

المناقشة :

- 1 - مَجَّدَ الكاتب الحرية ، فما صور التمجيد ؟ وهل وُقِّقَ الكاتب فيما ذهب إليه ؟
- 2 - بَحَثَ الكاتب عن الحرية ، فهل وجدها ؟ وابن ؟
- 3 - تَضَيِّعَ الحرية بين الأقوياء والضعفاء . قَلِمَ ؟
- 4 - في النص ما يدل على تَحَسُّرِ الكاتب على فُقْدَانِ الحرية . فما العبارات التي تدل على ذلك ؟
- 5 - على أيدي مَنْ تتحقق الحرية ؟ اذكر الصفات التي أُوْرَدَهَا الكاتب في رُوَادِ الحرية .
- 6 - هل ترى في النص تَكَرُّرًا لبعض الأفكار ؟ وضح ذلك .
- 7 - « أين أنتِ في هذا الوجود ؟ » . ما الذي يدل عليه الاستفهام ؟
- 8 - « المَحْيَا مَحْيَاهُمْ ، والمات مَمَاتُهُمْ » اشرح هذه العبارة مُبَيِّنًا ما فيها من جمال .
- 9 - في النص صَوْرٌ جميلة . هاتِ صورة لم تَرُدْ في الدراسة ، وبيِّنْ بَرَّرَ جمالها .
- 10 - قال شوقي :

وَالْحَصْرِيَّةُ الْحَمْرَاءُ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مَفْرَجَةٍ يَدَقُّ

أَخْرِجْ من النص ما يُشير إلى مضمون هذا البيت .

- 11 - الكاتب مُدْرِكٌ لطبيعة شعبه . فَمِنْ أَيِّ أفكارِ النص تَفَهَّمُ تلك الحقيقة ؟

المقال الأدبي :

الحرية ، كَلِمَةٌ دَاتٌ دِلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٌ ، تَنَاوَلَتْهَا السِّيَاسَةُ وَالْفَلَسَفَةُ وَالدِّيَانَاتُ وَالاجْتِمَاعُ .

ما الحرية في نظرك ؟ وما واجب الأفراد والمجتمعات نحوها ؟

السؤال الكتابي :

عَرَفَتِ النهضة الحديثة أُمَّةً مُصْلِحِينَ انْتَهَجُوا أُسْلُوبَ الثَّوْرَةِ المَبَاشِرِ ضِدَّ الأَوْضَاعِ الاستعمارية « كالإمام جمال الدين الأفغاني » ، وَعَرَفَتْ مُصْلِحِينَ آخَرِينَ اعْتَمَدُوا فِي مَحَارِبَتِهِمُ الظُّلْمَ وَالاستعمارَ عَلَى إِعْدَادِ المَجْتَمَعِ ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا كإمامنا ابن باديس .

— قَارِنُ بَيْنَ المُنْتَهَجَيْنِ ، وَبَيِّنْ أَيُّهُمَا تَفَضَّلُ ، ولماذا ؟

(٢) نَمُودَجُّ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ بَادِيسِ (*)

نقدم لك فيما يلي نموذجاً كاملاً من تفسير الامام (ابن باديس) لآية من القرآن الكريم ، لتتعرف على طريقته في فهم القرآن الكريم وتفسيره .
وسترى انه فهم عصري يقوم على إدراك حقيقة الاسلام وربطه بالحياة والواقع ، واتخاذ مبادئ الاسلام دواءً لجميع امراض المجتمع وعلة .

الطور الأخير لكل أمة وعاقبته

« وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ مُطَبِّئُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ، كَانَتْ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا » .
(الآية 58 من سورة الاسراء)

تمهيد :

الأمم كالأفراد ، تمر عليها ثلاثة أطوار : طور الشباب ، و طور الكهولة ، و طور الهرم .
فيشمل الطور الأول : نشأتها الى استجمامها قوتها ونشاطها ، مُستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة .

ويشمل الطور الثاني : ابتداء أخذها في التقدم والانتشار ، وسعة النفوذ ، وقوة السلطان الى استكمالها قوتها وبلوغها غاية ما كان لها ان تبلغه من ذلك ، بما كان فيها من مواهب ، وما كان لها من استعداد ، وما لديها من اسباب .

ويشمل الطور الثالث : ابتداءها من التقهقر والضعف والانحلال ، الى ان يحلَّ بها الفناء والاضمحلال ، اما بانقراضها من عالم الوجود ، واما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال .

وما من أمة الا ويجري عليها هذا القانون العام ، وان اختلفت أطوارها في الطول والقصر ، كما تختلف الأعمار .

هذه السنة الكونية التي أجرى الله عليها حياة الأمم في هذه الدنيا ، اشار اليها في كتابه العزيز في غير ما آية .

فذكر أعمار الأمم ، مُقدَّرة مُحدَّدة بأجلها في مثل قوله تعالى : « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ » ،
فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » .

وذكر انشاء الأمم على اثر الهالكين في مثل قوله تعالى : « وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ » .

وذكر طور شباب الأمة ودخولها مُعتركَ الحياة في مثل قوله تعالى : « عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .

فان بني اسرائيل ما استخلفوا في الارض حتى قووا ، واشتدوا وتكونت فيهم اخلاق الشجاعة ، والنجدة والحيمية والانفة بعد خروجهم من النيه ، وذلك هو

(*) تفسير ابن باديس ، ص : 159 .

الطور الأول ، طور الشباب للأمة الاسرائيلية . وذكر الطور الثاني وهو طور الكهولة واستكمال القوة ، وحسن الحال ، ورفد العيش في مثل قوله تعالى : « وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ » . وذكر الطور الثالث طور الضعف والانحلال في مثل قوله تعالى : « وَتِلْكَ الْقَرْيُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا » .

وإهلاكهم يكون بعد إسباغ النعمة وإقامة الحجة عليهم ، وتمكن الفساد فيهم وتكاثر الظلم منهم . فإهلاكهم هو نهاية الطور الثالث من أطوار الأمم الثلاث . الى خاتمة الطور الثالث وعاقبته ، جاء البيان في قوله تعالى : « وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا » .

الالفاظ :

« القرية » المساكن المجتمعة ، ومادة « قري » تدل على الجمع ، فتصدق على القرية الصغيرة والمدينة الكبيرة . وتُطلق القرية مجازاً على السكان اطلاقاً لاسم المحل على الحال . ومنه هذا ، و « الإهلاك » الإبادة والإفناء بالاستئصال كما فعل بعاد وثمود و « قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » أي في الدنيا و « العذاب الشديد » كأمراض الأبدان وفساد القلوب ، وانحطاط الاخلاق ، وافتراق الكلمة ، وتسليط الظلام كما أرسل على بني اسرائيل عبادا اولي بأس شديد ، فساءوا وجوههم ، وجاسوا خلال ديارهم ، وكسليط اهل الحق على اهل الباطل ، وكالجذب والقحط وجوائح الأرض ، وجوائح السماء . و « في الكتاب » أي اللوح المحفوظ ، و « مسطورا » أي مكتوبا اسطارا مبينا .

التركيب :

« إِنَّ » نافية ، و « مِنْ » زِيدَتْ لاستفراق الجنس وتأكيد العموم ، و « الْآ » أفادت مع أن النافية حصر كل قرية في احد الامرين من الهلاك والعذاب الشديد ، ليعلم ان لا نجاة لكل قرية من أحدهما قطعا . و « أَوْ » تفيد احد الشئيين المذكورين على الإبهام وعدم التعيين ، و « ذَلِكَ » اشارة المذكور من الهلاك والتعذيب .

المعنى :

يقول تعالى : ما من قرية على وجه الأرض الا ولا بد أن يحل بها منا هلاك وفناء بما يُبيدها ويُفنيها ، أو عذاب شديد لا يفنيها ولكنه يُدبقها أنواع الآلام شديد النكال . كان هذا قضاء سابقا في علمنا ، ماضياً في إرادتنا ، مكتوبا اسطارا في اللوح المحفوظ .

الاحكام :

احكام الله تعالى قسما :

احكام شرعية وهي التي فيها بيان ما شرعه لخلقه مما فيه انتظام أمرهم وحصول سعادتهم اذا ساروا عليه . واحكام قدرية وهي التي فيها بيان تصرفه في خلقه على

وفق ما سبق في علمه وما سبق في إرادته . والأحكام الشرعية تقع من العباد مخالفتها ، فيختلف مقتضاها من الفعل أو الترك ، والأحكام القدرية لا تتخاف أصلاً ، ولا يخرج المخلوقات من مقتضاها قطعا . وفي هذه الآية حُكْمٌ من أحكامه القدرية ، وهو أن كل قرية لا بد أن يصيبها أحد الأمرين المذكورين بما سبق من علمه ، وما مضى من إرادته فلا يتخلف هذا الحكم ولا تخرج عنه قرية .

ايضاح وتحليل :

الله حَكَمٌ عَدْلٌ حَكِيمٌ خَبِيرٌ ، فما من حُكْمٍ من أحكامه الشرعية الا وله حكْمته ، وما من حكم من أحكامه القدرية الا وله سببه وعلته . لا لوجوب أو ايجاب عليه ، بل بمحض مشيئته ، ومقتضى عدله وحكمته .

وقد قضى على كل قرية بهذه العاقبة من الهلاك والعذاب الشديد في هذه الآية ، وَبَيَّنَ فِي غَيْرِهَا سَبَبَ اسْتِحْقَاقِهَا لَهَا فَقَالَ تَعَالَى : « وَتِلْكَ الْقَرْىُ اَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا » . « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْىَ بِظُلْمٍ وَاَهْلِهَا مَصْلِحُونَ » ، « وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقَرْىِ اِلَّا وَاَهْلِهَا ظَالِمُونَ » ، « وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْىَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً » ، « وَكَايُنُ مِنْ قَرْىَةٍ عَنَتْنَا عَنْ اَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاَسِبْنَا بِهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا » ، « وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْىَةٍ كَانَتْ اٰمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يٰٓاْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِاَنْعَمِ اللهُ فَاذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » . فافادت هذه الآيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلم ، والفساد ، والعتو ، والتمرد عن امر الله ورسوله ، والكفر بانعم الله . « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

توجيه :

الطور الاخير للامم هو الذي ذُكِرَ في الآيات كثيرا دون الطور الاول والثاني . ووجه ذلك : انه هو الطور الذي ينتشر فيه الفساد ويعظم فيه الظلم وتنتهي فيه الأعدار للامة ، ويحل فيه أجلها ، فينزل بها ما تستحقه من هلاك أو عذاب . فكرر ذُكِرَ هذا الطور لزيادة التحذير منه ، والتخويف من سوء عاقبته والحث على تدارك الأمر فيه بالاقلاع عن الظلم والفساد ، والرجوع الى طاعة الله تعالى وأعمال يد الإصلاح في جميع الشؤون فيرفع العذاب ، بزوال ما كان لنزوله من اسباب .

استنتاج وتطبيق :

القرى التي قُضِيَ عليها بالهلاك والاستئصال هذه قد انتهى أمرها بالموت ، وفات عن العلاج مثل عادٍ وتعمودٍ من الامم البائدة . واما القرى التي قُضِيَ عليها بالعذاب الشديد ، فهذه لا تزال بقيد الحياة فتُدَارِكُهَا مُمَكِّنٌ ، وعلاجها متيسر . مثل الامم الاسلامية الحاضرة . فمما لا شك ان فينا ظلماً ، وعتواً وفساداً وكفراً بانعم الله ، واننا من جراء ذلك لقرى عذاب شديد . ولا يعني بهذا ان الامم الاسلامية مخصوصة بهذا

بل مثلها ، وأقوى منها في أسباب العذاب والهلاك غيرها من أمم الأرض . وإن لهم لقسطهم من العذاب الشديد . وإذا لم يأت المقدار المناسب من الهلاك أو العذاب لما عندهم من أسبابهما فلأنه لكل أمة أجل ، ولما يأت ذلك الأجل بعد . فإذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

ارشاد واستنهاض :

وقد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقا وقدرا بمشيئته وحكمته لهنتدي بالأسباب إلى مسبباتها ، ونجنبها باجتنب أسبابها . وقد عرفنا في الآيات المتقدمة بأسباب الهلاك والعذاب لتنتقي تلك الأسباب فنسلم أو نقلع عنها فننجو . فان بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب! وقد ذكر لنا في كتابه أمة اقلعت عن سبب العذاب فارتفع عنها بعد ما كان ينزل بها ، ليؤكد لنا أن الاقلاع عن السبب ينجي من المسبب . فقال تعالى : « **إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ** » فهدرتهم للإيمان ، واقلعهم عن الكفر ، كشف عنهم العذاب ، وارشدنا في ضمن هذا إلى العلاج الناجح في كشف العذاب ، وابطال أسبابه ، وهو الإيمان . كما أرشدنا إليه أيضا في قوله تعالى قبل هذا : « **فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا** » أي نجاها من العذاب ، وذكر قوم يونس دليلا على ذلك . وارشدنا إليها أيضا في قوله تعالى : « **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّ عَلَيْنَا مِن بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** » . للإيمان والتقوى - هما - العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد اقلعنا من أسباب العذاب . ولا ننهض بهذا العلاج العظيم الا اذا قمنا متعاونين أفرادا وجماعات ، نجعل كل واحد ذلك نصب عينيه ، وبدأ به في نفسه ، ثم فيمن اليه ، ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه ، ثم جميع اهل ملته . فمن جعل هذا من همه واعطاه ما قدر عليه من سعيه كان خليقا أن يصل الى هأيته أو يقرب منها .

ولنبداً من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك ، واخلاقنا من الفساد ، واعمالنا من المخالفات ، ولنستشعر أخوة الإيمان التي جعلنا كجسد واحد ولنشرع في ذلك ، غير محتقرين لانفسنا ، ولا قائلين من رحمة ربنا ، ولا مستقلين لما نزيله كل يوم من فسادنا ، فبدوام السعي واستمراره ، يأتي ذلك القليل من الاصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله .

وليكن دليلنا في ذلك وامامنا كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وسيرة صالح سلفنا . ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق ، ويبصرنا في العلم ، ويفقهنا في الدين ، ويهدينا الى الأخذ بأسباب القوة والعز والسيادة العادلة في الدنيا ، ونيل السعادة الكبرى في الآخرة . وليس هذا عن العاملين ببعيد . وما هو على الله بعزيز .

رجاء وتفاؤل :

ان المطلع على أحوال الأمم الاسلامية يعلم انها قد شعرت بالداء ، وأحست بالعذاب ،

واخذت في العلاج ، وان ذلك ، وان كان يبدو اليوم قليلا ، لكنه بما يحوطه من عناية الله ، وما يبدو فيه من جهود المصلحين ، سيكون باذن الله كثيرا . وعسى أن يكون في ذلك خير لامم الأرض أجمعين .

حَقَّقَ اللهُ الأَمَالَ ، وسَدَّدَ الأَعْمَالَ ، بلَطْفٍ مِنْهُ وَتيسيرٍ ، إِنَّهُ نِعْمَ المولى ونعم النصير (*) !

ب - منشور المقاطعة (**)

عندما أخذت فرنسا تستعد لاحتفال مرور مائة عام على احتلالها مدينة « قَسْطِنِيَّةَ » استنكرت طوائف شعبنا الأبى هذا العمل المشين ، وقامت الجمعيات الإسلامية في هذه المدينة تعلن استنكارها وتطلب من جماهيرها أن يقطعوا هذه الاحتفالات ، والامام « ابن باديس » بوصفه أحد أبناء مدينة « قَسْطِنِيَّةَ » يدلي بدلوه في تلك الأحداث بكتابة هذا المنشور في سبتمبر عام 1937 م :

نداء الى سكان مدينة قسنطينة المسلمين

« إن الزعامة والطريق مَحْفُوفَةٌ ، غير الزعامة والطريق امان .
« إِخْوَانِي القَسْطِنِيَّةِيِّنَ :

« في مثل هذه الأيام منذ قرن ، مات أجدادكم المجاهدون المدافعون ، ومضت مائة عام كانت كافية لنسيان تلك المأساة وَصَمَدِ تلك الجروح وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض . لكن قوما من الانانيين الذين يأبون إلا أن يكونوا سادة متفوقين ، والأأن يُسْعِرُوا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين هؤلاء القوم - وليسوا كل الفرنسيين - أرادوا في هذه الأيام أن يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة تثير العواطف ، وتَمَسُّ كرامة الأحياء منا والأموات ، وتناقض الأخوة والرحمة التي ندهو اليها .

« يحتفلون احتفالاً بهم ومطالب الشعب الجزائري بعزقتهم معطلةٌ وحقوقه بسعيهم مهملةٌ وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره في كل يوم . لهذا قد اجتمعت 14 جمعية إسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتمبر الماضي في نادي الاتحاد وكانت كلها مُسْتَنْكَرَةً لهذه الاحتفالات عازمة على مقاطعتها ، فقررت - بالاجماع - ما يلي :

« نحن - الممثلين لجمعياتنا - نرى احتراماً لأنفسنا واحتراماً لأجدادنا واحتراماً للانسانية ،

أولاً : أن لا نشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

(*) تفسير ابن باديس ، ص. 159 .

(**) ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 ، ص 387 .

ثانيا : أن تكون في هدوء تام عام .

« اخواني القسنطينيين :

« قد فعل المؤتمر الاسلامي الجزائري واجبه فاحتج على هذه الاحتفالات في اجتماعه العام الأخير ، وقدم مكتبه ذلك الاحتجاج الى الوالي العام وقدمه مكتب لجنة القسنطينية الى امر قسنطينة . وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررت في قرارها المتقدم ، وأخوكم هذا - كقسنطيني - فعل واجبه بنشر هذا المنشور عليكم . فما بقي الا أن تقوموا انتم بواجبكم .

« فقاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها .

« كونوا في هدوء وسلام .

« والسلام عليكم من اخيكم : عبد الحميد بن باديس .

« حررَ بالمنصورة حوز تلمسان مساء الثلاثاء 23 رجب 1356 هـ ، 28 سبتمبر سنة 1937 م » .

صفحة ذهبية :

نشرت الصحافة الفرنسية اللسان وغيرها كثيرا عن احتلال قسنطينة ، فأجبنا نحن أن نشاركها ، فننشر كتابين تاريخيين جليلين . نقلناهما عن كتاب « تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر » ، وهذا نصهما :

— 1 —

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسية الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والاهالي المحصورين داخل البلد : نعرفكم أن العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ، ويد القدرة الربانية كللتنا بأكليل النصر فها هو جيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احدُ امرين : اما اعمال السيف واما التسليم للنجاة من الحيف ، لا جرم أن عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ، ونحن لا رغبة لنا في سفك دمائكم فالتسليم أسلم لكم واحسن بكم لانكم امسيتم في مركز خطر جدا والخلص منه ضرر كبير يلحقكم مستحيل ، كيف وبواريد فرسا قد احاطت بكم من كل جهة وصرتم وسطها مثل السمك في الشبكة . »

— 2 —

« من الامة المحافظة على شرفها وبلدها ، الى المسكر الفرنسي المتدي على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم ، وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ، ان مركزنا امسى في خطر عظيم ، لكن استيلاءكم على قسنطينة ، المحمية بالابطال العربية الذين لا يهابون الموت ، موقوف على قتل آخر واحد منهم ، واعلموا ان الموت عندنا تحت اسوار بلدتنا احسن من حياتنا ، تحت سلطة فرنسا . »

صَدَى مَنشُورِنَا عَلَى الْأُمَّةِ وَالنُّوَابِ فِي صُحُفِ الاستعمار (*)

دُعِيَ إلى تَسْلِيمِ النُّوَابِ ، ووقع ذلك بالفعل في كثيرٍ منهمفة عمالة قسنطينة ، لم تهتز لذلك صحف الاستعمار ودوائره . فلَمَّا نَشَرَ صاحبُ هذه المجلة منشورَه على الأمة ونوَابِها ، في الدعوة إلى التسليم والاتحاد ، والوقوف الهائل المُشْرِف - قامت القيامة في الدوائر ، وظهر في جريدة « لابريس » التي تصدر بالعاصمة وجريدة « الريبوليكان » التي تصدر بقسنطينة .

ولما كانت الثانية أصرح بالعداء من الأولى خَصَّصْنَاها بالكتاب التالي : « قسنطينة في 8 رجب 1356 هـ - 14 سبتمبر 1937 م » .

« جناب السَّيِّدِ محرر جريدة « الريبوليكان » المحترم :

« قرأتُ في عدد 2 سبتمبر الجاري من جريدتكم منشوري على الأمة ونوابها ، فشكرتُ لكم نقله في جريدتكم ، ليطَّلع عليه قسم كبير من الرأي العام الفرنسي ، خصوصا القسم الذي تُمَثِّلُهُ جريدتكم .

« ولمَ يَسُونِي ما علقتم به عليه من عبارات الحقد والتَّحْرِيش ، لَأَنَّ ذلك دَلِيلٌ حصول ما قَصَدْتُمُه من تأثير الحق والصدق ، مَنَّ لم يَتَعَوَّدوا سَمَاعَه من المسلمين الجزائريين أمثاليكم .

« ولا أَلُومُكم على ذلك ما دُمْتُم تَرَوْنَه إِخْلَاصًا لأمْتِكُمْ ووطنكم كما كنتُ أنا مُخْلِصًا في منشوري لأمْتِي ووطني .

« وإنما أُرِيدُ أَنْ أُحَقِّقَ لَكُمْ أَنَّ تَحْرِيشَكُمْ لَا يُخِيفُ صِغَارًا من تلامدتنا ، فَمَنْ بَابٍ آخَرَ وَأَوْلَى أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ أَدْنَى تَأثير على كبارنا في السَّيْرِ على خطتنا إلى غايتنا .

« ومما يُؤسَفُ له من أمثالكم انكم لا تُدْرِكُونَ تطورات الأمم وتقلبات الأيام . وتفكرون - فينا - في القرن العشرين بأفكار القرون الوسطى . إن الزَّمان - يا زميلي - يسير ولا يقف ، وَسَتُنُّ الكون نفاذة لا تتخلف والويل لمن قعد أو تَمَامَى (**).

« تقبلوا - سيدي احترام زميلكم صاحب مجلة الشهاب ،

عبد الحميد بن باديس »

ج - صحيفة السَّنَةِ

صدر العدد الأول من صحيفة « السَّنَةِ النبوية المحمدية » في الثامن من ذي الحجة عام 1351 هـ . وقد كتب الشيخ ابن باديس في هذا العدد مقالا بين فيه أهدافه من انشاء هذه الصحيفة ، وشرح خطة عمله الصحفي ، ومن خلال هذا المقال يظهر دور نشاطه الصحفي الفعال في خدمة منهجه الاصلاحى العام .

(*) ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 ، ص 24 .

(**) من كتاب : قال الشيخ الرئيس . محمد الطاهر لفضلا ، ص . 185 وما بعدها .

بواعثنا ، عملنا ، خطتنا ، غايتنا

عَرَفْنَا - مِمَّا هَدَانَا إِلَيْهِ رَبَّنَا - الْحَقَّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَالْهَدْيَ الَّذِي مَا بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالُ وَسَبِيلَ النِّجَاةِ الَّتِي مَا فِي مُخَالَفَتِهَا إِلَّا الْهَلَاكُ ، وَالِدَوَاءَ الَّذِي بَدُونَهُ لَا تَبْرَأُ النُّفُوسُ مِنْ أَدْوَانِهَا وَلَا تَطْفَرُ بِالْقَلِيلِ مِنْ شِفَائِهَا ، فَحَمَدَنَا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَانَا وَعَقَدَنَا الْعَزْمَ عَلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَشَكَرْهَا، وَمَا شَكَرْهَا إِلَّا فِي الْعَمَلِ بِهَا وَبِنَشْرِهَا، وَاشْفَقْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْ تَبَعَةِ الْكُتْمَانِ وَمَا جَاءَ فَيَمَنُ لَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنْ صَعْفِ الْإِيمَانِ ، فَأَخَذْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا دَعْوَةَ النَّاسِ إِلَى السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَحْمَدِيَّةِ وَتَخْصِيصِهَا بِالتَّقَدُّمِ وَالْأُحْبَابَةِ فَكَانَتْ دَعْوَتَنَا - عِلْمَ اللَّهِ - مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ الْيَوْمِ وَالْحَثَّ عَلَى التَّمَسُّكِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهَا وَنَحْنُ الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنَّا سَائِرُونَ وَإِلَى الْغَايَةِ الَّتِي سَعَيْنَا إِلَيْهَا قَاصِدُونَ وَقَدْ زِدْنَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، أَنْ أَسَّسْنَا هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الرَّيْثِيَّةَ . وَاسْمَيْنَاهَا « السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْمَحْمَدِيَّةُ » لِتُنَشَّرَ عَلَى النَّاسِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فِي سِيَرَتِهِ الْعَظِيمِ ، وَسُلُوكِهِ الْقَوِيمِ ، وَهَدْيِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي كَانَ مَثَلًا نَاطِقًا لِهَدْيِ الْقُرْآنِ وَتَطْبِيقًا لِكُلِّ مَا دَعَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَحْوَالِ مِمَّا هُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي الْكَمَالِ وَالْحُجَّةُ الْكُبْرَى عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَالْأَيْمَةُ كُلُّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا ، وَالْمَدَاهِبُ كُلُّهَا تَنْطَوِي تَحْتَ لَوَائِهَا ، وَتَسْتَنْبِرُ بِضَوْئِهَا ، وَفِيهَا وَحْدَهَا مَا يَرْفَعُ أَخْلَاقَنَا مِنْ وَهْدَةِ الْإِنْحِطَاطِ وَيُطَهِّرُ عَقِيدَتَنَا مِنَ الزَّوْجِ وَالْفَسَادِ وَيُبَيِّتُ عَقُولَنَا عَلَى النَّظَرِ وَالتَّفَكِيرِ ، وَيُدْفَعُنَا إِلَى كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْبِطُ وَحَدَّثَنَا بِرِبَاطِ الْأُخُوَّةِ وَالْيَقِينِ وَبَسِيرِ بِنَا فِي طَرِيقِ وَاحِدٍ مُسْتَقِيمٍ وَيُوجِّهُنَا وَجْهَةً وَاحِدَةً فِي الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَبُحْبُوحِ مِمَّا النُّفُوسُ وَالْهَيَمَةُ وَالْعَزَائِمُ وَبِشِيرِ كَوَامِنِ الْأَمَالِ وَيَرْبِعُ مِمَّا الْأَصْرَ وَالْأَهْلَالَ وَيُعَيِّرُنَا - حَقًّا - خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ .

فها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية . عملنا نشر السنة النبوية المحمدية وحمایتها من كل ما يمسها بأذية . وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل المؤتوق بهم ، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم . وعايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيهم في الأقوال ، والأفعال ، والسير ، والأحوال حتى يكونوا للناس كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً أعلى في الكمال .

والله نسال التوفيق والتسديد في القصد والقول والعمل لنا وللمسلمين اجمعين .

د - الرجل المسلم الجزائري (*)

أَلْقَيْتُ محاضرةً في هذا الموضوع بناوي التَّرَقِّي بالعاصمة في شهر ربيع الأول . وفيما يلي أَكْتُبُهَا على ما بَقِيَ في ذَهْنِي ، كُنْتُ القيتُها ارتِجَالاً وإذا سَدَّ عَيْنِي شيء فلا يكون إلا قليلا .

سَبَبُ اختياري للموضوع :

كُنْتُ - وأنا قَادِمٌ للعاصمة من مَصِيفٍ « حصن الماء » - أَحْوَمُ على موضوعِ اخْتَارَهُ للمحاضرة التي أَقْتَرَحَهَا عَلَيَّ أعضاءُ التَّادِي المحترِّمون ، فَوَقَّعَ فِكْرِي على المرأة وحالتها وحقوقها . وبينما أنا أَفَكِّرُ فيها وَأَجْمَعُ أطرافَ الحديث في شأنها إذا أنا برجل مسلم جزائريِّ ببرنوسه وقندوره وَقَفَ أمامي - لم يقف أمام حِسِّي ولكن وقف أمام حَيَالِي - وأخذ ذلك الرَّجُلُ يُخَاطِبُنِي بِشِدَّةٍ وعنجهية ويقول :

« انتم تُفَكِّرُونَ في تعليم المرأة فَلِمَنْ تَعْلَمُونَهَا ؟ لي أنا الرجل الجاهل كَيْتَمَنَ لَهَا ما يَقَعُ لِلعَالِمِ الضَّعِيفِ المفلوبِ مِنَ الجاهل القويِّ الغالبِ وَمَنْ يَعْلَمُهَا ؟ أنا الجاهل ! كيف أَتْرُكُ لِنَفْسِي وَأَهْلِمُهَا ؟

« انتم تفكرون في نَزْعِ حجابها وَخَلْطِهَا بالمجتمعات الأخرى تخالون عليها فَيُتْرِكُهَا ؟ كَلَّا قَائِلِينَ عَلَيْهَا الأخرى تخالون إِيَّاهُ ؟ كَلَّا سَائِلِينَهَا وَلَتَرَيْنَ مِنِّي كُلَّ أنواعِ التَّعْلُوقِ والأذى !

« إذا أَتْرُكُتمُ التفكيرَ الصحيحَ والإصلاحَ المُتَوَجَّهَ لِكُلِّ رَأْسٍ قَبْلَهَا ، فإنا أبوها ، ودوجها وولديها وَمُتَضَدِّ حَيْرِهَا وشرها .

« وإذا أَتْرُكُتمُ إِسْلَاحَهَا الحقيقيَّ كَأَنَّكُمْ إِحْبَابُ الجهل من قَبْلِهَا قبل ان ترفعوا حجاب السُّنَنِ من وَجْهِهَا ، لأن حجاب الجهل هو الذي أَحْرَقَهَا . وأما إِحْبَابُ السُّنَنِ فإنه ما سَرَّهَا في رمان تَعْلُومِهَا فقد بلفت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا هالبا في العلم وَهُنَّ مُتَحَيِّجَاتٌ . قَلَيْتُ شِعْرِي ما الذي يَدُهْوُكُمْ اليومَ إلى الكلام في كُشْفِ الوجوه قبل كل شيء ... ! » .

فأمام هذا الرَّجُلِ الحَبَالِي المُرِيبِ وَحُجُجِهِ الدَّامِغَةَ ما وَسَمَنِي إلا المُدُونِ عن التفكير في المرأة إلى التفكير في الرجل فَأَخْتَرْتُ موضوعَ المقالةِ : « الرَّجُلُ المُسْلِمُ الجزائري » .

المراد من الموضوع :

هذا موضوع مُتَعَمِّلٌ ، فالرجل المسلم الجزائري مَوْضُوعٌ بحوثٍ طويلة من نَوَاحٍ عديدة لكنني أتكلَّم عليه من نواحٍ ثلاث : رُجُوعُهُ ، إِسْلَامِيَّتُهُ ، جَزَائِرِيَّتُهُ .

(*) ابن باديس حباه وآثاره : ج 3 .

الرجل :

حُيِّقَ الرجل قوتياً ، مُتَهَيِّئاً بما مُنِحَ مِنَ القوة للقيام بما يقتضيها من عظامِ الامور وَجَلَّالِ الاعمال ، للإنسانية التي هو فرد منها ، للوطن الذي هو من تَبَاتِيهِ ، وللبلد الذي هو من سَكَّانِهِ ، للبيت الذي هو رئيسه .

هو رئيس البيت ، و « الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » فعليه واجب الرعاية : بِالسَّمِيِّ وَالتَّكْسِبِ ، بِالتَّهْلِيْبِ وَالتَّعْلِيمِ ، لِلزَّوْجَةِ ، لِلأَبْنَاءِ ، لِلبنات ، « يَا أَيُّهَا الدِّينُ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ، وله حق الولاية : « وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ » دَرَجَةُ الْوَالِيَةِ بِالنَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّسْيِيرِ ، فهو السيد في بيته ليكون سيدياً في قومه . وَالسِّيَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِالنَّفْعِ وَالعَمَلِ الْمُنْتَجِ . فسيدي البيت هو الأكثر عملاً وَالأَجْلَبُ نفعاً له ، وسيدي الوطن هو الأعمَلُ وَالأَنْفَعُ فِي سبِيلِهِ . فَالسِّيَادَةُ حِظُّ الْعَامِلِينَ عَلَى دَرَجَاتِهِمْ فِي الْعَمَالِ .

المسلم :

هو الْمُنْدَرِجُ بِالإِسْلَامِ . وَالإِسْلَامُ عَقَائِدُ وَأَعْمَالٌ وَاخْلَاقٌ بِهَا السَّعَادَةُ فِي الدَّارَيْنِ . أَمَّا تَخْوِصِيلُهَا لِسَعَادَةِ الْآخَرَى فَمَا بِهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَفَاءِ .

وَأَمَّا تَحْوِيلُهَا لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ صَارَ فِي هَذِهِ الْعَصُورِ الْمَتَأَخَّرَةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِمَّا يَخْفَى ، مَعَ أَنَّ دَفْوَتَهُ إِلَى تَحْوِيلِ السَّعَادَةِ وَالسِّيَادَةِ فِي الدُّنْيَا فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ كَثِيرَةٌ جَدًّا .

نَدَمًا إِلَى الْعِلْمِ بِمَثَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » وَلِلْفَلَاحَةِ بِمَثَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا » وَإِلَى الصَّنَاعَةِ وَإِتْقَانِهَا بِمَثَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَنْ أَعْمَلَ سَاعَاتِي وَقَدِيرٌ فِي السَّرْدِ » وَإِلَى التَّجَارَةِ بِمَثَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « قَادِمًا فَفُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ » ، كَمَا سَقَى الْعِبَادَةَ ابْتِغَاءً مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فَقَالَ تَعَالَى : « وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا »

وهو إلى هذا دِينُ السَّلَامَةِ وَ « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِيهِ » ، وَدِينُ الْمَحَبَةِ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وَدِينُ السِّيَادَةِ بِالْعَدْلِ وَالسَّعَادَةِ بِالْإِحْسَانِ « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » .

الجزائري :

إِنَّمَا يُنْسَبُ لِلْوَطَنِ أَفْرَادَهُ الَّذِينَ تَرْتَبِطُهُمْ ذِكْرِيَاتُ الْمَاضِي ، وَمَصَالِحُ الْحَاضِرِ ، وَأَمَالُ الْمُسْتَقْبَلِ . فَالَّذِينَ يَعْمُرُونَ هَذَا الْقَطْرَ وَتَرْتَبِطُهُمْ هَذِهِ الرُّوَابِطُ هُمُ الْجَزَائِرِيُّونَ .

وَالنَّسَبُ لِلْوَطَنِ تَوْجِبُ عِلْمَ تَارِيخِهِ ، وَالقِيَامَ بِوَجَائِبِهِ ، مِنْ نَهْضَةٍ عِلْمِيَّةٍ ، وَاِقْتِصَادِيَّةٍ ، وَعِمْرَانِيَّةٍ ، وَالْمَحَافِظَةَ عَلَى شَرَفِ أَسْمِهِ ، وَسَمْعَةَ بَنِيهِ ، فَلَا شَرَفَ لِمَنْ لَا يَحَافِظُ عَلَى شَرَفِ وَطْنِهِ ، وَلَا سَمْعَةَ لِمَنْ لَا سَمْعَةَ لِقَوْمِهِ .

طريق العلم بهذا والعمل به :

هذه الحقائق التي ذكرناها ، بها يكون الرجل رجلا ، والمسلم مسلما ، والجزائري جزائريا ، فتهديب الرجل وتعليمه لا يكون إلا بالعلم والعمل بها . وما ذلك إلا بيئتها : بالمحاضرات في النوادي ، بالدروس العامة في المساجد ، بالخطب الجماعية على المنابر .

وإذا كانت هذه طريقتنا للتعليم العام فعلينا ان نجعلها في أول ما نهتمُّ به من شؤون اصلاحنا اذ لو كانت هي كما يجب ان تكون وقامت بواجبها كما يجب ان تقوم لكننا على حال غير ما نحن عليه اليوم .

وفي كثير من الرجال المتصلين بها لنا اعظم الآمال .

شقيقة الرجل وشريكته :

ان العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في الخلقة والتكليف وشريكته في البيت والحياة .

هما زوجان متلازمان لا تكمل الوحدة البشرية الا بكاملهما . وما الوحدة البشرية في ضرورة الزوجين لتكوينها الا كسائر المخوقات الساري عليهما قانون الزوجية العام . مصداق قوله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » ،

ويعم هذا القانون جميع المخوقات ومنها الانسان ، كما قال تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ اَزْوَاجًا »

هذا دليل الخلقة على ما بين الرجل والمرأة من لحمة اتصال ، وما لكل واحد منهما على الآخر من توقف لبلوغ الكمال .

اما ادلة ذلك من الشرع فآيات عدة . منها قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » و « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا » « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » و « هُنَّ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُنَّ » .

هو الاول ، وهي الثانية :

هما - على ما بينهما من هذا التشارك والتلازم والاتصال - فانه هو المقدم عليها ، والقيوم على شأنها ، والمسؤول عن انهاضها .

تشهد بهذا الفطرة الظاهرة في ضعف خلقها ، والتاريخ البشري بما فيه من مدنيات قديمة وحديثة كلها قامت على كواهل الرجال . ويشهد به الدين في قوله تعالى : « الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » .

المرأة المسلمة الجزائرية :

نَرَى حَقًّا عَلَيْنَا بَعْدَمَا تَكَلَّمْنَا عَلَى الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ الْجَزَائِرِيِّ أَنْ نَتَكَلَّمَ شَيْئًا عَنِ الْمَرَأَةِ الْمُسْلِمَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ مِنْ نَوَاحِيهَا الثَّلَاثِ أَيْضًا :

المرأة : خلقت لحفظ النسل ، وتربية الانسان في اضعف أطواره « وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا » فهي ربة البيت وراعيته والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به . فعلينا ان نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها ، ونُرَبِّيها على الأخلاقِ الْيُسُوبِيَّةِ التي تكون بها المرأة امرأة لا يَصِفُ رَجُلٌ وَنِصْفُ امْرَأَةٍ . فالتِّي تَلِدُ لَنَا رَجُلًا يَطِيرُ خَيْرٌ مِنَ التي تَطِيرُ بِنَفْسِهَا .

المسلمة : « لَهَنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ » فعلينا ان نعلمها ما تكون به مسلمة ونعرفها من طريق الدين ما لها وما عليها ونفقهها في مثل قوله تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْغَاشِقِينَ وَالْغَاشِقَاتِ وَالْمُتَّصِلِينَ وَالْمُتَّصِلَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَالِفِينَ وَالْحَالِفَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » .

الجزائرية : بدينها ولفتها وقوميتها فعلينا ان نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادًا منا ولنا ، يحفظون أمانة الاجيال الماضية للاجيال الآتية ، ولا ينكروا أصلهم وإن انكروهم العالم بأسره ، ولا يتنكروا لامتهم ولو تنكروا لهم الناس أجمعون .

الطريق الموصول إلى هذا : هو التعليم : تعليم البنات تعليماً يناسب خلقهن ودينهن وقوميتهن . فالجاهلة التي تلد أبناءً للامة يعرفونها مثل أمهاتنا - عليهن الرحمة - خيرٌ من العالمة التي تلد للجزائر أبناءً لا يعرفونها ، تعليم كل واحدٍ لأهله بما عنده من علم .

وبوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة ، والطريق السابق في تعليم الرجل سلوكاً جدياً نكون - بإذن الله - قد نهضنا بهما نهضةً صحيحة نرجو من ورائها كل خيرٍ وكمال (*) !

(*) ابن باديس - حياته وآثاره - ج 3 -

هـ - لمن أعيش (*)

أعيش للإسلام والجزائر

« قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ : إِنَّ هَذَا ضَيْقٌ فِي النَّظَرِ ، وَتَعَصَّبَ لِلنَّفْسِ ، وَقَصُورٌ فِي الْعَمَلِ ، وَتَقْصِيرٌ فِي النَّفْعِ . فَلَيْسَ الْإِسْلَامُ وَحْدَهُ دِينًا لِلْبَشَرِيَّةِ ، وَلَا الْجَزَائِرُ وَحْدَهَا وَطَنُ الْإِنْسَانِ ، وَلَا وَطَنُ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا حَقٌّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَلِكُلِّ دِينٍ مِنْ أَدْيَانِهَا حَقٌّ مِنَ الْاحْتِرَامِ . »

فَأَقُولُ : نَعَمْ إِنَّ خِدْمَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي جَمِيعِ شُعُوبِهَا ، وَالْحَدَبِ عَلَيْهَا فِي جَمِيعِ أَوْطَانِهَا ، وَاحْتِرَامِهَا فِي جَمِيعِ مَظَاهِرِ تَفَكِيرِهَا وَتَرْغَاتِهَا - هُوَ مَا نَقْصِدُهُ وَتُرْمِي إِلَيْهِ ، وَنَعْمَلُ عَلَى تَرْبِيَّتِنَا وَتَرْبِيَّةِ مَنْ إِلَيْنَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الدَّائِرَةُ الْإِنْسَانِيَّةَ الْوَاسِعَةَ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ التَّوَصُّلُ إِلَى خِدْمَتِهَا مُبَاشَرَةً وَنَفْعِهَا دُونَ وَاسِطَةٍ ، فَوَجِبَ التَّفَكِيرُ فِي الْوَسَائِلِ الْمَوْصَلَةِ إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ وَإِصَالِ هَذَا النَّفْعِ .

وَنَحْنُ لَمَّا نَظَرْنَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَجَدْنَاهُ الدِّينَ الَّذِي يَحْتَرِمُ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي جَمِيعِ أَجْنَاسِهَا ، يَقُولُ : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (١) ! وَيَقَرُّرُ التَّسَاوِي وَالْأَخُوَّةَ بَيْنَ جَمِيعِ تِلْكَ الْأَجْنَاسِ ، وَيَبَيِّنُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَجْنَاسًا ، لَا لِلتَّفْضِيلِ ، وَأَنَّ التَّفَاضُلَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَقَطْ ، يَقُولُ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (٢) . وَيَدْعُو تِلْكَ الْأَجْنَاسَ كُلَّهَا إِلَى التَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ بِمَا يَجْمَعُهَا مِنْ وَحْدَةِ الْأَصْلِ وَوَسَائِلِ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ يَقُولُ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) (٣) . وَيَقَرُّرُ التَّضَامُنَ الْإِنْسَانِيَّ الْعَامَّ بِأَنَّ الْإِحْسَانَ إِلَى وَاحِدٍ إِحْسَانٌ إِلَى الْجَمِيعِ ، وَالْإِسَاءَةَ إِلَى وَاحِدٍ إِسَاءَةٌ إِلَى الْجَمِيعِ ، يَقُولُ : (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسِ

(*) ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 ، ص 233 .

(١) سورة الاسراء ، آية رقم 70 .

(٢) سورة الحجرات ، آية رقم 13 .

(٣) سورة النساء ، الآية الاولى .

أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا^(١) . وَيَعْتَرَفُ بِالْأَذْيَانِ الْأُخْرَى وَيَحْتَرِمُهَا وَيُسَلِّمُ أَمْرَ التَّصَرُّفِ فِيهَا لِأَهْلِهَا : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)^(٢) ، وَيَقَرَّرُ شَرَائِعَ الْأَمَمِ وَيَمَوِّنُ عَلَيْهَا شَأْنَ الْأَخْتِلَافِ وَيَدْعُوهَا كُلَّهَا إِلَى التَّسَابُقِ فِي الْخَيْرَاتِ يَقُولُ : (لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيْمَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَشِقُوا الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)^(٣) ، وَيُؤَمِّنُ بِالْعَدْلِ الْعَامِّ مَعَ الْعَدْوِّ وَالصَّدِيقِ ، يَقُولُ : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا ، إَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)^(٤) ، . . . وَيَحْرِمُ الْإِعْتِدَاءَ تَحْرِيمًا عَامًّا عَلَى الْبَيْضِ وَالْحَسْبِ ، يَقُولُ : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا)^(٥) . وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ الْعَامِّ ، يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)^(٦) وَيَأْمُرُ بِحُسْنِ التَّخَاطُبِ الْعَامِّ يَقُولُ : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)^(٧) .

فَلَمَّا عَرَفْنَا هَذَا وَأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ - وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي فَطَرَنَا عَلَيْهِ اللَّهُ يَقْضِيهِ - عَلَيْنَا أَنَّهُ دِينُ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِي لَا نَجَاةَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِهِ ، وَأَنَّ خِدْمَتَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ أَصُولِهِ ، وَأَنَّ إِصَالَ النَّفْعِ إِلَيْهَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ ، فَعَاهِدْنَا اللَّهَ عَلَىٰ أَنْ نَقِفَ حَيَاتِنَا عَلَىٰ خِدْمَتِهِ وَنَشِرْ هِدَايَتِهِ ، وَخِدْمَتَهُ كُلِّ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ وَمِنْ نَاجِيَتِهِ . فَإِذَا عِشْتُ لَهُ فَإِنِّي أَعِيشُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ لِخَيْرِهَا وَسَعَادَتِهَا فِي جَمِيعِ أَجْنَاسِهَا وَأَوْطَانِهَا ، وَفِي جَمِيعِ مَظَاهِرِ عَاطِفَتِهَا وَتَفَكِيرِهَا ، وَمَا كُنَّا لِنَكُونَ هَكَذَا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الَّذِي نَدِينُ بِهِ وَنَعِيشُ لَهُ وَنَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِ .

فَهَذَا - أَيُّهَا الْإِحْوَانُ - مَعْنَى قَوْلِي : (إِنِّي أَعِيشُ لِلْإِسْلَامِ) .

أَمَّا الْجَزَائِرُ فَهِيَ وَطَنِي الْخَاصُّ الَّذِي تَرْتَبِطُ بِأَهْلِهِ رَوَابِطٌ مِنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ بِوَجْهِ خَاصٍّ وَتَقْرِضُ عَلَيَّ تِلْكَ الرِّوَابِطُ لِأَجْلِهِ - كَجَزءٍ مِنْهُ -

(١) سورة المائدة ، آية رقم 6

(٢) سورة المائدة ، آية رقم 8

(٣) سورة النحل ، آية رقم 90

(١) سورة المائدة ، آية رقم 32

(٣) سورة المائدة ، آية رقم 48

(٥) سورة المائدة ، آية رقم 2

(٧) سورة البقرة ، آية رقم 83

فَرُوضًا خَاصَّةً ، وَأَنَا أَشْعُرُ بِأَنَّ كُلَّ مَقْوَمَاتِي الشَّخْصِيَّةِ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْهُ مَبَاشَرَةً ، فَأَرَى مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ تَكُونَ خَدْمَاتِي أَوْلَ مَا تَتَّصِلُ بِشَيْءٍ تَتَّصِلُ بِهِ مَبَاشَرَةً . وَكَمَا أَنَّي كَلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا وَجَدْتَنِي فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ : إِلَى رِجَالِهِ وَإِلَى مَالِهِ وَإِلَى حَالِهِ وَإِلَى آلِيهِ وَإِلَى أَمَلِهِ - كَذَلِكَ أَجِدُنِي إِذَا عَمِلْتُ ، قَدْ خَدَمْتُ بِعَمَلِي نَاجِيَةً أَوْ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ . هَكَذَا هَذَا الْإِتِّصَالُ الْمُبَاشِرُ أَجِدُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ وَطَنِي الْخَاصِّ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ . وَأَحْسِبُ أَنَّ كُلَّ ابْنِ وَطَنٍ يَعْمَلُ لَوْطَنِهِ لَا بُدَّ أَنْ يَجِدَ نَفْسَهُ مَعَ وَطَنِهِ الْخَاصِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَبَاشَرَةِ وَهَذَا الْإِتِّصَالِ .

نَعَمْ إِنَّ لَنَا وَرَاءَ هَذَا الْوَطَنِ الْخَاصِّ أَوْطَانًا أُخْرَى عَزِيزَةٌ عَلَيْنَا ، هِيَ دَائِمًا مَتًّا عَلَى بَالِي ، وَنَحْنُ فِيهَا نَعْمَلُ لَوْطَنِنَا الْخَاصِّ نَعْتَفِدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ قَدْ خَدَمْنَاهَا وَأَوْصَلْنَا إِلَيْهَا النِّفْعَ وَالْخَيْرَ مِنْ طَرِيقِ خَدْمَتِنَا لَوْطَنِنَا الْخَاصِّ .

وَأَقْرَبُ هَذِهِ الْأَوْطَانِ إِلَيْنَا هُوَ الْمَغْرِبُ الْأَدْنَى وَالْمَغْرِبُ الْأَقْصَى ، اللَّذَانِ مَا هُمَا وَالْمَغْرِبُ الْأَوْسَطُ إِلَّا وَطَنٌ وَاحِدٌ لُغَةً وَعَقِيدَةً وَأَدَابًا وَأَخْلَاقًا وَتَارِيخًا وَمَصْلَحَةً ، ثُمَّ الْوَطَنُ الْعَرَبِيُّ وَالْإِسْلَامِيُّ ، ثُمَّ وَطَنُ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامَّةِ . وَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نُؤَدِّيَ خِدْمَةَ مُشِيرَةً لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا إِلَّا إِذَا خَدَمْنَا الْجَزَائِرَ . وَمَا مَثَلْنَا فِي وَطَنِنَا الْخَاصِّ - وَكُلِّ ذِي وَطَنٍ خَاصِّ - إِلَّا كَمَثَلِ جَمَاعَةِ ذَوِي بَيْوتٍ مِنْ قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ . فَبِخِدْمَةِ كُلِّ وَاحِدٍ لِبَيْتِهِ تَتَكَوَّنُ مِنْ جَمِيعِ الْبَيْوتِ قَرْيَةٌ سَعِيدَةٌ رَاقِيَةٌ ، وَمَنْ صَبَّحَ بَيْتَهُ فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعٌ . وَيَقْدِرُ قِيَامُ كُلِّ وَاحِدٍ بِأَمْرِ بَيْتِهِ تَتَرَقَّى الْقَرْيَةُ وَتَسْعَدُ ، وَيَقْدِرُ إِهْمَالُ كُلِّ وَاحِدٍ بَيْتَهُ تَشْقَى الْقَرْيَةُ وَتَنْحَطُّ .

فَنَحْنُ إِذَا كُنَّا نَخْدُمُ الْجَزَائِرَ فَلَسْنَا نَخْدُمُهَا عَلَى حِسَابِ غَيْرِهَا وَلَا لِلْإِضْرَارِ بِسِوَاهَا - مَعَاذَ اللَّهِ - وَلَكِنْ لِنَنْفَعَهَا وَنَنْفَعُ مَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ أَوْطَانِ الْأَقْرَبِ قَالًا قَرَبًا .

هَذَا - أَيُّهَا الْإِخْوَانُ - هُوَ مَرَادِي بِقَوْلِي : (إِنِّي أَعِيشُ لِلْجَزَائِرِ) ، وَالْآنَ - أَيُّهَا الْإِخْوَانُ - وَقَدْ فَيَّهَمْتُونِي وَعَرَّفْتُمْ سُمُوفِكُمْ فِكْرَةَ الْعَيْشِ لِلْإِسْلَامِ وَالْجَزَائِرِ ، فَهَلْ تَعِيشُونَ مِثْلِي لِلْإِسْلَامِ وَالْجَزَائِرِ ؟

- نَعَمْ ! نَعَمْ ! بِصَوْتٍ وَاحِدٍ .

- فَلَنَقُلْ كُلُّنَا : لِيُخِيَا الْإِسْلَامَ ، لَتُخِيَا الْجَزَائِرَ .

و - عيد الفطر المبارك

تهنئة به إلى الأمة الجزائرية

« كُنَّا قَبْلَ الْيَوْمِ نَهْتَمُّ بِالْأُمَّةِ الْجَزَائِرِيَّةِ بِمِثْلِ هَذَا الْعِيدِ ، وَلَيْسَ لَهَا مِنْ مَظَاهِرِ السَّعَادَةِ مَا تَهْنَأُ بِهِ إِلَّا مَا تَرْجُوهُ لَهَا وَنَأْمَلُ .

أَمَّا الْيَوْمَ ، فَأِنَّا نَهْتَمُّ وَهِيَ فِي طَوْرِ جَدِيدٍ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهَا هُوَ أَسَاسُ سَعَادَتِهَا ، طَوْرٌ سَامَتْ بِهِ شَقِيقاتُهَا هُنَا وَهُنَاكَ ، فَتَهْنَأُ وَمِنْ أَبْنَائِهَا مَنْ هُوَ سَجِينٌ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ وَالْهِدَايَةِ ، وَمَنْ هُوَ سَجِينٌ فِي سَبِيلِ السِّيَاسَةِ وَالْحُقُوقِ الْمُعْصُوبَةِ . أُمَّةٌ أَخَذَتْ تَقَدِّمَ الصَّحَايَا فِي سَبِيلِ سَعَادَتِهَا ، حَقِيقَةٌ بِأَنَّ تَنَالَ السَّعَادَةَ ، وَبِأَنَّ تَهْنَأَ بِهَا ، فَتَهَانِينَا إِلَيْهَا بِعِيدِهَا وَسَعَادَتِهَا . » .

ز - شعب الجزائر

حَيِّتْ يَا جَمْعَ الْأَدَبِ	وَرَقِيتْ سَامِيَةَ الرُّتَبِ
وَوَقِيتْ شَرَّ الْكَائِدِينَ	ذَوِي الدَّسَائِسِ وَالشَّعْبِ
وَمُنِحَتْ فِي الْعَلِيَاءِ مَا	تَسْبُو إِلَيْهِ مِنْ أَدَبِ
أَحْيَيْتْ مَوْلِدَ مَنْ بِهِ	حَيِي الْأَنَامَ عَلَى الْحَقِّبِ
أَحْيَيْتْ مَوْلِدَهُ بِمَا	يَبْرِي النَّفُوسَ مِنَ الْوَصَبِ
بِالْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالْإِيَّ	خَلَاقِ فِي نَشْءٍ عَجَبِ
نَشْءٍ عَلَى الْإِسْلَامِ أَسْسُ	بِنَائِهِ السَّامِيِ اتَّصَبِ
نَشْءٍ بِحُبِّ مُحَمَّدٍ عَدَاةً	أَشْيَاخُ نُجَبِ
فِيهِ أَقْتَدَى فِي سَيْرِهِ	وَالْحَقِّ ، اتَّسَبِ
وَعَلَى الْقُلُوبِ الْخَافِقَا	تِ إِلَيْهِ رَايَتَهُ نَصَبِ
بِالرُّوحِ يَفْدِيهَا وَمَا	يُبْرِي النَّفُوسَ مِنَ التَّسَبِ
وَيُخْلِقُهُ يَحْيِي حِمَا	هَا أَوْ بِكَارِقَةِ الْغَضَبِ
حَتَّى يَعُودَ لِقَوْمِهِ	مِنْ عَزِيمِهِ مَا قَدْ دَهَبِ
وَيَرَى الْجَزَائِرَ رَجَعَتْ	حَقَّ الْحَيَاةِ الْمُسْتَلَبِ

يَا نَسْرَةَ، يَا دُخْرَ الْجَزَا تُرِي فِي الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ
صَدَحَتْ بِلَايِكَ الْفِصَا حُ فَعَمَّ مَجْمَعَنَا الطَّرْبِ
وَأَذَقْتَنَا طَعْمًا مِنَ الْفُضْحَى أَلَذَّ مِنَ الضَّرْبِ
وَأَرَيْتَ لِلْأَبْصَارِ مَا قَدْ فَرَّرْتَهُ لَكَ الْكُتْبِ
شَعَبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَّبُ
أَوْ رَامَ لِإِدْمَاجًا لَهُ رَامَ الْمُحَالَ مِنْ الطَّلَبِ
يَا نَسْرَةَ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبُ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا وَخُضِ الْعُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
وَارْزُقْ مَنْارَ الْعَدْلِ وَالْإِي حَسَانِ وَأَصْدِمَ مَنْ عَصَبُ
وَأَذِقْ نَفُوسَ الطَّالِبِينَ السُّمَّ يُمَزِّجُ بِالرَّهْبِ
وَأَقْلَعْ جُدُورَ الْعَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلُّ الْعَطْبِ
وَاهْرُزْ نَفُوسَ الْجَائِدِينَ فَرَّبْنَا حَيِيَ الْخَشَبِ
يَا قَوْمِ هَذَا نَشُوكُمْ وَإِلَى الْمَعَالِي قَدْ وَثَبُ
كُونُوا لَهُ يَكُنْ لَكُمْ وَإِلَى الْأَمَامِ ابْنًا وَأَبُ
نَحْنُ الْأَلَى عَرَفَ الرِّمَانُ قَدِينَنَا الْجَمَّ الْحَسَبِ
وَمَعِينِ ذَلِكَ الْمَجْدِ فِي نَسْلِ الْعُرُوبَةِ مَا نَضَبُ
وَقَدْ اتَّبَعْنَا لِلْحَيَاةِ أَخِذِينَ لَهَا الْأَهَبُ
لِنَحْلَ مَرْكَزَنَا الَّذِي بَيْنَ الْأَنَامِ لَنَا وَجَبُ
فَنَزِيدُ فِي هَذَا الْوَرَى ، عَضُوءًا شَرِيفًا مُنْتَخَبُ
نَدْعُو إِلَى الْحُسْنَى وَنُؤِ لِي أَهْلَمَا مِنَّا الرَّغْبُ
مَنْ كَانَ يَنْبَغِي وَدَّنَا فَعَلَى الْكِرَامَةِ وَالرَّحَبُ
أَوْ كَانَ يَنْبَغِي ذَلَّنَا فَلَهُ الْمَهَانَةُ وَالْحَرْبُ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بِالنُّوْرِ خُطٌّ وَبِاللَّهَبُ
هَذَا لَكُمْ عَهْدِي بِهِ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرْبِ
فَإِذَا هَلَكْتُ فَصِيحَتِي تَحِيًّا الْجَزَائِرُ وَالْعَرَبُ

تعريف وتمهيد :

« محمد البشير الابراهيمي » رائد من رواد النهضة الفكرية في الجزائر ، بدأ حياته الدراسية في قرية أولاد براهم ، ولاية سطيف ، بالشرق الجزائري ، ثم انتقل الى المشرق العربي ، واستقر زمتا طويلا في المدينة المنورة ، وبعد طوافه تَزَوَّد فيه من الثقافة العربية والإسلامية ، عاد الى الجزائر ليؤسس مع رفيق كفاحه الشيخ « عبد الحميد بن باديس » جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وظل يناضل في سبيل تخليص بلادنا من الاستعمار الفرنسي حتى تحقق الاستقلال . توفي عام 1965 م

وقد كان الاستعمار الفرنسي حريصا على استمرار بقائه في الجزائر ليستغل خيراتها وطاقات شعبها ، فركز جهوده على تدويب الشخصية الجزائرية ، مستخدما في سبيل تحقيق أغراضه الاستعمارية وسائل متعددة من أهمها : محاولة إفساد الدين الإسلامي ، وتشويه اللغة العربية ، وتحطيم القيم الخلقية العالية ، وبَثِّ العادات السيئة في نفوس الشباب ، ونَشْر الجهل واليأس بين المواطنين .

ولكن أصالة الشعب الجزائري وقفت بالمرصاد امام اطماعه ، فكلما انطفأ وميض ثورة شعبية أو حركة إصلاحية اشتعلت أخرى !

والبشير الابراهيمي يؤمن بأن الشباب أمل الأمة ، وعُدَّة المستقبل ، ولن يُفْلِح في بناء أمته إلا إذا تحلَّى بالأخلاق الفاضلة وتمسك بالمبادئ الرفيعة . فهو ما فتنى يعمل على توجيهه الوجهة السليمة بالدروس والمحاضرات والمقالات . وقد كتب عدَّة مقالات نَشَرها في « البصائر » ، وَجَّه فيها الشباب ، وقَدَّم له مجموعة من المثل الأخلاقية العالية - التي إن تمثلها وعول بعدها حقق لشعبه ما يريجه من أهداف وآمال - ومن بينها نقدم لك النص التالي :

النص :

(١)

« أتمنَّه مُتَسَامِيًا الى معالي الحياة ، عَرِيْدًا^(١) الشباب في طلبها ، طائِعًا^(٢) عن القيود العائقة دونها ، جامحًا عن الأئنة^(٣) الكابحة^(٤) في ميَدانها ، مُتَقِدَّ العَرَمَاتِ تكادُ تحتدِّمُ جوانبُه من ذكاء القلب ، وشهامة الفؤاد ، ونشاط الجوارح . »

1 - عرييد : العرييد في أصل استعمالها : السبيء الخلق ، وتطلق على مدمن الشراب والمراد بها هنا إدمان الطلب والاستمرار فيه . 2 - طائعا : متجاوزا القيود . 3 - الأئنة : جمع عنان ، وهو زمام الدابة التي تقاد به . 4 - الكابحة : من كبح جماحه : أي أخضعه وردعه .

(ب)

« أَمَثَلُهُ يُقَدِّمًا عَلَى الْعِظَائِمِ فِي غَيْرِ تَهْوُرٍ (5) ، مُحَجَّجًا عَنِ الصَّغَائِرِ فِي نِيرِ
جُبِينٍ ، مُقَدِّرًا مَوْعِدَ الرَّجْلِ قَبْلَ الْخَطْوِ ، جَاعِلًا أَوَّلَ الْفِكْرِ آخِرَ الْعَمَلِ » .

(ج)

« أَمَثَلُهُ مُوَسِّعُ الْوُجُودِ ، لَا تَقِفُ أَمَامَهُ الْحُدُودُ ، يَرَى كُلَّ عَرَبِيٍّ أَخًا لَهُ أُخُوَّةَ
الْدِّمِ ، وَكُلَّ مُسْلِمٍ أَخًا لَهُ أُخُوَّةَ الدِّينِ ، وَكُلَّ بَشَرٍ أَخًا لَهُ أُخُوَّةَ الْإِنْسَانِيَّةِ ، ثُمَّ يُعْطِي
لِكُلِّ أُخُوَّةٍ حَقَّهَا فَضْلًا وَعَدْلًا » .

(د)

« أَمَثَلُهُ حِلْفَ عَمَلٍ لَا حَلِيفَ يَطَالِقُهُ ، وَحِلْسَ (6) مَعْمَلٍ لَا حِلْسَ مَقْمِي ، وَبَطْلَ
أَعْمَالٍ لَا مَاضِغَ أَقْوَالٍ ، وَمُوتَادًا (7) حَقِيقَةً لَا رَائِدًا خِيَالٍ !

(هـ)

« أَمَثَلُهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالنَّفْعِ ، إِقْبَالَ النَّحْلِ عَلَى الْأَزْهَارِ وَالشِّمَارِ
لِتَصْنَعِ الشُّهُدَ وَالشَّمْعَ ، مُقْبِلًا عَلَى الْإِرْتِزَاقِ إِقْبَالَ النَّمْلِ تَحِدُّ لِيَتَحَدَّ وَتَدَخِرُ لَتَنْفَخِرَ .
وَلَا تُبَالِي مَا دَامَتْ دَائِبَةٌ (8) ، أَنْ تَرْجِعَ مَرَّةً مُنْجِحَةً (9) ، وَمَرَّةً خَائِبَةً .

(و)

أحب منه ما يجب القائل :

أَحِبُّ الْقَتَى بِنَبِيِّ الْفَوَاحِشِ (70) سَمِعُهُ
كَأَنَّ بِهِ عَنَ كُلِّ فَاحِشَةٍ () وَفَرَا (71)

وَأَهْوَى مِنْهُ مَا يَهْوَى الْمُتَنَبِّي :

وَأَهْوَى مِنَ الْفَتِيَانِ كُلِّ سَمِيدَعٍ (72)
أَرِيبُ (73) كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمَقْوَمِ
بِهِ الْخَيْلُ كَبَاتٍ (74) الْخَيْسِ الْعَرْمَرَمِ (76)

حَطَّتْ تَحْتَهُ الْعَيْسُ (74) الْفَلَاةُ وَخَالَطَتْ

(ز)

يَا شَبَابَ الْجَزَائِرِ : هَكَذَا كُونُوا . . أَوْ لَا تَكُونُوا . .

5 - التهور : الروع في الامر بقلة مبالاة . 6 - حلس معمل : الحلس ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج ، وما ييسط في البيت على الارض تحت حر الثياب والمتاع ، والمقصود هنا : انه ملازم للعمل وغير ملازم للمقهي . 7 - موتاد حقيقة : باحث منها . 8 - دالبة : مستمرة في العمل . 9 - منجحة : ناجحة . 10 - الفاحشة : القبيح من القول والفعل . 11 - وفر : صمم . 12 - سميدع : شجاع . 13 - اريب : عاقل بصير بالامور . 14 - العيس : الابل . 15 - كبات : جماعات . 16 - الخيس العرموم : الجيش الكثير العدد والعدة .

شرح وايضاح :

تمثل خواطر الكاتب في هذا النص مجموعة من المبادئ والقيم التي يتمنى أن يتخذها الشباب الجزائري مثلا أعلى ، يسير على منواله . ويمكن توضيح هذه المبادئ فيما يلي :

(أ) الدعوة الى طلب العلا في الحياة ، والوصول الى اعلى درجات المجد والرفعة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والادبية ، مهما كانت العقبات التي تقف في طريق التقدم ، أو تحول دون تحقيقه ، والوصول الى مثل هذه الدرجات العالية في الحياة يتطلب من الشباب بذل جهود كبيرة ، وعملا متصلا وعزما ثابتا ، ارادة قوية ، وقلبا جريئا شجاعا .

(ب) الدعوة الى التريث في الأمور ، والتعقل في تدبيرها ، فلا يتهيب الصعب منها ، ولا يقدم عليها دون التفكير فيها ، ولا يفعل الصغار من الأمور ، ولا يشعر بأن البعد عنها والهرب منها جبن أو هزيمة . وعلى الشباب الواعي أن يتأمل ويتدبر كل عمل يقدم عليه قبل البدء فيه ، وإذا بدأ فيه فعليه أن يظل يقظا متديرا الى أن يفرغ من عمله .

(ج) التحرر من قيود العصبية ، وسمو النظرة في العلاقات الانسانية . والشباب الجزائري تربطه بالمجتمع العربي صلات الدم ، وبالمجتمع الاسلامي اخوة الدين ، وبالمجتمع الانساني اخوة البشرية . وكل هذه العلاقات تفرض عليه واجبات لا بد أن يلتزم بها ليحقق وجوده في المجتمع الذي يعيش فيه .

(د) البعد عن الصفات السيئة والتمسك بالأخلاق الحميدة من شجاعة ورزانة واحترام للوقت والجد ، فلا يضيع وقته عبثا متمسكا في الطرقات ، أو منغمسا بين رفاق السوء في المقاهي . وأن ينظر الى الحياة نظرة واقعية في تقدير الأمور ، فلا يستبد به الخيال ، أو يجنح به بعيدا عن الحقيقة .

(هـ) الجد في طلب العلم وتحصيل المعرفة واستخدامها في الخير والنفع لصالح نفسه ومجتمعه وانسانيته ، وأن يقبل على تحصيلهما في شغف ونهم . كما تقبل النحلة على امتصاص رحيق الأزهار والثمار لتقدم للناس الشهد اللذيذ .

وعليه أن يسعى الى غاياته النبيلة دون توقف أو تراجع ، حالفه الحظ أم خالفه ، فان الدنيا لا تبتسم للانسان دائما ، وهذا شأنها . وابتخذ الشباب من النملة الصغيرة مثلا عظيما في سعيها وراء رزقها دون المبالاة بما حققت من نجاح ، ما دامت تحقق وجودها في الدأب والعمل .

(و) ثم يلج الكاتب على أهم الصفات التي يتمنى أن يرى عليها الشباب الجزائري وهي الصفات التي اتصف بها أسلافه الأجداد من شجاعة القلب ، ورياسة العقل ، واستقامة الخلق ، والبعد عن القبيح من الأقوال والأعمال .

وأخيرا يحمل الكاتب نصيحة إلى الشباب فيقول لهم : إذا تمسكتم بهذه المبادئ السامية والأخلاق الرفيعة ، حققتم وجودكم في هذه الحياة ، وإذا ابتعدتم عن العمل بها ، فلا وجود لكم ولا حياة .

دراسة بلاغية :

يعتبر هذا النص من الأدب الاجتماعي الهادف الذي يرمي إلى تكوين المجتمعات السليمة عن طريق تهذيب الشباب وتربية نفوسهم ، وتزويدهم بالنصائح والمبادئ الحميدة .

واختيار مثل هذا الموضوع يدل على صدق الكاتب وأصالته ، فقد كان مريبا مخلصا ومصالحا أميناً ، يدرك أثر التربية في بناء الشعوب ، ويعرف قيمتها في تحقيق الحرية والاستقلال .

والنص مجموعة من الخواطر تدعو الشباب إلى التمسك بالقيم العالية . وليس هناك ترتيب بين هذه الخواطر حيث يمكن تقديم أي فكرة على الأخرى دون خلل بالمعنى أو فساد فيه ، ولكنها أفكار متجانسة فيما بينها تسير في خط واحد وتهدف إلى تحقيق غاية واحدة هي بناء الشباب الجزائري بناء قويا متينا .

وأفكار النص واضحة ، تدل على عمق وعي الكاتب بالحياة وتقديره المسؤولية الملقاة على عاتقه كرائد يبني دعائم أمة ويعيد للشعب الجزائري شخصيته العربية المسلمة . كما تعكس خبراته الطويلة التي استفادها من أسفاره ودراساته وكفاحه في مختلف الميادين .

وفي النص قيم إنسانية عظيمة ، تتمثل في دعوة الشباب إلى الالتزام ، فيتنزح في أداء واجباته نحو مجتمعه الجزائري الصغير ، ومجتمعه الإسلامي العربي الكبير ، ومجتمعه الإنساني الأكبر . وفيه قيم اجتماعية تتمثل في الدعوة إلى العمل وتمجيده ، ومحاربة البطالة والتفكير من آثارها ، واتخاذ العلم سلاحا في الحياة من أجل التقدم والنهوض .

وقد ألح الكاتب على المبادئ التي نادى بها ، ففكرها ، وهذا الإلحاح يدل على صدق الكاتب وإخلاصه في دعوته .

دراسة الأسلوب :

« البشير الابراهيمي » صاحب ثقافة عربية واسعة تظهر في جزالة أسلوبه وقدرته على التعبير عما يريد **بالفاظ موحية** وكلمات مختارة وعبارات قوية .

وأسلوبه في هذا النص امتداد لـ « **مدروسة الصنعة** » التي تهتم بانتقاء الألفاظ وتجويد العبارة وتزيينها بمختلف **الألوان البديعية** .

وفي النص تبدو ظاهرة **الاقتباس والاستشهاد** ، من ذلك قوله :

« **مقدرا موضع الرجل قبل الخطو** » .

فهو اقتباس من قول الشاعر :

« **قدم لرجلك قبل الخطو موضعها** » .

وكما مر بك في النص من استشهاد الكاتب بأبيات **المتنبي** وغيره من الشعراء .

وعبارات الكاتب واضحة وان كان في بعضها شئ من الغموض مثل قوله :

« **جاعلا أول الفكر آخر العمل** » .

فهو يريد بهذه الجملة تسليط الفكر على العمل حتى لا يقع الشباب في الاندفاع والتهور والأسلوب كله **خبري** ، فيما عدا العبارة الأخيرة :

« **يا شباب الجزائر . . .** » .

ففيها أسلوب **انثائي** هو النداء الذي يدل على التنبيه . وفيها أمر يشير الى التهديد والانذار ، ويوحى بحرص الكاتب على تمثل الشباب لدعوته وتمسكه بنصائحه

واستخدام الأسلوب **الخبري** يدل على **تفاؤل** الكاتب وثقته **الطلقة** في مستقبل شباب وطنه ، وحرصه على العمل بما نادى به !

واستمان الكاتب **بالصور البيانية** المتعددة . من ذلك قوله :

« **جامحا عن الأعنة** » .

فهذا تشبيه بليغ يصور قوة تمرد الشباب على الصعاب وتحطيمهم للمقبات التي تقف في طريق وصولهم الى المجد .

وقوله :

« **أتمشله مقبلا اقبال النحل** » .

تشبيه يدل على مواصلة الكفاح المنظم .

وقوله :

« حلف عمل لا حليف بطالة » .

صورة توحى بحب العمل والاستمرار فيه والتنفير من البطالة .

وفي قوله :

« متقد العزمات » ، « تحنم جوانبه » ، « لا ماضغ أقوال »

استعارات جميلة ، يمكنك ادراكها ، ومعرفة سر جمالها .

وفي الأسلوب جرس موسيقي زينه الكاتب ببعض الوان البديع .

كالسجع في قوله :

« واسع الوجود ، لا تقف أمامه الحدود » .

وقوله :

« بطل عمل ، لا ماضغ أقوال » .

والطباق في قوله :

« جاعلا أول الفكر آخر العمل » ، « مرتاد حقيقة لا رائد خيال » .

والمقابلة في قوله :

« أتمثله مقداما على العظام في غير تهور ، محجاما عن الصغائر في غير جبن » .

والجناس في حديثه عن النحلة :

« تجد لتجد » .

واستخدم الكاتب الفاظا موحية في النص ، من ذلك مثلا : كلمة « عرييد » وصفا للشباب المتطلع . وهذه الكلمة موصوعة أصلا في اللغة للسكير الذي يدمن الشراب ، ولكن الكاتب استخدمها هنا للدلالة على طلب الشباب للمعالي بحيوية وقوة

ومن ذلك أيضا كلمة : « مقداما » ، وكلمة « محجاما » وصفا للشباب بأسلوب

المبالغة الذي يوحى بالزيادة في الحدث والاكثار منه .

مجمل القول في النص

- النص من الأدب الاجتماعي الهادف ، وفيه قيم ادبية وخطفية واجتماعية وانسانية عظيمة ، وهو في جملة مجموعة من الخواطر تعكس امانى الكاتب في مستقبل الشباب الجزائري ، وهي خواطر متفرقة ، ولكنها تتآزر فيما بينها لتعطي صورة مثلى للشباب الناهض كما يرجوه الكاتب .
- وافكار النص سهلة واضحة ، واسلوبه جيد العبارة متأنق الكلمات فيه التباس واستشهاد ، ويعتمد على الاسلوب الخبري ، وفيه من الصور البيانية والألوان البديعية ما يوضح الفكرة ، ويجلو العاطلة ويجعل الأسلوب

المناقشة :

- 1 - الكاتب يدعو الى الشجاعة والاتزان والتبصر واعمال الفكر مع العمل - فاي فقرة تفهم منها ذلك ؟
- 2 - في النص توجيه الى العمل والبحث عن الحقيقة - اذكر العبارات الدالة على ذلك .
- 3 - لم شبه الكاتب الاقبال على العلم والمعرفة باقبال النحل والنمل ؟ وما رأيك في هذا التشبيه ؟
- 4 - ما الصفات التي يحبها الكاتب في الشباب الجزائري ؟ وما اثرها في رقي البلاد وازدهارها ؟
- 5 - الى اي مدى تحققت امانى الكاتب في الشباب ؟
- 6 - استخرج صورة بلاغية من النص ووضح سر جمالها .
- 7 - « جاعلا اول الفكر آخر العمل » . ما رأيك في هذه العبارة ؟ وضح معناها بأسلوبك .

المقال الادبي :

— اكتب مقالا موجها فيه الخطاب الى الشباب الجزائري ، توضح لهم فيه ما يتطلبه الوطن من جهود لضمان استمرار المكاسب الثورية التي خفقتها الجزائر باستقلالها .

١ - فلسطين (*)

« يَا فِلَسْطِينَ ، إِنْ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ جَزَائِرِيٍّ مِنْ قَضِيَّتِكَ جُرُوحًا دَائِمَةً ، وَفِي جَفْنِ كُلِّ مُسْلِمٍ جَزَائِرِيٍّ مِنْ مِحْنَتِكَ عِبَوَاتٍ هَامِيَةٌ ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ مُسْلِمٍ جَزَائِرِيٍّ كَلِمَةٌ مِتْرَدِدَةٌ ، هِيَ : « فِلَسْطِينَ قِطْعَةٌ مِنْ وَطَنِي الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرِ ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ قِطْعَةً مِنْ وَطَنِي الْعَرَبِيِّ الصَّغِيرِ ، وَفِي عُنُقِ كُلِّ مُسْلِمٍ جَزَائِرِيٍّ لَكَ يَا فِلَسْطِينَ حَقٌّ وَاجِبٌ الْإِدَاءِ ، وَدِمَامٌ مُتَأَكِّدُ الرِّعَايَةِ ، فَإِنَّ قَرَطًا فِي جَنْبِكَ ، أَوْ أَضَاعَ بَعْضَ حَقِّكَ فَمَا الذَّنْبُ ذَنْبُهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ ذَنْبُ الْإِسْتِعْمَارِ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ ، وَالْمَرْءِ وَدَارِهِ وَالْمُسْلِمِ وَقَبْلَتِهِ » .

يَا فِلَسْطِينَ ، إِذَا كَانَ حُبُّ الْأُوطَانِ مِنْ أَثَرِ الْهَوَاءِ وَالتَّرَابِ ، وَالْمَأْرَبِ النَّبِيِّ يَقْضِيهَا الشَّبَابُ ، فَإِنَّ هَوَى الْمُسْلِمِ لَكَ أَنْ فِيكَ أَوْلَى الْفِلَسْطِينِ ، وَأَنْ فِيكَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ اللَّهُ حَوْلَهُ ، وَأَنْكَ كُنْتَ نَهَايَةَ الْمَرْحَلَةِ الْأَرْضِيَّةِ ، وَبِدَايَةَ الْمَرْحَلَةِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَمِنْ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الْوَاصِلَةَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ صُعُودًا ، بَعْدَ رِحْلَةِ آدَمَ الْوَاصِلَةَ بَيْنَهُمَا هُبُوطًا ، وَإِلَيْكَ ، إِلَيْكَ تَرَامَتْ هِمَمُ الْفَاتِحِينَ ، وَتَرَامَتْ الْأَيْتُفُ الدَّلِيلُ بِالْفَاتِحِينَ تَحْمِيلُ الْهُدَى وَالسَّلَامِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ ، وَتُنْقَلُ النُّبُوءَةُ الْعَامَّةُ إِلَى أَرْضِ النُّبُوءَاتِ الْخَاصَّةِ ، وَيُمَارَ الْوَحْيِ الْجَدِيدِ إِلَى مَنَابِتِ الْوَحْيِ الْقَدِيمِ ، وَتُكشَفُ عَنِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ وَقَفَتْ عِنْدَ «تَبُوكَ» بِقِيَادَةِ «مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ» ثُمَّ وَقَفَتْ عِنْدَ «مُؤْتَةَ» بِقِيَادَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَكَانَتِ الْعَزْوَتَانِ تَحْوِيَتَانِ مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَيْكَ ، وَكَانَتِ الثَّلَاثَةُ وَرُودًا ، وَكَانَتِ النَّسِيجَةُ أَنَّ الْإِسْلَامَ طَهَّرَكَ مِنْ رِجْسِ الرُّومَانِ ، كَمَا طَهَّرَ أَطْرَافَ الْجَزِيرَةِ قَبْلَكَ مِنْ رِجْسِ الْأَوْتَانِ .

يَا فِلَسْطِينَ ، مَلَكَكَ الْإِسْلَامُ بِالسَّيْفِ ، وَلَكِنَّهُ مَا سَاسَكَ وَلَا سَاسَ بَنِيكَ بِالْحَيْفِ فَمَا بَالُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الصَّهْيُونِيَّةِ الْيَوْمَ تُنْكِرُ الْحَقَّ ، وَتَتَجَاهَلُ الْحَقِيقَةَ ؟ وَتَجْحَدُ الْفَضْلَ ، وَتُكْفِرُ بِالنِّعْمَةِ ، فَتُزَاجِمُ الْعَرَبِيَّ الْوَارِثَ بِاسْتِحْقَاقٍ عَنِ مَوَارِدِ السَّرِّقِ فِيكَ ، ثُمَّ تَفْلُو فَتَزْعُمُ أَنَّهُ لَا شِرْبَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ . مَا بَالُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ تَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهَا بِحَقٍّ ، وَتَطْوِي عَشْرَاتِ الْقُرُونِ لِتَصِلَ بِسَفَاهَتِهَا وَعَدَّ مُوسَى يُوْعَدُ «بَلْفُور» وَإِنْ بَيْنَهُمَا لَمَدًا أَوْ جَزْرًا مِنَ الْأَحْدَاثِ ، وَجَدْبًا وَدَفْعًا مِنَ الْفَاتِحِينَ ، مَا بَالُهَا تَدَّعِي

إِرْتَا لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ أَشْلَافَهَا غَارَةَ بَابِلَ وَلَا غَزَوْا الرُّومَانَ ، وَلَا عَادِيَةَ الصَّلِيبِينَ ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ التَّرَاثَ مَنْ دَافَعَ عَنْهُ ، وَحَامَى دُونَهُ ، وَمَا دَافَعَ بَابِلَ إِلَّا انْحِسَارُ الْمَوْجَةِ الْبَابِلِيَّةِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ مَدَاهَا ، وَمَا دَافَعَ الرُّومَانَ إِلَّا عُمَرُ وَالْعَرَبُ وَأَبْطَالُ الْيَرْمُوكِ وَأَجْنَادِينَ . وَمَا دَافَعَ الصَّلِيبَ وَحَامِلِيهِ إِلَّا صَلَاحُ الدِّينِ وَقَوَارِشُ « حِطِّينَ » .

إِنَّ الْعَرَبَ عَلَى الْخُصُوصِ ، وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى الْعُمُومِ ، حَرَّرُوا فِلَسْطِينَ مَرَّتَيْنِ فِي التَّارِيخِ ، وَدَفَعُوا عَنْهَا الْغَارَاتِ الْمُجْتَاخَةَ مَرَاتٍ ، وَاتَّظَمَ مُلْكُهُمْ إِيَّاهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَرْنًا وَعَاشَ فِيهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ وَفِي ظِلِّ حِمَايَتِهِ آمِنِينَ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَعَلَى دِينِهِمْ ، وَمَنْ الْمُحَالِ أَنْ يَحِيفَ الْمُسْلِمَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِمُوسَى عَلَى قَوْمِ مُوسَى . .

أَيُّظُنُّ الظَّانُونَ أَنَّ الْجَزَائِرَ بَعْرَاقِيهَا فِي الْإِسْلَامِ وَالْعُرُوبَةَ تَسْمَى فِلَسْطِينَ ، أَوْ تَضَعُهَا فِي غَيْرِ مَنَزِلَتِهَا الَّتِي وَضَعَهَا الْإِسْلَامُ مِنْ نَفْسِهَا ؟ لَا وَاللَّهِ ، وَيَأْتِي لَهَا ذَلِكَ شَرَفُ الْإِسْلَامِ وَمَجْدُ الْعُرُوبَةِ ، وَوَسَائِجُ الْقُرْبَى . وَلَكِنْ الْاِسْتِعْمَارُ الَّذِي عَقَدَ الْعُقْدَةَ وَآتَى حَلَهَا لِمَصْلَحَتِهِ ، وَقَابِضُ فِلَسْطِينَ لِمَصْلَحَتِهِ ، هُوَ الَّذِي يُبَاعِدُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْإِسْلَامِ لِئَلَّا تَلْتَمِسَ ، وَيَقْطَعُ أَوْصَالَ الْعُرُوبَةَ كَيْلًا تَلْتَجِمَ ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا يَرْوَمُ ! .

إِنَّ بَيْنَ دَوْلِ الْاِسْتِعْمَارِ عِلَاقٌ مَاسَّةٌ ، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاعَدُونَ مَا دَامَ خِيَالُ الشَّرْقِ بَعِيدًا ، فَإِنَّ لِأَخِ ذَلِكَ الْخِيَالِ حَنْتٌ مِنَ الْاِسْتِعْمَارِ الدَّمَاءُ ، وَتَعَاطَفَتِ الْأَرْحَامُ وَتَوَسَّيَتِ الْأَحْقَادُ ، فَهَلَّا فَعَلْنَا مَا فَعَلُوا ؟

أَيُّهَا الْعَرَبُ ، إِنَّ قَضِيَّةَ فِلَسْطِينَ مِجَنَّةٌ اِمْتَحَنَ اللَّهُ بِهَا ضَمَائِرَكُمْ وَهَمَمَتَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَوَحَدَتَكُمْ ، وَليستِ فِلَسْطِينَ لِعَرَبِ فِلَسْطِينَ وَحَدِّهِمْ ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلْعَرَبِ كُلِّهِمْ ، وَليستِ تُنَالُ بِالشَّعْرِيَّاتِ وَالخَطَائِيَّاتِ ، وَإِنَّمَا تُنَالُ بِالتَّصْمِيمِ وَالْحَزْمِ وَالِاتِّحَادِ وَالْقُوَّةِ .

إِنَّ الصَّهْيُونِيَّةَ وَأَنْصَارَهَا مُصَيِّمُونَ ، فَقَابِلُوا التَّصْمِيمَ بِتَّصْمِيمِ أَقْوَى مِنْهُ ، وَقَابِلُوا الْاِتِّحَادَ بِاِتِّحَادٍ أَمْكَنَ مِنْهُ « وَكَوْنُوا حَائِطًا لَا صَدْعَ فِيهِ ، وَصَفًا لَا يُرْقَعُ بِالْكُسَالَى » .

ب - فَصْلُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْمَدِينَةِ

قَامَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي أَقَلِّ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ بِتَرْجُمَةِ عُلُومِ هَذِهِ الْأُمَّمِ ، وَنُظْمِهَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَأَدَابِهَا ، فَوَعَتْ الفِلسَفةَ بِجَمِيعِ فُرُوعِهَا ، وَالرِّيَاضِيَّاتِ بِجَمِيعِ أَصْنَافِهَا ، وَالطِّبَّ وَالْمُهَنْدِسَةَ وَالْأَدَبَ وَالْاجْتِمَاعَ وَهَذِهِ هِيَ الْعُلُومُ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الْحَضَارَةُ الْعَقْلِيَّةُ فِي الْأُمَّمِ الْغَائِرَةِ وَالْحَاضِرَةِ ، وَهَذَا هُوَ التَّرَاثُ الْعَقْلِيُّ الْمَشَاعُ الَّذِي لَا يَزَالُ

يأخذه الأخير عن الأول ، وهذا هو الجزء الضروري في الحياة الذي إما أن تنقله إليك فيكون قوة فيك ، وإما أن تنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك ، وقد تفتن أسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه وقد قامت لغتهم بحفظ هذا الجزء الضروري من الصياع بالتشالاه من أيدي الغوائل وبنقله إلى الأواخر عن الأوائل وبذلك طوقت العالم مئة لا يقوم بها الشكر، ولولا العربية لضاع على العالم خير كثير .

« إن كثيرا من العلوم التي نبتت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين مينا ومنهم ، وإن المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية ، ويوفونها حقا من التمجيد والاحترام ، ويعترفون لعلماء الإسلام بأنهم أساتذتهم في هذه العلوم ، عنهم أخذوها وعن لغتهم ترجموها وأنهم يحمّدون للدهر أن ميا لهم مجاورة المسلمين بالأندلس وصقلية وشمال إفريقيا وتغور الشام حتى أخذوا عنهم ما أخذوا ، واقتبسوا عنهم ما اقتبسوا ، ولا يزال هؤلاء المنصفون يذكرون فضل معاهد الأندلس العربية ، ومعاهد شمال إفريقيا ومعاهد الشام ، على الحضارة القائمة ، ولا يزالون ينتهجون بعض المناهج الدراسية الأندلسية في معاهدهم إلى الآن ، ولا يزالون يردون كل شيء إلى أصله ويعترفون لكل صاحب فضل بفضله .

وها هنا أيها الإخوان مسألة يجب الكشف عن حقيقتها ، فقد كثرت فيها المغالطات ، وجنى عليها تعصب المتعصبين من ذوي الدخائل السيئة من الغربيين ومقلديهم حتى أصبح باطلا حقا وكذبا صدقا وهمها حقيقة ، وحتى أصبح هذا الوهم من المسلمات التي لا تقبل الجدل عند أبناءنا الذين تلقوا العلم على أيدي أولئك المتعصبين - وهي أن العرب ليس لهم فيما ترجموا إلا النقل المجرد ، وأنهم لم يزيدوا شيئا في التراث الفكري الذي نقلوه ، وأن وظيفتهم في هذه الوساطة وظيفه الناقل الأمين الذي ينقل الشيء كما هو ملفوفا من يده إلى يده .

أغلوطه ملأت كتب الكثير منهم وترددت على ألسنتهم ، يمهّدون بها إلى وصم العربي بأنه بليد الفكر جامد القريحة سطحي التفكير مسدود الشهية العلمية ، ويتوسّلون بذلك إلى تزهيد العربي في مزايا أسلافه واحتقاره لها ولهم .

والحقيقة التي يؤيدها الواقع ويشهد بها المنصفون منهم أن العرب حينما نقلوا

علوم الأوائل كما كانوا يسمونها نقلوا بدافع وجداني إلى العلم ورغبة ملحة فيه .
وأنهم نقلوا ليستقلوا وليستغلوا وليتنفعا بثمره ما نقلوا ولا يتيم لهم هذا الاستقلال
في العلم الا بالتحصيل والتصحيح .

ومن الثابت عندنا أن عهد الترجمة كان عهد اضطراب في هذه العلوم المترجمة
رَدَّتْ فيه التبعة على المترجمين ، ثم انجلى الرغوة وعمل الفكر العربي الوقاد عمله
فصح أغلاط الفلاسفة وصح نظريات الرياضة ، وجاء دور الاجتهاد في هذه
العلوم ، فاستقل الفكر العربي بالفلسفة وكيفها على ذوقه الخاص . واستنبت في
هذه العلوم طرائق وأنواعا لم تكن معروفة من قبل للأوائل وصح العلل وكشف
عن الأوهام واتقد انتقاد المستقل . وما كان الفارابي وابن سينا وابن سليمان
المنطقي في المشاركة ولا ابن باجة وابن الطيفل وابن مرجان وابن رشد وأبو الهذيل
في الأندلسيين - بالمقلدين في علوم الأوائل .

أيها الاخوان : إن العربية لم تخدم مدينة خاصة بأمة ، وإنما خدمت المدينة
الاساسية العامة مدينة الخير العام والنفع العام ولم تخدم علما خاصا بأمة ، وإنما
خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة . ومن يستقرئ خاصة هذه
اللغة لعلم الطب وحده يتبين مقدار ما كآتت هذه اللغة على البشرية من خير وتلعب .

وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في
ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته .

أيها الاخوان : هذا فضل لغتك على المدينة الانسانية ، وفضلها على الأمم غير
العربية ، وأما فضلها على الأمم العربية فانه يزيد قدرا وقيمة على فضلها على الأمم
الأخرى ، وإذا قلنا - الأمم العربية فاننا نعني الأمم الاسلامية كلها ، لأنها أصبحت
عربية بحكم الاسلام ولغة الاسلام .

فألغة العربية منذ أن دخلت في ركاب الاسلام على الأمم التي أظلمت ظلها
كانت سببا في تقارب تفكيرهم وتشابه عقلياتهم وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم
وان هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الأمم المختلفة الأجناس ، ولولا العربية
لاختلفت الأمم الاسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية ، وقد وقع
بعض هذا ولكنه من القلة بحيث لا يظهر أثره في الحركة العامة للأمة .

ان الأمم التي دخلت الاسلام متفاوتة الدرجات في الانفعالات النفسية وأنماط التفكير متفاوتة في الادراك والذكاء متفاوتة في القابلية والاستعداد متفاوتة في التصوير والتخيل، ولكن اللغة العربية فتحت عليها آفاقا جديدة في كل ذلك ما كانت تعرفها لولا العربية ودفعتها بما فيها من قوة وبما لها من سلطان الى التفكير والتعقل على منهج متقارب، وحفزت الأفكار الخامدة الى التحرك وزادت الأفكار المتحركة قوة على قوة .

أيها الاخوان ، ان العربية هي التي قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق وبين الفكر البربري الرصين الهاديء ثم هيات لكل فكر قابليته .

واللغة العربية هي التي سهلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ، ومهدت لها الطرائق المؤدية اليهما حتى أخذت كل أمة حظها منهما .

واللغة العربية هي التي أفاضت على علماء المسلمين بكنوزها ودقائقها وأسرارها وأمدتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التي تعجز أي لغة من لغات العالم عن احضارها بدون استعانة واستعارة . فبحثوا في كل علم ، وبحثوا في كل فن ، وملأوا الدنيا مؤلفات ، ودواوين ، ومن عرف كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات ، وكتاب أبي عبيدة في الخيل ، وكتاب الهمذاني في تخطيط جزيرة العرب ، وكتاب الجاحظ في الحيوان ، وكتب الأيمة في الطب والنجوم والابل ، رأي العجب العجيب ، من اتساع هذه اللغة وغزارة مادتها ؛ وعلم مقدار أفضالها على الأمة العربية ، كما أن من يقرأ شعر الشعراء النفسيين من الفرس بهذه اللغة وشعر الشعراء الوصافين من الأندلس يتجلى له أي أفضال أفضله العربية على تلك القرائح الوفاة التي وجدت في العربية فيضا لا ينقطع مدده ، وضافته الى فيض الاستعداد . وما أمتن الاتناج الأدبي اذا كان يصدر عن اتساع في اللغة واتساع في الخيال .

(هـ) من الأدب الخطابي « نداء » (*)

ادت جمعية الملماء دورها في احياء مقومات الشخصية الجزائرية ، وتعاونت مع الحركات الوطنية على النهوض بالشعب الجزائري في شتى المجالات الى أن قبض الله للجزائر أبناء بررة شقوا طريق النضال المسلح لطرده المحتلين وتحقيق الاستقلال الوطني المنشود ، فوجه رئيس الجمعية المرجوم الامام البشير الابراهيمي من القاهرة في 15 نوفمبر سنة 1954 م نداء الى الشعب الجزائري يدعو الى الالتفاف حول الثورة المسلحة وخوض غمار الجهاد المقدس بالنفس والنفيس مما أحرص كل عميل ائيم يريد التشكيك في شرعية الجهاد باسم الدين .

(*) الجزائر الثائرة : الفضيل الوردلاني الذي وقع هذا النداء مع الشيخ البشير الابراهيمي .

نداء الى الشعب الجزائري المجاهد (*) :

نعيدكم بالله ان تتراجعوا ...

ايها المسلمون الجزائريون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

حَيَّاكُمْ اللهُ وَاحْيَاكُمْ ، وَاحْيَا بِكُمْ الْجَزَائِرَ ، وَجَعَلَ مِنْكُمْ نُورًا يَمْشِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَمِنْ خَلْفِهَا . هَذَا هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ الْإِذَانَ الصَّمَّ ، وَهَذَا هُوَ النُّورُ الَّذِي يَفْتَحُ الْإَعْيْنَ الْمُغْمَضَةَ ، وَهَذِهِ هِيَ اللَّفَّةُ الَّتِي تَنْفُذُ مَعَانِيهَا إِلَى الْإِذْهَانِ الْبَلِيدَةِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَنْطِقُ الَّذِي يُقَوِّمُ الْقُلُوبَ الْغَلْفَتَ ، وَهَذَا هُوَ الشَّعَاعُ الَّذِي يَخْتَرِقُ الْحُجُبَ وَالْأَوْهَامَ

كان العالم يسمع ببلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم ، فيعجب كيف لم تثوروا وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه ، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء ، على الموت العاجل المريح ، وكانت تسوق شبابكم الى المجازر البشرية ، في الحروب الاستعمارية فتموت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمدا ، بل في سبيل فرنسا ، وتوسيع ممالكها ، وحماية ديارها ، ولو ان تلك العشرات الآلاف من ابنائنا ماتوا في سبيل تحرير الجزائر ، لماتوا شهداء وكنتم بهم سعداء .

ايها الاخوة الجزائريون :

اذكروا غدر الاستعمار ومماطلته :

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن ، وشهد لكم التاريخ ، بأنكم قاومتوها مقاومة الأبطال ، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين ، نصف هذه المدة ، فما رعت في حربها لكم دينا ولا عهدا ، ولا قانونا ولا انسانية ، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية من تقتيل النساء والأطفال والمرضى ، وتحريق القبائل كاملة ، بديارها وحيواناتها واقواتها .

ثم حاربتكم معها وفي صفها ، وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة ، ففتحت بابنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها ، ورحمت بهم وطنها الأصلي ، فما رعت لكم جميلا ، ولا كافاتكم بجمل ، بل كانت تنتصر بكم ، ثم تخدلكم ، وتحيا بابنائكم ، ثم تفتلكم كما وقع لكم معها في شهر مايو سنة 1945 ، وما كانت قيمة ابنائكم ، الذين ماتوا في سبيلها ، وجلبوا لها النصر ، الا انها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية ، فهل هذا هو الجزاء ؟

طالبتموها بلسان الحق ، والعدل ، والقانون ، والانسانية ، من أربعين سنة ، بأن تفرق بكم ، وتنفس عنكم الخناق قليلا ، فما استجابت ، ثم طالبتموها بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الادمية ، فما رضيت ، ثم طالبتموها بحقكم الطبيعي ، يقركم

(*) الجزائر الثالثة : الفضيل الوردلاني .

عليه كل انسان ، وهو ارجاع اوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم ، فاغلقت آذانها في اصرار وُعْتُوْ ، ثم ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء ابنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها ، فعصيت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها ثم هي في هذه المراحل كلها ، سائرة في معاملتكم من فطيع الى افطع .

ايها الاخوة الجزائريون الأبطال :

لم تَبْقِ لكم فرنسا شيئا تخافون عليه ، او تدارونها لاجله ، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعلقون به ، اتخافون على اعراضكم وقد انتهكتها ؟ ام تخافون على الحرمة وقد استباحتها ، لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ؟ ام تخافون على الأرض وخيراتها ، وقد أصبحت فيها غزباء حفاة عراة جياعا ، أَسْعَدُكُمْ من يميل فيها رَقِيْقًا ، زراعيا يُباع معها وَيَشْتَرَى ، وحظكم من خيرات بلادكم النظره بالعين والحسرة في النفس ؟ ام تخافون على القصور ، وتسعة اعشاركم ياوون الى الغيران كالحشرات والزواحف ؟ ام تخافون على الدين ؟ وَيَاوَيْلَكُمْ من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله ، وياوَيْلَ فرنسا من الاسلام ، ابتلعت اوقافه وهدمت مساجده ، واذلت رجاله ، واستعبدت اهله ، ومحت آثاره من الأرض ، وهي تَجْهَدُ في محو آثاره من النفوس .

ايها الاخوة المسلمون :

ان التراجع معناه الفناء :

ان فرنسا لم تبق لكم دينا ولادنيا ، وكل انسان في هذا الوجود البشري ، انما يعيش لدين ويحيا بدنيا ، فاذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها .

وانها سارت بكم من دركة الى دركة ، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم ، وشعائركم وضمائركم ، فالصلاة على هواها لا على هواكم ، والحج بيدها لا بأيديكم ، والصوم برايتها لا برأيتكم ، وقد قرأتكم وسمعتكم من رجالها المسؤولين ، عزمها على احداث « اسلام جزائري » ومعناه اسلام ممسوخ ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وباهله من الشرقيين .

ان الرضى بسلب الاموال قد ينافي الهمة والرجولة ، اما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فانه يخالف الدين ، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن .

انكم في نظر العالم العاقل المنصف ، لم تثوروا ، وانما اثارتمكم فرنسا بظلمها الشنيع وعتوها الطاغى ، واستعبادها الفظيع لكم قرنا وربع قرن ، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم ، وتعديتها الصريح على مقدساتكم .

ان أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي ، يوجب عليكم الثورة عليه ، من زمان بعيد ، ولكنكم صبرتم ، ورجوتم من الصخرة ان تلين ، فطمعتم في الحال ، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي فتعيدكم بالله وبالاسلام ، ان تتراجعوا او تَنكِصُوا على أعقابكم ، ان التراجع معناه الغناء الأبدى والذل السَّرمُدي .

ان شريعة فرنسا ، انها تأخذ البرئ بذنب المجرم ، وانها تنظر اليكم مسالمين او ثائرين نظرة واحدة ، وهي انها عدو لكم وانكم عدو لها ، ووالله لو سألتموها الف سنة لما تغيرت نظريتها العَدائية لكم ، وهي بذلك مصممة على محوكم ، ومحو دينكم وعروبتكم ، وجميع مَقَوِّمَاتِكُمْ .

انكم مع فرنسا ، في موقف لا خيار فيه ، ونهايته الموت ، فاختراروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت .

انكم كتبتم البسمة بالدماء ، في صفحة الجهاد الطويلة العريضة ، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ ، وهي ارث العروبة والاسلام فيكم .

ما كان للمسلم ان يخاف الموت ، وهو يعلم انها كتاب مؤجل ، وما كان للمسلم ان يبخل بماله او بمهجته ، في سبيل الله ، والانتصار لدينه ، اذا رضيها في دنياه !

اخلصوا العمل لله واخلصوا بصائرکم في الله ، واذكروا دائما وفي جميع اعمالكم ما دعاكم اليه القرآن ، من الصبر في سبيل الحق ، ومن بدل المهج والأموال في سبيل الدين ، واذكروا قبل ذلك كله قول الله « **جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْتِكُمْ وَاللَّهُ أَنفُسِكُمْ** » وقول الله « **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** » .

ايها الاخوة الاحرار :

هَلِّمُوا إِلَى الْكِفَاحِ الْمُسْلِحِ :

اننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الاسلامي في الجزائر ، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين ، لا لشيء الا لانهم مسلمون ، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا انفسنا واحتقرنا المسلمين ، وَحَجَلْنَا من الله ان يرانا ويراهم ، مُقَصِّرِينَ في الجهاد لاعلاء كلمته ، وكلما استمرضنا الواجبات وجدنا اوجبها والزمها في اعناقنا ، انما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب ، ويدفع عنا وعن ديننا العار ، فسيروا على بركة الله ، وبعونه وتوفيقه الى ميدان الكفاح المسلح ، فهو السبيل الواحد الى اَحْدَى الْحُسَيْنِيِّينِ اما موتٌ وراةُ الجنة ، واما حياةٌ وراءها العزة والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المرجع ص 179 الجزائر الثائرة الفضيل الورتلاني .

د - رواية الثلاثة (*)

كتب الشيخ البشير « رواية الثلاثة » أثناء اقامته ب « افلو » التابعة لولاية تيارت حيث قضى ثلاثة اعوام في منفاه بهذه المدينة وقدم لها بمقدمة شرح فيها موضوعها وشخصياتها وأسلوبها .

اما الموضوع : فهو يتحدث عن حالة ثلاثة من الاساتذة لا يُدْفَعُونَ عن فضل ولا ادب ولا ذكاء ، وما فيهم الا بعيد الأثر في الحركة الإصلاحية ، واسع الخطى في ميدان تعليم الناشئة وتربيتها وكان لهم شيخ كالوالد يَأْبُوهُمْ وَيَجُودُهُمْ ، وكانوا يعدون ايام اجتماعهم به - وهي قليلة - عَزَزَ أعمارهم ، يتسببون لها الاسباب ، لما يُفِيضُهُ عليهم من طرائف الأدب ... ثم طرق الدهر بحادث حال بينهم وبينه وبين الناس الا رسائل تنفض عليها القلوب ما تكن ... فكان الظن بالثلاثة أنهم يجلون في هذا المضمار ، ويسبقون جميع الناس فيه ، ولكنهم بدلا من ذلك نسوه ... ثم ادركوا خطاهم وتقصيرهم في حق شيخهم ، فعدوا جلسات يتجادبون فيها اطراف الحديث ، ما بين قائل ومجيب ، وبان وهادم .

• ونعتقد من الأحاديث مناسبات وأشياء مناسبات ، لتتوالد من بينها امراض في الأدب ، ومناخ في النقد ، وخبايا النفس والطباع .

ومن خلال أحاديثهم يتضح أن السبب في عدم مكابرة شيخهم يرجع الى « الفرنك » ثم طابع البريد . من الذي يدلعه من الثلاثة ؟ وبأي نسبة يورع بينهم ؟

ويطول الحوار دون جدوى ، فيضطرون الى استدعاء شخصية رابعة هي شخصية « بوشمال » وباشترآكه تتعدد الأحداث ، ويأتي الحل من شخصية « ابن العابد » الذي شعر بضغط المجتمعين عليه ، فأعلن أنه لا يملك سوى فرنك واحد ، واعتذر من المساهمة معهم بحجة أنه عدو للشيخ ، لان الشيخ قد سبه وعرض به .

واما الشخصيات : فقد اعتمد الشيخ البشير في روايته على ثلاث شخصيات رئيسية :

(أ) شخصية الشيخ « السيد بن حافظ » مدير مدرسة « التربية والتعليم الحرة بقسنطينة » .

(ب) شخصية الأستاذ « عبد الحافظ الجنان » مدرس بالمدرسة السابقة.

(ج) شخصية الأستاذ « محمد بن العابد الجلاي » مدرس بالمدرسة السابقة . وشخصية ثانوية هي شخصية الأستاذ « بوشمال » الذي اقترح المدير استدعاءه ليستعين به على الرفيقين أو يسهم معهم في حل المشكلة ، اما شيخهم المتحدث عنه فهو كاتب الرواية .

وقد حدد البشير ابعاد شخصياته الرئيسية فيما يلي :

* امد هذه الرواية للطبع وعلق عليها الاستاذ الجلاي بن محمد الفاسي والرواية لم تطبع حتى الآن

1 - الرئيس يظهر بمظهر المدير الذي لم تفارقه رسوم الادارة المحافظ على تلك الرسوم حتى في المواقف التي يجب الفاؤها فيها . الخائف الذي لا يلمس القوة من نفسه ، وانما يلمسها من غيره . السيء الظن بالرفيقين يحكم عليهما انهما يحملان له حقدا ، وينطويان له على ضفينة ، مما يحمله المعلمون للمديرين ، فهو يداورهما في بعض المواقف مداورة الكيد ، ويسمى كلما لاحت له الفرصة في التحريش بينهما ، حتى يكون احدهما ظهيرا له على الآخر ، ولكنه لم يفلح في ذلك ، لان الالتحام بينهما شديد ولأنهما على حذر دائم منه ، ومع ذلك فصفوه في الغالب للجنان . والجنان يبادل به بعض ذلك ، اخلاصا في محل الاخلاص ، ومكابدة في محل الكيد .

2 - والأستاذ ابن العابد يظهر بما يأتي اجماله . (متوقع للشر والخسارة المالية) من وراء هذه الاجتماعات . معارض للرئيس فيما يقوله حقا أو باطلا . باذل جهده في ابعاد هذه النكبة ، وتأخيرها بقدر الامكان . غير واثق بالجنان الى النهاية ، فيما يرجع الى النكبة التي يتوقعها . مواد للاعاجيب من الهنات اليسيرة . واقف بالمرصاد لنقد ما يجب تقده ، وقد اجاد في الكثير .

3 - الأستاذ الجنان يظهر في المظاهر الآتية : المسألة والملاينة الا في مواقف الجد . اللعب على حبلين ولو في موقف واحد . السعي في الاصلاح كلما تفاقم خلاف . الميل الى السرعة والحزم .

أما أسلوبها فهو سهل منسجم ، متلاحم النسيج ، متين التركيب ، فصيح المفردات ليس فيه تكلف ، ولا ركوب الضرورات ، التي ألف الراجزون ركوبها ، بريء من التكلف والحشو الذي الفوا أن يختموا به الأبيات ، ضعفا منهم ، وضيق عطن في العربية وقصر باع في مفرداتها وتراكيبها ، وفي أكثر أبياتها « لزوم ما لا يلزم » من التزام حرفين أو ثلاثة في الروي ، ومع ذلك فكل ما فيها من هذا النوع مقبول متمكن . وفيها كثير من أنواع الجناس ، وكلها من النوع العالي ، المتمكن لفظه ومعناه البريء من التكلف ، وانما هو من استرسال الطبع ، وقوة الاسر ، وروح الملكة في العربية وفيها أبيات مستقلة بمعانيها ، تجري مجرى الأمثال ، وفيها طائفة من الألفاظ الفريية ، التي لم يالف الكتاب والشعراء استخدامها ، وحيدا لو استعملوها وأكثرها منها ، فانها زيادة في ثراء اللغة وتوسيع لها ، وليس في الأراجيز العلمية التي امتلأت بها الدنيا شيء سهل مستساغ الا قليلا من أراجيز فحول البيان ، مثل رقم الحل لابن الخطيب ، ودول الاسلام لشوقي ، وما رايت قوما طاع لهم الرجز واتقاد كعلماء شنقيط ، مع السهولة عليهم في النظم ، ومثانة السبك .

وبعد فقد داعبنا بهذه الرواية ، ثلاثة اساتذة ، هم لنا أبناء ، وهم فيما بينهم اخوة كلهم ادياء ، فحسى أن تكون حافزة لهممهم في التدريب على هذا النوع الراقي من الادب الهزلي . ولو نظمت هذه الرواية في عصور الاقبال على الادب لطارت كل مطار ، وتلقاها الرواة والنقلة بما تستحقه من اجلال .

وفيما يلي نقدم لك جزءا من هذه الرواية :

الجلسة الأولى

(مكتب المدير : اوراق مَبْعُورَة ، اقلام مَقْبِورَة ، وُصُولات مطمئة بالأحمر المدير جالس على كرسيه ، الجَنَان واقف ، ابن العابد مقعز) .

المدير :

حَمْدًا لِمَنْ جَمَعَكُمْ (فِي الْبَيْرِ)
وَصَلَوَاتُهُ عَلَى الْبَشِيرِ
وَمَا جَرَى الْمِحْرَاطُ فِي الْمَنْشِيرِ (2)
وَهَذِهِ بَرَاعَةٌ اسْتَهْلَلِ
وَالشُّكْرُ لِي إِذْ كُنْتُ فِي الْجَمْعِ سَبَبٌ
يَا أَيُّهَا الْأَخْوَانُ أَهْلًا (بِيكُمْ)
بِوَأَجِبَاتِ اسْمِهَا التِّظَامُ
يَجِبُ أَنْ تَنْتَخِبُوا رَأْسًا

وَهُوَ بِمَا تَنَوَّنَهُ خَيْرٌ
مَا صَفَرَ الْقَطَارُ فِي أَشِيرِ (7)
وَهَبَّتِ الرِّيَّاحُ فِي أَمَشِيرِ (3)
مَنْيرَةٌ فِي الْقَصْدِ كَالِهَلَالِ
وَكَانَ لِي فِيهِ وَجِيفٌ وَخَبَبٌ
إِثِّي قَبْلَ الْإِبْتِدَا أُبْيِكُمْ
قَدْ سَنَهَا الْأَمَائِلُ الْعِظَامُ
لَكُمْ وَحَاشُوا الْمَلِيقَ الْبَيْسَا

ابن العابد :

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ ذِي الْكَلِمَةِ
المدير :

ابن العابد :

لِأَنَّهَا ذَاتُ مَعَانِي مُؤَلِمَةٌ
المدير :

بَيْنَ لَنَا الْمَعْنَى وَخَلَّ الذِّكْرَى

ابن العابد :

إِنَّ الرَّئِيسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ

الجنان :

دَعَا مِنَ اللَّغَةِ وَالْأَعْرَابِ
وَانظُرْ إِلَى التَّنَكُّيْتِ فِي قَوْلِ الْخَطِيبِ
وَلَيْسَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
فِيهَا فَتَلِكْ شَيْبَةُ الْأَعْرَابِ
فَإِنَّ ذِكْرَ الْبُؤْسِ شَيْءٌ لَا يَطِيبُ
تَعْرِيفُ ذِي الْعِنَى بِذِي الْأَمْلَاقِ

1 - اشير : محطة للقطار قرب برج بوغرديج .

2 - المنشير : الضيمة ، 3 - اشير : شهر تبلي يقابل شهر يناير .

المدبر :
لَا تَبْتَسُّ فُكُلَنَا بَيْسٍ
الجنان :

قِيَاسُهُ وَكُلُّنَا رَيْسٍ

ابن العابد :
أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ قَالَ لَكُمْ
الجنان :

أَنَا أَرَى أَنَّ الرَّئِيسَ قَدْ حَكَمَ
أَوْحَى لَهُ الْمَكْتُبُ وَالْكَرْسِيُّ
وَكُلُّ حَالٍ لِلْمَالِ يَرْمِزُ
لِنَفْسِهِ وَمَا لَنَا إِلَّا الْبَكَمُ
مَنْزِلَةٌ مَا نَالَهَا أَنْسَى
فَانظُرْ فَأَنْتَ الْقَاعِدُ (الْمُفْعَمِزُ) (١)

المدبر :
التَّزَمُوا النِّظَامَ يَا إِخْوَانِي
وَنَحْنُ جَمْعٌ

الجلالي :
بَسَلٌ أَقَلُّ الْجَمْعِ
كَمَا أَتَى بِهِ الدَّلِيلُ السَّمْعِي

المدبر :
وَالْجَمْعُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَائِدٍ
الجلالي :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْقِيَادَةِ
قَدْ كُنْتُ عِنْدَ قَائِدٍ مَأْفُونٍ
كَأَنَّكَ عِلْمُ السَّمِّ وَاتِّشَاقُهُ
وَإِنْ غَدَتِ فِي عَصْرِنَا سِيَادَةُ
فِي مَاءَةٍ تُنْسَبُ لِلْفِكْرُونَ (٢)

المدبر :
اتَّقِلُوا بِنَا إِلَى الْمَقِيدِ
وَعَيْنُوا الرَّئِيسَ حَتَّى نَسْرِعَا
سُرْعَةً فِي زَمَنِ وَجِيهِزِ
فَالْأَمْرُ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّنْجِيزِ

1 - المُفْعَمِزُ : قاعد على قدميه . 2 - يريد قرية « عين الفكرون » الواقعة في الطريق ما بين قسنطينة
وعين البيضاء . 3 - دويت الخ من مشتقات مادة « القائد » انقاد : ذل وخضع .

وَلَيْسَ فِي زِيَادَةِ الْكَلَامِ
فَاجْتِهَدُوا فِي غَسْلِ هَذَا الْعَارِ
وَقَبْلَ أَنْ تَذْمَنَّا الْقَوَافِي
فَتَقْتَدِي رُبُوعَنَا عَوَافِي

الجليلي :

تُخَيِّفُنَا بِالْعَارِ وَالْأَشْعَارِ
وَلَيْسَ فِيهِمْ شَاعِرٌ سِوَايَ (2)
أَخِيهِمْ طَرًّا وَلَا أَخَافُ

المدير :

أَنَا النَّذِيرُ فَاسْمَعُوا نَصِيحَتِي
فَالنَّسْرُ لَا يُدْفَعُ بِالتَّعَاجِزِ
وَالدَّمُ لَا يُغْسَلُ بِالْأَبْنَوَالِ
قَوْمُوا جَمِيعًا مُتَّصِرِينَ
لَسْتُمْ مَسَبَّةً وَبِهَدْلَةٍ (3)

إِلَّا الزِّيَادَةَ مِنَ الْمَلَامِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَدَ فِي الْأَشْعَارِ
بِوَطْأَةِ شُرُورِهَا ضَوَافِي
تَجْرِي بِهَا الرُّوَامِسُ السَّوَافِي

وَلَسْتُ مِنْ حَلِيمِي بِالْعَارِ (4)
وَالشُّعْرَاءُ كُلُّهُمْ وَرَائِي
وَطَلَمَا سَاجَلْتَهُمْ فَخَافُوا

وَأَرْهَفُوا أَسْمَاعَكُمْ لَصِيحَتِي
عَنْ دَفْعِهِ وَالْبَعْدِ وَالتَّحَاجِزِ
وَالنَّارِ لَا تُطْفَأُ بِالْأَقْوَالِ
مُتَّبِعِينَ مُتَّكِلِينَ
قَدْ جَلَّتْ

الجنان :

بِكَلِمَةٍ تَشْنِي الْفَصِيحَ مَفْحَمَا
إِنَّ الْجَمَاعَةَ مَا أَسْعَدَهُمْ
أَعْنِي بِهِمْ جَمَاعَةُ التَّعْلِيمِ
قَدْ وَضَعُوكَ أَيُّهَا الْمُدِيرُ
وَفِيهِمْ لِعَارِفِ الْفَضْلِ أَسَى (5)

أَنَا أَفْضُ (الشَّقْلَةُ) (4)

الْحَقُّ سَدَى وَالْيَانُ أَلْحَمَا (5)
وَعَنْ سَبِيلِ السُّورِمَا أَبْعَدَهُمْ (6)
وَعَضْبَةَ التَّهْدِيدِ فِي الْأَقْلِيمِ
فِي رَتْبَةٍ أَنْتَ بِهَا جَدِيرُ
وَمَنْ يَحْدُ عَنْ نَهْجِهِمْ فَقَدْ أَسَا

1 - هذا اعتراف منه بأنه غير عار من العار . 2 - سواء بفتح السين معناه : غيري . 3 - المسبية : كثرة السب والشتم . الجهدلة في اللصحي : العفة ولا سراغ في المشي ، وفي العامية معناه : الفضيحة وكشف الماوية أمام الناس ، وهذا هو المراد . 4 - الشَّقْلَةُ : كلمة عامية استعملت تلمحا . 5 - السدى : خيوط النسيج التي تمتد عموديا على خشة النول ، واللحمة الخيوط التي تجعل في وسط السدى أقبيا ؛ ويريد هنا ان الحق كالسدى . لا يظهر لائقه الا اذا الحم بالشرح والبيان . 6 - بمعنى جماعة التربية والتعليم ، وهي اصل لكل مدح . 7 - اسي جمع اسوة : القدوة ، واسا اصله : اساء فقصره ضرورة .

المدير :

صَرَخَ ، أَبْنِ ، فَالْخَيْرُ فِي التَّصْرِيحِ قَدْ تَبَرَّأَ الْعِلَّةُ بِالتَّشْرِيحِ

الجنان :

أَقُولُهَا فَصِيحَةً صَرِيحَةً قَاطِعَةً لِصَاحِبِي مُرِيحَةً
أَنْتَ امْرُؤٌ تَضِلُّ لِلرَّئِيسَةِ وَأَنْتَ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْكِيَاَسَةِ
وَأَنْتَ تَدْرِي بِالْقَضَاءِ الْفَصْلَ مِنْ أَيْنَ يُؤْكَلُ (الدِّمَاغُ الْمَصْلِيُّ) (1)
وَهَذِهِ فَرْعٌ عَنِ الْأَدَارَةِ فَخُذْهُمَا بِالْحَقِّ عَنِ جَدَارَةِ
وَهَكَذَا فَلْيَكُنِ الْمُدِيرُ

الجلالي :

وَهَكَذَا فَلْيَكُنِ الْبَنَدِيرُ

المدير :

مَا لَكَ لَا تَفْقَهُ تَزْدِيرِي وَبِكَلَامِ السُّوءِ تَمْتَرِي
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّي أَمِيرُكَ وَأَنْتِي مِنْ قَبْلِهَا مُدِيرُكَ

الجلالي :

كَذَبْتَ بَلَّ يَمِيرُنِي لِسَانِي وَالْعِلْمُ نِعَمَ الذُّخْرِ لِلْإِنْسَانِ
أَمَا تَرَانِي كُلَّ يَوْمٍ أَكْدَحُ بِهِ كَأَنِّي فِي صَفَاةٍ أَقْدَحُ

ج - سكت ... وقلت ... (2)

هدية إلى حماة العروبة بالمغرب الأقصى

سَكْتُ ، فَقَالُوا : هُدْنَةٌ مِنْ مَسَالِمِ وَقُلْتُ ، فَقَالُوا : ثَوْرَةٌ مِنْ مُحَارِبِ
وَبَيْنَ اخْتِلَافِ النُّطْقِ وَالسَّكْتِ لِلنُّهْيِ مَجَالِ ظُنُونٍ وَاشْتِبَاهِ مَسَارِبِ
وَمَا أَنَا إِلَّا الْبَحْرُ : يَلْقَاكَ سَاكِنًا وَيَلْقَاكَ جَيْشًا مَهُولَ الْغَوَارِبِ

1 - هذا تصرف في المثل القائل : « يعرف من أين يؤكل الكتف » .

2 - ميون البصائر ص 467 . وقد نشرت في العدد 150 عام 1954 م .

وَمَا فِي سُكُونِ الْبَحْرِ مَنْجَاءً رَاسِبٍ
وَلِي قَلَمٌ أَلَيْتُ أَنْ لَا أُمَّدَّهُ
جَزَى سَائِقًا فِي الْحَقِّ ظَلْمَانَ عَائِقًا
يُسَدِّدُهُ عَقْلٌ رَسَا فَوْقَ رَبْوَةٍ
إِذَا مَا الْيَرَاعُ الْحُرُّ صَرَ صَرِيرُهُ
وَمِنْ سَيِّئَاتِ الدَّهْرِ أَحْلَافٌ فِتْنَةٌ
وَمِنْ قَلَمِي أَنْهَلْتُ سَحَابٌ نَقْمَةٌ
فِيَا نَفْسُ لَا يَقْعُدْ بِكَ الْعَجْزُ ، وَانْهَضِي
حَرَامٌ ، فَعُودُ الْحَرِّ عَنْ ذُودٍ مُعْتَدٍ
وَبَسَلٌ (2) سَكُوتُ الْحُرِّ عَنْ عَسْفِ ظَالِمٍ
يَسْتَنْ ذَنْبَ السُّوءِ قَوْمِي سَفَاهَةٌ
وَمَا كَانَ جُنْدَ اللَّهِ أضعَفَ نَاصِرًا
وَمِنْ جُنْدِهِ مَا حَطَّ أَسْوَارَ « مَارِدٍ » (3)
وَمِنْ جُنْدِهِ الْأَخْلَاقُ : تَسْمُو بِأُمَّةٍ
وَتَنْحَطُّ فِي قَوْمٍ فَيَهْوُونَ مِثْلَ مَا
يَنَالُ الْعَلَاءُ شَعْبٌ يَقَادُ إِلَى الْعُلَى
رَعَى اللَّهُ مِنْ عَرَبِ الْمَشَارِقِ إِخْوَةً
تَوَافَوْا عَلَى دَاعٍ مِنَ الْحَقِّ مُسْمِعٍ
هُمُورَ أَسْمَالِي ، لَا نُضَارُ وَفَضَّةٍ
وَهُمْ مَوْرِدِي الْأَصْفَى الْمُرْوِي لُغَلَّتِي

وَلَا فِي ارْتِبَاجِ الْبَحْرِ عِصْمَةٌ سَارِبٍ
يَفْتَلِ مَوَارٍ ، أَوْ يَخْتَلِ مَوَارِبٍ
لِأَمْثَوَاهِ دُنْيَاهُ الْفَرَارِ الزُّغَارِبِ (١)
مِنْ الْعَمْرِ ، رَوَاهَا مَعِينُ التَّجَارِبِ
نَجَا الْبَاطِلُ الْهَارِي بِمُهْجَةِ هَارِبٍ
وَجُودُهُمْ إِحْدَى الرِّزَايَا الْكَوَارِبِ
عَلَيْهِمْ بِوَدْقٍ مِنْ سَمِ الْعُقَارِبِ
بِنَصْرَةِ إِخْوَانٍ ، وَعَوْتُ أَقَارِبِ
رَمَى كُلَّ ذُودٍ فِي الْبِلَادِ بِخَارِبِ
رَمَى كُلَّ جَنْبٍ لِلْعِبَادِ بِضَارِبِ
بِمَا جَبَّ مِنْهُمْ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ
وَلَا سَيْفُهُ الْمَاضِي كَلِيلُ الْمُضَارِبِ
وَمَا صَنَعَ الْفَارُ الْمِهِينُ « بَمَارِبِ » (٤)
إِلَى أَفْتَقِ سَعْدٍ لِلْسِمَاكِ مَقَارِبِ
تَرَى الْعَيْنُ مِنْ مَهْوَى النُّجُومِ الْعَوَارِبِ
تَشْنُونَ ، مِنْ نَهْرِ الْمَجْرَةِ شَارِبِ
تَنَادَوْا فَدَوَى صَوْتُهُمْ فِي الْمَغَارِبِ
وَوَقُّوا بِنَدْرِ فِي ذِمَامِ الْأَعَارِبِ
وَهُمْ رِبْحُ أَعْمَالِي وَنَجْحُ مَا رَبِي
إِذَا كَدَّرَتْ « أُمَّ الْخِيَارِ » (٥) مَشَارِبِي

(١) الزُّغَارِبُ : جمع زغرب ، وهو الماء الكثير المتنجس . (2) بسمل : حرام .

(3) مارد : لصر منيف ، ضرب به المثل : « تمرد مارد وعز الأبلق » .

(4) مارب : هو سد معروف كان باليمن ، وقد تربت على اختلاله سيل العرم ، الذي اجتاح أرض سبا .

(5) أم الخيار : كنية اصطلاح الأدباء في الجزائر من إبنائنا العاملين على تكتية فرنسا بها اخدا من قول

أبي النجم الزاهر : قد أصبح أم الخيار على ذنبا كله له اصنع

روجه هذه التكنية أنها كانت تتجنى علينا ، وتخلق لنا من الذنوب ما لم نضمنه ، كلما ابادت

الحاق الذنوب بنا .

جمعية العلماء ومكانتها (*)

في تاريخ الجزائر الحديث

للأستاذ محمد المبارك عضو الجمع اللغوي بدمشق

تمهيد :

إن من لا يعرف « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » لا يعرف شيئاً عن الجزائر في عصرها الحاضر فهي تؤلف الجواز الضخم في كيانها والفكرة المستقرة في ضميرها والمعيرة عن روجها التي جُمعت في أعمال بدآت من نشر العلم والدين والوعي السياسي وانتهت إلى ثورة مسلحة كانت الخاتمة والنتيجة لحركتها .

ظروف نشأتها :

كان الجو الذي أنشئت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو الجو الذي بلغ فيه الاستعمار الفرنسي ذروة شدته فكان الفرنسيون المستعمرون قد سلبوا الأراضي من اصحابها وامتلكوها وساروا على خطة التثكيل بالجزائريين المسلمين واحتقارهم واضطهادهم وتجهيلهم وإفقارهم واقصائهم عن جميع مرافق الحياة حتى إنهم ما كانوا يعتبرونهم مواطنين بل رعيته تابعين وإنما المواطنون هم الفرنسيون وحدهم واتخذوا كل الخطط لمنعهم من تعليم الدين والقرآن واللغة العربية واستولوا استيلاءً مباشراً على الأوقاف فأخذوا أموالها وعلى المساجد فاتخذوا بعضها كنائس ولم يكن الفرنسيون يقبلون حتى بقرنسة الجزائريين واعتبارهم مواطنين قرنيين لأن ذلك يعطيهم حقوق الفرنسيين ويوجب تثقيفهم بالثقافة الفرنسية، وسياستهم إنما كانت في اتخاذهم خداماً وعبيداً ويستلزم ذلك إفقارهم وتجهيلهم .

ولذلك أنشئت في الجزائر نتيجة هذا الاضطهاد أحزاب وهيئات كان غاية ما تطالب به وتتمنى تحقيقه ان يكون الجزائريون مواطنين فرنسيين لهم حقوق الفرنسيين

منهجها الإصلاحى :

في مثل هذا الجو برزت حركة جمعية العلماء واتخذت نهجا جديدا يختلف عن ذلك الذي سلكه غيرها من الأحزاب والهيئات فهي أطول طريقاً وأبعد هدفاً وأكثر أصالةً وأعمق جذوراً وذلك بإعادة الجزائري إلى إطاره وكيانه الإسلامى وإلى عريته

(*) الامام الراحل الشيخ البشير الإبراهيمي : محمد طاهر فضلاء .

وتكوينه تكويناً جديداً يجعله غير قابل للاستعمار ويؤهله للنضال والجهاد ، وكان من اعلام هذه الحركة الشيخ عبد الحميد بن باديس ذلك الرجل العظيم الذي لا يُنسى فضلُه ابدأً على الجزائر الحديثة وكان منهم الشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي والشيخ البشير الإبراهيمي، والاستاذ احمد توفيق المدني حفظه الله الذي اصدر منذ أكثر من ثلاثين سنة كتاباً عن الجزائر باللغة العربية لم يكتب مثله أي قطر عربي في ذلك الحين من الوجهة التاريخية والجغرافية والاجتماعية .

اهدافها :

لقد أدرك هؤلاء جميعاً أن حلَّ المشكلة وقد وصلت الى ما وصلت اليه لا يكون بالمطالبة بحقوق سياسية وإنما يكون بحركة جذريّة تنتهي بتحقيق المطالب السياسية بل بالتححرر الكامل ، لقد أدركوا أنّهُ لا يحفظ كيان هذا القطر العربي المسلم - كسائر الاقطار العربية التي كانت منهم على مرأى ومسمع - إلاّ بإحياء الإسلام في عقيدته المحرّرة ونظامه وجهاده، وإحياء اللّغة التي بها أدى الإسلام رسالته وهي اللغة العربية وإحلال هذه العقيدة الشاملة محلّ مخلّقاتِ عصور الإقطاعِ من حشوبات وخرافات وانحرافات وإسفاف ومحلّ تلك الثقافة الفرنسية السطحية المزيفة الغريبة عن رُوح هذا البلد العربيّ المسلم .

نشاطها :

فعمدت الجمعية إلى نشر هذا الوعي الإسلامي عن طريقين : طريق الشعب في المساجد والنوادي والبيوت وبواسطة الصحف والمجلات والكتب .

وطريق الجيل التّأثيريّ في المدارس التي اخدوا يؤسّسونها في كل بلد من بلاد الجزائر ، وكانت حركة هائلة ومعركة اشتعلت بينهم وبين الاستعمار الذي كان يغلُق هذه المدارس ويحاكم القائمين بها وتفتحها الجمعية وتزيد عليها مدارس أخرى جديدة . حتى استطاعوا خلال عشر سنين أو اقل من ذلك ما بين 1930 و 1940 أن يوجّدوا وُعياً عامّاً وروحاً إصلاحية سَلَفِيَّةً وشعوراً قويا يَتَمَيَّزُ الجزائريّ بإسلامه وعَرَبِيَّتِهِ عن الفرنسي الرومي ، وبلغ مدّ هذه الحركة فرنسا نفسها حيث كان يعيش عدد كبير من الجزائريين فقد كان في باريس وحدها نحو مئة ألف جزائري عدا المدن الاخرى ، فأسست النوادي في باريس ومرسيليا .

اثرها :

لقد كان الوُعْيُ السِّيَاسِيّ الشامل في جمهور الشعب الجزائري نتيجةً طبيعية لحركة جمعية العلماء في الجزائر وكان هو المرحلة الثانية التي اعقبت الوعي الفكريّ والدِّينِيّ ولم يكن ثوار الجزائر إلا ابناءً هذا الجيل الذي رَبَّتْهُ مدارس جمعية العلماء ونواديهما في الجزائر وفي فرنسا ولم تكن الثورة التحريرية تَقْسِمُهَا إلا جزءاً من

الخطة العامة الواسعة التي رَسَمَتْ خطوطَهَا تلك العقولُ الكبيرة التي آسَسَتْ هذه الجمعية وليس اعظم ثوار الجزائر بطولة إلا تلاميذَ بَرَّةٍ لجمعية العلماء وَمُنْفِدِينَ مُخْلِصِينَ لِخَطِّهَا الْحَكِيمَةِ وكانت العقيدةُ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْعَاطِفَةُ الدِّينِيَّةُ اقوى بواعثِ هذه الثورة وامتضى اسلحتها ومن اعماقها كانت تَسْتَمِدُّ الثَّورَةَ قُوَّتَهَا وَلِهَيْبَهَا .

ليست الوطنية ولا القومية في الجزائر إلا ضَرْبًا من العواطف الإسلامية والمشاعر الدينية التي كانت تقف في وجه أوروبا الصليبية المتعصبة التي كانت تقوم دَوْمًا بالتبشير والتبشير بالاستعمار لأن أوروبا لم تفهم الدِّينَ إلا من هذه الزاوية الضَّيِّقَةِ وبهذه النظرة المشوَّهة المُتَحَرِّقَةِ .

إن جمعية العلماء قد آخَيْتِ الجزائر وَبَعَثَتْ فيها عَرَبِيَّتَهَا التي كادت تَغيب وَإِسْلَامَهَا الذي كاد يُفْقَضُ عليه ، ولو أنَّ حركات التحرر السِّيَاسِيَّ في الجزائر سارت بطريق آخر وعلى منهج بعض الهيئات التي أنشئت في جو التائر بالثقافة الفرنسية لكانت الجزائر اليوم قطرا فرنسا ولو انه مستقل استقلالاً ذاتياً ولكنه استقلال يحمو ذاتيتها ويزيل عنها إسلامها وعروبعتها .

واجب الأمة الجزائرية نحوها :

إنَّ من الوفاء للتاريخ ومن الوفاء لأصحاب الفضل والسَّابِقَةِ أن نضع جمعية « العلماء المسلمين الجزائريين » في قِمَّةِ تَارِيخِ الْجَزَائِرِ الحديث وأن نضع رجالها الأبطالَ وفي مقدمتهم البطل المجاهد ابن باديس رحمه الله والعلامة المجاهد الشيخ الإبراهيمي في سِجْلِ أبطال تاريخ الإسلام بوجه عامٍ وتاريخ العرب بوجه خاص .

وإن من الوفاء لهم ولتاريخنا وامتنا أن تسير الجزائر على النهج الذي رسموه وتكمل الخطة التي بدأوها وذلك بأن تكون نهضتها بعد تحررها قائمة على الإسلام وَحَدَهُ تَحْمِيلَ لِرِوَاءِ عَقِيدَتِهِ آمَامَ سَائِرِ الْعَقَائِدِ الأخرى ، فَتُقِيمُ مجتمعها على أساس مَبَادِيٍّ، مَّتَحَرِّرَةً فِي عَقِيدَتِهَا وَفِي نُظْمِهَا مِنْ سَائِرِ « الأيديولوجيات » والعقائد الأخرى وسائر الأنظمة دون أن يَحْوِلَ ذلك بينها وبين الاستفادة من تجارب الأمم فيما وراء المبادئ الأساسية والاتجاهات الكبرى وحينئذ تُقَدِّمُ الجزائر لسائر البلاد العربية أَصَحَّ تَجْرِبَةٍ اجتماعية سياسية في هذا العصر وَخَيْرَ نَمُودَجٍ لشقيقاتها العربيات ولاخواتها الإسلاميات ولصديقاتها وغير صديقاتها من بلاد العالم جميعا .

تعريب التعليم

بين القائلين والمعارضين له

إذا كان تعريب التعليم لا يزال يثير الكثير من الجدل في بعض الأوساط السياسية والاجتماعية والتربوية فمرّد ذلك إلى أن الذين يجادلون فيه لا يتحررون من الدوافع الذاتية .

فلعلنا إذا اتبعنا في معالجة هذا الموضوع طريقة موضوعية نستطيع أن نهتدي إلى رأي يجمع بين الآراء المتعارضة ، أو يضيق على الأقل شقة الخلاف بينها . وسنقصر كلامنا في هذه الدراسة على الآسام بالمسائل التالية ، وهي

- 1 - ما هو المقصود بتعريب التعليم .
- 2 - حجج المخالفين للتعريب .
- 3 - حجج المدافعين عن التعريب .

1 - المقصود بتعريب التعلم

المقصود بتعريب التعليم تدريس جميع مواد المنهج باللغة الوطنية في جميع مراحل التعليم وأنواعه ، لا تدريس بعضها دون بعض ولا تدريسها في مرحلة دون مرحلة فإذا كانت بعض نظم التعليم توجب تدريس جميع هذه المواد في مختلف مراحل التعليم باللغة العربية كان التعريب تاما وإذا كانت توجب تدريسها باللغة العربية في مرحلة واحدة أو تدريس بعضها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الأجنبية كان التعريب ناقصا . ويشترط في تعريب التعليم تعريبا تاما أن تكون أهدافه ومضامين مناهجه عربية وأن يكون القاء دروسه باللغة العربية الصحيحة ، وأن يكون هناك لدى المعلمين والتلاميذ كتب عملية باللغة العربية موافقة لمنهج التعليم ، وأن يؤدي التلاميذ امتحاناتهم الخطية والشفهية باللغة العربية الصحيحة . وهذه الشروط وحدها كافية للدلالة على أن تعريب التعليم لا يخلو من الصعوبات ، لأن بعض المعلمين الذين تخرجوا من الجامعات الغربية يؤثرون القاء دروسهم بالعامية لضعفهم في الفصحى ، أو القاءها باللغة الأجنبية التي تفقوها لتوافر مراجعها ووسائلها لديهم . أما التلاميذ فانهم يقدمون امتحاناتهم الشفهية بالعامية ، وامتحاناتهم الخطية

بالفصحى ، وان كانت محشوة بالاغلاط . واكثر الاساتذة لا يحاسبون التلاميذ على اغلاطهم اللغوية في امتحانات المواد العلمية ، فلا عجب بعد ذلك ان ينقسم رجال التربية ازاء هذه الصعوبات الى طائفتين : طائفة ترى وجوب تعريب التعليم في جميع مراحلها وانواعه تعريبا تاما ، وطائفة تذهب الى وجوب تعليم جميع المواد العلمية باللغة الاجنبية كالفرنسية او الانكليزية . وبين هاتين الطائفتين طوائف متوسطة بعضها قريب من الطائفة الاولى ، وبعضها قريب من الطائفة الثانية ، وربما كانت اقرب الطوائف الى التوسط تلك التي تقسم مواد المنهج قسمين : قسم تدرس فيه المواد باللغة العربية (كالتاريخ والجغرافية والتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة) وقسم تدرس فيه المواد باللغة الاجنبية (كالرياضيات والعلوم الفيزيائية ، والكيمائية ، والحيوية) . وكل طائفة من هذه الطوائف متطرفة كانت او معتدلة تجمع على استثناء دروس اللغة من احكام التعريب لان القائلين بالتعريب الكامل يدعون الى تدريس اللغات الاجنبية نفسها ، كما ان القائلين بتدريس جميع المواد باحدى اللغات الاجنبية يجمعون على استثناء اللغة العربية من هذا الحكم .

ونريد الان ان نلخص حجج المخالفين للتعريب وحجج المدافعين عنه لمعرفة ما في كل موقف من هذين الموقفين من حق او باطل .

2 - حجج المخالفين للتعريب

يرى المخالفون لسياسة التعريب ان من مصلحة الشعوب العربية تدريس العلوم باحدى اللغات الاجنبية كالفرنسية او الانكليزية او غيرها . ولهم على ذلك عدة براهين منها :

1 - قولهم ان الفصحى ليست لغة الكلام والحياة . وانما هي لغة شبه ميتة لا يستعملها الا الشعراء والكتاب ولا تعيش الا في بطون المعاجم ، فاذا تكلفها المدرس كان كمن يصنع لنفسه امرا بعيد المنال ، يعاني في سبيله كثيرا من المشقة . فما بالك اذا كان حرصه على استعمال الفصحى يجعل تعليمه بعيدا عن افهام تلاميذه . واذا كانت غاية التربية ان تترك في ذهن التلميذ اثارا عميقة تبدل فكره وعمله وتمكنه منها فان استعمال الفصحى في التدريس يحول دون بلوغ هذه الغاية ، لانها ليست لغة الكلام ، ولان من شروط التربية الصحيحة استعمال اللغة الطبيعية السهلة التي يتم بها الفهم والافهام في يسر . وهذه اللغة الطبيعية هي العامية لا الفصحى . فكان استعمال الفصحى في التدريس لا يختلف عن استعمال اللغة الاجنبية في شيء كلاهما يتطلب جهدا صناعيا اضافيا لو صرفه التلميذ في تفهم الحقائق نفسها لقطع شوطا بعيدا في طريق النمو والتقدم .

2 - ومن هذه البراهين قولهم ان اللغة العربية لا تشتمل على المصطلحات العلمية الضرورية للتعبير عن المعاني العلمية الحديثة . فاذا كان من شروط تدريس العلوم ان تتوافر لدى المدرسين مصطلحات علمية ثابتة ، فان خلو اللغة العربية من

هذه المصطلحات يجعل عملية التعليم مضطربة والدليل على ذلك ان لكل مدرس مصطلحات تخصه لا يفهمها الا تلاميذه ، وتختلف هذه المصطلحات باختلاف البلدان العربية ، بل قد تختلف في البلد العربي الواحد باختلاف الجامعات ، وفي الجامعة الواحدة باختلاف الاساتذة . وجميع المحاولات التي قامت حتى الآن لتوحيد المصطلحات العلمية بوساطة المجمع العلمية والجامعات والمؤتمرات الثقافية والاتحادات العلمية لم تكمل بالنجاح ، حتى ان مكتب التعريب الذي انشأته الجامعة العربية في الرباط لم يستطع حتى الآن ان يحقق هذا التوحيد وان كان قد بذل في سبيل ذلك كثيرا من الجهد الذي يستحق الثناء والتقدير .

3 - ومن هذه البراهين قولهم ان اللغة العربية لا تزال حتى الآن مفتقرة الى المراجع العلمية لروح العصر واذا قيل لهم ان الكتب العلمية التي ألفها العرب المحدثون في الرياضيات والطبيعات وغيرها قد يسرت الامر على التعلم ، قالوا ان هذه الكتب لا تقاس بالكتب العلمية التي ألفها العلماء الاوربيون والامريكيون ، لانها متفاوتة الجودة والاثقان ، فيها الكثير من الخطأ والغموض والابهام ، دع ان قلنا انتشارها تمنع من اعادة طبعها لتصحيحها وتنقيحها وتنسيقها واكمال ما ينقصها من الحقائق المطابقة لحالة العلم الحاضرة . ان كتب الطب العربية التي يؤلفها اساتذة جامعة دمشق مثلا على جودتها واتقانها تصبح بعد مدة قصيرة من الزمان غير صالحة للتدريس لسرعة تطور علم الطب ، ولخلو هذه الكتب من الحقائق العلمية الجديدة . واذا كان الذين يتعلمون الطب في هذه الكتب لا يتقنون احدى اللغات الأجنبية للاطلاع على مستحدثات العلم فان اعتمادهم على العربية وحدها لا يفهمهم في شيء . فما بالك اذا كانت الجامعات العربية لا تنشر مجلات اختصاصية تتضمن التعريب بالكشوف الجديد ، او بنتائج التجارب التي اهتدى اليها الباحثون . لقد حصر علماءنا جهدهم حتى الآن في تعريب مصطلحات لم يتم الاجماع عليها ، فصرفهم اشتغالهم بالتعريب عن الاسهام في التقدم العلمي . ولو بذلوا في البحث العلمي فسا من الجهد الذي يبذلونه في التعريب لاحتل العالم العربي في تاريخ العلم الحديث مرتبة اعلى من مرتبته الحاضرة .

4 - ومن حجاجهم قولهم ان اللغة العربية لا تتسع لاستيعاب جميع المصطلحات العلمية الحديثة . وسبب ذلك ان الانتاج العلمي قد توقف فيها مدة طويلة من الزمن ، ولا سيما في عصور الانحطاط ، حتى أصبحت المصطلحات القديمة التي ترجمها العرب عن اليونانية وغيرها غير صالحة للتعبير عن دقائق الفكر الحديث ، اُضف الى ذلك ان جهل الاساتذة المعاصرين بالاصطلاحات العربية القديمة جعلهم يخترعون الفاظا جديدة لمسميات قديمة . وقلما وجدت فيهم من يرجع الى مصطلحات الخوارزمي في مفاتيح العلوم ليقبس منها مصطلحات الحساب والهندسة والفلك والموسيقى والحيل والكيمياء والمكايل ، او الى مصطلحات ابن سينا في القانون والشفا ليقبس منها بعض مصطلحات الطبيعة والتشريح والامراض والادوية وعلم النفس فلا غرو اذا جاءت الفاظهم مبهمه واساليبهم مضطربة . وما حاجتهم الى وضع

سه جديد لمعنى قديم اذا كان القدماء قد سبقوهم اليه ، ان احياء الالفاظ الدالة على المعاني القديمة يوفر عليهم كثيرا من الجهد ، ولو نسجوا على منوال العلماء لجاءت لغة العلم الحديث متصلة بلغته القديمة ، ولكن هؤلاء المؤلفين يخترعون ما لا حاجة الى اختراعه ، ويفضون الطرف عن اختراع ما تدعو الحاجة اليه . لو طلبت من احدهم ان يسمي لك اجزاء السيارة او الدراجة ، او ان يصف لك ما يشتمل عليه احد المعامل الصناعية من الآلات والادوات لأعجزه الامر . وسبب ذلك ان هؤلاء المؤلفين تلقوا علومهم بالفرنسية او الانكليزية ولم يطالعوا الكتب العربية القديمة ، فاذا اراد احدهم ان يترجم لك مصطلحا اجنيا حديثا جاءك بلفظ غير مفهوم . دع ان اشتقاق المصطلح العلمي وتطويعه لاصول اللغة العربية ليس بالامر السهل ، لان اللغات الاجنبية تقبل كلمات مؤلفة من عدد من الحروف يفوق العشرة او العشرين مركبة من جذور متعددة تضاف اليه توابع ولواحق وليس في اللغة العربية من هذه الوسائل شيء .

5 - ومن حججهم قولهم ان خلو الجامعات العربية من برامج التخصص العالي في الفروق العلمية يوجب على المتخرجين منها ان يقصدوا بلادا اجنبية فاذا كانت الجامعات العربية لا تعلمهم هذه العلوم الا باللغة العربية عجزوا عن متابعة دراستها باحدى اللغات الاجنبية واضاعوا في سبيل تخصصهم العالي كثيرا من الجهد والوقت والمال . هل من مصلحة البلاد العربية وهي في حاجة الى العلماء الاختصاصيين ان تبذل في سبيل اعدادهم وقتا اطول من الوقت الذي تبدله الدول المتقدمة . واذا كان الأساس الذي يبنون عليه تخصصهم أساسا واهيا ، فان البناء الذي يقيمونه على هذا الأساس لا يمكن أن يكون الا متصدعا ، ان تخلف البلاد العربية عن الركب يوجب عليها اتباع اسرع الطرق في اعداد الخبراء والاختصاصيين . وتعليم العلوم بالعربية ليس من الطرق التي تحقق هذه الغاية وفي اسرع مدة . يضاف الى ذلك ان عجز هؤلاء الاختصاصيين عن الكتابة والخطابة باحدى اللغات الاجنبية يجعلهم في عزلة « تامة » عن العالم العلمي الدولي ، هذا اذا كان لديهم ما يقولونه ، وكثيرا ما تجدهم يحضرون المؤتمرات العلمية الدولية للاخذ لا للعطاء واذا كان لديهم ما يعطونه احتاجوا الى من يترجم لهم اقوالهم . ولو كان العرب المحدثين اسهام واسع في الواقع الحضاري لاحتاج علماء العالم الى تعلم لغتهم ، ولكنهم لا يزالون حتى الآن في بداية الطريق . وحاجتهم الى علوم الاوروبيين اشد من حاجة الاوروبيين الى علومهم .

6 - فهذه الاسباب وغيرها جعلت القائلين بوجوب تدريس العلوم باحدى اللغات الاجنبية الحية يتهمون المدافعين عن تعريب التعليم بمخالفة الواقع والبعد عن المنطق . فاذا قال انصار التعريب ان التدريس باللغة العربية واجب قومي ، او واجب ديموقراطي ، قالوا ان هذه الدعوى انقياد للعواطف لا تقييد بالحقائق الموضوعية واذا قال انصار التعريب ان مبادئ التربية توجب تدريس العلوم بلغة الام لسهولة تبليغها قالوا ان لغة الام هي العامية لا الفصحى . او كانت الفصحى

سليقة فينا لا يمكننا استعمالها في التعليم فما بالك اذا كنا لا نطق الستنا الا بالخطأ ، ولا نتكلم بالفصحى الا تكلفا . ومع ان المنكرين لتعريب التعليم لا ينكرون على العربة فصاحتها وبلاغتها وأثرها القديم في بناء الحضارة فانهم عند الكلام على اتخاذها اداة للتعليم يشكون في قيمتها الثقافية ويقولون ان اللغة العربية الحديثة قليلة الانتاج والدليل على ذلك ان انتاج اللغة الانكليزية 22% والروسية 71% والالمانية 51% واليابانية 11% والفرنسية 9% اما انتاج اللغة العربية فهو اقل من 4% شأنها في ذلك شأن الالمانية والاسبانية والبرتغالية وغيرها . فاذا كان الامر على ما ذكرنا كان من الافضل لنا ان نزيد انتاجية لغتنا بتعليم اللغات الاجنبية للاقتباس منها ، ان المسألة مسألة حياة او موت ، ولا حياة للعرب المحدثين الا اذا خرجوا من اقصاهم المغلقة ومدوا ابصارهم الى العالم ، وصاروا لغيرهم من الامم اندادا في العلم والصناعة ، ولعلنا اذا اردنا تقويم المرحلة التي وصل اليها البحث العلمي في العالم العربي مع بيان آثار هذه المرحلة في تطور اللغة العربية نستطيع ان نتمتع على بعض المعايير التي تبرز لنا كذاك كعدد المجالات العلمية التي ننشرها ، وعدد المؤتمرات العلمية الدولية التي نقيمها ، وعدد البحوث العلمية المتكورة التي ننشرها . ان هذه المعايير وحدها كافية للدلالة على ان اسهام العرب في البحث العلمي ضعيف ، دع ان ضخامة الانتاج العلمي العالي والسرعة التي تولد بها التعابير ، في المصطلحات العلمية الجديدة ، وسرعة تبدلها كل ذلك يؤلف عبئا لغويا ثقيلا لا تكفي الجهود المبذولة حتى الآن في حقل المصطلحات العلمية لتخفيفه .

3 - حجج المدافعين عن التعريب

اما المدافعون عن التعريب فيقولون ان اللغة العربية من اغنى اللغات وأوسعها اشتقاقا وأدقها تعبيرا صقلها العقل في الماضي بضعة عشر قرنا حتى جعلها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة . فما بالك اذا كانت هذه اللغة ذات الطاقات الخلاقة قد أصبحت لغة جميع الاقطار التي فتحها العرب فخلقت فيها جميع اللهجات كالسريانية واليونانية ، والقبطية واستوعبت علوم الفرس واليونان ، حتى أصبحت اداة طيبة في أيدي العلماء ينشرون بواسطتها أفكارهم ، فليس القول بتقصير هذه اللغة في استيعاب العلوم الا أسطورة خبيثة بشها المستعمرون في ابناء هذا الجيل . وخير وسيلة لابرار سخف هذه الاسطورة ايراد الحجج التالية :

1 - الحجة الاولى حجة تربوية ، وهي القول بأن التلميذ الذي يتعلم العلوم بلغته يتفوق على التلميذ الذي يتعلم تلك العلوم بلغة أجنبية . وسبب ذلك ان لغة الوالدين أقرب الى الفهم والافهام ، وأبعد عن التعقيد ، واللبس والابهام ، يستعملها الطفل بتلقائية تامة ، ويدرك ما تعبر عنه من الحقائق في سهولة وسرعة ووضوح . وفي ذلك كما يبدو لنا اقتصاد في الجهد الفكري ، لان الذي يتعلم العلوم بلغة غير

لغته مضطر الى بذل جهدين ، احدهما لغوي والاخر علمي بخلاف التلميذ الذي يتعلم العلوم بلغة والديه ، انه لا يحتاج الى اضاءة الوقت في تفهم الالفاظ ولا الى تبذير طاقاته الحيوية في امور لا طائل فيها .

وقد دلت تجارب زملائنا الذين مارسوا تدريس العلوم في المدارس العربية والمدارس الاجنبية معا علي ان طلاب المدارس الاولى يتفوقون على طلاب المدارس الثانية في تفهم الحقائق العلمية وحفظها . ولست أريد الآن ان افصل القول في هذه التجارب ، ولكنني اريد ان اقول فيها قولاً واحداً وهو ان نتائجها العلمية مطابقة لما دل عليه النظر العقلي ، فالطالب الذي يتعلم العلم بلغة غير لغته يشبه الرجل الذي ينتقل من بيئة الى اخرى ، كلاهما محتاج الى اضاءة قسم من الوقت في مؤالفة الشروط الجديدة التي يواجهها فلا غرو اذا تفوق طلاب المدارس العربية على طلاب المدارس الاجنبية في امتحانات العلوم ما دامت لغة هذه الامتحانات لغتهم الطبيعية .

2 - والحجة الثانية حجة قومية ، وهي قول انصار التعريب ان اللغة مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان آدابه وسجل مطامحه واحلامه ، ومفتاح أفكاره وعواطفه ، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخرانة عاداته وتقاليده . وبين اللغة والفكر علاقة وثيقة ، وبقدر ما يتمكن الأفراد من لغتهم القومية تنمو مشاعرهم وافكارهم ، لانه لا فكرة بغير لفظ ، ولا لفظ بغير فكرة ، نعم ان هناك أفكاراً غامضة لا يمكنك التعبير عنها بالفاظ واضحة ، كما ان هناك الفاظ فارغة لا تعبر عن أي فكرة ، ولكن الفكرة لا تصبح واضحة متميزة الا اذا اثبتها اللفظ واللفظ لا يصبح ذا حياة وروح الا اذا دل على معنى محدد ، تلك هي وظيفة اللغة ، انها اداة التعبير عن خوالج النفس ، واداة الاتصال والتفاهم بين الناس ، واداة تحصيل العلم وتوسيع الاختيار ، واداة تثبيت الفكر ونقله من الاطار الداتي الى الاطار الموضوعي ، ورمز الكيان القومي .

ولست اريد الآن ان اتكلم على هذه الوظائف ولا على تأثير اللغة في تكوين الروح القومية وحفظها ، فان لذلك مجالاً آخر غير هذا المجال ، ولكنني اريد ان اقول ان استعمال لغة قومية واحدة ادى الى التقارب والتفاهم بين افراد الشعب من استعمال لغات متعددة او لهجات محلية مختلفة . واذا كانت الروح القومية روح جماعية مؤلفة من مجموع التصورات ، وكان لكل تصور لفظ واحد يدل عليه كانت الروح القومية الجماعية مقابلة لمجموع ما تتضمنه اللغة من الالفاظ ، واذا لم يكن هناك لفظ واحد للتعبير عن الشيء الواحد تعذر التفاهم بين الناس .

وفي التاريخ امثلة كثيرة تدل على ان تقدم الامم في مجال الحضارة مصحوب بتقدم لغاتها ، اذا ازدهرت حضارة احدى الامم وقويت شوكتها تقدمت لغتها كتقدم اليونانية في العالم القديم ، وتقدم العربية في العصر الوسيط ، واذا تأخرت الامة في المجال الحضاري تحجرت الفاظ لغتها وتأخرت أساليبها على النحو الذي شهدناه في عصور الانحطاط .

والنتيجة الصادقة التي نستخرجها من هذه المقدمات ان تنمية الروح القومية

توجب على العرب المحدثين تطوير لغتهم حتى يجعلوها مطابقة لحاجاتهم ، صالحة للتعبير عن افكارهم وخوارج أنفسهم ، فان اهمال اللغة العربية يضعف الوعي العربي ويبدد الشعور القومي .

ومن احسن الوسائل للنهوض باللغة العربية اتخاذها اذات لتدريس العلوم كلها لا لتدريس علم دون آخر ، لاننا اذا درسنا العلوم المادية والانسانية باحدى اللغات الاجنبية لم نبلغ من التربية القومية غايتنا ، ولان الطالب الذي لا يدرس العلوم باللغة العربية يظل ضعيفا في التعبير عن خوارج نفسه . ان المربين الذين يتخذون اللغة الاجنبية اداة للتدريس يعرضون ثمار جهودهم للضياع ، اذ ينشؤون بذلك جيلا ذا معارف سطحية لا صلة لها بمحيطه وحياته ولا بخبراته السابقة . وكلما كانت اللغة الاجنبية من فصيلة اللغة القومية كان هذا الخطر اعظم . ويكفي ان تدرس العلوم باحدى اللغات الاجنبية حتى تصبح هذه اللغة غولا يأكل اللغة ويقتل تدوق المتعلم لمحاسن لغته . ومعنى ذلك ان اقتصار النشاط التربوي على اللغة الاجنبية وحدها يدفع اللغة العربية الى الوراء ، وتفهم اللغة القومية امام لغة او اكثر من اللغات الاجنبية يعني تفهم الفكرة الوطنية . اللغة بهذا المعنى وسيلة وغاية معا ، فهي وسيلة من جهة ما هي اداة للتعبير وهي غاية من جهة ما هي صورة كلية للروح القومية .

3 - يمكننا الآن بعد ان قدمنا ذلك ، ان نفند حجج المخالفين للتعريب فنقول :

١ - ليست اللغة التي ندعو الى استعمالها في التدريس لغة العصر الجاهلي ولا لغة العصر الاموي او العصر العباسي ، وانما هي لغة العرب المعاصرين في مختلف اقطارهم . وهي وان اختلفت بعض الشيء عن اللهجات المحلية الا ان بينها وبين هذه اللهجات قرابة وثيقة . دع ان بعض هذه اللهجات اقرب الى الفصحى مما يظن ، والفرق بين العامية والفصحى في اللغة العربية الحديثة ليس اعظم من الفرق بينهما في بعض اللغات الاجنبية ، فاذا استعملنا هذه اللغة في التدريس لم نبتعد عن الحياة ، فما بالك ، اذا كانت وسائل الاعلام العربية قد جعلت هذه اللغة المبسطة على طرف اللسان وقد دل تطور اللهجات المحلية على ان اختلافها عن اللغة الصحيحة آخذ بالتناقض ، وسبب ذلك انتشار التعليم ونفود الاذاعات بواسطة الترانسيستور الى كل بقعة من بقاع الارض العربية .

ب - اما القول ان خلو اللغة العربية من المصطلحات العلمية يجعل التعليم بها محفوفا بالصعوبات ، فهو على صدقه لا يحول بيننا وبين التدريس باللغة العربية ، فاما ان نؤجل التدريس بهذه اللغة الى ان يتفق علمائنا على مصطلحات موحدة واما ان نباشر منذ الآن بوسائلنا الخاصة ، بحيث يستعمل كل استاذ ما يشاء من المصطلحات ويكتب الى جانب كل مصطلح ما يقوله من الالفاظ الانكليزية او الفرنسية . لقد أخذنا في سورية بهذه الطريقة الثانية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، فعرينا التعليم الابتدائي والثانوي والعالي في وقت لم يكن لدينا فيه كتب عربية ولا مصطلحات عربية ، ولو لم نطبق ذلك منذ نصف قرن تقريبا لما استطعنا اليوم ان نؤلف الكتب

العربية في كل فرع من فروع العلم ، والمؤلفون بعضهم على بعض رقيب ، فاذا اهتدى احدهم الى اصطلاح موافق اخذه زملاؤه عنه بحيث يمكن القول ان اساتذة جامعاتنا يتعاونون على تثبيت المصطلحات من تلقاء انفسهم . فما بالك اذا كان مجمع اللغة العربية ينشر المصطلحات العلمية في معاجم خاصة يقتبسها عنه العلماء وينشرونها في كتبهم ، بل ما بالك اذا كان المكتب الدائم لتنسيق التعريف في العالم العربي ينشر مجلة دورية للتعريب بنشاط الترجمة والتعريب وينشر المعاجم التي تقترحها عليه وزارات التربية والتعليم بالفرنسية والانكليزية والعربية لتحقيق وحدة المصطلح العلمي في لغة الضاد .

ج - واذا قيل ان تدريس العلوم باللغة العربية يجعل المتخرج من مدارسنا عاجزا على الافادة من المراجع الاجنبية ، وان ثقافته العلمية اذا اقتصر على ما قراءة في الكتب العربية القليلة العدد ظل متخلفا عن الركب ، قلنا انا لا ندعو الى تضيق الخناق على العقل العربي ولا الى حصر نشاطه في لغة واحدة ، بل نضيف الى دعوتنا الى التعريب دعوة اخرى وهي وجوب اتقان لغة اجنبية « واحدة » او لغتين اجنبتين ، فاذا قرا طلابنا علومهم باللغة العربية وكانوا من القوة في احدي اللغات الاجنبية بحيث يستطيعون ان ينتفعوا بمطالعة كتبها الاختصاصية لم يجمدوا علمهم بل جاوزوا درجات التحصيل التي بلغوها الى درجات اعلى منها .

د - اما القول ان اللغة العربية لا تتسع لاستيعاب جميع المصطلحات الحديثة فقول باطل من اساسه لان اللغة العربية استوعبت العلوم القديمة كلها يوم ترجمت اليها في العصر العباسي الاول مع انه لم يكن فيها اذ ذاك مصطلحات علمية تسهل سبل هذه الترجمة . ويكفي ان يرجع المرء الى كتب ابن سينا والخوارزمي والرازي والبيروني وجابر بن حيان وابن الهيثم وغيرهم ليدرك ان ما تضمنته هذه الكتب من المصطلحات يصلح ان يكون اساسا لوضع مصطلحات جديدة تعبر عن المعاني العلمية الجديدة ، وفي وسع علمائنا ان يقتبسوا من هذه المصطلحات القديمة ما يشاؤون ، واذا عز عليهم ايجاد مصطلح قديم لمعنى علمي حديث وضعوا له بطريق الاشتقاق والنحت لفظا جديدا او عربوه ، ونحن لا نشترط في هذا التعريب ان يكون على وزن عربي ، بل نشترط فيه ان يكتب اللفظ بالحروف العربية والاجنبية معا لا بالحروف العربية وحدها .

هـ - اما القول ان الافراد الذين درسوا باللغة العربية لا يستطيعون ان يسهموا في النشاط العلمي الدولي لجهلهم باللغات الاجنبية العالمية فقول مشتمل على شيء من التعمية ، لان المعجز عن الاسهام في النشاط العلمي الدولي لا يرجع الى ضعف علمائنا في اللغات الاجنبية ، بل يرجع الى ضعفهم في موضوع اختصاصهم . وما حاجتهم الى الاسهام في هذا النشاط اذا لم يكن عندهم ما يقولونه ونحن لم ندع الى الاعراض عن اللغات الاجنبية .

بل دعونا الى تعليمها واتقانها ، وليس في تعليم العلوم باللغة العربية ما يوجب الاعراض عن تعلم اللغات الاجنبية ومطالعة كتبها .

الباب الثالث

تطور الأدب العربي في العصر الحديث وخصائصه الفنية

تمهيد :

عرفت فيما سبق العوامل التي اثرت في ادبنا العربي الحديث ، ونقلته من الجمود والضعف الى اليقظة والقوة ومسايرة الحياة .

كما عرفت ان هناك تيارين رئيسيين اثرا في مسيرته ونهضته هما : بعث التراث العربي القديم ، والاتصال بالحضارة الأوربية المعاصرة . ومن ثم ظهرت مدارس ادبية مختلفة في الأدب العربي الحديث ، منها ما يأخذ من القديم بحظ وافر ، ومنها ما يثور على القديم ويلج في الدعوة الى ضرورة التجديد ، على تفاوت بينها في المحافظة والتجديد تبعاً للاعتبارات الآتية :

1 - حركة التفرغ والتطور العالمية المستمرة في النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية . فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي - وهو بداية عصر النهضة الأوربية - والعالم يموج بتيارات مختلفة كان من أبرزها تأثيراً على الأدب قيام الثورات الشعبية ، وانتشار الاستعمار ثم انحساره ، وقيام كتل ومنظمات دولية ، وتقدم الآلة والصناعات بصورة مذهلة .

وقد أخذت البلاد العربية دورها في هذه الحركات منذ بداية نهضتها المعاصرة في القرن التاسع عشر .

2 - ظروف المجتمع العربي ومتطلباته النفسية والفكرية خلال نهضته المعاصرة جعلته يتردد بين التمسك بالقديم في الأدب ، أو يتجه الى لون معين من التجديد فقد كان الاستعمار الأوربي للبلاد العربية - مثلاً - سبباً في انتشار النزعة الرومانسية الحزينة المعبرة عن آلام الانسان ، وفي الوقت نفسه كان هذا الاستعمار سبباً في تشبث فريق من الوطنيين بنزعات الأدب القديمة حفاظاً لكيان الأمة وحرصاً على مقوماتها الشخصية من الضياع والدوبان .

3 - تأثر الكتاب والأدباء العرب بالتيارات العالمية الأدبية على تفاوت بينهم في التأثر بهذه التيارات وهضمها تبعاً لاختلاف ثقافتهم واتجاهاتهم النفسية والفكرية .

4 - ملاءمة طبيعة الأدب العربي لقبول أو رفض بعض النزعات الجديدة بحكم ما يحمله من خصائص فنية ورثها عبر تاريخه الطويل .

وقد تركت هذه العوامل وغيرها أثرها الواضح في ادبنا العربي فجدت فيه فنون ادبية كالمرحبة والقصة ، وتنوعت الأغراض وكثرت المذاهب والاتجاهات وتطورت المعاني والأساليب .

وفيما يلي نقدم لك صورة لأهم المذاهب الأدبية الغربية مع بيان تأثيرها في الأدب العربي الحديث ثم نوضح لك تطور الشعر والنثر في هذا العصر ونبين خصائصها الفنية .

الفصل الأول

المذاهب الأدبية الغربية واثرها في الأدب العربي

- 1 - تمهيد
- 2 - الكلاسيكية .
- 3 - الرومانسية .
- 4 - الواقعية .
- 5 - مذاهب أدبية أخرى

تَهْيِيد :

تحدرت الآداب الأوربية منذ بداية عصر النهضة خلال مسارات فنية متميزة اصطاح النقاد على تسميتها بـ « المذاهب الأدبية » التي تُعَدُّ تعبيراً أميناً عن حالات نفسية عامة أوجدتها حوادث التاريخ ، وملايسات الحياة .

وهذه المذاهب على تباين اتجاهاتها ، واختلاف منازعها اطلع عايبها ادباؤنا ، وافادوا منها ، واتخذوا من بعض مبادئها أسسا لتطوير ادبنا العربي ، وما يتصل به من نظرات ومفاهيم نقدية .

وفيما يلي نقدم لك أهم المذاهب الأدبية التي نشأت في أوربا ثم نوضح لك مدى تأثيرها في الأدب العربي :

الكلاسيكية : (Classicisme)

نبوّات الكلاسيكية مكانتها الأدبية في أوربا في النصف الأول من القرن السابع عشر^(*)، وقد ظهرت في إنجلترا على يد الشاعر الإنجليزي جون دريدن بينما ظهرت في فرنسا قبل ذلك بزمن وجيز على أيدي جماعة « البليياد »^(*) وعلى رأسهم رونساو ودي بيليه .

وكان هذا الاتجاه الكلاسيكي تلبية أمينة للظروف الفكرية التي عاش في ظلها الأدب الأوربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، حيث كان للنزعة العقلية سلطان كبير على الإبداع الأدبي . فافسح الكلاسيكيون مكانا عظيما للعقل ، وجعلوه وسيلتهم الى تقويم العمل الفني ، ومن ثم اتسم ادبهم بالوضوح ، والجنوح الى حشد الأفكار ، مع خلّوها من التعقيد والالتواء ، والاهتمام بجمال الشكل ، واتباع الأصول القديمة . والتمسك بالقيم الأدبية التي سار عليها ادباء اليونان والرومان ، ومحاكاة ما أبدعه اللاتينيون من أعمال أدبية شامخة .

(*) البليياد (La pléiade) اسم اطلق على سبعة من الشعراء في عهد الملك هنري الثاني ، برون ضرورة التمرس طويلا بشعر قدماء الاغريق والرومان في سبيل الوصول الى الابداع الحقيقي .

وعلى الأديب - في رأيهم - أن يتجنب جموح الخيال ، والاسراف العاطفي ، أو على حد تعبيرهم الأثير - أن يفكر بقلبه ، ويحس بعقله - وهو لكي يصل الى هذه الغاية لا بد أن تتوفر له ملكة الإبداع ، بشرط أن يعقل هذه الملكة بالمران الطويل والإطلاع الدؤوب على نماذج من سبقود من الأدباء المتأخرين .

ومن ثم اتجه الكلاسيكيون الى الأدب الموضوعي (*) الذي يتمثل خاصة في المسرحية وخصوه بالكثرة الغالبة من انتاجهم ، كما أخضعوه لأصل عقلي عام تفرعت عنه القواعد الأخرى .

فهم يرون أن المسرحية - مادامت تشاكل الحياة وتعرض في زمن محدد - فلا بد أن يتوفر لها ما أطلقوا عليه « **قانون الوحدات الثلاث** » (وحدة الموضوع - وحدة الزمن - وحدة المكان) ، فالمسرحية تتناول حدثا واحدا خلال يوم واحد وفي مكان محدود .

وقد تشدد الأدباء الكلاسيكيون - وعلى الأخص الفرنسيون من أمثال « راسين Racine » و « كورني Corneille » و « موليير Molière » - في الأخذ بهذا القانون الذي لا يسمح بوجود أكثر من عقدة (**) واحدة في المسرحية .

الكلاسيكية والأدب العربي :

كان للكلاسيكية تأثير محدود في الأدب العربي الحديث ، وقد ظهر هذا التأثير على نحو خاص في الشعر المسرحي ، عندما اتصل بعض كتابه بالمرح الفرنسي الكلاسيكي عن طريق الترجمة والاقتناس ، فترجم مارون نقاش مسرحية « **البخيل** » لـ « موليير » ، كما ترجم سليم النقاش مسرحيتي « **هوراس** » لـ « كورني » و « **ميتروادات** » لـ « راسين » . وظهرت آثار الكلاسيكية بوضوح في مسرحيات أحمد شوقي الذي اتصل بالأدب الكلاسيكي اتصالا مباشرا بحكم سفره الى فرنسا واقامته بها . فافتقى بعض عناصر المذهب الكلاسيكي في مسرحياته الشعرية ، ومن أهمها عنصر « الصراع بين الحب والواجب » الذي تلمسه بوضوح في مسرحية « **مصراع كليوباترا** » إلا أن شوقي لم يكن يتعمق أسباب الصراع ويتعداه الى الكشف عن دوافعه النفسية ، مما جعل بعض أحداث مسرحياته غير منطقي أحيانا . فنجد في مسرحية « **قهيبيز** » مثلا لا يوضح كيف استطاعت بطلة المسرحية « **ثيتيناس** » أن تغلب على حقدتها على قاتل أبيها الفرعون « **أمازي** » .

كما أن شوقي حاول أن يوفر قدرا من الموضوعية لشخصياته ، ولكن التوفيق جازده في كثير من المواقف ، فكان الشعر يأتي على لسان بعض شخصياته أقرب الى الشعر الغنائي منه الى الشعر المسرحي ، ويبدو ذلك جليا في مسرحية « **مجنون بلبي** »

(*) وفيه يتجنب الأديب الحديث عن عواطفه الذاتية ، بأن يتناول المواقف العامة التي تصلح لكل زمان ومكان ، مثل : الفرية ، والبخل ، والحب ، والكراهية .

(**) هي النقطة التي تتشابك وتتعد عند أحداث المسرحية ، وتنتثر معها نفوس المشاهدين .

ولم يعن شوقي عناية كبيرة بقانون الوحدات الثلاث ، وهذا يتضح لنا في اغلب مسرحياته .

وإذا كانت مسرحيات شوقي محاولة رائدة في الشعر العربي ، فقد تبعها محاولات أخرى لها قدر كبير من الاتقان الفني ، والنضج الفكري ، فعرف الأدب الحديث كتابا مسرحيين مبدعين ، امتازوا بفرارة الانتاج وتنوعه (*) .

الرومانسية : (Romantisme)

بدأت الرومانسية تنصدر الحياة الأدبية في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر ، وبلغت قمة ازدهارها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

والرومانسية - كمدى أدبي - قامت على رفض الكلاسيكية لاغراقها في الصنعة ، ومغالاتها في تعظيم العقل ، وامعانها في القدماء والسير على سننهم .

وكان من رواد هذا المذهب في إنجلترا الشاعران **وردزورث** Wardsworth و **كلوريدج** Coleridge اللذان أصدرتا معا ديوان « **المواويل الفنائية** » سنة 1798 م ، وقد جعلتا الإنسان بهمومه ، واهتماماته ، وتفصيلات حياته اليومية ، حتى التافه منها . محورا لشعرهما في هذا الديوان .

وقد مهد للرومانسية في فرنسا عدد كبير من الأدباء على رأسهم « **لامارتين** » و **La martine** و « **ألفريد دي موسيه** » Alfred de Musset و « **فكتور هيجو** » Victor Hugo صاحب القولة المشهورة : « **يجب أن نخلص الشعر من الموضوعات المأخوذة من عصور غريبة عنا** » . ولم يكن من قبيل المصادفة أن توأمت الرومانسية - والتي هي ثورة في عالم الأدب - الثورة الفرنسية ، والاتجاه الديمقراطي في السياسة فاهتم الأدباء الرومانسيون بالطبقات الوسطى والدنيا من المجتمع ، بعد أن كان الأدب وقفا على الطبقة الأرستقراطية ، سجيناً داخل قصورها ، مما أدى إلى تقوية النزعة الفردية عند الأديب ، فصار يحتفي بمواطنه الذاتية ومشاعره الخاصة ، واستتبع ذلك أن فك الخيال من أساره ، وتحررت العواطف من ربطة العقل وتسلطه ، وأنصرف الشعر عن معالجة القضايا العامة أو المجردة إلى التعبير عن التجارب الخاصة ، والاتجاه إلى الطبيعة في بساطتها وتفاصيلها ، هرباً من تعقيدات الحضارة الحديثة وزيفها .

وكما نادى الرومانسيون بالتححرر من قيود الشكل التي فرضها الكلاسيكيون فقد دعوا إلى التلقائية في التعبير . فتخلصت بذلك لغة الشعر من وعورتها واغرابها ، وأصبحت لغة سهلة ، مشرقة العبارة ، شديدة المرونة .

(*) راجع القسم الخاص بالمسرحية في هذا الكتاب ، وترجمة شوقي .

الرومانسية واثرها في الأدب العربي الحديث :

وبدأت الرومانسية العربية في زمن مبكر من هذا القرن على يد المهجريين متمثلة في حنينهم الشديد إلى وطنهم ، وإقبالهم على الطبيعة ، وامتزاجهم بها ، على نحو ما نجد عند جبران خليل جبران ، ونسيب عريضة ، وإيليا أبي ماضي ، وميخائيل نعيمة . وتعد مقالات هذا الأخير ، والتي جمعها بعد ذلك في كتابه النقدي الهام « الفربال » سنة 1913 ، من الاسس النقدية الهامة التي ارتكز عليها الشعراء الرومانسيون .

كما كان لخليل مطران (1949 - 1972) دور كبير في التمهيد للرومانسية ، فنلمس في قصائده شعورا قويا بالام النفس البشرية وأوصابها واحساسا دافعا حارا بمظاهر الطبيعة من حوله ، فإذا هي كائنات حية تنعكس عليها عواطفه ونوازه ، وانظر في هذه الايات ، تر كيف يبث الطبيعة شكواه ، ويمزجها بالامه ، فيأتي كل ما فيها صورة من جروحه .

تَاوْ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ وَلَيْتَ لِي
يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَايِي
وَالْبَحْرُ خَفَاقُ الْجَوَائِبِ صَائِقٍ
قَلْبًا كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
وَيَفْتَنًا كَالسَّقِيمِ فِي أَعْضَائِي
كَمَدًّا كَصَدْرِي سَاعَةَ الْإِمْسَاءِ

مدرسة الديوان :

وفي عام 1921 ظهرت « مدرسة الديوان » التي أثرت الحركة الادبية في جانبها الابداعي والنقدي على السواء ، وبثت في الشعر روحا جديدة ، ودفعته قدما نحو تطور واسع .

وقد عكف اصحاب (*) هذه المدرسة على التراث العربي ، ووقّوه حقه من الدرس والتحصيل ، واحتفوا - في الوقت نفسه بالآداب الغربية ، وبالانجليزية منها على نحو خاص ، ويصور العقاد هذه الحفاوة بقوله : « **أَنَّ الْمُرَّةَ لِيَزِدْهُي بِأَدَمِيَّتِهِ حِينَ يَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي غِمَارِ هَذِهِ الْآدَابِ الْغَرِيبَةِ ، وَتَجِيْشِ أَعْمَالِ صَمِيرِهِ يَنْدَافِعُ تَيَّارَاتِهَا وَتَعَارُضُ مَذَاهِبَهَا وَمُنْجَهَاةَا** » .

وهذه الثقافة الضاربة بجلودها في أغوار التراث العربي ، والمتصلة تلك الصلة الوثيقة بالآداب الغربية ، توضح طبيعة الارض التي تحرّك عليها اصحاب الديوان نحو تجديد الشعر العربي .

وكان الشاعر عبد الرحمن شكري قد اصدر اول محاولة لهذه المدرسة في ديوانه « **ضوء الفجر** » الذي يفيض بروح رومانسية مهدت لاتجاه جديد في تصوير دخائل النفس وخوالجها .

(*) وهم : عبد الرحمن شكري (1884 - 1958 م) وعباس محمود العقاد (1889 - 1964 م) وابراهيم عبد القادر المازق (1889 - 1949) .

وتابع شكري الدعوة للرومانسية في مقدمات دواوينه ومقالاته النقدية ، فمجد الشعر ، وعظم دور الشاعر وجعله نبيا ، وطوّر الفكرَ النقدي فيما يتعلق بعدد من عناصر القصيدة كالخيال والعاطفة ، وطالب الشعراء بأن يَلجُوا أعماقَ النفس ويُبْطِروا خباياها .

وهذه الافكار التي نادى بها شكري تمثّل الملامح الرومانسية العامة التي اعتمد عليها اصحاب الديوان في دعوتهم إلى التجديد . وهي نفس الملامح التي اعتمد عليها المازني في هجومه على المدرسة الاتباعية عندما اصدر كتابه عن حافظ ابراهيم سنة 1915 م ، وفيه يقارن مقارنة واسعة بين شعره وشعر شكري وانتهى من هذه المقارنة بالحكم على شعر حافظ ابراهيم بأنه شعر مناسبات يومية طارئة ، لأنه لا يصور صاحبه ولا يشف عما في نفسه من احساس وعواطف .

وجاء الهجوم الثاني سنة 1921 م حينما نشر العقاد والمازني معا كتابا سميّاه « الديوان » (*) وفيه كتب العقاد فصولا طويلة في نقد شوقي ، وهو متأثر في نقده بالرومانسية الغربية التي انعكست بوضوح على انتاجه الشعري . فنجد العقاد في ديوانه « غابر سبيل » - على سبيل المثال ، يعني بالحياة العادية ، ويصف « ساعي البريد » و « عسكرى المرور » و « كواه الثياب ليلة الأحد » .

وهو في هذا متأثر بالفكرة الرومانسية القائلة بأن الشعر الذي يعبر عن الانسان ينبغي أن ينبع من حياته العادية وأن يكون انعكاسا صحيحا لها ، ومقدمة الديوان نفسه لا تبعد كثيرا عن مقدمة وردزورث لديوانه « قصائد فنائية » . وقد تميز شعر العقاد بصفة عامة بنزعة فكرية كثيرا ما قضت على النزعة الرومانسية في شعره ، لاهتمامها على العقل والمنطق أكثر من اعتمادها على العاطفة والحس والخيال .

جماعة ابوللو :

وتألفت جماعة ابوللو (***) في سبتمبر 1932 ، وقد تولى رياستها الشاعر أحمد شوقي ولكن الموت اختطفه في أكتوبر من نفس السنة ، فشمّل مكانه الشاعر خليل مطران ومن الملاحظ على هذه الجماعة انها تفتقد التخطيط الفني ، فلم يعش أصحابها في ظل مذهب أدبي معين ينظمون فيه ، بل توزعتهم الاتجاهات المختلفة ، ومع ذلك نلاحظ موجة غلبة من الرومانسية هيمنت على شعراء هذه الجماعة ، وظهرت بصورة واضحة في أشعار أحمد زكي أبو شادي ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعلي محمود طه ، وأبو القاسم الشابي ، وبلغت قممها عند ابراهيم ناجي (1898 - 1953 م) الذي كان على معرفة وثيقة بالأدب الرومانسي في الغرب ، فراح يصور الآم نفسه ووساوسها ، وهي نفس ظائمة دائما للحب بل هي نفس ملتاعة دائما

(*) ومن هذا الكتاب النقدي اخلت هذه المدرسة اسما ، لعرفت « بمدرسة الديوان » .

(**) ابوللو : رب الشعر والموسيقى عند اليونان ، ومؤلف هذه الجماعة وصاحب فكرتها الشاعر احمد زكي ابو شادي .

لأنها تخفق في حبها ، وهو لذلك دائم التوجع والالين في شعره ، على نحو ما نلمس في هذه الأبيات من قصيدته « الأطلال » :

يَا فَوْادِي رَحِمَ اللهُ هَمَوِي كَانْ صَرَحًا مِنْ خِيَالِ فَهَوِي
انْتَقِنِي وَاشْرَبْ عَلَى أَطْلَالِهِ وَارْوِ عَيْنِي طَالَمَا الدَّمْعُ رَوِي
كَيْفَ هَذَا الْحَبُّ أُمْسَى خَبْرًا وَحَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الْجَوِي

وإذا كان ابراهيم ناجي يدوب في انطوائيه وجدانية ، فان شاعرا آخر من جماعة ابوللو قد أوحى له وطنه أجمل القصائد وهو الشاعر التونسي ابو القاسم الشابي ، وقد مر بك نماذج عديدة من شعره .

والدارس للرومانسية العربية يجدها - شأن الرومانسية في الغرب - قد اشتملت على جملة من العيوب ، منها الانطواء على الذات ، والإغراق في العاطفة والخيال ، والتهويم في عوالم بعيدة عن الواقع ، فانبتت الصلة بين الشاعر والمجتمع كما جاء جانب كبير من شعر هذه المدرسة قائما حزينا.

الواقعية :

كانت الرومانسية تحمل في ذاتها بذور الواقعية ، ولذا لم يكن غريبا ان تقوم الواقعية في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر لا على انقراض الرومانسية ، أو كمذهب مناوئ لها ، بل كتيار يسير جنبا إلى جنب معها ، والسبب في ذلك يرجع الى طبيعة كل من المدهبين ، فبينما أثرت الرومانسية الشعر صورة لادبها نجد الواقعية تؤثر النثر ، وتتخذ من الفن القصصي والمسرحي اسلوبا فنيا لها .

والواقعية - في مفهومها البسيط - تعني تصوير الواقع ، وكشف خباياه ، باستخدام التفاصيل الكثيرة المنتزعة من الحياة العادية ، وباختيار المواقف والأحداث المحتملة الحدوث ، وكان من جراء ذلك أن اصبح الاديب الواقعي أمينا في معالجة موضوعاته وعرضها ، وتصوير بيئته ، واقترب بأسلوبه من الواقع اقترابا كبيرا .

ويعاب على الواقعية أنها تنظر الى الحياة من خلال منظار أسود فيتبدى لها كئيبا ، منطويا على شر كبير ، وما يبدو خيرا ليس في حقيقته الا بريقا كاذبا أو قشرة ظاهرة ، فالشجاعة أو الاستهانة بالموت - كما ترى الواقعية - لو تقبنا عن حقيقةتهما لوجدناها يأسا من الحياة أو ضرورة لا مفر منها والكرم في الحقيقة أثره تأخذ مظهر المباهاة ، وهكذا الأمر مع كافة القيم الانسانية التي يخفي وراءها (الوَحْشُ) الكامن في الانسان (*) .

ويعد بلزاك Balzac (1799 - 1850 م) الرائد الاول للواقعية في فرنسا ، وقد خلف اكبر موسوعة في الأدب الواقعي ، وهي تشمل نحو مائة وخمسين قصة

(*) انظر المذاهب الادبية للدكتور محمد مندور .

اطلق عليها في أخريات حياته اسم « الكوميديا البشرية » التي قسمها الى مجموعات ست تمثل قطاعات مختلفة من الحياة ، فنجد الحياة الحربية ، والحياة السياسية ، والحياة الريفية ... الخ .

وفي نفس الاتجاه الواقعي في فرنسا قدم فلوبيير Flaubert (1821 – 1880 م) روايته الشهيرة « مدام بوفاري » التي صور فيها عصره بجميع مشكلاته العاطفية والاجتماعية ، ونماذجه الخلقية والنفسية .

ومن رواد الواقعية في إنجلترا « شريدان » و « شاكري » و « تشارلز ديكنز » (1812 – 1870) الذي قدم وصفا صادقا وعميقا للمجتمع الإنجليزي في زواياته « صحائف بكويك » و « دافيد كوبرفيلد » و « دمني وولده » .

وقد ظهر تيار آخر للواقعية ، أطلق عليه النقاد اسم « الواقعية الجديدة » تميزا له عن واقعية الغرب المتشائمة .

والواقعية الجديدة تصور واقعا جديدا مختلفا كل الاختلاف عن الواقع القديم لذلك قيل عنها انها « واقعية التفاؤل والاستبشار » ومن روادها « تشيكوف » (1860 – 1904 م) و « تولستوي » (1828 – 1910 م) و « مكسيم جوركي » (1868 – 1936 م) وغيرهم كثير .

وقد واصل التيار الواقعي عند الغربيين تطوره ، حتى انتهى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر – مع إطراد التطور العلمي التجريبي – الى مذهب الطبيعية الذي يعتمد على تحليل الانسان تحليلا فسيولوجيا ، وتبيان اثر البيئة والوراثة فيه ، ويعد اميل زولا (1840 – 1902 م) رائد هذا المذهب بلا منازع .

الواقعية في الأدب العربي الحديث :

ان الأدب العربي الحديث في اتجاهه الواقعي لم يترسم خطى الواقعية في الغرب بنظرتها المتشائمة ، ورفضها للحياة ، بل نهج لنفسه نهجا خاصا استوحاه من الواقع العربي بمشكلاته الاجتماعية وقضاياها السياسية .

فراح الكتاب يبرزون عيوب المجتمع ، ويمددون مساوئه ، ويصورون مظاهر البؤس والحرمان بقصد الاصلاح والتغيير .

فكتب طه حسين « المعتذرون في الأرض » رافضا المظاهر الصارخة للحرمان والفقر ، ومطالبا بالعدالة والتعاطف

وكتب توفيق الحكيم روايته « يوميات نائب في الأرياف » سنة 1937 ، وكان قد اتبع له في ذلك الوقت الاتصال بالريف بحكم عمله ، فوقف على حال الفلاح المصري فقدمه في يومياته جاهلا مريضا محروما يحمل ذل اجيال من الاقطاعيين المستبدين وذلك من خلال مواقف حية من واقع الريف المصري .

ويظهر هذا الاتجاه الذي يجهر بسوء الاحوال ، ومظاهر الشظف الاجتماعي

عند كثير من الأدباء من أظهروهم : يحيى حتى في مجموعته القصصية « دماء وطن » ،
ويوسف ادريس في روايته « الحرام » ، وعبد الرحمن الشراوي في روايته « الأرض »

وقد سادت الواقعية الأدب الجزائري ، وظهر ذلك بوضوح في الرواية الجزائرية
المكتوبة باللغة الفرنسية ، إذ تناولت الحياة الجزائرية بكل تفاصيلها وأبعادها ونلمس
ذلك - على سبيل المثال - في رواية « ابن الفقير » لـ « مولود فرعون » التي صور
فيها نشأته المدممة ووصف حياة الفلاحين البائسة وكيف انهم « يسكنون بيوتا بدائية
فقيرة ، تتساقق قممها مرتفعة يعلو كل منها الآخر ، وكأنها عظام عمود فقري هائل لحيوان
رهيب من حيوانات ما قبل التاريخ » . وكان هذا دأب فرعون في أعماله ، يتجه
إلى المجتمع ، ويكشف عن مثالبه وشروره ، وليس عجيبا بعد ذلك أن يقول عنه الأديب
الفرنسي « أندريه مالرو » :

« ان مولود فرعون يرسم صورة صادقة للواقع الانساني في الجزائر ويبدع في
تحليل المشاعر والمواقف الانسانية ، يتحسسها ويعرضها بكل ابعادها الحقيقية » .

وقد تهيأ للكتاب الجزائريين هذه الدقة في نقل الواقع ، والصدق في تصويره ،
لجملة التجارب التي مروا بها في الحياة ، فجاءت موضوعاتهم في الاغلب الأعم معبرة
عن خبرة شخصية بالواقع وما يجري فيه .

وحسبك محمد الديب الذي عمل محاسبا ونساجا ومعلما وصحفيًا قبل أن يدخل
ميدان الأدب ، وقد انعكست هذه التجارب والخبرات كلها على أدبه فأكسبته عمقا ،
وجعلته أكثر التصاقا بالواقع . فلنلقاه يهاجم المستعمرين وعملاءهم على لسان ابن
أيوب أحد أبطال روايته « الحريق » بقوله :

« لقد استولوا على كل شيء ، انهم يريدون ان يصبحوا سادة ايضا ، لقد جعلوا
من واجبه الحقد علينا . وها هم اولاء ينتزعون في كل يوم قطعة من لحمنا ، فيبقى
مكانها جرح عميق تسيل منه حياتنا ...

« يا جبراني .. موتوا وانتم تعملون ، ولا تتركوا أرضكم ، ولا تهجروا شبرا منها ،
لانكم ان هجرتموها هجرتكم ، وبقيتم انتم واولادكم اشقياء مدى الحياة » .

ويصور حال عمال المدن في الجزائر على لسان احدي شخصيات روايته :

« حتى لو عملنا طوال الحياة لما بقي لنا في نهايتها سوى ملاحج المجزة والتسول »

ولم يقف الشعر الجزائري بمزمل عن الحياة الاجتماعية ، بل اتصل بها على
يد لعنف من الشعراء(*) .

وهكذا اتصل الأديب العربي بالحياة اتصالا وثيقا والتزم في إنتاجه الأدبي
بمشكلات المجتمع وقضاياه ، ينبه اليها ويحذر منها ، ويحث الخطى نحو واقع أفضل
للإنسان العربي .

(*) انظر : تطور المراض الشعر ، ونماذج من الشعر الجزائري الحديث ص 411 ، من هذا الكتاب

مذاهب أدبية أخرى :

عرفت كيف نشأت المذاهب الأدبية في الغرب ، ووقفت على أهم خصائصها الفنية وملامح تطورها ، وأدركت كيف أن كل مذهب كان يسود فترة من الزمن ، حتى يتطرف في اتجاهه ، فيظهر مذهب آخر يعتمد عن المذهب القديم ويسير في اتجاه جديد وعلى ذلك قامت الرومانسية(*) على انقراض الكلاسيكية ، وقامت الواقعية لتخالف اتجاه الرومانسية لتفرق بدورها في مشاكل المجتمع وقضاياها ، وادى ذلك الإغراق الى تيار آخر ، لا يريد أن يكون للمجتمع المحل الأول في الإنتاج الأدبي ، بل يتبع بوجه خاص المزاج النفسي للكاتب ، ويعتبر الأدب غاية في حد ذاته ، ذلك هو « المذهب البرناسي» الذي ظهر في فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر ، وزعيمه هو «لو كنت دي ليل» (1818 - 1894 م) وقد نادى في مقدمة ديوانه « قصائد بريرية » بنده النزعة الجديدة ، ورد الشعر الى طبيعته كفن جميل هدفه الصور والخيالة الجميلة في ذاتها ، وقد تطورت البرناسية الى ما يسمى بـ « الفن للفن » على يد ليف من الأدباء على رأسهم تيوفيه جوتيه (1811 - 1872 م) وهو القائل : « على الشاعر أن يرى الأشياء الانسانية ، وأن يفكر فيها من خلال نظراته الخاصة دون أية مصلحة اجتماعية او ملهية » .

وقد ظهرت الرمزية *le symbolisme* في النصف الثاني من القرن التاسع عشر معاصرة للبرناسية . والرمزية تؤمن بعالم الجمال المثالي وتعتقد أن هذا العالم يتحقق في الفن وأن الأشواق التي يجدها العابد خلال الصلاة والتأمل تتحقق للشاعر الرمزي خلال عمله .

والرمزيون يؤثرون ما يسمى بـ « المبادلات الرمزية » أي أن الشاعر يستطيع أن يشبه المؤثرات البصرية بالمؤثرات السمعية أو اللمسية ، لأن بينها تشابها خارجيا ، بل لأن وقعها في النفس متشابه ، وهذا ما كان يسميه رامبو(**) بـ « تشويش الحواس » ويتضح ذلك في قول بودلير(***) « هناك عطور ندية كأجساد الأطفال ، عذبة كالزمار ، خضراء كالروج » فهو يشبّه المطور بما هو ملموس تارة ، وبما هو مسموع ومرئي تارة أخرى .

وقد اهتم الرمزيون بالإيقاع الموسيقي في شعرهم اهتماما كبيرا ، فبالوسيقى وحدها يستطيع الشاعر أن يوقظ في المتلقيين الظلال العاطفية والرؤي الرأعشة التي غمرت نفسه ، ولذلك تاروا على الأوزان التقليدية .

(*) نسبة الى جبل برناس ببلاد اليونان ، قيل أن آلهة الشعر اليوناني تقطنه الادب وملاحبه د. محمد مندود ص 101 وما بعدها .

(**) آرثر رامبو Arthur Rimpaud " 1854 - 1891 " شاعر فرنسي ، من أبرز بناء المذاهب الرمزي .
(***) شارل بودلير Baudelaire " 1821 - 1867 " من دعاة الرمزية من أهم آلهة ديوانه : « ازهار الشر » .

وقد ظهرت السِّريالية «Le surréalisme» بعد الحرب العظمى الاولى ، متأثرة بآراء ونظريات « فرويد » في تحليله للنَّفْسِ للإنسانية ، ودراساته عن اللاشعور . واصحاب هذا المذهب يتحللون من واقع حياتهم الواعية ، ويزعمون أن وراءها عالما آخر في اللاوعي أو اللاشعور فهم بذلك يُعَبِّرون عن أغوار النفس دون وجود أي رقابة للعقل ، وبعبدا عن كل اهتمام فني أو اخلاقي ، ولذلك جاء الادب السريالي عبارة عن رموز لا رابط بينها كأنها هذيان محوم على نحو ما نجد عند الاديب السريالي «أندريه بريتون» حينما يصف المرأة بأنها بزوغ الصباح ، والحلم بأنه مصباح من مصابيح الشوارع .

والملاحظ على هذا المذهب انه لم يعش طويلا ، ولم تكن له اصداء بعيدة خلج حدود وطنه الأول فرنسا .

وفيما يتصل بتأثير هذه المذاهب الثلاثة الاخيرة في ادبنا العربي الحديث ، نجد ان المذهب البرناسي لم يلقَ قبولا من الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه البلاد العربية ، والذي يفرض على الأدباء واجبا قوميا ووطنيا هو الالتزام بواقعهم والعمل على النهوض به .

كما أن الظروف المادية والنفسية التي اوجدت السريالية غريبة تماما على مجتمعاتنا العربية ، ولذا فإن هذا المذهب لم يجد طريقة الى ادبنا وقوبل برفض وانكار شديدين ، وان كان قد ظهر تأثيره بوضوح في الفنون الأخرى كالرسم والنحت . وبالنسبة للرمزية ، فقد أثرت بعض التأثير في شعرنا الحديث ، ولم يكن ظهور الرمزية في ادبنا خاضعا لنفس الظروف التي نشأت في كنفها الرمزية الغربية ، التي وفدت علينا نتيجة اتصال الأدباء اللبنانيين بصفة خاصة بالادب الغربي . وبعد الشاعر اللبناني سعيد عقل أعظم ممثل للمذهب الرمزي في الأدب العربي .

وهو في تقديمه « للمجدلية » يؤكد على أن الشعر يجب ألا يُخبر بل يومن ويلمح ، وأصرّ - شأنه شأن الرمزيين - على الإدراك اللامنطقي والحُدسي للعالم ، كما أعلن أن مادة الشعر هي الموسيقى .

وقد أثرت هذه الحركة الناشطة المتصلة بأدب الغرب ومداهبه الأدبية على اختلاف اتجاهاتها وأدبنا العربي الحديث ، واكسبته عمقا وفتحا ، وفتحت أمامه آفاقا جديدة راح يخلق بين جنباتها ، مضيئا أبعادا إنسانية إلى الآداب العالمية في الشرق والغرب .

الفصل الثاني

تطور الشعر العربي وخصائصه في العصر الحديث

- 1 - تمهيد .
- 2 - مراحل التطور .
- 3 - تطور الأغراض .
- 4 - تطور الفن الشعري .
- 5 - القالب الشعري

تمهيد :

حظي الشعر العربي منذ العصر الجاهلي باهتمام كبير ، فقد اتخذ منه الحكامُ سلاحاً ودعاية ، ووجد فيه الشعراءُ مكانة مرموقة ووسيلة للارتزاق ، ورات فيه الجماهيرُ تعبيراً عن بعض جوانب حياتها فجعلته سلواها ومُعْنَاهَا ، ولم يَرَقْ إلى مثل هذه المكانة لون آخر من الفنون الأدبية .

مراحل التطور

ظل الشعر يتردد بين القوة والضعف ، حتى وصل إلى درجة الاسفاف قُبيل العصر الحديث ، ثم بدأ في النهوض ، ومرَّ بمراحل نوضحها لك فيما يلي :

1 - مرحلة الانتقال :

في مطلع النهضة الحديثة أخذ الشعر العربي يحبو رويداً رويداً ، فظهر جيل من الشعراء يمثلون مرحلة وسطى بين القوة والضعف ، لم يتردوا فيما تردى فيه شعراء الضعف السابقون ، ولم يصلوا إلى ما وصل إليه الشعراء اللاحقون بصددهم ، ويمثل هذه المرحلة « اسماعيل الخشاب » و « القطار » و « السعادي » في مصر ، و « بطرس كرامة » و « ناصف اليازجي » في لبنان ، و « أمين الجندي » في سوريا ، و « الأمير عبد القادر » في الجزائر ، و « محمود قبادو » في تونس ، وغيرهم في مختلف البلاد العربية .

وقد حاولوا أن يرجعوا بالأسلوب الشعري إلى عصر القوة ، فابتعدوا به عن الركافة اللفظية ، واستفادوا من مظاهر النهضة في سمة اللغة والتوسع قليلاً في الأغراض ، وقد مرت بك نماذج من شعر « الأمير عبد القادر » ، وتقدم لك مثالا آخر لاحد شعراء هذه المرحلة :

يقول **ناصر اليازجي** (*) معبرا عن رايه في الحياة من خلال بعض مرثيه :

لَا تَبْكِي مَيِّتًا وَلَا تَفْرَحِي بِمَوْلُودٍ فَالْمَيِّتُ لِلدُّودِ وَالْمَوْلُودُ لِلدُّودِ
وَكُلُّ مَا فَتَقَّ سَطْحُ الْأَرْضِ تَنْظُرُهُ يُطَوِّي عَلَى عَدَمٍ فِي تَوْبٍ مَوْجُودِ
بُنْسِ الْحَيَاةِ حَيَاةً لَا رَجَاءَ لَهَا مَا يَبِينُ تَصَوُّبِ أَنْفَاسٍ وَتَصْغِيدِ
لَا تَسْتَقِرُّ بِهَا عَيْنٌ عَلَى سِنَةٍ إِلَّا عَلَى خَوْفِ نَوْمٍ غَيْرِ مَحْدُودِ

2 - نهضة الشعر العربي :

ثم جاء « البارودي » ووثب بالشعر العربي وثبة قوية فماد بدياجته الى عصر القوة ، وحاكى فحول الشعراء في أسلوبهم ، وأسس «مدرسة المحافظين» في الشعر ، تخرج فيها كبار الشعراء من أمثال : « أحمد شوقي ، حافظ إبراهيم ، أحمد محرم ، محمد عبد المطلب ، معروف الرصافي ، جميل الزهاوي ، بشارة الخوري ، شفيق جبيري ومحمد العيد آل خليفة » ، وغيرهم

وقد امتاز انتاجهم بمتانة الأسلوب ، وحسن الصياغة والعناية بالمعنى ، والمحافظه على بناء القصيدة العربية القديمة ، والتوسع في الأغراض والموضوعات الشعرية ، وسجلوا أحداث عصرهم السياسية والاجتماعية ، وحاولوا أن يستفيدوا من الأدب الأوربي ، فنظم **حافظ إبراهيم** قصوصته الشعرية « غادة اليابان » ، وفعل **الرصافي** مثله في قصيدته « يتيم في العيد » ، وكان **شوقي** أكثرهم استفادة من الأدب الأوربي ، فكتب مسرحياته الشعرية في أخريات حياته .

الحركات التجديدية :

لم يكن بعث الشعر العربي في العصر الحديث دعوة إلى محاكاة الشعر القديم في عصور القوة محاكاة تعزله عن واقعه المعاصر ، وإنما كانت حركة البعث واعية ، تأخذ من القديم قوة الديباجة وسلامة اللغة وحقيقة الروح الشعرية لتعبر بها عن طبيعة العصر ومتطلباته ، ومع ذلك فإن أصحاب مدرسة المحافظين استفادوا شيئا من الأدب الأوربي كما عرفت ذلك . وقد مرت الحركات التجديدية بمراحل متعددة ، واتخذت مظهران : مظهر فردي كمحاولات « شوقي » في مسرحياته ، ومظهر جماعي كمدرسة « الديوان » وجماعة « أبولو » ومدرسة « الشعر الحر » . وقد وقفت هذه الحركات التجديدية موقف المعارضة والثورة على طريقة أصحاب مدرسة المحافظين ، وهاجمتهم ورفضت صوتها عاليا مطالبة بضرورة التجديد في الشعر ، وتتجلى أبرز دعواتهم للتجديد فيما يلي :

(*) تولى سنة 1871 م .

- 1 - اتساع دائرة الموضوعات الشعرية وعدم الوقوف عند حدود الأغراض التي طرّقها الشعراء القدامى ، بل تعلّقوها إلى كثير من الموضوعات ، فكل شيء في الحياة - عندهم - يصلح أن يكون موضوعا شعريا مهما كان بسيطا .
 - 2 - ضرورة الوحدة العضوية في بناء القصيدة حتى تكون أجزاءها متلاحمة . فالقصيدة عمل تام كامل ينقسم الى وحدات تسمى أبياتا ، وكل بيت خاضع لما قبله ، فهو خيط في نسيج يدخل في تكوينه ، ويساعد على تشكيله ، ولم تعرف القصيدة العربية هذه الوحدة العضوية معرفة واضحة قبل عصرنا الحديث الا نادرا (*) .
 - 3 - التنوع في الأوزان العروضية حتى تلائم الحالات الشعورية التي يعبر عنها الشاعر وعدم التقيّد بالقافية ، لأنها قد تدفع الشاعر - أحيانا - الى استخدام كلمات غير مناسبة مضطرا إليها تحت قيود القافية .
- وما زالت موجات التجديد تهب على بحر شعرنا العربي ، فتتشابك وتتصارع ثم تطفر على السطح حيناً ، أو يطويها في أسفل قاعه أحيانا ، متأثرا بالتعبير عن واقعنا المادي والمعنوي ومسترشداً بالتجديد في الآداب العالية .
- وعلى الرغم من ذلك كله فمازال لمدرسة المحافظين أنصارها ولمدرسة المجددين عشاقها من الشعراء والقراء .

تطور الأغراض

- 1 - المدح : شغل المدح جانبا كبيرا في الشعر العربي في مختلف العصور ، وكان معظمه يستهدف التكسب ونيل العطاء من الخلفاء الأمراء أو ذوي الجاه والسلطة ، وفي العصر الحديث فقد هذا اللون من المدح دوافعه ، فترك قصور الملوك واتجه الى تخليد البطولات الشعبية والمآثر الوطنية ، والأعمال العظيمة في أي مجال سياسي أو اجتماعي أو فكري أو فني ، واتخذ بعض الشعراء وسيلة من وسائل الخدمات العامة ، حيث كانوا يتقربون بها الى المسؤولين من أجل خدمات اجتماعية للشعب . كما فعل شوقي في مدحه سعد زغلول الذي كان وزيرا للمعارف (التربية) في مصر وطالبه بإنشاء مدرسة في إحدى الضواحي الفقيرة ، فقال :

يَا نَاشِيَةَ الْعِلْمِ بِهَذِي الْبِلَادِ وَوَقَّتْ ، نَشْرُ الْعِلْمِ مِثْلُ الْجِهَادِ
بَانِي صُرُوحِ (1) الْمَجْدِ أَنْتَ الَّذِي تَبْنِي يُبُوتِ الْعِلْمِ فِي كُلِّ نَادِ
بِنِيِّ يَا سَعْدُ كَزَعْبِ الْقَطَا (2) لِأَنْقَاصِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ عِدَادِ
فَأَنْظِرْ رَعَاكَ اللَّهُ فِي حَاجِهِمْ فَنظرةً مِنْكَ تُبِيلُ الْمَرَادِ

(*) في النقد والادب شوقي ص 154 .

- 1 - الصروح : جمع صرح ، وهو قصر ، وبطلق على كل بناء عال .
- 2 - القطا : مفردة قطاة ، وهو طائر في حجم الحمام يضرب به المثل في الامتداء ، فيقال أهدى من قطاة ، والزغب من القطا : الصغير الذي بدأ ريشه في الظهور .

2 - **الهجاء** : عرفت في دراستك الماضية شيئا عن نقائص جرير مع الفرزدق ومن شاركهما في هذا اللون الأدبي ، ورايت كيف استخدموا مختلف الوان السباب وأتبعها ، أما في العصر الحديث ، فقد تحول الهجاء الى نقد اجتماعي ببناء ، وأن تناول اشخاصا ، فليس لدواتهم ، وانما لمناصبهم التي تؤثر في كيان المجتمع ، ومن ذلك ما قاله « معروف الرصافي » في حكام العراق ابان وجود الاستعمار الانجليزي :

وَكَمْ عِنْدَ الْحُكُومَةِ مِنْ رِجَالٍ نَرَاهُمْ سَادَةً وَهُمْ الْعَبِيدُ
كِلَابٌ لِلْأَجَانِبِ هُمْ وَلَكِنْ عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أَسُودُ

3 - **الفخر** : اختفى بريق الفخر بالآثر الفردية او الآباء والاجداد ، وصار اعتزازا بالامة والجنس .

يقول بشارة الخوري مفتخرا بقوميته وجنسه العربي :

سَائِلِ الْعَلِيَاءَ عَنَّا وَالزَّمَانَ هَلْ خَفَرْنَا ذِمَّةَ (*) مُذْ عَرَفَانَا ؟
الْمُرُوءَاتُ الَّتِي عَاشَتْ بِنَا لَمْ تَزَلْ تَجْرِي سَعِيرًا فِي دِمَانَا
ضِحِكَ الْمَجْدِ لَنَا لَمَّا رَأَانَا يَدِمُ الْأَبْطَالِ مَصْبُوغًا لِوَانَا

4 - **الثناء** : تحول الرثاء من التقرب الى الحكام الى رثاء العظماء والعلماء الذين يعد موتهم خسارة قوية . وقد اتسع مجال الرثاء فاصبح يتحدث عن شهداء الحرية .

برني الشاعر الجزائري الاخضر السائهي شهداء 8 مايو 1945 ، فيقول :

أَيُّهَا الذَّاهِبُونَ آمِنِ صَاحِبَا لَمْ نُفِضْ فِي التُّرَابِ أَيَّ ضَحِيَّةِ
ذِكْرُكُمْ لَا يَزَالُ كَالْأَمْسِ حَيًّا فِي قُلُوبِ تَعْبِي الْكَرَامَةِ حَيَّةِ
وَالشَّرَى الطَّاهِرُ الزُّكِّيُّ أَمِينُ قَدْ رَعَى الْعَهْدَ لِلدَّمَاءِ الزُّكِّيَّةِ
أَزْهَرَتْ فِيهِ نُورَةٌ وَجِهَادُ فَإِذَا رَوْضُهُ ثِمَارًا جَنِيَّةِ

5 - **الوصف** : بعد أن كان الوصف يصور ظواهر الأشياء ، ويكتفي برسم مشاهدتها الخارجية ، أصبح تعبيرا عن الذات وخلجات النفس ، وموقف الشاعر من الأشياء ، وقد تجلت هذه النزعة عند شعراء الرومانسية والشعراء المهجريين فخطبوا الحجارة والاشجار واضفوا على الجماد الساكن رعدة الحياة وهزة البعث .

(*) خفرتنا ذمة : نقضنا عهدا .

يقف خليل مطران امام البحر يُناجيه بهذه الابيات :

مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي ، مُتَفَرِّدٌ
مُتَفَرِّدٌ بِكَبَابَتِي ، مُتَفَرِّدٌ بِعَنَابِي
شَاكٍ إِلَى الْبَحْرِ أَضْطْرَابَ خَوَاطِرِي
فِيحْيِيَنِي بِرِيَاحِهِ الْمَهْجَاءِ
وَالْبَحْرُ خَفَاقَ الْجَوَانِبِ صَاقٍ
كَمَدًا كَصَدْرِي سَاعَةَ الْأَمْسَاءِ

6 - **الغزل** : عرف الشعر القديم الوانا متعددة من الغزل منها الغزل الحسي الذي يصور جمال المرأة ويصف مفاتها ووصفا حسيا . ومنها **الغزل العفيف** ، الذي يتحدث عن عاطفة الحب باعتباره علاقة روحية .

وفي العصر الحديث حدث تبدل ملموس في القيم الاجتماعية ، وفي العلاقات بين الأفراد ، ونالت المرأة العربية مكانتها في المجتمع واصبحت فرص الاختلاط بين الجنسين ميسورة ، فنتج عن كل ذلك تحول في شعر الغزل وخفت لوعة الحرمان التي تجلت عند الشعراء العدرين أمثال مجنون ليلى ، وكثير عزة ، ولم يعد مستساغا ان يتحدث الشاعر عن علاقته بالمرأة كما كان يتحدث عمر ابن أبي ربيعة وأمثاله من الشعراء الماجنين .

واختفى الغزل التقليدي ، الذي كان لا بد للشاعر ان يبدأ به قصيدته مهما كان موضوعها . التزاما من الشعراء ب**ممود الشعر** الذي ألح عليه النقاد العرب القدماء ، واتجه الغزل الحديث - متأثرا بالدراسات النفسية - الى تحطيل طبيعة الحب والكشف عن المشاعر الانسانية العميقة ، وقد تجلت هذه النزعة عند الشعراء الرومانسيين ، وخير من يمثلهم : **علي محمود طه** ، في دواوينه « الملاح التائه ، وليالي الملاح التائه ، وزهر وخمر » .

وظهر لون من **الغزل الواقعي** ، يصور المراقص التي أدى اليها اختلاط الجنسين ، وقد ظهرت هذه النزعة عند **نزار قباني** ، في دواوينه « ساميا ، وقالت لي السمراء ، وطفولة نهد » .

7 - **بعث التاريخ القديم** : اتجه فريق من الشعراء الى احياء التراث الديني والتاريخ العربي القديم استحضارا لصوره المجيدة ، وحشا على التطلع اليها ، ومحاولة بنائها من جديد .

يقف الشاعر السوداني « **محمد احمد محجوب** » امام الآثار العربية في اسبانيا فتعززه ذكريات الماضي ، ويأسف لما آل اليه حاضرنا ، فيقول :

مُطَنَّا بِقَرْطَبَةَ الْفِيحَاءِ نَسَّأَلَهَا
عَنِ الْمَسَاجِدِ قَدْ طَالَتْ مَنَائِرُهَا
تِلْكَ السَّمَاوَاتُ كُنَّهَا نُجْمَلُهَا
فِرْدَوْسُ مَجْدِ أَضَاعَ الْخَلْقُ رَوْعَتَهُ
عَنِ الْجُدُودِ وَعَنْ آثَارِ « مَرْوَانَ »
تُعَانِقُ السُّحْبَ تَسْبِيحًا وَعِزْرَقَانًا
بِالْحَبِّ حِينًا وَبِالْعِلْيَاءِ أَحْيَانًا
مِنْ بَعْدَ مَا كَانَ لِلْإِسْلَامِ عُنْوَانًا

8 - **الشعر القومي** : وظهر تيار الشعر القومي بجانبه السياسي والاجتماعي ، وكان للثورات الشعبية ، ومقاومة الاستعمار ، اعظم الاثر في هذا الشعر . كما ادى الشعر دوره في يقظة الوعي القومي ، فقام ينادي بالثورة ويحث عليها ، ويسجل في عزة وفخار انتصار الشعوب ضد المستعمرين .

يخاطب حافظ ابراهيم المستعمرين الانجليز متحدّيا جرائمهم فيقول :

حَوَّلُوا النَّيْلَ وَاحْجَبُوا الضُّوءَ عَنَّا وَأَطِمُّوا النَّجْمَ وَاحْرِمُونَا النَّسِيمَا
وَأَمْلَأُوا الْبَحْرَ أَنْ أَرَدْتُمْ سَفِينَا وَأَمْلَأُوا الْجَوَّ أَنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا
إِنَّا لَنْ نَحْوَلَ عَنْ عَهْدِ مِصْرَ أَوْ تَرَوْنَا فِي التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا

ويخاطب الدكتور صالح خرفي المستعمرين الفرنسيين في الجزائر فيقول :

مَدِّي يَدَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ تَجِدِي الْفَضَا وَالْمَوْجُ يُرْفَعُ كَالجِبَالِ وَيُوضَعُ
وَاسْتَنْجِدِي بِخَزَائِنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَا فَرَنْسَا يَنْفَعُ
إِلَّا اعْتِرَافَكَ بِالْجَزَائِرِ دَوْلَةً عَرَبِيَّةً فَهُوَ الطَّرِيقُ الْمُهَيِّجُ (*)

ويصور الشاعر الفاسطيني « ابو سلمى » نكبة بلاده فيقول :

زَحَفْتُ أَلَمَ أَرْضِي وَهِيَ بَاكِةٌ وَالقَلْبُ بِأَكِّ وَرَاحَتِ تَنْتَبِي الْقَبْلُ
وَعُدْتُ أَنْشَقُ مِنْ عِطْرِ التَّرَابِ هَوَى فِي ظِلِّهِ التَّقَتِ الْأَجْدَادُ وَالرُّسُلُ
أَهْلِي عَلَى الدَّهْرِ تَدْمِينِي جِرَاحَهُمْ فِي حَبِيهِمْ يَتَسَاوَى الْعُذْرُ وَالْعَدْلُ
حَيَاتُهُمْ فِي مَهَبِ الرِّيحِ مَعْوَلَةٌ وَدُورُهُمْ مِنْ وَرَاءِ الدَّمْعِ تَبَهَلُ
تَقَادَفْتُهُمْ ذُرُوبُ الْعُنْرِ دَائِمَةٌ وَأَنْكَرْتُهُمْ رُبُوعُ الْأَهْلِ وَالْمِلَلُ
فِي كُلِّ أَرْضٍ شَطَأَ يَاهُمْ مُشْرَدَةٌ وَتَعَتِ كُلُّ سَمَاءٍ مَعَشَرًا دَلَلُ
أَطُوفُ أَحْمِلُ أَنِّي سِرْتُ كَكَيْتُهُمْ كَأَنِّي لَيْسَ نَارٌ وَالْحِمَى طَلَلُ
يَا فِتْيَةَ الْوَطَنِ الْمُنْلُوبِ هَلْ أَمَلُ عَلَيَّ جَاهِكُمْ السُّرْرَاءُ يَكْتُمِلُ ؟
إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْغَلِيَاءِ مُظْلِمَةٌ وَلَنْ تَفِضَلَ وَفِي أَيْدِيكُمْ الشُّعْلُ

وأعلن الشعر الحديث حربا على الأوضاع الفاسدة ، فحارب الفقر ، ودعا الاغنياء الى الرأفة بالفقراء والمساكين ، وقد صور « الرصافي » حالة طفل يتيم في يوم العيد فقال :

أَطَلَّ صَبَاحَ الْعِيدِ فِي الشَّرْقِ يَسْمَعُ ضَجِيجًا بِهِ الْأَفْرَاحُ تَنْضِي وَتَرْجَعُ
صَبَاحٌ بِهِ يَكْسُو الْغَنِيِّ وَلَيْدَهُ يُكَابًا لَهَا يَكِي الْيَتِيمِ الْمُضَيِّعُ

(*) المهيع : جمعها مهايح ، والمهيع هو الطريق الواسع البين .

واناصر الشعر قضية المرأة ، ودعا الى العلم ، ووقف الى جانب الطبقات الكادحة ، يصور الامها ، ويبين فضلها على المجتمع .

وقد رسم الشاعر احمد الصافي النجفي ، صورة للفلاح ومناعبه وتماسته في الايات التالية :

رَفَقًا بِنَفْسِكَ أَيَّهَا الْفَلَّاحُ تَسْعَى وَسَعْيِكَ لَيْسَ فِيهِ فَلَاحُ
لَكَ فِي الصَّبَاحِ عَلَى عَنَائِكَ غُدُوَةٌ وَعَلَى الطَّوَى لَكَ فِي الْمَسَاءِ رَوَاحُ
هَذِي الْجِرَاحُ بِرَاحَتِكَ عَمِيقَةٌ وَنَظِيرُهَا لَكَ فِي الْفَوَادِ جِرَاحُ
فِي اللَّيْلِ يَبْتَئُكَ مِثْلُ دَهْرِكَ مُظْلَمٌ مَا فِيهِ لَا شَمْعٌ وَلَا مِصْبَاحُ
يَا وَاهِبَ الْخَيْرِ الْجَزِيلِ لِشَعْبِهِ أَكْذَا يُجَازِي بِالْعِقَابِ سِمَاحُ ؟
قَدْ أَقْتَمَ الْجُبْسُ الَّذِي بِكَ نَازِلٌ أَنْ لَا تَمَرَّ بِدَارِكَ الْأَفْرَاحُ

وقد اندمج معظم الشعراء في مضمار النزعة الوطنية استجابة لمطالب مجتمعاتهم التحاما بها وتفاعلا معها واحساسا منهم بالمشكلات التي يعانها المجتمع وتبصيرا بطريق الخلاص منها .

9 - الشعر الفلسفي : تناول الشعر المعاصر كثيرا من الموضوعات الفاسفية متأثرا بالمداهب الفلسفية الحديثة ، وكان لشعراء المهجر دور ملموس في السمو بهذا الغرض من اغراض الشعر ، فتحدثوا عن الكون ونشأته ، والانسان واصله ومصيره ، وعن الله والموت ، وغير ذلك من الموضوعات التي تتصل بالوجود ، او بما وراء الوجود .

يتأمل الشاعر ((فوزي المصروف)) حياته فوق هذه الارض فيراها سجنا تكبله بالقيود ، ولا خلاص من تلك القيود الا بتحرير النفس من الجسد ، والصعود الى عالم الارواح ، ذلك المصام الحر الطليق :

أَنَا عَبْدُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ ، أَمْشِي مُكْرَهًا مِنْ مُهُودِهَا لِقُبُورِهِ
كُلُّ مَا بِي تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ الْعَمَّيَاءِ ، فَفَوْقَ الْوُجُودِ بَيْنَ شُرُورِهِ
غَيْرُ رُوحِي فَإِنَّهَا حُرَّةٌ تَمْشِي بِرُوضِ الْخُلُودِ بَيْنَ زُهُورِهِ

ويبتكر ((ابو ماضي)) قول من يدعي معرفة مصير الروح بعد موت الانسان فيقول :

لَوْ عَرَفْنَا مَا الَّذِي قَبْلَ الْوُجُودِ لَعَرَفْنَا مَا الَّذِي بَعْدَ الْفَنَاءِ

(*) العناء : التعب . الغدوة : الروح البكر . الطوى : الجرد .

تطور الفن الشعري

اختلف الدارسون حول أسبقية الشعر أو النثر ، فذهب فريق من الباحثين الى ان الشعر قد سبق النثر في الوجود ، واستدلوا على ذلك بأن الانسان الأول عرف الغناء قبل الكلام ، وعرف الرقص قبل السير المنتظم على الاقدام .

وسواء صحت تلك النظرية ام لا ، فان الانسان منذ قديم الزمان ، اراد ان يعبر عن احساسه ومشاعره ، فنظم الأشعار يرددّها أهازيج وأغاني، وشعرَ الانسان بضعفه امام قوى الطبيعة ، فاتخذ منها آلهة وأضفى عليها من الصفات التي كان يعرفها في حياته ، فتخيلها في صراع ومعارك ، وحكى عنها الأساطير ، واستمد من هذه الأساطير مادة فَنَّاها في ملاحم شعرية ، وفنَّها من خياله الواسع . ولأسباب دينية وتربوية نشأ المسرح واتخذ من الأناشيد والأشعار لغة الحوار بين الشخصيات .

ومن ثمَّ فانه يمكننا أن نُعيِّز بين ثلاثة ألوان من الشعر هي :

1 - الشعر الفنائي ؛

2 - الشعر الملحمي ؛

3 - الشعر المسرحي .

1 - الشعر الفنائي :

يستمد الشعر الفنائي مادته من اهتمام الفرد بذاته ، وأحاسيسه الخاصة ، وانطباعاته عن الحياة المحيطة به من خلال رؤيته الذاتية ، وقد غلب هذا اللون على الشعر العربي ، وظهر في أغراض متعددة مثل : الغزل ، المديح ، الهجاء ، الرثاء ، الفخر ، الحكمة .

واستمرت أغراضه حتى الوقت الحاضر ، وان كانت قد اتسعت في هذا العصر ، واختفى بعضها كما عرفت ذلك ، ولكن مفهوم الشعر الفنائي أصابه تطور ملحوظ في العصر الحديث ، ويتضح ذلك في دراسة المقومات الأساسية للشعر الفنائي وهي :

(١) التجربة الشعرية : والمقصود بها الحالة الشعورية التي يصورها الشاعر في قصيدته وهي نتيجة لتأمله في أمر من الأمور ولانفعاله به ، وقد اشترط النقاد المعاصرون أن يكون الشاعر صادقا في تجربته ، وليس معنى صدقه أن ينقل الحقائق أو يصورها كما هي في الواقع وإنما يراد بالصدق : الصدق الفني ، ويتجلى ذلك في تعبير الشاعر عن نفسه بتصوير شعوره تصويرا صادقا ولو كان ذلك مخالفا للحقيقة والواقع ، ولذلك عابوا على الشاعر أن يقول مالا يؤمن به وراوا أن شعر المناسبات - غالبا - يجعل الشاعر مضطرا الى عدم الصدق مع نفسه ، ولذلك أوجبوا عليه أن يستوحى موضوعاته من التجربة التي يعيش

أحداثها حقيقة ، أو يتمثلها في نفسه ويحيا فيها حياة فكرية لا حياة واقعية ،
فمثلا عندما رثى ((البارودي)) زوجته ، صور تجربة عاش في مناسبتها ، وعندما
تحدث ((شوقي)) عن نكبة دمشق ، عاش بشعوره وفكره في مأساتها ، وكلاهما
صادق في تجربته .

(ب) الوحدة العضوية : ويقصدون بها وحدة الشعور النفسي في القصيدة وتلاحم
أجزائها ، بحيث يكون موضوعا واحدا والجو النفسي واحدا ، ويكون الانتقال
فيها من عنصر الى عنصر آخر شديد الارتباط ، وقد يتناول الشاعر أحاسيس
مختلفة ولكنها من وحي موقف شعوري واحد .

(ج) الأسلوب التصوري : ويتمثل في الكلمات والعبارات والصور والموسيقى
الخارجية ، التي تظهر في الوزن والعروض ، وفي الموسيقى الداخلية ، وهي
النغم الخفي الذي يشيع في كلمات القصيدة .

وقد عنى أصحاب مدرسة المحافظين في العصر الحديث بجودة السبك وصحة
العبارة وحسن اختيار الألفاظ وملائمتها للمعاني وانسجامها في الجملة .

ثم جاء المجددون ، وأهتموا كثيرا بدقة المعاني وعمق الأفكار مع تفاوتهم في
أساليبهم طبقا لتفاوت قدراتهم الأدبية .

وأتسع ميدان الخيال في الشعر الحديث ، وان ظهر في أول عصر النهضة خيالا
تفسيريا يعتمد على الصورة البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ، ويستمد صوره من
الصور الشعرية الجيدة في الأدب القديم ، لكنه لم يلبث أن سائر حركة التجديد في
الشعر وأصبح خيالا واسعا يجسم الإحساس ويشخص الكائنات الموجودة في الطبيعة ،
ويتغلغل في أعماق النفس البشرية ليكشف عن كثير من أسرارها ، ويصورها أجمل
تصوير .

وتنوعت الموسيقى في العصر الحديث واستفاد منها الشعراء في تصوير مشاعرهم
تصويرا صادقا وأميناً .

2 - الشعر الملحمي :

ويستمد موضوعاته من الأساطير التي يفديها الخيال كما فعل الشاعر اليوناني
« هوميروس » في « الألياذة ، والأوديسا » ، وأحيانا يتناول قصة طويلة كما فعل
الشاعر الإنجليزي « ملتون » في « الفردوس الضائع » و « دانتى » في « رحلة
الى الجحيم » . وقد صور الشعراء في ملاحمهم مشاعر أبطالهم تصويرا موضوعيا ،
وان أسبغوا عليهم جانبا ذاتيا .

وقد حوى الشعر العربي عناصر ملحمية تمثلت في وصف الحروب والمعارك
كمفاخر عنتر ، وأبي فراس ، ولكنها لم تكن أعمالا ملحمية تامة ، وإنما غلبت عليها
النزعة الذاتية ، فكان الجانب الموضوعي في الوصف يختفي تحت بريق الفخر وأبراز
الطابع الذاتي .

كما حوى الشعر العربي القديم بدورا لعناصر قصصية ، كما رأيت مثلا في قصيدة « قصة كرم » ، للحطيئة التي سبق لك دراستها فيما مضى .

وفي بداية العصر الحديث نقل عبد الله البستاني ، اليأذة هوميروس شعرا الى اللغة العربية . وحاول بعض الشعراء ان يكتب ملاحم في الشعر العربي ، فكتب شوقي قصيدته « كبريات الحوادث في وادي النيل » وان كانت دون مستوى الملحمة الفنية ، وكتب مطران « حكاية عاشقين » ، وفوزي المصروف « على بساط الريح » ، واحمد معزم « الايأذة الاسلامية » .

ومع ذلك فان الشعر الملحمي قليل في الشعر العربي .

اما القصة او الاقصوصة الشعرية ، فقد لجأ اليها كثير من الشعراء وعلى رأسهم المجددون في الشعر العربي ، وقد أعانهم الأسلوب القصصي على تحقيق مبادئهم في مراعاة الوحدة العضوية في الشعر ، وكان المحافظون قبلهم قد حاولوا كتابة القصة باللغة العربية ، كما فعل شوقي في شعره التعليمي .

اما المجددون فقد احسنوا استفلالها وخاصة بعد ان عرفوا القصة الغربية بخصائصها الفنية ، فكتب ابو ماضي ، وغيره من الشعراء مجموعة من القصص الشعرية ثم شاعت في دواوين الشعراء المتأخرين .

3 - الشعر المسرحي :

يعتمد الشعر المسرحي على تصوير قصة يقوم بأحداثها اشخاص ، ويفلح الشاعر اذا استطاع ان يتخلص من ذاتيته بان يضيف على شخصياته صبغة موضوعية ، ولم يعرف الشعر العربي القديم هذا اللون من الشعر .

وفي بداية عصر النهضة ، حاول بعض الشعراء العرب ان يقدم للمسرح اعمالا شعرية ، من ذلك ما قام به خليل اليازجي (1870 م) في مسرحية « المروءة والوفاء » وما قام به غيره في تلك الفترة المبكرة ، ولكنها كانت محاولات اولية ناقصة .

وبدأت المسرحية الشعرية على يد « شوقي » الذي تأثر بالادب الاوربي ، فقد كتب بعد عودته من فرنسا مسرحياته : « عنترة ، مجنون ليلى ، قممير ، كليوباترا ، على بك الكبير ، الست هدى » .

وهي خمس مسرحيات درامية وملهأة واحدة ، وقد استقى مادتها من التاريخ الفرعوني والعربي والمجتمع المصري في عصره .

وبعد شوقي ، كتب عزيز اباطة : « غروب الأندلس ، وشهر يار » ، ثم كتب صلاح عبد الصبور : « مأساة الحلاج ، والاميرة تنتظر » عالج فيها مشكلات فلسفية واجتماعية . وما يزال محصول الشعر المسرحي قليلا في الادب العربي بالنسبة للشعر الغنائي .

القالب الشعري

فرق العرب القدماء بين الشعر والنثر بالوزن والقافية . فالشعر هو الكلام الموزون المقفى ، والنثر هو الكلام الذي لا وزن له ولا قافية .

ولذلك حافظ الشعراء على الوزن والقافية محافظة كبيرة ، وخاصة في الفترة التي كان تسجيل الشعر فيها يعتمد على الذاكرة والرواية ، فان وحدة النغمة والقافية يساعدان على سرعة حفظ الشعر وبقائه في الذاكرة .

وترجع بداية التجديد في الوزن الشعري الى العصر العباسي . وكانت الموشحات اكبر مظهر تجلت فيها نزعة التجديد .

وفي بداية العصر الحديث ، حرصت مدرسة المحافظين الى حد كبير على قالب القصيدة العربية القديمة من حيث الوزن والقافية ، وان ظهرت عند بعضهم اتجاهات نحو تقليد الموشح الأندلسي كما فعل شوقي في بعض قصائده .

ولكن المجددين مالوا الى التحرر من قيود الوزن والقافية ، وثاروا على شكل القصيدة التقليدية ، واتخذ تطور الوزن اتجاهين :

أولاً : استخدام الأوزان العروضية القديمة مع تصرف فيها من ذلك ما تراه في قصيدة « الصباح الجديد » لأبي القاسم الشابي :

مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ	وَهَادِرِ المِيَاءِ
قَدْ دَعَانِي الصَّبَاحُ	وَرَيِّعُ الحَيَاةِ
يَا لَهُ مِنْ دُعَاءِ	هَزَّ قَلْبِي صَدَاهُ
لَمْ يَعُدْ لِي بَقَاءُ	فَوْقَ هَذِي البَقَاعِ
الْوَدَاعِ الوَدَاعِ	يَا جِبَالَ الهُمُومِ
يَا ضَبَابَ الأَسَى	يَا فِجَاجَ الجَحِيمِ
قَدْ جَرَى زَوْرَقِي	فِي الخِصْمِ العَظِيمِ
وَنَشَرْتُ القِلَاعِ	فَالوَدَاعِ . . الوَدَاعِ

وهذا الشعر من بحر المتدارك ، ووزنه :

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن . فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

ولم يرد في الشعر القديم إلا بشماني أو ست تفعيلات ، لكن الشاعر هنا أتى بأربع فقط .

فانيا : التزم الشاعر بوحدة التفعيلة ، ولم يلتزم بمددها في كل بيت ، فيأتي في البيت الاول بأربع تفعيلات ، وفي الثاني بثلاث أو اثنتين ، ولكن على وزن التفعيلة الأولى . من ذلك قول الشاعر الجزائري « عبد السلام حبيب » عندما اهتز لبطولة محمد بن الصادق ، الذي قتل الخالان علي شگال ، وهو بجوار رئيس الجمهورية الفرنسية « كوتي » في مدينة « باريس » :

متفاعله 3 مرات .	خُذَهَا وَدَمِيدَمٍ مِنْ مُسَدِّبِهِ رَصَاصِ
متفاعله مرتين .	خُذَهَا ، فَقَدَ حَانَ الْقِصَاصِ
متفاعله مرة واحدة .	الْوَيْلُ لَكَ . . .
متفاعله مرتين .	يَا خَانَ الثَّغْبِ الْجَرِيحِ
متفاعله مرتين .	لَنْ أَسْتَرِيحَ . حَتَّى تَمُوتَ
متفاعله 3 مرات .	بِاسْمِ الْوَطَنِ . بِاسْمِ الْجِرَاحِ الرَّاعِفَةِ
متفاعله مرتين .	بِاسْمِ الْجَزَائِرِ وَالْيَضَالِ
متفاعله مرتين .	خُذَهَا رَصَاصَةً تَأْتِرُ

وهذا ما اطلق عليه النقاد المعاصرون اسم : « الشعر الحر » .

اما القافية ، فانها اخذت اشكالا مختلفة في الشعر الحديث ، فمن الشعراء من التزم وحدة القافية في القصيدة كلها ، ومنهم من التزم قافيتين داخل البيت الواحد .

يقول محمود حسن اسماعيل في قصيدته « ماذا تقول البغي » :

شَهَوَاتُ	سَاقِيِي الْقَوْتُ وَسَاقَتِكُمْ إِلَيَّ
نَرَوَاتُ	هِيَ فِي شَرِّعِكُمُ الْجَانِي عَلَيَّ

ومن الشعراء من التزم بتبديلها بعد عدد معين من الأبيات ، كما رأينا في قصيدة « انطلاس » لاييليا أبو ماضي ، وفي النماذج المختارة لأبي القاسم الشابي .

ومنهم من التزم تغيير القافية مع كل بيت من أبيات القصيدة . وهو ما سماه النقاد بـ « الشعر المرسل » كما ترى في الأبيات التالية للشاعر « عبد الرحمن شكري » :

كَذَاكَ حَيَاةُ أَبْقَارِ السَّوَاقِي	نَرَى فِي الْيَوْمِ مَا هُوَ فِي أَخِيهِ
تُعَانِي الْيَأْسَ وَالسَّامَ الدَّخِيلَا	وَلَوْلَا عَضْبُ عَيْنَيْهَا لَكَانَتْ
لَأَسْلَمْنَا النَّفُوسَ إِلَى الْحِمَامِ	وَلَوْلَا خِدْعَةُ الْأَمَلِ الْمُرَجَى

ومن الشعراء من تحرر من قيود القافية تماما ، فأصبح يبدل فيها من غير التزام .
من ذلك قول الشاعرة « فدوى طوقان » :

فِي اللَّيْلِ إِذْ تَنْعَسُ رُوحُ الْوُجُودِ
يَخْطِفُنِي شَيْءٌ وَرَاءَ الْفَضَاءِ كَأَنَّمَا تَحْمِلُنِي فِي الْخَفَاءِ
ضَبَابَةٌ تَسِيرُ فِي تَيْهِ
لَا لَمَعَةٌ تَجْلُو دِيَابِجِهِ
لَكِنَّ رُوحًا غَيْرَ مَنْظُورِ
وَأَرَاهُ دُونِي أَلْفَ دَيْجُورِ
أُحِسُّهُ فِي لَا تَنَاهِي الْمَدَى يَشُدُّنِي إِلَى بَعِيدٍ بَعِيدٍ

وقد بالغ بعض دعاة التطور في الشعر وتحرروا من الوزن والقافية تماما ، فخرجوا بذلك من دائرة الشعر .

وقد حاول بعض دعاة التطور أن يضع قوالبَ محدَّدة لهذه الحركة التجديدية ، ونادت بذلك الشاعرة « نازك الملائكة » ، ولكن أنصار تطور الشعر راوا في هذا الاتجاه قيودا جديدة .

وما زالت قضية تطور الشعر من حيث القالب موضع دراسات ومناقشات ، وهي على أية حال تكسب شعرنا المعاصر تعددا في الأشكال ، وخصوبة في الأفكار ، وتجعله مسائرا لنهضة الشعر العالمي .

المناقشة :

- 1 - كيف تطور فن الرثاء في العصر الحديث ؟ مع التمثيل .
- 2 - اشرح معنى « الصَّدْق » في التجربة الشعرية ؟
- 3 - ما ميزان الشعر الفنائي ؟ ولماذا اقتصر الشعر العربي القديم على هذا اللون من الشعر ؟
- 4 - لقد شهد بناء القصيدة العربية تغييرا جوهريا في الوزن والقافية لدى بعض الشعراء المعاصرين . ناقش هذه القضية مع التمثيل .

الفصل الثالث

تطور النثر العربي وخصائصه في العصر الحديث

- 1 - تمهيد ،
- 2 - مراحل تطور النثر العربي ،
- 3 - فنون النثر : الخطابة ، الرسالة ، المقالة ، القصة ، الرواية ، المسرحية .

تمهيد :

لم يكن النثر العربي قبيل العصر الحديث أحسن حالا من الشعر ، فقد جمدت فنونه ، وضائق أغراضه ، وضعف أسلوبه ، ودار معظمه حول الرسائل والمقامات بأسلوب كثرت فيه الحلبي اللفظية ، والمحسنات البديعية ، وتسربت العامية الى الفصحى .

وعندما بدأت النهضة الحديثة نتيجة اتصال العرب بحضارة الغرب وحياتهم التراث العربي القديم - أخذ النثر يتقدم شيئا فشيئا ، وكانت استجابته للتطور أسرع من الشعر ؛ لاهتمام رواد النهضة بالنثر أكثر من الشعر ، فنقلت إلى اللغة العربية علوم الطب والهندسة والفنون الحربية مترجمة بأسلوب النثر العلمي في أوائل أيام النهضة .

وفي بلاد « الشام » كان المبشرون المسيحيون مهتمين بنقل كتبهم الدينية الى اللغة العربية ، وركزوا جهودهم حول النثر الأدبي لأنه يغذي العاطفة ويشبع الروح ويلتئم أهداف الحركة التبشيرية .

والشعر فن رفيع تسعى إليه الأمم اذا استوفت مطالبها الأولية من وسائل التعبير عن الحياة العادية ، وهذا ما لم يتوفر للنهضة العربية المعاصرة في أيامها الأولى .

ولكن تيار النهضة الزاحف من أوروبا والتأثر باشعاع الحضارة العربية الأصيلة في عصورها الزاهرة لم يقتصر على ناحية واحدة ، فاقتحم كل ميدان ، ونما الشعر وازدهر النثر وأخذوا صوراً تختلف عما كانت عليه في عصر الضعف .

وقد مر بك تطور الشعر العربي في العصر الحديث وعرفت أهم خصائصه الفنية ، وتقدم لك فيما يلي دراسة عن النثر في ذلك العصر .

1 - مراحل تطور النثر العربي

مر النثر العربي في العصر الحديث بمراحل ثلاث يمكن توضيحها فيما يلي :

(١) مرحلة التقليد :

حاول بعض الأدباء أن يعيد الى النثر قوته فحاكوا أدباء القرن الثالث والرابع للهجرة ، واتخذوا من أسلوب « ابن العميد » مثلاً يقلدونه فاهتموا بالصياغة الفنية وسهولة الأسلوب ووضوحه ، ومن أشهر أدباء هذه المرحلة :

« جمال الدين الأفغاني » ، « محمد عبده » ، « خليل اليازجي » ، وغيرهم .

(ب) مدرسة المحافظين :

ويمثل هذه المدرسة جيل من الأدباء شعروا بطغيان حضارة الغرب على المجتمع العربي فخافوا عليه من التصدع والانهدام بسبب ما تحمله ثقافة الغرب من تيارات واتجاهات خلقية واجتماعية تتعارض مع تعاليم ديننا وأساس قوميتنا فاتجهوا الى الشباب بالنصح والتوجيه وحاولوا علاج مشاكل المجتمع على أساس عربي اسلامي . وقد لجأ أدباء هذه المدرسة الى الأسلوب المرسل ، المتشبع بضروب البيان والصناعة البديعية مع عنايتهم بالفكرة وجمالها .

ويمثل هذه المدرسة كثير من الأدباء منهم : « المنفلوطي » ، « الرافعي » ، « فرج أنطون » ، « أحمد حسن الزيات » ، وغيرهم .

(ج) مدرسة المجددين :

ويمثل هذه المدرسة فرقة من الأدباء الذين أخذوا بحظ وافر من الثقافة الأدبية الأوروبية في فترة استقام فيها أسلوب التعبير العربي على أيدي مدرسة المحافظين .

ثم جاء المجددون وخطوا بالنثر خطوات واسعة فجددوا في أغراضه ووسعوا في موضوعاته فصارت تشمل الاجتماع والنقد والسياسة والتاريخ وغيرها ، وساعدت ظروف المجتمع العربي من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية على اتساع أغراض النثر ومجالات التعبير به .

وقد كان للمجلات الأدبية دور هام في ازدهار هذا اللون من ألوان التعبير الفني ويتميز أسلوب المجددين بالتححرر من قيود الأساليب القديمة حيث اهتموا بالمعاني ، ببرزونها دقيقة واضحة وبصوغونها في قالب مشرق وضاح .

ومن أدباء هذه المدرسة : « لطفى السيد » ، « العقاد » ، « طه حسين » ، « البشير الإبراهيمي » ، « جبران خليل جبران » ، « ميخائيل نعيمة » وغيرهم من الأدباء .

2 - فنون النثر

يمكن أن نميز بين نوعين من النثر :

أ - النثر العلمي .

ب - النثر الفني .

ويشمل الخطابة والرسالة والمقالة والقصة والأقصوصة والمسرحية وسنوضح خصائص كل لون من هذه الألوان ونبين مراحل تطوره وأشهر من تناوله من الكتاب .

١ - النشر العلمي :

يطلق أسلوب النشر العلمي على النشر الذي يعبر عن المفاهيم العلمية المختلفة من نظريات أو حقائق أو تجارب أو ظواهر تاريخية أو اجتماعية أو نفسية .

وقد تطور هذا الأسلوب في العصر الحديث تطورا كبيرا فإذا ما نظرنا الى محاولة المؤرخ المصري « عبد الرحمن الجبرتي » (1) في كتابه « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ، وجدناه يتردد في أسلوبه بين الفصحى والعامية وبعض الكلمات التركية .

ولكن « رفاعة رافع الطهطاوي » خطأ بالنشر خطوة ملحوظة حيث اهتم بوضوح المعنى في كتابه « تخليص الأبريز في تخليص باريز » وان كانت عبارته تسمو حيناً وتهبط أحياناً .

ولما كثرت الترجمات في علوم الطب والهندسة وفنون الحرب والفلك والرياضيات وغيرها استقرت دعائم الأسلوب العلمي الى حد كبير .

ومع التقدم العلمي المعاصر في شتى العلوم والفنون كثرت المصطلحات الجديدة في كل لغات العالم ، ولما كان معظم مخترعي هذه الاصطلاحات من غير الناطقين بالعربية فانه كان لزاماً على المهتمين باللغة العربية متابعة هذا التطور العالمي والبحث عن طريقة علمية ولايجاد المصطلحات العلمية باللغة العربية ، ومن ثم تابعت الجمعيات العلمية والمجامع اللغوية نشاطها في هذا الميدان .

ويتميز أسلوب النشر العلمي : ببساطة العبارة وسهولة الألفاظ ووضوح الفكرة والبعد عن الخيال والعاطفة ويستخدم - غالباً - مصطلحات علمية خاصة بكل علم من العلوم او فن من الفنون . وهدفه توصيل الفكرة الى الدهن سليمة وان خلا من جمال الشكل ورونق العبارة .

ومن كتاب النشر العلمي : « أحمد زكي » ، « فؤاد صروف » ، « زكي نجيب محمود » ، « الشيخ محمد الخضري » ، « الشيخ محمد مبارك الميلي » .

ب - النشر الفني :

اتخذ النشر الفني في العصر الحديث قوالب متعددة - كان بعضها امتداداً للقوالب القديمة مع تغيير في الفكرة والأسلوب وطريقة العرض ، وظهرت قوالب جديدة ، واليك دراسة مفصلة للقوالب الأدبية للنشر الفني في العصر الحديث .

(1) توفي سنة 1825 م .

* الخطابة *

الخطابة من أقدم الفنون الأدبية التي عرفتها العرب ، وكان لها شأن عظيم -
عندهم - على مر التاريخ ، كما عرفت ذلك من دراستك السابقة .

وفي عصر الضعف الأدبي أصاب الخطابة ما أصاب الفنون الأدبية الأخرى من
اهمال وضعف ، فتقلصت أغراضها ، وانحصرت في الخطابة الدينية ، وظلت في
هذا المجال الضيق حتى بداية العصر الحديث .

والخطابة - فن يرتبط بالجمهير - تزدهر في المواقف والظروف التي تثير مشاعر
الجمهير وتلهب عواطفهم . وتتوفر هذه الظروف في حالة اليقظة القومية وفي الثورات
السياسية والاجتماعية ، والحركات التحررية .

وقد بدأت اليقظة السياسية في البلاد العربية بظهور الأحزاب السياسية وقيام
الحركات الشعبية المتعاقبة في مختلف البلاد العربية وتكونت اندية سياسية ،
وجمعيات علمية وأدبية ودينية ونبغ في هذا الجو السياسي جماعة من الخطباء من
أشهرهم : « عبد الله النديم » « سعد زغلول » ، « مصطفى كامل » ، « لطفى السيد » ،
« عبد الرحمن الشهيد » ، « صلاح لبكي » ، « ابن باديس » « الطيب العقبي » ،
« فرحات حشاد » ، « عبد العزيز الثعالبي » وغيرهم .

واتخذ **دعاة الإصلاح الاجتماعي** من الخطابة وسيلة لبث أفكارهم فاتجهوا الى
الجمهير يخاطبونهم في كثير من القضايا الاجتماعية ومن هؤلاء المصلحين :
« جمال الدين الافغاني » ، « محمد عبده » ، « المعلم بطرس البستاني » ، « قاسم
أمين » ، « ابن باديس » ، « البشير الابراهيمي » .

واتسع ميدان الخطابة في العصر الحديث فتناولت السياسة والاجتماع والقضاء
والدين والعلم والادب .

وتطورت **الخطابة الدينية** تطورا ملحوظا على ايدي كبار المثقفين من رجال الدين
فلم تعد وعظا وارشادا قائما على التخويف من النار والترغيب في الجنة ، وانما
امتدت الى جوانب الحياة العملية لتربط بينها وبين الدين وتتخذ من التطور العلمي
المعاصر وسيلة لفهم الدين فهما عميقا يلائم طبيعة العصر . ومن اشهر في هذا
الميدان « الشيخ ابن باديس » و « الشيخ محمد الفزالي » و « الدكتور أحمد
الشرباصي » و « الشيخ سيد سابق » وغيرهم من العلماء المجتهدين .

خصائص الخطابة :

يعتمد هذا اللون من الأدب على الحديث المباشر من الخطيب الى جمهور السامعين
ولهذا لا بد من مراعاة شروط وأسس فنية يتوقف عليها نجاح الخطيب من أهمها :

(* انظر نموذج للخطابة ، ص : 275 ، 423 من هذا الكتاب .

1 - ترتيب الخطبة : ينبني للخطيب ان يقسم خطبته الى مقدمة ، وعرض ، وخاتمة يمهّد في المقدمة للموضوع الذي سيرضه على الجمهور ، وفي العرضي يقدم الخطيب أنكاره في نمو وتسلسل معتمدا على وسائل الاقناع المختلفة من حجج وبراهين ، وفي الخاتمة يركز على الأثر الذي يريد أن يتركه في أذهان السامعين

2 - مادتها واسلوبها : ينبني أن تكون مادة الخطبة واضحة المعاني ، سليمة الأفكار سهل فهمها على عامة الجمهور حتى يتفاعل معها وتؤتي ثمارها لهم . ويكون للتكرار فيها أثر ملموس في نفوس الجماهير .

وينبغي أن تكون عباراتها قصيرة الفواصل ، قوية التأثير ليس فيها كلمات صعبة .

3 - شخصية الخطيب : يؤثر الخطيب بقوة شخصيته أكثر من قوة كلماته وهجراته وتتوفر قوة الشخصية لمن كان شجاعا حاضرا البديهة جهوري الصوت سليم النطق ، يجيد استخدام النبرات الصوتية ، ويحسن الحركة من اشارة باليد أو تعبير بالوجه أو النظر أو غير ذلك من وسائل التعبير الأخرى غير الألفاظ والمعاني .

اشكال الخطابة :

تتخذ الخطابة اشكالا متعددة لا تخرجها عن كونها حديثا مباشرا من المتحدث الى جمهوره ولكنها تأخذ أسماء مختلفة تبعا لنوعية الجمهور ومستوياتهم الثقافية وموضوع الحديث ، والوسيلة التي ينقل بها الى الجمهور ، ومن هذه الاشكال :

(أ) المحاضرة : وهي عادة تقدم الى جمهور على درجة ما من الوعي أو الثقافة والرغبة في الاستماع الى مادة المحاضرة ، ادبية أو علمية أو سياسية أو غير ذلك

(ب) المناظرة : وهي تعبير عن الرأي مع استخدام الجدل ويشترك فيها أكثر من متحدث وتدور حول الآراء التي يكتر الخلاف فيها .

(جـ) الحديث الأذاعي أو التلفزيوني : ويمتاز بقصره وتركيزه على الموضوع الذي يتناوله ووضوح معانيه وسهولة الفاظه . وفي الحديث التلفزيوني قد يستعين المتحدث ببعض الوسائل التعبيرية المختلفة غير الكلام كالحركة والاشارة وغيرها من الوسائل التي يستعين بها المتحدث .

* الرسالة

الرسالة من الفنون الأدبية القديمة التي عرفها العرب في فترة مبكرة من تاريخهم وقد استخدمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مخاطبة ملوك عصره لتبليغهم الدعوة الإسلامية الخالدة ، وزاد اهتمام خلفاء المسلمين بهذا الفن كلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية .

(*) انظر نموذج للرسالة ، ص 215 من هذا الكتاب .

وظهرت مدرسة « عبد الحميد الكاتب » - كما عرفت ذلك - في عصر الدولة الأموية وظلت طريقته سائدة حتى جاء « القاسمي الفاضل » في عصر الدولة الأيوبية واستن له أسلوبا خاصا في هذا الفن . وكانت الرسالة موضع اهتمام الحكام فأعدوا لها ديوانا خاصا أطلقوا عليه « ديوان الإنشاء » وجعلوا رئيسه من كبار الكتاب والأدباء حتى جاء الأتراك فألقوا ذلك الديوان ، كما عرفت ذلك فيما سبق .

والى جانب الرسائل الموجهة من الديوان كان الأدباء يتبادلون رسائل خاصة فيما بينهم ، وخاصة في مناسبات الأعياد الدينية أو الوطنية ، وفي حالات العزاء أو العتاب أو الاعتذار ، وتعتبر الرسالة الإخوانية قطعة أدبية يضمنها الكاتب كثيرا من أفكاره في الناس والحياة ويستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات من الشعر والأمثال والحكم .

وقد ضعفت خلال عصر الضعف الأدبي ، شأن كل الفنون الأدبية . وفي العصر الحديث لم تُبعث الرسالة من جديد كما بعثت الخطابة أو غيرها من الفنون القديمة ، وإنما حل محلها أسلوب جديد يستعمل في المكاتبات المتبادلة بين المصالح والمؤسسات الحكومية فيما بينها ، أو بينها وبين الجمهور ، وأهم ما يميز أسلوب هذه الرسائل : التعبير المباشر ، والوضوح التام ، والاختصار ، وعدم الإطالة في المقدمات ، والتركيز والتحديد .

أما الرسائل الإخوانية فإنها لم تختف في العصر الحديث ، وإنما قل شأنها وضعفت قيمتها ، ولعل ذلك راجع الى سببين :

أحدهما : ظهور ألوان جديدة في النشر الأدبي مثل القصة والمرحجة شغل الناس عن الاهتمام بهذا الفن . والرسالة وإن كانت من أديب الى صديقه الأديب إلا أن جمهور الأديب يمثلون حافزا قويا في أعماله الأدبية .

ثانيهما : انشغال كتاب العصر الحديث - الى حد كبير - بمشاكل مجتمعهم وقضايا عصرهم ، والرسالة الإخوانية لون من الترف الفكري لا ينشط انصاره في حالات القلق الفكري والنفسي والمعارك السياسية والاجتماعية . وقد شهد العصر الحديث كثيرا من هذه الأحداث .

ومع ذلك سجل لنا الأدب العربي الحديث بعض الرسائل الإخوانية التي كتبها « فارس الشدياق » و « عبد العزيز جاويز » و « مي زيادة » وغيرهم من الأدباء .

وقد اتبعوا فيها - غالبا - نمط الرسالة الإخوانية القديمة واختلفت باختلاف ثقافة كاتبها ونزعته الفنية في الأدب .

المقالة

المقالة لون من الوان التعبير النثري الذي كثر استعماله في الادب العربي الحديث وهي من ثمرات الاتصال بالادب الأوربي ، وان مارس بعض الكتاب العرب قديما فن الرسائل العلمية والأدبية « كالجاحظ » و « ابن المقفع » و « السيوطي » وغيرهم لكن رسائلهم كانت أطول حجما من المقالة الحديثة .

ويرجع الفضل في ذبوع هذا اللون من النشر الى انتشار الصحافة وتنوعها ، وقد تناولت المقالة العربية موضوعات سياسية واجتماعية وعلمية وأدبية وتقنية ، واختلفت خصائص أسلوبها تبعا لاختلاف أنواعها . ومع ذلك فان هناك خصائص عامة تميز شكل المقالة عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى ومن أهم هذه الخصائص : صغر حجمها ، ووحدة موضوعها ، وسهولة أسلوبها ، وتقسيمها الى عناصر ثلاث هي : التمهيد والعرض والخاتمة ، وفي التمهيد يوجز الكاتب عناصر موضوعه ، وفي العرض يتناول كل عنصر بالتفصيل ، وفي الخاتمة ينتهي الى النتائج التي يريد بها ويمكن توضيح أنواع المقالة وخصائص كل نوع فيما يلي :

المقالة السياسية : عرفت ان المقالة قد اتخذت من الصحافة مسرحا لها ، ولم تجرؤ الصحافة العربية في بداية ظهورها ان تتناول موضوعات سياسية او اجتماعية ، حتى قدم « جمال الدين الأفغاني » الى مصر سنة 1871 م وبدأ حركته السياسية الواعية وانضم اليه جماعة من المصريين أخذوا يحررون مقالات صحفية ، في نقد العادات الاجتماعية ، ومهاجمة الأوضاع السياسية ، وكان لقاومة الاستعمار في البلاد العربية اثر كبير في نمو المقالة السياسية وتطورها ، وقد اتخذ منها الزعماء والسياسيون والقادة وسيلة للاتصال بجمهورهم ، كما كان للأحزاب السياسية في بعض البلاد العربية اثر في تطور المقالة السياسية وذبوعها .

وقد اختلف أسلوب المقالة السياسية باختلاف الظروف السياسية التي كانت تواجهها فعندما يكبل المستعمرون أقلام كتابها كانوا يلجأون الى أسلوب المداراة أو الإيحاء والتلميح ، وعندما يطلقون لهم بعض الحرية في التعبير يلجأون الى الهجوم العنيف من غير تحفظ أو مداراة .

وتتميز المقالة السياسية بالبعد عن التكلف وسهولة الألفاظ ووضوح الفكرة والعمل على إثارة الحماسة ، وتقليب الفكرة وذكر البراهين والحجج .

ويعد جمال الدين الأفغاني رائد هذا النوع من المقالات ثم تابعه مئات الكتاب في مختلف البلاد العربية وعلى صفحات الجرائد اليومية والأسبوعية .

المقالة الاجتماعية : عبر كثير من كتاب المقالة عن مشكلات مجتمعاتهم ، وحاولوا ان يتخذوا منها وسيلة لاصلاحه . فتحدثوا عن مشكلات « الفقر والجهل والدين والعادات والتقاليد والمرأة والأسرة » ، وقد غدى الصراع الفكري بين المجددين

(*) انظر نموذج للمقالة ، ص : 239 ، 194 ، 289 من هذا الكتاب .

والمحافظين حول القيم الاجتماعية والاخلاقية موضوعات المقالة الاجتماعية ، ونالت بذلك اهتماما لدى جمهور القراء وكتب في هذا الميدان :

« قاسم أمين » و « المنفلوطي » و « محمد كرد علي » و « الخضر حسين التونسي » و « والشيخ ابن باديس » و « الشيخ محمد البشير الابراهيمي » وغيرهم .

وتتميز المقالة الاجتماعية بوضوح الفكرة وتصوير المشكلة ومناقشتها في هدوء وروية ، وكثيرا ما يلجأ كتاب المقالة الاجتماعية الى ذكر الامثلة التاريخية او الواقعية والاستشهاد بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة . واهيانا نحتوي على النصيح او التهديد او الرجاء والامل .

المقالة الادبية : يلجأ الادباء الى اسلوب خاص يصورون فيه مشاعرهم نحو الاشياء ولكلّ ادب وجهة نظره في الحياة ، وله انطباعات معينة نحو بعض الاحداث او المناظر يتناول الحديث عنها لا لهدف سياسي او اجتماعي وانما يهدف الى ابراز قيم جمالية وفنية دون مراعاة للموضوعية او مطابقة الواقع .

وان كان الاديب الملتزم هو الذي يتخذ من ادبه أداة لخدمة مجتمعه وانسانيته ، فليس معنى ذلك أن تدوب خصائص المقالة الادبية في غيرها من انواع المقالات الأخرى لأن القالب الذي يميز اسلوبها يجعلها نمطا مستقلا ، ومن أهم خصائصها أنها تعتمد على الخيال والتصوير وتستخدم عبارات جزلة والفاظا مختارة موحية ، وتتركز اهتمامها على عمق الفكرة ووضوحها ، وسلامة اللغة وصحتها .

ومن كتاب المقالة الادبية : « العقاد » و « الزيات » و « طه حسين » و « مي زيادة » و « أحمد أمين » .

المقالة النقدية : وهي ترتبط بالادب فتحلله وتقومه وتذكر ما فيه من محاسن وعيوب وكثيرا ما تتناول المقالة النقدية ديوان شاعر او قصيدة منه او قصة او مسرحية او بحثا في الدراسات الادبية او أي عمل ادبي آخر وتطبق عليه نظريات النقد وتعطيه احكاما .

ومن هنا فان للمقالة النقدية جانبين : احدهما موضوعي وذلك عندما يستخدم الناقد عرض نظرية في النقد وجانب ذاتي عندما يصور فهمه الخاص لفكر الاديب او اسلوبه او خصائصه الفنية .

وقد ادت المقالة النقدية دورا عظيما في توجيه الادب والنهوض به ، ومن اشهر كتابها : « الزيات » و « العقاد » و « محمد مندور » و « محمد غنيمي هلال » و « محمد يوسف نجم » .

ويتميز اسلوبها بالدقة العلمية وجمال الاسلوب .

* القصة

تمهيد :

لم يخل أدبنا العربي القديم من القصة بمفهومها البسيط ، ففي الأدب الجاهلي قصص تدور حول أيام العرب وحروبهم وفي القرآن الكريم قصص عن الأنبياء ومن أرسلوا اليهم ، وفي العصر العباسي نُقِلَ إلى اللغة العربية بعض القصص من الامم الأجنبية ، ومن أشهر ما ترجم حينئذ « كليلة ودمنة » و « الف ليلة وليلة » .

وعرف الأدب العربي في تاريخه الطويل أعمالا أخرى توفر لها قدر من النضج الفني تمثّل بنحو خاص في « رسالة الغفران » التي كتبها أبو العلاء المعري المتوفى سنة 1057 م مصطنعا أسلوب المقامة ، وفي قصة « حي بن يقظان » التي ألفها ابن طفيل (1185 م) والتي اتسمت بمتانة البناء الفني على الرغم من ازدحامها بالأراء الفلسفية والافكار المجردة .

ولقد تَبَوَّأت المقامة مكانة مرموقة بَيِّنَ فنون الأدب العربي الاخرى ، ولكنها ما لبثت أن تخلت عن مكانتها بسبب انحرافها الى غرض تعليمي ، فحفلت بحشد من العلوم والمعارف ، وشغفت بالاغراب اللغوي والحرص على جمع الاساليب المنمقة بزخرف السجع والبديع وأصبحت بالمعم خلال الضعف الادبي كسائر الفنون الادبية .

وفي العصر الحديث حاول بعض الكتاب بمث المقامة من جديد فضمن « الشدياق » كتابه « الساق على الساق » اربع مقامات اقتربت من القصة القصيرة ، وعالج فيها بعض المشكلات الاجتماعية ، وسار على هذا الاتجاه كل من « نصيف اليازجي » ، و « عبد الله فكري » وتبع ذلك محاولات أكثر نُضجاً واكتمالا اتَّصَحَّتْ عند «علي مبارك» في « علم الدين » و « محمد المويلحي » في « حديث عيسى بن هشام » و « حافظ ابراهيم » في « ليالي سطيح » ، ومع أن هذه المحاولات اتسمت بالجدة وتناولت الواقع بنظرات لمحة نافذة الا انها لم تُكَلِّبْ احتياجات العصر ، ولم تستوف التعبير عن وجدان الامة التي وجدت طريقها الى الفن القصصي العربي عندما اتصلت به ، وما تبع ذلك من نقل واقتباس وترجمة ، وقد عرف أدبنا العربي نوعين من القصة هما :

1 - القصة الطويلة « الرواية » .

2 - القصة القصيرة « الأصوصة » .

وفيما يلي توضيح للتطور التاريخي والخصائص الفنية لكل منهما :

(*) انظر نموذج للقصة ، ص : 231 ، 188 من هذا الكتاب .

الرواية

مرت الرواية في ادبنا العربي بأطوار متعددة تتجلى لك فيما يلي :

1 - الرواية المترجمة :

نتيجة اتصالنا بالغرب ، واطلاعنا على تراثه الأدبي بفنونه المختلفة ، اتجه بعض أدبائنا الى الفن القصصي بصفته الشكل الأكثر استيعاباً لتطلعات واهتمامات جماهير الشعب ، والقادر على متابعة وتسجيل التغييرات الاجتماعية والانتفاضات السياسية التي كانت تزدهم بها البلاد العربية في ذلك الوقت .

ومن ثم عنت الصحف والمجلات بنشر القصة ، وأفردت لها باباً خاصاً ، بل انقطع بعضها الآخر لهذا اللون الأدبي الجديد وكان أن نشطت حركة الترجمة ، وأخذت تمد هذه الصحف والمجلات بسيل دافق من القصص المترجمة . وقد مرت الرواية المترجمة بمرحلتين :

(أ) المرحلة الأولى : لم يتقيد فيها المترجمون بالأصل ، وأباحوا لأنفسهم أن يتناولوا أحداث القصة بالتبديل أو التلخيص أو الحذف أحياناً ، ومن رواد هذه المرحلة رفاعة الطهطاوي الذي اتجه الى الأدب الفرنسي الكلاسيكي وترجم الى العربية «**مغامرات ليمال**» وأطلق عليها «**مواقع الأفلاك في وقائع ليمال**» .

وهو لم يتقيد بالأصل ، ونقل الرواية بأسلوب السجع والبديع .

وترجم حافظ إبراهيم «**البؤساء**» لـ «**فيكتور هيجو**» فتصرف فيها بأن حذف فقرات بأكملها ، واحتفظ بالمعالم الرئيسية لبطل الرواية «**جان فالجان**» .

وترجم محمد عثمان جلال «**بول وفرجينى**» (1) باسم «**الأماني والمئة في حديث قبول وورد جنة**» وأعاد المنفلوطي ترجمتها باسم «**الفصيحة**» .

ومن أشهر مترجمي هذه المرحلة : طائيوس عبده ، ونجيب حداد ، وسليم النقاش ، وأديب اسحاق ، وغيرهم .

(ب) المرحلة الثانية : وفي هذه المرحلة أخذت الترجمة تتميز بالدقة ، والتزام النص الأصلي ، مع مراعاة سلامة اللغة وإشراقها ، ومن رواد هذه المرحلة : أحمد حسن الزيات ، والملازني ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد بدران وغيرهم كثير وبذلك نما وعينا الأدبي بهذا الفن الجديد ، فتوفر عليه أدباؤنا ، وانقطع البعض منهم ولم يتعدود الى غيره من فنون الأدب الأخرى ، فانتجوا أعمالاً تميزت بالأصالة والابداع .

2 - الرواية التاريخية :

وهي تستوحي أحداثها ، وتستمد شخصياتها من التاريخ ، وتقدم صورة تاريخية لفترة ما ، نابضة بطبيعة العصر وعاداته .

(1) Paul et Virginie par b. St. Pierre.

وفي تاريخنا الحديث عندما طغى استبداد المستعمرين ، اتجهت مواطن بعض الكتاب نحو التاريخ العربي القديم يستوحون منه بعض المواقف القومية العظيمة وذلك اذكاءً للهمم للنهوض بالواقع المتخلف الذي كانت تعيشه البلاد العربية في ذلك الوقت ، ولهذا كانت الرواية التاريخية من اسبق انواع القصص العربية إلى الظهور ، ومن اوائل الكتاب في هذا الميدان « سليم الستاني » الذي ألف عددا من الروايات التاريخية من اهمها « زُنُوبِيَا » 1871 م و « بُدُور » 1872 م و « الهَيَام في فَتُوح الشَّام » 1874 م ثم تبعتها محاولات جورجى زيدان الذي يعد في رواياته مؤرخا اكثر منه اديبا (*).

وتقدم محمد فريد أبو حديد بفن الرواية التاريخية خطوات ملحوظة ، وكتب ما يزيد على ست روايات تاريخية(**) ، وهو يلخص أسلوبه الفني في هذه الروايات بقوله : «التاريخ في نظري وسيلة لهيئة الجو لأحداث الرواية لا أكثر ، وداخل هذا الجو التاريخي أتصرف كما يحلو لي ، حسب الروح التي تليها علي الأحداث والشخصيات» وقد عرفت الرواية التاريخية عددا من الكتاب من أبرزهم : ابراهيم رمزي ، وعلي الجارم ، وكرم ملحم كرم ، وعلي احمد باكثير ، ومحمد سعيد العريان.

ولا ينكر أحد عظمة الدور الذي قامت به الرواية التاريخية من شحذ للهمم ، وتعمية للنفوس ، ووصل حاضرنا بماضينا المجيد .

3 - الرواية الاجتماعية : اتجهت الرواية نحو قضايا المجتمع ومشكلاته وعالجت ما تزدهم به الحياة من تناقضات ، وما تزخر به نفوس البشر من نوازع وعواطف .

وتعتبر رواية « زينب » للدكتور محمد حسين هيكل التي نشرها عام 1914 م هي البداية الأولى لهذا الاتجاه الاجتماعي ، وبرغم غلو هذه الرواية في الرومانسية وحلولها المتعملة ، وانتقالاتها بغير تمهيد ، الا انها تمد البداية الفنية الحقيقية للرواية العربية ، ونلتقي بعد هذه البداية بعدد من الروائيين الذين أسهموا بما قدموه من أعمال باضحة مساهمة ايجابية في ارساء اصول فن الرواية ، والنهوض بها .

فنشر الدكتور طه حسين روايته « الأيام » سنة 1927 م ووصف فيها أحداث صباه وشبابه وقدم صورة وافية للقربة المصرية ، ثم اتبع هذه الرواية بعدد من الروايات من أهمها : « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » .

كما كتب توفيق الحكيم اثناء اقامته بباريس « عودة الروح » ونشرها بعد عودته الى أرض الوطن ، وقدم فيها صورا من الحياة في المدينة والريف ، ثم نشر بعد ذلك « يوميات نائب في الأرياف » و « عصفور من الشرق » و « الرباط المقدس » ، وقد كان لتمكن الحكيم من فن المسرح دوره الكبير في رواياته التي تميزت بالدقة ، وحرارة الحوار وتدقيقه .

(*) بلفت رواياته التاريخية احدى وعشرين رواية ، من أشهرها : الحجاج بن يوسف، ارماتونسة المصرية ، فتح الاندلس ، فتاة غسان ، عدواء قريش . . . الخ .

(***) وهي حسب ترتيب صدورها : ابنة الملوك ، الوعاء المرمرى ، زنوبيا ملكة تدمر ، الملك الضليل ، المهلهل سعيد ربيعة ، أبو الفوارس عنتره . . . الخ .

ومن هذا الجيل الرائد في كتابة الرواية ابراهيم عبد القادر المازني الذي يغلب على رواياته طابع التأمل الفكري ، والتحليل النفسي والجنوح الى الفكاهة والسخرية من مفارقات الحياة ، وقد تميز أسلوبه بالجزالة والسهولة معا . ومن رواياته : « ابراهيم الثاني » و « عود على بدء » و « ميدو وشركاه » .

وتمضي الرواية الاجتماعية في تقدمها وازدهارها على ايدي طائفة من الكتاب خبروا واقعمهم الاجتماعي بتعميداته ومساراته فراحوا يخرجون أعمالا روائية متفردة ارتفعت بهم الى مصاف الكتاب العالميين .

ومن أبرز هؤلاء الكتاب نجيب محفوظ الذي أخرج لنا جسدا زاخرا من الروايات التي تتناول البيئات الشعبية باهتماماتها وتطلعاتها وتصوّروها يوم الإنسان وصراماته مع نفسه ومجتمعها ، ومن أهم أعماله الثلاثية (*) التي نشرها 1956 م وتنبّج فيها الحياة الاجتماعية والسياسية من خلال تصويره لحياة أسرة مصرية ، وعلاقة أفرادها بالمجتمع وموقفهم من أحداثه ، ومن أعماله التي حققت نجاحا كبيرا ، واحتفى بها النقاد والنراء على السواء « بداية ونهاية » و « زقالي المدّلي » و « السمّان والطريف » و « اللص والكلاب » و « الطريق » ... الخ ، ومازال هذا الكاتب المبدع يشري حياتنا الأدبية بانتاجه المتجدد دوما .

وقد شهد أدبنا العربي رُقيًا وازدهارا على ايدي طائفة من الكتاب المبدعين من أبرزهم : يوسف ادريس ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويحيى حقي ، وعبد الرحمن الشراقوي ، وغسان كنفاني ، والطيب صالح ، وغيرهم .

الرواية الجزائرية :

وفيما يتصل بالرواية الجزائرية ، نلتقي سنة 1947 م برواية « غادة ام القرى » للكاتب احمد رضا حوحو ، وهي قصة مطولة من المرأة في الحجاز التي كانت - في تلك الاوقات - مهضومة الحقوق ، تعاني ضروبا مختلفة من الجهل والتخلف ، وأراد بهذا ان يلمح الى وضع المرأة في الجزائر ، وبانها ليست بأحسن حال من أختها في الحجاز ، ويتضح ذلك جيدا من كلمات الاهداء في مقدمة الرواية :

«إلى تلك التي تمشي معرومة من نعمة الحب ، من نعمة العلم ، من نعمة الحرية .

إلى تلك المخلوقة البائسة المهملّة في هذا الوجود ، إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى » .

وحيثما خرجت هذه الرواية الى الوجود ، ثار عليها كثير من الناس بسبب هذا الاهداء ، وعدوه دعوة الى تحرر المرأة والخروج على طاعة الرجل ، والسبب في هذه الثورة ان العقول والنفوس لم تكن مهياة في ذلك الوقت لقبول هذه الافكار او حتى مناقشتها ، وقد كان حوحو دائما في كتاباته سباقا الى الكشف عن عيوب المجتمع وتجسيم مساوئه ، وأعاناه على ذلك ما توفر له من حس مرهف ، ووعي نقدي .

(*) (بين القصرين) و « قصر الشوق » و « السكرية » و« بعد الثلاثية اشهر أعمال نجيب محفوظ على الاطلاق .

وباستثناء حوحو ومحاولته الوحيدة (1) ، لا نكاد نجد أعمالا روائية أخرى كتبت باللغة العربية في تلك الفترة .

وعرفت الرواية في الجزائر روادا ثلاثة كتبوا انتاجهم الروائي في اللغة الفرنسية وهم : مولود فرعون ، ومولود معمري ، ومحمد الديب ، وقد ولد مولود فرعون ببلاد القبائل ، وكان والده فلاحا ، وقد قضى الشطر الأول من حياته في ظروف مادية صعبة اعطى لها صورة وافية في روايته الأولى « ابن الفقير » 1950 م ، وفي روايته الثانية « الأرض والدم » (2) تناول فيها قضية الانسان الجزائري والأرض ، ومما قاله عن الأرض : « ان أرضنا طيبة ، انها تحب وتمنح في الخفاء ، وتتعرف سريعا على ابنائها ، على هؤلاء الذين خلقوا لها ، وخلقنا لهم ، من شاء أن يكشف عن جمال أرضنا فليمنحها حبه » .

وتعد « الدروب الصاعدة » رواية مولود فرعون الثالثة التي ظهرت سنة 1957 م هي التعبير الفني الواعي عن التحول العظيم في حياة الشعب الجزائري ، وتائق احساسه القومي الذي ظهر بوضوح في ثورته المسلحة .

وقدم محمد الديب ثلاثيته (3) : « البيت الكبير » 1952 م و « الحريق » 1954 م و « النول » 1957 م . تناول فيها أحداث حياته من الطفولة إلى السبورة والشباب ، وقدم خلال ذلك صورة عن الشعب الجزائري ، وقد امتلات نفسه بالمرارة والغضب ، واخذ يستجمع قواه للثورة الكبرى .

ويحدثنا مولود معمري في روايته الأولى « التل المنسي » 1950 م عن المكان العزيز الذي نشأ فيه ، متخذا منه رمزا للوطن وحبه له .

وتمكس « الغفارة العادل » 1956 م - رواية معمري الثانية - موقف فرنسا والجزائريين الموالين لها من الجزائر بعد ان تكشفت لهم حقيقة أوهامهم .

ثم تأتي رواية معمري الثالثة « الأفيون والعصا » 1965 م لتقدم لنا صورة واقعية لمجتمع القرية والمدينة ابان حرب التحرير .

وقد سار على نفس الدرب الذي شقه هؤلاء الرواد الثلاثة لغيث من الروائيين من أبرزهم : مالك حداد ، وآسيا جبار ، ومراد بوروبورن ، وقد استشرفوا جميعا بأعمالهم الروائية آفاق الآداب العالمية. وقد ترجم عدد من هذه الأعمال الى اللغة العربية ومازال القارئ العربي متشوقا الى الاطلاع على بقيتها التي لم تترجم بعد الى العربية .

وقد واكب النقد الأدبي هذه الحركة النشيطة في التأليف القصصي واخذ يبيِّن أصول العمل الروائي وقواعده وفيما يلي سنبين لك أهمها :

- (1) الكثرة الغالبة من انتاج حوحو الأدبي في القصة القصيرة وهو لم يكتب الا رواية واحدة .
- (2) حصل بها على جائزة الادب الشعبي في فرنسا عام 1953 ، منالسا خمسين كاتبا لفرنسا في ميدانهم ولقنتهم .
- (3) ترجمها الى العربية الدكتور سامي الدروبي .

الخصائص الفنية للرواية

تعد الرواية أكبر الأنواع القصصية على الإطلاق ، وهي قادرة بذلك على تقديم لوحات عريضة لما يجري في المجتمع ، فتتناول جانبا رَحْبًا من الحياة الإنسانية ، تتشعب فيه الحوادث ، وتتعدد الشخصيات ، ويعني الروائي خلال ذلك بالتفاصيل والجزئيات ، فيقدم بذلك صورة كاملة لبيئة من البيئات ، أو مجتمع من المجتمعات ، أو فرد من الأفراد ، وفيما يلي أهم العناصر الفنية التي تشتمل عليها الرواية :

1 - البيئة :

للبيئة الزمانية والمكانية دور كبير في تجلية أحداث الرواية ، وتوضيح الظروف التي صاحبها ، مما يجعل القارئ أكثر فهما للأحداث ، وانجذابا لها .

والزمن في الرواية غالبا ما يكون طويلا ممتدا ، فربما اتسع البعد الزمني فاستغرق عمر البطل أو أعمار أجيال ، على أن هذا ليس شرطا لازما ، لأن من كتاب الرواية المعاصرين من قدّم رواية لم تستغرق غير زمن وجيز ، كالدكتور محمد كامل حسين في روايته « قرية ظالمة » التي تبدأ وتنتهي في يوم وليلة .

وما قلناه بالنسبة للزمان نستطيع أن نقوله أيضا فيما يتصل بالمكان ، فأحيانا تتسع الرقعة المكانية فتشمل دولا أو قارات ، كما في رواية عبد الحميد جودة السحار « وكان مساء » حيث تنقل بطل الرواية بين مصر والسعودية والباكستان ، ومن الروائيين من أجرى أحداث روايته في مكان محدود ، كنجيب محفوظ في روايته « ميمصار » التي جرت الكثرة الغالبة من أحداثها في « فندق » اسمه هو نفسه عنوان الرواية .

والرواية التاريخية - بصفة خاصة - يتوقف نجاحها الى حد بعيد على مدى الكشف عن البيئة بأبعادها الرمانية والمكانية ، وما لآخر به من عادات وتقاليد وقيم .

2 - الأحداث :

ان الأحداث في ذاتها مهما كانت أهميتها لا تكفي لاجراء عمل روائي ناجح ، والا كان من السهل على كل انسان ان يختار الحوادث الكبرى ليتخذ منها مادة قصصية وقيمة الحادثة تأتي من ان الكاتب تعمقها ، ونظر اليها في جوانبها المتعددة واكسبها قيمة انسانية وفنية خاصة .

ولذلك قد تكون حوادث الرواية في أصلها بسيطة وصغيرة ، ولكن الروائي يرى فيها من وجهة نظره الخاصة ، أهمية تجعلها تفوق في نظره أهمية كثير من الحوادث الأخرى .

ومن هنا تبرز أهمية الاختيار والانتخاب من الحياة الواسعة في العمل الروائي ، ثم

ان الحوادث التي تصادفنا في الرواية لم تكن بالضرورة على هذا النسق في الحياة ولكن الأديب يقوم بترتيبها والربط بينها ، والحفاظ على تتابها تتابعا منطقيًا .

وهناك نوع من الروايات يعتمد على الحوادث وتسلسلها تسلسلا إذا استولى على لب القارئ ، كما هو الحال في روايات المخاطرة والمغامرة ، والشخصيات تكون ثانوية الى جوار الحوادث التي تبهر القارئ وتدفعه الى متابعة ما يجري في الرواية الى النهاية .

وتظل الحوادث في تسلسلها الى ان تصل الى « العقدة » ، وهي النقطة التي تتجه اليها الأحداث ، وتجتمع عندها خيوط الرواية فيتعقد الموقف ، وتتوتر عندئذ نفوس القراء لهفة الى معرفة ما ستكشف عنه الأحداث التي تستمر في تسلسلها الطبيعي ، وتفرج رويدا رويدا ، لتكشف أخيرا عن « الحل » ، والحل قد يكون سعيدا مبهجا ، أو حزينا مؤسفا ، ولا بد أن يأتي متسقا مع أحداث الرواية والا جاء نابيا ، ويصيب البناء الفني بالخلل :

3 - الشخصيات :

ان اول ما يشغل بال الروائي هو طريقة تقديم شخصياته الى القارئ وتعريفه بهم ، ولذلك نراه يبذل قصارى جهده ليقدمهم في طريقة مشوقة ، تستهوي القارئ ، وتجعله يهتم بهم .

ويتوقف نجاح الرواية الى حد بعيد على مدى جودة تصوير الشخصيات ومن مقاييس هذه الجودة ان تطابق الشخصيات - بتكوينها المادي والنفسي - الأحداث التي تجري في الرواية .

هذا ، وتندرج شخصيات الرواية هرميا من حيث الأهمية الى ان تصل الى شخصية البطل التي تسمى بـ « الشخصية المحورية » .

4 - الأسلوب :

المقصود بالأسلوب هنا التعبير ووسائله اللغوية وخصائصه الفنية . ويتبدل الأسلوب من كاتب الى آخر ، فلكل روائي وسائله التعبيرية ، حقا انه يستخدم نفس الألفاظ التي يستخدمها غيره من الروائيين الا انه يصوغها صياغة جديدة فيها شخصيته وروح عصره .

ومن الروائيين من يعنى بجمال العبارة ، ورشاقة الأسلوب دون الالتفات كثيرا الى البناء الفني شأن طه حسين في « الأيام » و « دعاء الكروان » .

ومنهم من يختار القريب في الألفاظ ويمعن في العناية بالشكل على حساب الصدق الفني أحيانا شأن محمود تيمور .

ومنهم من استطاع أن يستخدم لغة وسطى لا ترتفع ارتفاعا يفقدها قربها وواقعيتها ولا تهبط الى السوقية والابتدال ، كالمازني ، ويحيى حقي ، ونجيب محفوظ .

والحوار جزء هام. في الأسلوب التعبيري في الرواية ، ويعد من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الروائي في رسم الشخصيات ، وتصوير عواطفها وأحاسيسها المختلفة ، كما له دوره في تطوير الأحداث ، واستحضار الحلقات المفقودة منها ، ويشترط في الحوار أن يأتي معبرا عن الواقع النفسي والاجتماعي للشخصيات التي تنطق به . وهناك فريق من الروائيين أمعنوا في محاكاة الواقع ، وأداروا الحوار على السنة أبطالهم باللغة الدارجة ولكن هذا يتطلب من الأديب يقظة حتى يتجنب الوقوع في وهدة الابتذال والأسفاف .

وفي وقتنا الحاضر يلقي هذا الاتجاه عُرُوفًا واعراضا من جمهرة الروائيين لانه يحبس انتاجهم داخل حدود بلادهم ، ولا يسمح له بالتحليق في آفاق أكثر انتشارا واتساعا .

والحوار العبر الرشيق من أسباب حيوية السرد وتدفعه . والسرد هو أحداث الرواية نفسها وقد اتخذت صورة الكلمات ، ويقوم بتقديم الشخصيات ، والقاء الضوء عليها ، والتطرق الى هواجسها النفسية ، ويجب أن يكون أسلوب السرد سهلا واضحا نابضا بالحياة ، فيأتي هادئا متزنا ، أو صاخبا عنيفا بحسب الموقف والأحداث في الرواية .

القصة القصيرة

ظهرت القصة القصيرة بشكلها الفني المحدد في الغرب خلال القرن التاسع عشر ، ومن روادها المظام : « ادجار الان بو » في أمريكا (1809 - 1849 م) و « جي دي موباسان » في فرنسا (1850 - 1893 م) و « أنطوان تشيخوف » في روسيا (1860 - 1904 م) .

القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث :

بدأت القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث مترسمة خطى المقامات من حيث احتفائها بالسجع والبديع والأغراب اللغوي على نحو ما اتضح لك في التمهيد .

ثم جاءت قصص المنفلوطي(*) التي ضمنها كتابه « العبرات » لتمثل مرحلة انتقال من طور المقامة الى طور القصة القصيرة بشكلها الفني الحديث .

وكان المنفلوطي ينزع في قصصه منزعا رومانسيا ، ويعني بتصوير الفضيلة والعدالة ، والانتصار للفقراء في أسلوب مشرق مليء بالانفعال العاطفي ونظرا للبؤس الاجتماعي ، والاضطهاد السياسي الذي كانت تعيش فيه البلاد العربية في ذلك الوقت ، فقد لاقت قصص المنفلوطي الباكية الحزنة اقبالا ورواجا منقطع النظير .

(*) مصطفى لطفى المنفلوطي (1876 - 1924 م) هُذِيب لم يكن يحسن الفرنسية لكلف البعض بترجمة القصص له ثم تولى هو بعد ذلك اعادة كتابتها أو تأليفها ممتدا على الاسترسال الإنشائي : والانطلاق الوجداني .

وما لبثت القصة العربية - بتأثير القصة الأجنبية الوافدة - أن خطت نحو النضج الفني على يد لفيف من الأدباء على رأسهم : محمد تيمور ، ومحمود تيمور ، ومحمود طاهر لاشين ، وغيرهم .

واتسمت قصص هذه المدرسة بطابع اصلاحي ، فلذا غلبت عليها النزعة التعليمية والوعظ. الأخلاقي ، ومن أكثر أدباء هذه المدرسة انتاجا الكاتب محمود تيمور الذي كلف برصد العيوب الاجتماعية ، وتصوير حياة الكادحين في الريف والمدن وذلك بتقديم نماذج بشرية يدق في اختيارها ، ويسرف في تصويرها ووصفها ، ويتضح ذلك جليا في مجموعات قصصه الكثيرة ، والتي من أهمها « شفاه غليظة » و « مكتوب على الجبين » و « شباب وغايات » و « احسان لله » .

ومن كتاب القصة القصيرة اللامعين ابراهيم عبد القادر المازني الذي قدم مجموعات قصصية منها : « على الماشي » و « صندوق الدنيا » و « في الطريق » ، وهو يجنح في قصصه الى السخرية والفكاهة ، ويهتم بتصوير النفس البشرية ، واستجلاء جوانبها .

ثم جاء بعد ذلك جيل اتصل أبناؤه بالحياة اتصالا وليقا ، ووعوا حركة المجتمع في مساراته المعقدة المتشابكة ، فانتجوا أعمالا قصصية لا تقل في فنياتها وعمقها عن الانتاج العالمي .

ومن رواد هذا الجيل : يوسف ادريس ، ويوسف الشاروني ، ويحيى حقي ، وسهيل ادريس ، ويوسف عواد ، وغيرهم كثير .

اما عن القصة القصيرة في الأدب الجزائري (1) ، فقد اتخذت قبل قيام الحرب العالمية الثانية شكل المقال القصصي الذي ارتبط بالحركة الاصلاحية فبنى دعوتها ، وشرح اغراضها ، وحارب الجمود والبدع والخرافات ، وكان يعتمد في الناحية الفنية على الحوار في المقام الأول ، واشتهر من كتاب المقال القصصي : محمد السميد الزاهري (2) ، ومحمد العابد الجلالي (3) ، وعبد المجيد الشافعي (4) ، وغيرهم كثير .

ثم بدأت القصة القصيرة بمقوماتها الفنية تجد طريقها الى الوجود بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان من روادها في هذه المرحلة أحمد رضا حوحو ، وله « صاحبة الوحي وقصص أخرى » ومن أهم قصص هذه المجموعة « ثرى الحرب » و « فتاة احلامي » و « جريمة حماة » و « خولة » ، وقد نشر هذه المجموعة سنة 1954 م ثم نشر في السنة التي تليها مجموعته الثانية « نماذج بشرية » حدثنا فيها عن « الشيعخ رزق » و « سيدي الحاج » و « السكر » و « العصامي » ، وغيرها من نماذج بشرية

1 - لمزيد من التفصيل راجع كتاب « القصة القصيرة في الادب الجزائري المعاصر » للدكتور عبد الله الرجيبي . 2 - من مقالاته القصصية : « عائشة » و « الكتاب المرق » . 3 - من مقالاته القصصية : « السعادة البتراء » و « الصائد في الفخ » . 4 - من مقالاته القصصية « الشباب الضائع » و « بين فتاتين » وقد كتب معظم انتاجه بعد الحرب العالمية الثانية .

برع حوحو في تصويرها وتجسيم ما تنطوي عليه نفوسها من مفارقات تدمو الى السخرية ، ولتقتي بعد ذلك بعدد كبير من كتاب القصة القصيرة من أبرزهم : الدكتور عبد الله الركبي في مجموعته « نفوس نائرة » وعبد الحميد بن هدوقة في مجموعته « ظلال جزائرية » و « الأشعة السبعة » والطاهر وطار في مجموعته « دخان في قلبي » وغيرهم كثير .

وقد ازدهرت القصة القصيرة في أدبنا المعاصر ، ولاقت رواجاً وانتشاراً بين جمهور القراء واحتلت مكانتها الرموقة بين سائر الفنون الأدبية الأخرى ، وقد ساعد على ذلك ما تميز به عصرنا من الآلية والسرعة .

الخصائص الفنية للقصة القصيرة :

إذا كانت الرواية كما مر بك ، تعنى بتقديم لوحات عريضة لما يجري في المجتمع ، فان القصة القصيرة تتناول زاوية ضيقة من الحياة ، وتسلط أضواءها بشكل مركز على شخص في حالة من حالاته ، أو على حادثة معينة غير متشعبة لا يهتم فيها الكاتب بالتفاصيل والجزئيات ، وأهم الصفات الفنية التي تتميز بها القصة القصيرة ما يلي :

1 - **الوحدة** : والمقصود بها وحدة الحدث والزمان والمكان ، وهو ما يعبر عنه ادجار الان بوب « وحدة الانطباع » أي أن القارئ يلزم - والأمر كذلك - أن يخرج من قراءته للقصة القصيرة بانطباع واحد ، لا بجملعة انطباعات كما هي الحال في الرواية .

2 - **التركيز** : وصفة التركيز أساسية في القصة القصيرة ، وأساسية في الحادثة وطريقة سردها ، والموقف وطريقة عرضه وتصويره ويبلغ التركيز حدا لا تستخدم معه لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها أو يمكن أن يستبدل بها غيرها ، فكل لفظة لها دورها .

3 - وتتجمع خيوط القصة لتصل الى « العقدة » وهي النقطة التي يتازم عندها الموقف في القصة القصيرة .

ثم تأتي « لحظة التنوير » لتبدأ الأزمة في الانفراج عن حل ، وبه تنتهي الأصوصة

ويرى بعض النقاد أن النهاية يجب أن تكون حاسمة ، لا يتساءل بعدها القارئ بينه وبين نفسه عن تمتتها ، بينما رأى الفريق الآخر من النقاد أنه لا بأس أن تكون النهاية مفتوحة لأن هذا من شأنه أن يثير التساؤلات في نفس القارئ ويجعله مشاركاً في تصور النهاية ، فيكون بذلك أكثر انفعالا بالقصة وانجذاباً لها .

المسرحية

تهيئد :

المسرحية من أقدم الفنون الأدبية التي عرفتها الحضارة الانسانية ، فمئذ زمان بعيد ، أقام الأفريق مسارحهم في مناسبات دينية ووطنية ، وعرفوا نوهين من المسرحيات هما :

المأساة والملهاة ، وتناولوا في اطارها موضوعات دينية واجتماعية وأدبية ، وادى مسرحهم دوره في تعليم مجتمهم ، واهتم نقادهم بالمسرح ؛ فأعدوا له شروطه وأسس الفنية التي استفاد منها كل من اتصل بالعمل المسرحي ، حتى في العصر الحديث .

ومع ان العرب في عصر نهضتهم العلمية والأدبية نقلوا عن الأفريق كثيرا من الفنون والعلوم ، لكنهم لم يهتموا بشأن المسرح ، ولعل ذلك راجع الى ارتباط المسرح اليوناني بالافكار الدينية الوثنية التي لا يقرها الإسلام ، والى طبيعة الشعر العربي ، وهو من النوع الغنائي الذي لا يصلح للتمثيل .

وأول اتصال أدبنا بالمسرح يرجع الى تأثرنا بالنهضة الأوربية المعاصرة .

نشاتها :

كان لرحلات بعض المفكرين العرب في بعض بلدان أوروبا اثر مباشر في نشأة المسرحية العربية ، فعندما عاد « مارون النقاش » (1) من رحلته في أوروبا فكر في انشاء المسرح العربي وقدم لأول مرة مسرحية « البخيل » للكاتب الفرنسي « موليير » مترجمة الى اللغة العربية ، ولقيت نجاحا شجها على مواصلة جهوده ، فأخذ يقتبس من المسرح الأوربي ومن قصص « ألف ليلة وليلة » بعد أن يدخل عليها شيئا من التحوير وفتح بذلك الطريق أمام غيره من كتاب المسرح العربي .

تطورها :

1 - مرحلة الاقتباس : كان لهجرة بعض اللبنانيين المهتمين بفن المسرح الى مصر اثر في تطور المسرحية العربية ، ومن أشهر الفرق التي وفدت الى مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فرقة « يعقوب صنوع » ثم فرقة « أبو خليل القباني » و شجع الخديوي اسماعيل حاكم مصر في ذلك الوقت نهضة المسرح العربي فانشا دار « الأوبرا » المصرية ودما كثيرا من الفرق الأجنبية لزيارة مصر ثم توافدت فرق أخرى من البلاد السورية وتركز نشاطها في مصر .

وتميزت المسرحية العربية في هذه المرحلة باقتباس فكرتها من الأدب الأوربي ومحاولة صبغها بصبغة محلية ، وغلبت على لفتها اللهجة العامية .

(*) توفي عام 1855 .

(*) انظر نموذج للمسرحية ، ص 101 من هذا الكتاب .

2 - **المسرحية الاجتماعية** : اخذت المسرحية العربية تقترب من الاصاله والنضج على ايدي بعض المؤلفين الذين درسوا هذا الفن في اوربا ، فقد انشأ «جورج ابيض» مسرحا عربيا في مصر اثر عودته من فرنسا عام 1910 م ، وقدم لأول مرة مسرحية اجتماعية وليدة البيئة المصرية وهي مسرحية : « مصر الجديدة » التي كتبها « فرح انطون » ، وبدات اصالة الفكر العربي تظهر في الفن المسرحي ، وغلبت على لغتها الفصحى بعد ان كانت الغلبة للهجة العامية في مرحلة الترجمة او الاقتباس .

3 - **المسرحية الواقعية** : اتجهت المسرحية العربية الى التعبير عن واقع المجتمع العربي عندما توفر لها جيل من المثقفين استفادوا من التطور المسرحي في مختلف الآداب العالمية ، وتممقوا في فهم واقعه الاجتماعي والنفسي ، فقدموا للمسرح مجموعة من المسرحيات التي تعالج الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي وتستوحي خصائص البيئة المحلية والشخصية الاقليمية في ادق خصائصها وواضح معالمها .

وتعتبر مسرحيات « توفيق الحكيم » مثلا واضحا لهذا الطور من اطوار المسرحية العربية وفيها عالج مشكلات اجتماعية كما فعل في مسرحية « ايزيس وبراسكا » وتناول قضايا فلسفية ومشكلات نفسية عميقة ، استوحى فيها بيئته المصرية وروحه الشرقية العامرة بالقيم الانسانية واضفى على ابطال مسرحياته فكرا فلسفيا تجريديا ، وتتجلى نزعتة الفلسفية بوضوح في مسرحيته « شهرزاد ، وسليمان الحكيم » وفيهما يبدو ايمان الكاتب بقصور العقل الانساني كما يبدو فيها اهتمامه بالجانب الروحي في الانسان .

المسرحية الجزائرية :

تظهر في المسرحية الجزائرية نفس الظاهرة التي مرت بك في القصة الجزائرية فهناك لغتان كتبت بهما المسرحية الجزائرية هما اللغة العربية واللغة الفرنسية . وان كانت المسرحية الجزائرية قد عبرت عن شيء واحد هو طبيعة المجتمع الجزائري والشخصية الجزائرية المسلمة العربية .

ويعد «أحمد رضا حوجو» من رواد المسرحية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وقد أشرف على فرق تمثيلية وقدم لها مسرحيته « عنيسة » وهي مسرحية تاريخية كتبها باللغة العربية الفصحى في أربعة فصول ، كما كتب « بانصة الورد » ، « والعقاب » باللغة الفصحى أيضا ، ثم كتب « رضا حوجو » باللغة الدارجة مجموعة من المسرحيات مثل « النائب المحترم » و « سي عاشور » ، وكان اهتمامه بالحركة المسرحية العالمية واضحا في كتاباته التي ضمنها كتابه « في الأدب والاجتماع » (1) .

(1) لم ينشر حتى الان

وقد واصل كتاب المسرح الجزائري باللغة العربية مسيرتهم ، فقدم « أحمد توفيق المدني » و « محمد الطاهر فضلاء » و « الدكتور الركيبي » و « عبد الرحمن ماضوي » مجموعة من المسرحيات .

اما المسرحية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية فمن أبرز كتابها « كاتب ياسين » الذي قدم للمسرح مجموعة من أعماله ترجم بعضها الى اللغة العربية مثل « الجثة المطوقة - الرجل ذو النعل المطاط » ، ويمتاز كاتب ياسين بنزعتة الوطنية الحرة وفكره الانساني العالمي .

الخصائص الفنية للمسرحية :

القومات الفنية للمسرحية قريبة الشبه بالقومات الفنية للقصة ، فكلاهما حكاية ولكن القصة تعتمد على السرد ، والمسرحية تعتمد على الحوار .

والحبكة في المسرحية ضرورية بحيث تفقد المسرحية قيمتها اذا خلت من الحبكة وتكون المسرحية من العناصر الآتية :

1 - **الموضوع** : وهو المشكلة الاساسية التي يقصد الكاتب الى انارتها ومعالجتها في مسرحيته ، وله حرية اختيار موضوعه بشرط ان يراعي القيم الأخلاقية والاجتماعية .

2 - **القالب** : وهو الاطار الذي يتشكل به نوع المسرحية من مأساة الى ملهاة او « الدراما الحديثة » :

(أ) **المأساة** : وتتميز بطابعها الجاد الذي يثير في النفس الرحمة والخوف والفضب وتضطبع بجو من الحزن وتغلب عليها العواطف .

(ب) **الملهاة** : وتتميز بطابعها الساخر الذي يثير في النفس الضحك والمرح .

(ج) **الدراما الحديثة** : وليها تختلط المأساة بالملهاة لانها تمثل لحظة من لحظات الحياة بما فيها من حزن وفرح وبكاء وضحك ، وقد لقي هذا اللون اعجابا لما فيه من صدق التعبير عن واقع الحياة .

3 - **اجزاء المسرحية** : للمسرحية ثلاثة اجزاء رئيسة هي : التمهيد ، العقدة ، الحل

(أ) **التمهيد** : وهو الجزء الأول من المسرحية وفيه يمهد الكاتب للموضوع الاصلي ويعرف بشخصياته وأعمالهم ويصور البيئة المسرحية عن طريق الحوار .

(ب) **العقدة** : هي العنصر الاساسي في بناء الحبكة الفنية وتتألف العقدة في ايسر صورها من وجود معوقات تمنع البطل من الوصول الى غايته ، او من حدة الصراع الذي ينشأ بين قوتين متعارضتين واذا اردنا ان نضرب مثلا لتوضيح العقدة في مسرحية عاطفية ، فاننا نجدتها في اللحظة التي تقف فيها الأسرة او التقاليد مانعا من لقاء الحبيبين والحيلولة بينهما بصورة نهائية ، والعقدة في المسرحية تثير في نفوس الجماهير الرغبة في انتظار الحل .

(ح) **الحل** : وهو النتيجة التي تصل إليها أحداث المسرحية ويضع بها الكاتب نهاية الأحداث . وينصح نقاد المسرحية بأن يكون الحل متفقا مع مشاعر الجمهور مرضيا لنزعاتهم ، ويتحقق ذلك متى كان حلا واضحا ومشوقا ومعقولا .

وبعض كتاب المسرحية لا يلتزم بذلك النصح وقد يأتي بالحل مخالفا لكل توقعات النفس البشرية بحجة أن الحياة ليست دائما كما نتوقع .

4 - **الزمان والمكان** : وهما البيئة التي تدور فيها أحداث المسرحية وتصور مادات شخصياتها وتقاليدهم ، وزمان المسرحية قصر بالنسبة لزمان القصة ، ومكانها محدود ، وقديما اشترط نقاد المسرح اليوناني الا يستغرق العمل أكثر من أربع وعشرين ساعة .

5 - **الشخصيات** : وهم المثلون الذين يقومون بالحركة المسرحية ويفصحون عن موضوعها بالكلام والحركة والتمثيل ، وهم يختلفون باختلاف أعمالهم الرئيسية أو الثانوية ، وأهم ما يجب أن تتصف به الشخصية هو ثباتها وعدم تناقضها مع نفسها أو مع الواقع .

6 - **اللغة** : وسائل التعبير المسرحي متعددة يشترك فيها **الحوار والملابس والأصواء والأثاث والحركة** ، ولكل فرد من أفراد المسرحية لفته الخاصة به ، وهذا ما أطلق عليه **النقاد الواقعية في المسرح** ، وليست الواقعية في اللغة ان الكاتب المسرحي ينطق شخصية انجليزية تتحاور مع شخصية فرنسية وثالثة عربية بثلاث لغات في مسرحية واحدة ، وإنما يرامي منطق وتفكير كل شخصية وما ينبغي أن يصدر منها من كلمات وعبارات .

وبعض كتاب المسرح يستخدمون اللغة الفصحى في الحوار وبعضهم يستخدم العامية ، واتجه فريق ثالث الى لغة جديدة مزجوا فيها بين الفصحى والعامية ، وأطلقوا عليها اسم اللغة الثالثة ، وهدفهم من ذلك توصيل فكرتهم الى كل فرد من أفراد المجتمع مهما كانت ثقافته العلمية وقدراته اللغوية .

المناشئة :

- 1 - لماذا سبقت نهضة النثر نهضة الشعر في العصر الحديث ؟
- 2 - قارن بين أسلوب مدرستي المحافظين والمجددين في النثر .
- 3 - وضح خصائص الأسلوب العلمي .
- 4 - بين مظاهر تطور الخطابة في العصر الحديث .
- 5 - لماذا ضعف الاهتمام بشأن الرسالة في الأدب العربي الحديث ؟
- 6 - كيف ظهرت المقالة السياسية وما أبرز سماتها ؟
- 7 - ما معنى « واقعية اللغة » في المسرحية ؟
- 8 - اذكر أهم المراحل التي مر بها تطور القصة العربية .

الباب الرابع

الأدب المهجري

- الهجرة وأسبابها .
- نزعتهم الجديدة في الأدب .
- نشاط المهجرين الأدبي .
- خصائص أدبهم .

الهجرة وأسبابها :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي شهد « لبنان » موجة كبيرة من هجرة ابنائه إلى البلاد الخارجية ، وكان بعضهم يتجه إلى البلاد العربية المجاورة مثل « سوريا » أو « مصر » ، ولكن السواد الأعظم كان يتجه إلى الأمريكتين الشمالية والجنوبية .

وترجع هذه الهجرة إلى عدة أسباب ، من أهمها :

- 1 - فساد الأحوال السياسية في لبنان ، واثارة الفتن الطائفية بين المسلمين والمسيحيين .
- 2 - سوء الحالة الاقتصادية بسبب انتشار نظام الاقطاع الذي افسد الحالة الاقتصادية ، وأصبح كثير من أبناء الشعب يعاني الضنك والحرمان .
- 3 - ساعد وجود الرسائل التبشيرية الأمريكية في لبنان ، على توجيه ابنائه إلى الهجرة نحو أمريكا ، ومن هذه الرسائل التبشيرية : « جامعة القديس يوسف اليسوعية » في بيروت .

نشاطهم الأدبي :

خرج المهاجرون جماعات وأفرادا ، واتجه بعضهم إلى «الولايات المتحدة الأمريكية» في الشمال ، وذهب الآخرون إلى « البرازيل » في الجنوب ، وأُستغلوا بالتجارة والصحافة ، وكوّنوا لهم حياة جديدة في المهجر .

وكان من بين المهاجرين جماعة من الأدباء مارسوا الأدب شعرا ونثرا قبل رحيلهم ، ثم تفتحت مواهبهم على الهزات الجديدة التي تغدوا منها في مجتمعهم الجديد ، وأصبحت الصحافة العربية في المهجر ميدانا فسيحا لنشر تجاربهم الفنية ، وتركز نشاطهم في جمعتين ، هما :

- 1 - الرابطة القلمية : التي تأسست عام 1920 م في مدينة « نيويورك » برئاسة « جبران خليل جبران » ، وكان من أبرز أعضائها : « ميخائيل نعيمة » ونسيب عريضة ، وإيليا أبو ماضي ، وعبد المسيح حداد ، ورشيد أيوب » .
- 2 - القصة الأندلسية : وتكونت في المهجر الجنوبي عام 1933 م ، وضمت « الشاعر القروي » و « الياس فرحات ، ورياض معلوف » . وكانت لها نزعة محافظة ، وعرفت بغيرتها على التراث العربي .

نزعتهم الجديدة في الابد :

ظهرت في الادب المهجري نزعات جديدة تميز ادبهم وتعبّر عن واقمهم ، فقد حمل الابداء المهاجرون من بلادهم تراثا عريقا من حضارتهم العربية القديمة ، واحتكوا بحضارة الغرب الحديثة ، وتنازعتهم عوامل متعددة من حب لأوطانهم وأمل في تقدمها وصلاح امرها ، وسخط عليها لانهم ما تركوها إلا بعد أن ضاقوا بها وضافت بهم ، ويئسوا من صلاح امرها ، لِمَا كان فيها من نظم فاسدة وأوضاع سيئة .

وبين الأمل واليأس والحب والبغض صراع عنيف قد اعتمل في نفوس المهجريين وانعكس على ادبهم ، كما قرأوا آراء الفلاسفة وتأثروا بها فرددوا بعض أفكارها في شعرهم ونثرهم ، واطلعوا على شعر الملاحم في الادب الأوربي فحاووا محاكاته ونقله الى الادب العربي .

ويمكن ان نميز في نزعتهم الادبية المظاهر الآتية :

اولا : الشَّوْرَة على القديم ومحاولة التجديد في الفنون الادبية . ويعبر عن هذه النزعة « ابو ماضي » في قوله :

لَسَعَتْ مِنْيَّ اِنْ حَبِيبَتِ الشِّعْرَ اَلْفَاظًا وَوَزَنًا
خَالَتْ دَرَبُكَ دَرَبِيَّ وَانْقَضَى مَا كَانَ مِنَّا
فَانطَلِقْ عَنِّي لِئَلَّا تَقْتَنِي هَمًّا وَحُزْنًا
وَاتَّخِذْ غَيْرِي رَفِيقًا وَسِوَى دُنْيَايَ مَعْنِي

ولم يقف ابداء المهجر عند اظهار الشعارات الادبية يكتبونها في صحفهم ويسجلونها في قصائدهم ، وإنما مارسوا التجديد حقيقة وعملا .

ثانيا : الحنين الى الوطن : مفارقة الأوطان مثيرة للمشاعر ، فاذا ما اصطلت بنارها نفسُ شاعرة احترقت شوقًا ولوعًا ، وظهرت عواطف صادقة فيما تسجله من أحاسيس نحو بلادها ، وقد سرت هذه النغمة بين شعراء المهجر الشمالي والجنوبي على السواء .

يقول « إلياس فرحات » :

نَازِحٌ أَقْعَدُهُ وَجَدٌ سَقِيمٌ فِي العِشَا بَيْنَ خُمُودٍ وَاتِّقَادٍ
كَلِمًا أَفْتَرَّ لَهُ البَدْرُ الوَسِيمُ عَضَّهُ الحُزْنُ بِأَنْيَابِ حَدَادٍ
يَذْكُرُ العَهْدَ القَدِيمَ . . . فَيُنَادِي
أَيَّنَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . . . مِنْ بِلَادِي

ويقول « أبو ماضي » :

رَبِّ هَبْنِي لِإِلَادِي عَوْدَةً وَلَيْكُنْ لِلغَيْرِ فِي الأُخْرَى نَوَابِي
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي مَنْ أَنَا أَنَا كَالشَّمْسِ إِلَى الشَّرْقِ اتِّسَابِي
لَسْتُ أَشْكُو إِنْ شَكَأ غَيْرِي النَّوَى غُرْبَةُ الأَجْسَامِ لَيْسَتْ بِأَغْتِرَابِ
أَنَا فِي نُيُورِكَ بِالجِسْمِ ، وَبِالرُّ وَحِ فِي الشَّرْقِ عَلَى تِلْكَ الهَضَابِ
أَنَا فِي النُّوطةِ زَهْرٌ وَنَدَى أَنَا فِي لُبْنَانَ نَجْوَى وَتَصَابِي

ثالثا : الايمان بالقومية العربية والدعوة اليها : وقد تجلت هذه النزعة في الادب المهجري بصور متعددة ، فمنهم من كان يهتم بأحداث البلاد العربية المختلفة فيصور أحوالها او يحن إليها او يمجّد شعبها .

يقول « ابو ماضي » في مصر والمصريين :

الشَّرْقُ تَاجٌ وَمِصْرُ مِنْهُ دُرَّتُهُ وَالشَّرْقُ جَيْشٌ وَمِصْرُ حَامِلُ العَلَمِ
أَحْنَى عَلَى العُرِّ مِنْ أُمَّ عَلَى وَلَدِ فَالعُرِّ فِي مِصْرَ كَاللُّورِقَاءِ فِي العَرَمِ

ويُملِّقُ « الياس فرحات » عن نزعته العربية صراحة فيقول :

إِنَّا وَإِنْ تَكُنِ الشَّامُ دِيَارَنَا فَقَلُوبُنَا لِلعُرْبِ بِالأَجْمَالِ

رابعا : الايمان بالحرية على اختلاف وجوها : يمبر « الياس فرحات » عن هذه النزعة في قوله :

وَطَنِي العَزِيزُ مَتَى تَسِيرُكَ العُلَا حُرًّا بِظِلِّ خَوَافِقِ الأَعْلَامِ
فَلِكُلِّ شَعْبٍ عَائِرٍ أُمْنِيَّةٌ تَحْقِيقُهَا دَيْنٌ عَلَى الأَيَّامِ

والحرية التي يؤمن بها المهجريون مختلفة الوجوه متعددة الالوان ، يشرحها

« الريحاني » في قوله :

« وَأَوَّلُ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ الْحُرِّيَّةُ ، حُرِّيَّةُ الْفِكْرِ وَحُرِّيَّةُ الْقَوْلِ وَحُرِّيَّةُ الْعَمَلِ ،
 وأول أسباب الرُّقِيِّ فِي الْأُمَّةِ الْحُرِّيَّةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْحُرِّيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ ، وَأَوَّلُ
 دَلَائِلِ الْحَيَاةِ الرَّاقِيَّةِ ، أَنْ يَتَمَتَّعَ أَفْرَادُ الْأُمَّةِ عَلَى السَّوَاءِ بِهَذِهِ الْحُقُوقِ الطَّبِيعِيَّةِ »

خامسا : النزعة الانسانية السامية وعدم الوقوف عند النظرة الطائفية او التعصبية
 البغيضة .

يقول « جبران خليل جبران » معبرا عن هذه النزعة :

« أَحَبُّكَ يَا أَخِي سَاجِدًا فِي جَامِعِكَ وَرَاكِعًا فِي هَيْكَلِكَ وَمُصَلِّيًا فِي كَنِيسَتِكَ ،
 فَأَنْتَ وَأَنَا أَبْنَاءُ دِينٍ وَاحِدٍ هُوَ الرُّوحُ » .

سادسا : النزعة الفلسفية ومحاولة الكشف عن اسرار الكون والحياة . كما رايت
 ذلك في قصيدة « الطلاسم » لابي ماضي ، وقد حاول كثير من شعراء المهجر
 ان يخترق حجب هذا الوجود الصغير ، ليلحق في عالم ارحب ، من عالم
 الواقع ويرتفع الى العالم الاعلى ... العالم المثالي الذي تخيله الفلاسفة والشعراء ،
 عالم الحب والخير والعدل والسلام والجمال . يقول جبران خليل جبران في
 نصيده « البلاد المحجوبة » :

يَا بِلَادًا حُجِبَتْ مُنْذُ الْأَزَلِ	كَيْفَ تَرْجُوكِ وَمِنْ أَيْنِ السَّبِيلِ
أَيُّ قَفَرٍ ذُو نَهَا أَيُّ جَبَلٍ	سُورَهَا الْعَالِي وَمِنْ مَنَا الدَّلِيلِ
أَسْرَابُ أَنْتِ أَمْ أَنْتِ الْأَمَلُ	فِي نُفُوسٍ تَتَمَنَّى الْمُسْتَحِيلِ
أَمَنَامٌ يَتَهَادَى فِي الْقُلُوبِ	فَإِذَا مَا اسْتَيْقَظَتْ وَلَّى الْمَنَامِ
أَمْ عِيُونٌ تُظَنِّ فِي شَمْسِ الْغُرُوبِ	قَبْلَ أَنْ يَفْرُقَنَّ فِي بَحْرِ الظَّلَامِ

ومن النزعة التأملية في الكون ان يقف الشاعر امام الطبيعة فيحاكيها ويمتزج
 معها ويستوحى منها عوالم متحركة تحس وتتكلم . ونجد نموذجا لذلك في مخاطبة
 « ميخائيل نعيمة » للنهر ، اذ يقول :

يَا نَهْرُ هَلْ نَضَبْتَ مِيَاهُكَ فَانْقَطَعَتْ عَنِ الْخَرِيرِ
 أَمْ قَدْ هَرِمْتَ وَخَارَ عَزُّكَ فَانْثَنَيْتَ عَنِ الْمَسِيرِ
 بِالْأَمْسِ كُنْتَ إِذَا سَمِعْتَ تَنَهُّدِي وَتَوَجُّعِي
 تَبْكِي ، وَهَذَا أَبْكِي أَنَا وَحَدِيدِي ، وَلَا تَبْكِي مَعِي

خصائص أدبهم :

يتميز أدبهم بمدة خصائص ، أهمها :

1 - التجديد في الموضوعات ،

2 - الصدق في التعبير ،

3 - الميل الى الرمز احيانا ،

4 - الاهتمام بالمعنى ،

5 - التنوع في الأوزان والقوافي ،

6 - التساهل في اللفظة والتصرف في قواعدها .

ولعلك لاحظت هذه الخصائص من خلال ما قدمناه لك هنا من نماذج ونصوص أدبية .. ويمكنك المزيد منها من خلال النماذج التي سنقدمها لك في ترجمة الشاعر « ايليا أبو ماضي » .

تأثيرهم في الألب الصربي :

ظهر تأثير المهجريين في الأدب العربي في قوالبه وأغراضه وأشكاله . ففي مجال الشعر ، لم يقتصروا عند حد الشعر الفنائي ، بل حاول بعضهم أن يكتب شعرا ملحيميا كما فعل « فوزي المصروف » في ملحمته « بساط الريح » ، الى جانب الموضوعات الجديدة التي أضافوها الى الشعر الفنائي ، كما مر بك . ومن حيث الشكل : فقد جددوا في الأوزان والقوافي وتحرروا من قيودها ، وبدا تحررهم في صور مختلفة . وكان هذا التجديد فتحا للمجددين من الأدباء العرب وتشجيعا لهم .

وفي النثر ، سبقوا غيرهم الى كتابة الأشكال الفنية الحديثة كالمقال ، والقصة ، والمسرحية . واهتموا بالمعاني . وبحكم اتصالهم بالأدب الغربي أدخلوا الى الأدب العربي المذاهب الأدبية الحديثة من رومانسية ، ورمزية ، وغيرهما .

المناقشة :

- 1 - تحدث عن نشاط أدباء المهجر في البرازيل والولايات المتحدة الأمريكية .
- 2 - ما أهم خصائص الأدب المهجري : مع التمثيل ؟
- 3 - ما العوامل التي أثرت في الأدباء المهجريين وظهرت في إنتاجهم الأدبي .
- 4 - ما مظاهر تأثير الأدب المهجري في الأدب العربي ؟

الباب الخامس

الـتـراجـم الأديبـة

- أحمد شوقي .
- عبد الحميد بن باديس .
- إيليا أبو ماضي .
- البشير الإبراهيمي .

احمد شوقي



(1868 - 1932 م)

مولده ونشأته :

ولد « أحمد شوقي » في مدينة القاهرة عام 1868 م من أب كُرديٍّ وأم تركية ، وقد امتزجت في أسرته عناصرٌ متعددةٌ ، فكانت جدُّته لأبيه شركسية ، وجدُّته لأمه يونانية . ونشأ الشاعر في بيت والده ثم تمهده جدته لأمه بالتربية ، وكانت تعمل وصيفة في قصر « الخديوي اسماعيل » حاكم مصر في ذلك الوقت حيث تربى شوقي في احضان ذلك القصر .

يقول شوقي عن جدته تلك :

« حَدَّثْتَنِي أَنَّهَا دَخَلَتْ بِي عَلَى الْخَدْيَوِيِّ اسْمَاعِيلِ وَأَنَا فِي الثَّالِثَةِ مِنْ عَمْرِي وَكَانَ بَصْرِي لَا يَنْزِلُ عَنِ السَّمَاءِ مِنْ اخْتِلَالٍ فِي أَعْصَابِي ، فَطَلَبَ الْخَدْيَوِيُّ بَدْرَةَ مِنَ الذَّهَبِ ، ثُمَّ نَثَرَهَا عَلَى الْبَسَاطِ عِنْدَ قَدَمَيْهِ ، فَوَقَفْتُ عَلَى الذَّهَبِ اسْتَفْلَ بِجَمْعِهِ وَالْعَبَّ بِهِ ، فَقَالَ لِحَدِيَّتِي : (اصْنَعِي مَعَهُ مِثْلَ هَذَا فَإِنَّهُ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَبْتَاعَ النَّظْرَ إِلَى الْأَرْضِ) . قَالَتْ : هَذَا النَّوَاءُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا مِنْ صَيْدَلِيَّتِكَ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : (جِئْتِي بِهِ إِلَيَّ مَتَى شِئْتِ) . » .

بدا «شوقي» حياته التعليمية في سن مبكرة، إذ دخل المدرسة الابتدائية وعمره أربع سنوات ، ثم انتقل الى التعليم الثانوي فاتمه وعمره خمسة عشر عاما ، وبعد ذلك التحق بكلية الحقوق ودرس بها عامين ، ولما انشئ في هذه الكلية قسم للترجمة التحق به « شوقي » وقضى فيه عامين آخرين .

وبعد تخرجه عمل موظفا في القصر الملكي لمدة عيام ثم أرسله الخديوي توفيق في بعثة علمية إلى فرنسا ليتابع دراسته القانونية ويطلع على الوان الثقافة الأوربية . وقضى شوقي أربع سنوات يتعرف فيها على حضارة أوربا ، ثم رجع إلى مصر ليلتحق بخدمة القصر من جديد ، وظل في عمله حتى قيام الحرب العالمية الأولى . وكان يحكم مصر في ذلك الوقت « الخديوي عباس » الذي عرف بعدائه للانجليز وميله الى تركيا ، فخلعته انجلترا من الحكم ، وأمرت « شوقي » بمغادرة مصر ، فاختر « الأندلس » منفى له ولاسرتيه .

اقام « شوقي » في منفاه حتى انتهت الحرب العالمية الأولى ، ورجع الى مصر لا ليلتحق بخدمة القصر ، وإنما ليقف الى جوار قضايا الشعب المصري والعربي مناصلا بقلمه في سبيل حريتها ، حتى ذاع صيته واشتهر اسمه ، وجاءته وفود من البلاد العربية تباعه بإمارة الشعر في مهرجان عربي أقيم لهذا الغرض عام 1927 م (*).

واستمر شوقي في نظم اشعاره وكتابة مسرحياته الشعرية ، وكلما تقدم به السن غزر انتاجه ونضج فكره حتى خلد اسمه في سجل الشعراء الخالدين ، وتوفى عام 1932 م .

(*) سجل حافظ ابراهيم هذه المناسبة في احدي قصائده كما مر بك

عوامل نبوعه :

تعاونت عوامل عديدة على تكوين شخصيته الشعرية واثرت في إنتاجه الأدبي ،
ومن أهم هذه العوامل ما يأتي :

أولاً : موهبته الفطرية : وهب شوقي ملكة شاعرية تفيض رقة واحساساً
لنشأ مبكراً إلى العزلة قليل الكلام في المجالس العامة ، لا يطبق رؤية الآلام
أو الحديث منها ، وكان لشدة حياله لا يقدر على القاء قصائده في مواجهة
الجمهور ، وإنما يوكل لغيره في ذلك العمل ، وكانت ملكة الفريض تزوره على
غير موعد ، فيكتب الشعر في أي مكان وفي أي زمان . ولا شك أن تعدد العناصر
الوراثية في أسرته كان له سبب في ذكائه وتفوقه .

ثانياً : ثقافته : تعلم « شوقي » في مدارس مختلفة ، واجاد - إلى جانب اللغة العربية
التي تملك ناصيتها - عدة لغات ، منها : اللغة التركية ، والفرنسية . وعاش
في بيئات مختلفة ومجتمعات متباينة ، وقام برحلات زار خلالها إنجلترا ،
والجزائر ، وتركيا ، واليونان ، ولبنان ، وسويسرا . وقرأ الشعر العربي القديم
على يد « الشيخ حسن المرصفي » ، واستفاد من صديقه الشاعر « اسماعيل
صبري » وتأثر بكل من « لافونتين ، ورأسين ، وكورني » من اعلام المدرسة
الأوربية الأدبية الحديثة ، وقد كان لهذه الثقافات اثر كبير في شعره .

ثالثاً : ظروفه الخاصة : تربى « شوقي » بين احضان النعيم في القصر الملكي ، وتزوج
من امرأة حملت إليه زينة الحياة الدنيا من مال وبنين ، فعاش حياة مترفة منعمة
منحته فرصة عظيمة من الوقت للاطلاع والتزود من الثقافات الكثيرة وممارسة
الشعر قراءة وكتابة . كما مكنته صلته بالقصر من ان ينشر اشعاره في الصحف
فاشتهر بين الناس ، وشجعه ذلك على التجويد والتّحسين .

وكان يتلقى الهبات والمكافآت من افراد الأسرة المالكة كلما قال فيهم شعراً
جيداً ، فساعد ذلك على الاتقان والابداع . وانعكست حياة الترف على كثير من
اشعاره ، فخصب خياله وراقت صورته وتناسقت الفاظه وعباراته .

رابعاً : أحداث عصره : عاصر « شوقي » أحداثاً عظيمة اهتزت لها مصر ، والبلاد
العربية والعالم بأسره ، فقد واكب نبوغه الشعري ظهور الوعي القومي والثورات
التحريرية في مختلف البلاد العربية ، كثورة عرابي ، وسعد زغلول في مصر ،
وثورة الدرروز في الشام ، وثورة عمر المختار في ليبيا ، واشتعال
نيران الحرب العالمية الأولى وكان شوقي على مقربة من السلطة الحاكمة في مصر
فكان لأجل ذلك يعرف الكثير من الأخبار السياسية والأحداث العالمية التي
تهز المشاعر وتفجر ينابيع القول فتساب شعراً يسجّل ما دار من الأحداث .

آثاره الأدبية :

- بعد « شوقي » من أكثر شعراء العرب إنتاجا في الشعر ، فقد بدأ يقرضه في سن مبكرة ، وظل يمارسه أكثر من أربعين عاما .
- ولشوقي ديوان شعر ، يعرف « بالشوقيات » ، يتألف من أربعة أجزاء طبع عدة مرات ، وظهرت بعض أجزاءه في حياته والأخرى بعد وفاته .
- كما ظهر بعد وفاته كتاب : « دول العرب وعظماء الإسلام » الذي تناول فيه تاريخ الإسلام وعظماء رجاله .
- وأعظم ميزة لشوقي في الشعر العربي هي المسرحيات الشعرية التي كتبها ما بين عام 1929 وعام 1932 م ، وهي :
- « مصرع كليوباترة ، مجنون ليلى ، قمبيز ، على بك الكبير ، عنترة ، الست هدى » .
- ولشوقي أعمال نثرية لكنها لا ترقى الى مستوى شعره ، منها مجموعة مقالات جمعها تحت عنوان « أسواق الذهب »(*) ، ومسرحية « أميرة الأندلس » ، وروايات : « حديث نبتأور ، علماء الهند ، لا دياس وورقة الآس » .

تطور شعوره :

جاء شوقي بعد نهضة الشعر العربي على يد « البارودي » فوجد الطريق شبه مهمد أمامه فخطا بالشعر خطوات عظيمة وجدد في فنونه وأغراضه .

ويمكن أن نميز بين مراحل ثلاث مر بها إنتاج شوقي :

- **المرحلة الأولى :** قبل منفاه ، وفي هذه المرحلة غلب على شعره طابع التقليد وكان الشاعر أسير القصر الملكي فآكثر من المدائح والتنهاني وتناول فن الرثاء والفزل ،
- **المرحلة الثانية :** وهي تبدأ برجوعه من منفاه ، وفيها تخلص من قيود القصر ، والتفت الى الشعب يعبر عن قضاياها السياسية والاجتماعية ، ويمبر بصدق عن آلامه وآماله وظهر التجديد في شعره ، كما ستعرف ذلك .
- **المرحلة الثالثة :** وهي تبدأ من عام 1927 م ، وهو العام الذي تربح فيه على أمارة الشعر ، وتستمر حتى وفاته عام 1932 م . وفي هذه المرحلة اتجه الى كتابة مسرحياته الشعرية .

(*) حاكى بها أطباق الذهب « للزمخشري » .

أغراض شعره :

تناول شوقي كثيرا من الاغراض الشعرية التقليدية منها :

1 - المدح : لم يكن شوقي من عشاق المديح ، بل كان يأسف لموقف الشعراء من اتخاذهم المدح وسيلة للتكسب ، ومع ذلك وجد نفسه في اول عهده مضطرا إلى مدح الأسرة الحاكمة في مصر .

المُلْكُ فِيكُمْ آلَ إِسْمَاعِيلَا مَا زَالَ يَتُّكُمُ يُظِلُّ النَّيْلَا

وَمَدَحَ الْخِلَافَةَ التَّرِكِيَّةَ وَخُلَفَاءَهَا ، يَقُولُ فِي مَدْحِ « السُّلْطَانَ عَبْدِ الْحَمِيدِ » :

رَضِيَ الْمُسْلِمُونَ وَالْإِسْلَامُ فَرَعَ عُثْمَانُ دُمَ فِدَاكَ الدَّوَامُ

هَلْ كَلَامُ الْمَبَادِ فِي النَّسْبِ إِلَّا أَتَهَا الشَّمْسُ لَيْسَ فِيهَا كَلَامُ ؟

رَأَيْهِ « عَبْدَ الْحَمِيدِ » جَلَّ زَمَانُ أَنْتَ فِيهِ خَلِيقَةٌ وَإِمَامُ

وعندما حَقَّقَتْ تركيا بعض انتصاراتها على يد «مصطفى كمال» هَلَّلَ شوقي بقوله :

اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبِ يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدِّدَ خَالِدِ الْعَرَبِ (*)

خُطَاكَ فِي الْحَقِّ كَانَتْ كُلُّهَا كَرَمًا وَأَنْتَ أَكْرَمُ فِي حَقِّنِ الدَّمِ السَّرْبِ (**)

وبعد مؤدَّة شوقي من منفاه تغيرت نعمة المدح في شعره فَخَلَّتْ من المبالغة واتَّجَهَتْ إلى النصح والارشاد كما ترى في قوله مخاطبا « الملك فؤاد » :

فَعَجَّلْ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ عَجَلُ وَهَاتِ النُّورَ وَاهْدِ الْعَائِرِينَ

هُوَ الْمُنْبَاحُ فَاتِ بِهِ وَأَخْرِجْ مِنَ الْكَهْفِ السَّوَادِ الْعَافِينَ

مَلَائِكُ تَجَرُّ الْجَهْلَ قَيْدًا وَتَسْحَبُ بِالْقَلِيلِ الْمُطْلِقِينَ

2 - الرثاء : كَثُرَتْ المراثي في شعر «شوقي» ، وفيها تناول رثاء الأفراد والممالك . وهو في رثائه للأفراد لا يهتم بالعويل أو البكاء على الميت ، ولا يرسم صورة للفقيد بالقدر الذي يهتم فيه بالاطار الذي يحيط بالميتي ، وقد يخرج من الحديث عن مَنْ يرثيه إلى موضوعات اجتماعية أو سياسية .

(*) خالد العرب : هو خالد بن الوليد ، القائد الاسلامي المظفر في عصر الرسول - عليه السلام - والخلفاء الراشدين .

(**) الدم السرب : الدم المنفوح .

يقول في رثاء الامام « محمد عبده » :

مَفْسَرَّ آيِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ يَبِينَا قَسَمَ الْيَوْمَ فَسَّرَ لِلوَرَى آيَةَ الْمَوْتِ
رُحِمْتَ ، مَصِيرُ الْعَالَمِينَ كَمَا تَرَى وَكُلُّ هَنَاءٍ أَوْ عَزَاةٍ إِلَى فَوْتِ
هُوَ الدَّهْرُ مِيلَادٌ فَشَغْلٌ فَمَا تَمَّ فَذَكَرْ كَمَا أَبْقَى الصَّدَى ذَاهِبُ الصَّوْتِ

وتجلى النزعة العربية الإسلامية في مرثي « شوقي » ، من ذلك مرثيته للبطل الليبي « عمر المختار » الذي أعدمه الايطاليون ظلما وعدوانا عام 1931 م .

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرَّمَالِ دَوَاءَ يَسْتَنْهَضُ الوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ
يَا وَيَحْتَهُمْ ، نَصَبُوا مَنَارًا مِنْ دَمٍ تُوحِي إِلَى جِيَلِ الْعَدِ الْبَغْضَاءِ
خُيِّرْتَ فَاخْتَرْتَ الْمَيْتَ عَلَى الطَّوَى لَمْ تَبْنِ جَاهَا أَوْ تَلَّمْ ثِرَاءِ
أَفْرِيْقِيَا مَهْدُ الْأَسْوَدِ وَلَحْدَهَا صَجَّتْ عَلَيْكَ أَرَاغِلًا وَنِسَاءِ

ومع ان « شوقي » صادق في مرثيه الا انه لا يثير في النفس عاطفة الحزن او البكاء وخاصة في رثاء الاشخاص ، فمرثيه الى الخواطر الفلسفية اقرب منها الى فن الرثاء المعروف . من ذلك قوله في رثاء ابيه :

يَا أَبِي ، مَا أَنْتَ فِي ذَا أَوَّلُ كُلُّ نَفْسٍ لِلْمَنَايَا فَرُضٌ عَيْنِ
هَلَكْتَ قَبْلَكَ نَاسٌ وَقَرَى وَنَعَى النَّتَاعُونَ خَيْرَ الثَّقَلَيْنِ

وعندما أعلن « مصطفى كمال » قيام الجمهورية التركية ، وتنكر للخلافة الاسلامية رثاها شوقي بقوله :

عَادَتْ أَعْيَانِي الْعُرْسِ رَجَعِ نُوَاحِ وَنُعِيَتْ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
كُنْتُ فِي لَيْلِ الرَّفَافِ بِشَوْبِهِ وَدُنَيْتِ عِنْدَ تَبْلُجِ الْإِصْبَاحِ (*)
سُيِّعَتْ مِنْ هَلَعٍ بِمَبْرَةِ ضَاكِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَتَكَرَّرِ صَاحِ (**)
صَجَّتْ عَلَيْكَ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ وَبَكَتْ عَلَيْكَ مَمَالِكُ وَنَوَاحِ

3 - الفزل : يكاد ينعقد اجماع الدارسين لشعر شوقي على ان غزله تقليدي متكلف ، ولعل سبب ذلك يرجع الى عاملين : احدهما ان شوقي لم يدق الحرمان

(*) تَبْلُجُ الْإِصْبَاحِ : اشراقه .

(**) الْهَلَعُ : الْفَرْعُ ، وَالْمَبْرَةُ : الدَّمْعَةُ .

الفاطمي الذي يدفع الشعراء الى التوجع والأتين ، والثاني - وهو الأهم - ان علاقته بالقصر كانت تفرض عليه الظهور بشخصية رزينة . وحدث أن بعث شوقي قصيدة في مدح الخديوي توفيق بداها بهذا القول :

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءُ وَالْعَوَانِي يَفْرَهُنَّ الشَّيْءَ
أَتَرَاهَا تَنَاسَتْ اسْمِي لَمَّا كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا الْأَشْيَاءُ
نَظْرَةً فَاثِسَامَةً فَسَلَامُ فَكَلَامُ فَمَوْعِدِ فَلِقَاءُ

فلم يرق هذا الاتجاه في نظر القصر ، فعدل عنه شوقي .

« وشوقي » في غزله يحاكي القدامى من الشعراء العرب ، فهو يمارض « أبا الحسن القيرواني » القائل « يا ليل الصب متى غده ... » بقصيدة يقول فيها :

مُضْنَاكَ جَفَاءُ مَرَقْدُهُ وَبَكَاهُ وَرَحَّمَ عُوْدُهُ
حَيْرَانُ الْقَلْبِ مَعْدَبُهُ مَقْرُوحُ الْجَفْنِ مُسَهَّدُهُ

وكان شوقي ينظم غزله لا رغبة في التعبير عن عواطف مشبوبة ، ولكن ليتفنى به . ومن قصائده التي لحنها وغناها المطرب محمد عبد الوهاب ، الذي تربطه بالشاعر صلات قوية :

يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِبْتُ وَعَادِنِي مَا يُشْبِهُ الْأَحْلَامَ مِنْ ذِكْرَاكِ
مِثْلُ فِي الذِّكْرَى هَوَاكِ وَفِي الْكُرَى وَالذِّكْرِيَّاتِ صَدَى السِّنِينَ الْحَاكِ
وَلَقَدْ مَرَّرْتُ عَلَى الرِّيَاضِ بِرَبْوَةٍ غَنَاءَ كُنْتُ حِيَالَهَا الْقَاكِ

4 - الوصف : يتميز الوصف في شعر شوقي بأنه يجمع بين التقليد والتجديد ، وقد وصف الطبيعة في قصائد كثيرة ، ووصف رحلاته الى البلاد التي زارها ، ووصف المدن التي حل بها .

يقول في وصف قصر الحمراء بغرناطة : من قصيدته السينية ، التي حاكى فيها سينية البحتري في وصف ديوان كسرى :

حِصْنُ غَرْنَاطَةَ وَدَارُ بَنِي الْأَحْمَرِ مِنْ غَافِلٍ وَيَقْطَانِ نَدَسِ (1)
وَقِبَابٍ مِنْ لَا زَوْرُدٍ وَتَيْبَرٍ كَالرُّبِيِّ الثَّمِّ بَيْنَ ظِلِّ وَشَمْسِ
مَرَمَرٌ قَامَتِ الْأَسْوَدُ عَلَيْهِ كَلَّةُ الظُّفْرِ (2) لَيْسَاتِ الْمَجْسِ
تَنْثُرُ الْمَاءَ فِي الْحِيَاضِ جُمَانًا يَتَنَزَّى (3) عَلَى تَرَابِ (4) مُلْسِ

1 - النعس : النوم . 2 - كلة الظفر : ضغينة الحافر . 3 - يتنزي : يتوالب ويسبل . 4 - التراب : اعلى الصدور مكان المقود .

كما وصف شوقي في شعره بعض النكبات التي حلت ببعض البلدان العربية وغيرها . ووصف مخترعات عصره من الآلات والمعدات ، كالفواصة ، والطائرة(*) ، ويتميز وصفه بتعبيره عن مظاهر الترف الذي عاش فيه ، ويتجلى ذلك في وصف مجالس الانس والشراب والمراقص في القصر الملكي . ومما قاله في وصف ليلة راقصة بقصر هابدين :

حَفَّ كَأَسَها الْعَبَبُ (1) ،	فَهَيَ فِيسَةً ذَهَبُ
أَوْ دَوَائِرُ دُرَرٍ	مَائِحٌ بِها لَبَبُ (2)
الْيُؤُونَ مَائِلَةٌ	وَالظُّبَاءُ تُنَسَّرِبُ
الْحَرِيرُ مَلْبَسُها	وَاللَّجِينُ (3) وَالذَّهَبُ
وَالقُمُورُ مَسْرَحُها	لَا الرِّمَالُ وَالْعُنُوبُ
يَسْتَهْرِزُها نَعْمٌ	لَا صَدَى وَلَا لَجَبُ (4)
يُسْتَعَاذُ مَرْقِصُهُ	تَارَةً وَيُقْتَضَبُ
فَالقُدُودُ بِأَنْ رُبَى	يَبْدَأُهَا تَثِبُ
يَلْمَبُ الْعِناقُ بِها	وَهُوَ مُشْفِقٌ حَدِبُ (5)
فَهَيَ مَرَّةً صُعُدٌ	وَهَيَ مَرَّةً صَبَبُ (6)
وَهي هَا هُنَا وَهُنَا	تَلْتَقِي وَتَصْطَحِبُ

5 - التاريخ : ارجع شوقي في شعره لاحداث عصره في مصر والعالم الاسلامي ، ورجع الى تاريخ مصر الفرعوني ، والتاريخ الاسلامي ، يستحضر صورته ويجعلها ماثلة في الازهان ، ليستخلص منها دروسا وعبرا توقظ المسلمين . وفي هذا المعنى يقول شوقي :

وَأنا الْمُحْتَفِي بِتاريخِ مِصرَ مَنْ يَصُنُّ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانِ عِرْضًا

وأشهر قصائده في هذا الميدان « كبريات الحوادث في وادي النيل » التي ألغاهما في مؤتمر المستشرقين بجنيف عام 1896 م ، ومن أبياتها :

قُلْ لِبِئَانِ بَنِي قَسَّادَ قَعَالِي لَمْ يَجْزُ مِصرَ فِي الزَّمانِ بِناءُ
لِيسَ فِي المُمَكِناتِ أَنْ تُنْقَلَ الأَجبا لُ سُمًّا وَأَنْ تُنَالَ السَّماءُ

(*) راجع ص 96 من هذا الكتاب (نماذج من شعر شوقي) .

1 - العجب : الفقايع التي تملو الخمر . 2 - اللب : موضع القلادة من الصدر . 3 - اللجين : الفضة . 4 - اللجب : الضجيج . 5 - العذب : المطوف . 6 - صبيب : المنحدر .

أَجْفَلَ الْجِنُّ مِنْ عَرَائِمِ فِرْعَوْنَ وَوَدَّانَتْ لِأَيْمِهَا الْإِنَاءُ
شَادَمَا لَمْ يَشِدَّ زَمَانُكَ ، وَلَا أُنْثَىٰ عَصْرٌ وَلَا بَنَىٰ بَنَاءُ

وعاصر شوقي أحداثنا اليمية مر بها المسلمون ، فتساقطت بلدانهم في أيدي الأعداء ، ويقف شوقي ليسجل في مرارة وحزن أحداث عصره ويربط بين حاضر الإسلام وماضيه ، فيقول عن «دمشق» أثناء وجود الاستعمار الفرنسي فيها :

مَرَرْتُ بِالسَّجْدِ الْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ هَلْ فِي الْمُصَلَّى أَوْ الْحِرَابِ مَرَوَانُ ؟
تَغَيَّرَ الْمَسْجِدُ الْمَحْزُونُ وَاخْتَلَفَتْ عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَوَجْدَانُ
فَلَا الْإِذَانُ إِذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ إِذَا تَعَالَى وَلَا الْإِذَانُ إِذَانُ (*)

ومن يتتبع اشعار شوقي يجد أنه قد أكثر من التاريخ ، فقلما تخلو قصيدة وطنية أو اجتماعية من الاشارات التاريخية :

6 - **الشعر السياسي** : عاش شوقي قريبا من الاحداث السياسية ، وسجلها في شعره ، ونلاحظ في شعره السياسي تطورا ملحوظا ، ففي الفترة التي كان فيها مرتبطا بالقصر الملكي ، وكان معبرا عن سياسة القصر ، لم يكن حرا في الادلاء برأيه السياسي ، ولهذا نلاحظ تناقضا في موقفه ازاء بعض أحداث سياسية معينة نتيجة ارتباطه بالقصر وتحرره منه . من ذلك أن شوقي هجا «عرايبي» لأنه تحدى القصر وتار عليه ، فهجاه شوقي بقصائد منها :

عُرَابِي كَيْفَ أُولَيْكَ الْمَلَامَا جَمَعْتَ عَلَى مَلَامَتِكَ الْأَنَامَا
خَطَبْتَ فَكُنْتَ خَطْبًا لَا خَطِيْبًا أُضِيفَ إِلَى مَصَائِبِنَا الْعِظَامَا

ثم حذف شوقي من ديوانه كل ما هجا به عرايبي ، وذلك بعد أن تحرر الشاعر من قيود القصر ، حتى موقفه من الانجليز المستعمرين اختلف عنفا ومرونة باختلاف العلاقة بين الانجليز والقصر .

على أن هذا الموقف السياسي المضطرب المتناقض ، ما لبث أن زال ، وبرز في صورته الحقيقية ، وذلك بعد أن عاد الشاعر من منفاه واستقل عن نفوذ القصر وسلطانه .

وكان شوقي يضطر أحيانا الى الرمز في شعره السياسي ، فهو عندما يتحدث عن قصة الاستعمار الانجليزي مع الشعب المصري يرمز الى المستعمر بالديك الهندي ، ويرمز الى الشعب بالدجاج فيقول :

(*) الْإِذَانُ (الأولى) : الْإِذَانُ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ . وَالْإِذَانُ (الثانية) : الْإِسْمَاعِ .

يُنَا ضِعَافٌ مِّنْ دَجَاجِ الرَّيْفِ تَخْطُرُ فِي يَتِّ لَهَا ظَرِيفِ
 إِذْ جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ الْعُرْفِ فَقَامَ بِالْبَابِ مَقَامَ الضَّنِيفِ
 يَقُولُ : حَيَّا اللَّهُ ذِي الْوَجُوهَا وَلَا أَرَاكُمْ أَبَدًا مَكْرُوهَا
 أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرَ فِيكُمْ فَضْلِي يَوْمًا وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
 فَمَا وَدَّ السَّجَّاجُ دَاءَ الطَّيِّشِ وَفَتَحَتْ لَكَ بَابَ الْعَشْرِ
 فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ الْمَلِيكِ يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَدِيكِ

ولشوقي موقف من سياسة مصر وتركيا والشرق والامة العربية كلها :
 اما موقفه من السياسة المصرية : فشوقي محب لمصر :

وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبَ عَنْهَا أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانُ الْمُؤَسِّي
 وَطَنِي لَوْ شِغَلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ نَازَعْتَنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي

ومن هنا لم يقف إلى جوار حزب او جماعة سياسية ، بل كان يدعو
 إلى الوحدة الوطنية ، ويوجه خطابه الى الاحزاب المختلفة لتترك الخلاف وتقف
 صفا واحدا امام العدو المشترك :

إِلَامَ الْخُلْفِ يَبْنِيكُمْ الْإِمَامَا وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامَا
 وَفَيْسَمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَتُبْدُونَ الْعَدَاوَةَ وَالْخِصَامَا
 وَأَيْنَ الْفَوْزُ لَا مِصْرَ اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ وَلَا السُّودَانُ دَامَا (*)

اما موقفه من تركيا : فقد كان يؤمن بانها رمز الوحدة الاسلامية ، فنتبع
 سياستها ، وغنى افراحها ، وبكى مصائبها . فعندما اعلن دستور تركيا عام
 1908 م قال شوقي :

بُشْرَى الْبَرِيَّةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا حَاطَ الْخِلَافَةَ بِالْدُسْتُورِ حَامِيهَا

وفرح لانتصار تركيا في بعض المواقف السياسية والحربية ، ثم رثاها عندما
 تخلت عن الخلافة الاسلامية .

(*) يشير في هذا البيت الى المرحلة التاريخية التي كان فيها السودان مستعمرة انجليزية .

أما سياسته نحو الشرق والامة العربية فيعبر عنها في قوله :

وَنَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالنُّصْحَى بَنُو رَجْمٍ وَنَحْنُ فِي الْجُرْحِ وَالْآلَامِ إِخْوَانُ

7 - الشعر الاجتماعي : لم يحفل الشعر العربي القديم كثيرا بالناحية الاجتماعية ، بل انصرف معظمه الى تعظيم الفرد وتمجيدته ، وبدأ البارودي في تطوير امراض الشعر العربي ، فظهر التيار الاجتماعي الذي نما عند شوقي .
ومن اهم الموضوعات الاجتماعية التي تناولها شوقي في شعره :

(أ) الدين : عرف شوقي بنزعة دينية اسلامية ظهرت في قصائد متعددة ، فقد عارض البوصيري في الهزلية ، وفي قصيدة البردة . فانشأ على فرار الاوى قصيدة بداها بقوله :

وَلِدِ الْهُدَى ، فَالْكَاثِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَسَنَاةُ
وعلى نهج البردة :

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلِمِ أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهْرِ الْحُرْمِ
وله قصائد دينية اخرى منها :

إِلَى عَرَافَاتِ اللَّهِ يَا خَيْرَ زَائِرٍ إِلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ عَرَافَاتِ

(ب) التربية والتعليم : يؤمن شوقي بان العلم والتأدب هما دواء النفوس من العلل والامراض الاجتماعية والنفسية .

تَرَكُ النَّفُوسِ يَلَا عِلْمٍ وَلَا أَدَبٍ تَرَكُ الْمَرِيضِ يَلَا طِبِّ وَلَا آسِ

ويعظم شوقي رسالة المعلم ، ويدعو الشعب الى تعظيمه قائلا :
أَعْلَيْتُ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مَنْ الَّذِي يَتَّبِعِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا

ويوجه المعلم الى اهمية رسالته السامية فيقول :

وَإِذَا الْمَعْلَمُ سَاءَ لَحَظَ بَصِيرَةً جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ الْبَصَائِرُ حَوْلًا

وقد أسهم شوقي في رسالة العلم ونشر التربية ، فكتب للتلاميذ أناشيد وطنية وقصائد تعالج قصصا خرافية اسطورية تشبه قصص كليلة ودمنة ، وتقرب من أعمال الشاعر الفرنسي « لافونتين » . يقول شوقي في قصة حمار السفينة :

سَقَطَ الْحِمَارُ مِنَ السَّفِينَةِ فِي الدُّجَى فَبَكَى الرَّفَاقُ لِفَقْدِهِ وَتَرَاحَمُوا
 حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ نَحْوَ السَّفِينَةِ مَوْجَهُ تَتَقَدَّمُ
 قَالَتْ خُذُوهُ كَمَا آتَانِي سَالِمًا لَمْ أَبْتَلِعْهُ لِأَنَّهُ لَا يُهْضَمُ

(ح) المرأة : كان شوقي من انصار المرأة ، ويرى ان تعليمها ضرورة اجتماعية :

وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَأْنَ فِي أُمَّيَّةٍ رَضَعَ الرَّجَالُ جِهَالَهُ وَخُمُولًا

وطالب شوقي باعطاء المرأة حقوقها الاجتماعية مستهديا في ذلك بسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع زوجاته وسائر النساء المؤمنات :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ يَنْقِصْ حُقُوقَ الْمُؤْمِنَاتِ
 الْعِلْمُ كَانَ شَرِيعَةً لِنِسَائِهِ الْمُتَفَقِّهَاتِ
 رُضِنَ التِّجَارَةَ وَالسِّيَاسَةَ وَالشُّنُونَ الْأُخْرِيَاتِ

(د) العمال : اشاد شوقي بالعمال في بناء الحضارة ودعاهم إلى العمل الجاد المثمر :

أَيُّهَا الْعَمَالُ أَفْتُوا الْعُمَرَ كَدًّا وَكِسَابًا
 وَأَعْمُرُوا الْأَرْضَ فَلَوْلَا سَعْيُكُمْ أَمَسَتْ خَرَابًا

وكان يؤمن بحقوق العمال ، لكنه لا يرى الفوضى او الاضطراب وسيلة للحصول على تلك الحقوق ، فيقول :

اطْلُبُوا الْحَقَّ بِرِفْقٍ وَاجْعَلُوا الْوَاجِبَ دَابَا

8 - الشعر المسرحي : بدأ اهتمام شوقي بكتابة المسرحية الشعرية في عصر مبكر ، ففي اثناء اقامته في فرنسا ألف مسرحيته « علي بك الكبير » ، لكنه لم يرض عنها ، فانصرف عن هذا اللون من الفن ، واهتم بالشعر الغنائي .

وبعد أن بويج بامارة الشعر اتجه الى كتابة مسرحياته التي سبقت الاشارة اليها . واعتمد شوقي في بعض مسرحياته على التاريخ المصري القديم وعلى التاريخ العربي . وقد تآثر شوقي بالحركة المسرحية في فرنسا ، والتي كان من أشهر كتابها في ذلك الوقت : « كورني ، وراسين ، وموليير » كما تآثر بالشاعر الانجليزي « شكسبير » .

وعلى الرغم من كل ما أخذه النقاد على مسرحياته من انها تنقصها الحكمة الفنية ، ولم يلتزم فيها وحدة الزمان والمكان الى غير ذلك من العناصر الفنية في المسرحية ، فان شوقي رائد مجدد في هذا الميدان .

خصائص شعره :

يتميز شعر شوقي بمدة خصائص من أهمها :

- 1 - كثرة الأغراض الشعرية ، وتنوعها ، والتجديد فيها ، وقد عرفت ذلك من خلال ما قدمناه لك من نماذج مختلفة في اغراض شعره .
- 2 - خصوبة الفكرة وعمقها وقوتها .
- 3 - عمق خياله وسعته ، ودقته في التصوير .
- 4 - الموسيقى الصوتية التي تعتمد على قوة اللفظ ، وحسن تجاور الكلمات .
- 5 - القدرة على التنوع في الأوزان والقوافي ، وطول النفس الشعري ، فقد التزم شوقي بغافية واحدة في قصائد زادت ابياتها على المائتين .
- 6 - سؤق الحكمة والمثل في الشعر .
- 7 - وتميز المسرحية الشعرية عنده بالتنوع وزنا وقافية ، وطول الحوار ، وعدم التقييد بوحدة الزمان والمكان . وينقص بعض مسرحياته الحكمة الفنية .

المناقشة :

- 1 - كان لارتباط شوقي بالقصر الملكي في مصر اثر على شعره في الغزل ، والمدح ، والسياسة . ناقش هذه القضية مع التمثيل .
- 2 - « شوقي من اعلام مدرسة المحافظين في بناء القصيدة » . اشرح هذه العبارة .
- 3 - « قام شوقي برحلات متعددة » . فماذا استفاد شوقي من رحلاته ؟ وما اثرها على شعره ؟
- 4 - « شوقي شاعر محافظ مجدد » . فما مظاهر المحافظة والتجديد في شعره مع التمثيل .
- 5 - « تناول شعر شوقي موضوعات اجتماعية متعددة » . اذكر غرضين وحللها مع التمثيل .

إيليا أبو ماضي



(1889 - 1957 م)

مولده وفتحاته :

ولد الشاعر المهجري « ايليا أبو ماضي » عام 1889 م في قرية المحيدثة بناحية « بَكْفِيَا » في بلاد لبنان ، وفيها تلقى تعليمه الاولي حتى بلغ الحادية عشرة من عمره وكانت موجات الهجرة تخرج من لبنان قاصدة بلاد الأمريكتين ، حيث الثراء والحرية كما هاجر نفر من اللبنانيين الى مصر ، واشتغلوا بالتجارة والصحافة والادب .

هجرته إلى مصر : شد أبو ماضي رحاله الى مصر عام 1900 م بعد أن ضاقت به الحياة في لبنان فودعه أسفا مكرها على فراقه قائلاً :

أَرْضَ آبَائِنَا عَلَيْكَ السَّلَامُ وَسَقَى اللَّهَ أَنْفُسَ الْآبَاءِ
مَا هَجَرْنَاكَ إِذْ هَجَرْنَاكَ طَوْعًا لَا تَطْتِي الْعُقُوقَ فِي الْأَبْنَاءِ

ولما استقر به المقام في مصر ، بدأ يعمل في التجارة ، ففتح دكانا يبيع فيه التبغ ، وشغل وقت فراغه بقراءة الادب العربي القديم ، وخاصة دواوين الفحول من الشعراء القدامى ، وأحس برغبته في قرض الشعر فبدأ ينظمه وينشره في بعض الصحف المصرية ، حتى اكتملت لديه مجموعة من القصائد جمعها في ديوان طبعه في مدينة الاسكندرية وسماه « تذكارات الماضي » .

هجرته الى أمريكا : وفي عام 1911 م قرر الشاعر أن يفاذر مصر ليهاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية وربما كانت هذه الهجرة الاخيرة ^{هجرته} منذ خروجه من لبنان ، ولكنه اضطر الى الإقامة في مصر بضعة اعوام ، لان الهجرة الى مصر كانت سهلة ميسورة في ذلك الوقت ، أما الهجرة الى أمريكا فقد حالت دونها بعض العنبات حيث أصدرت الحكومة العثمانية قرارا يقضي بمنع هجرة السوريين الى أمريكا ، ورفضت اعطائهم جوازات سفر لهذا الغرض . وربما كان الشاعر يرجو مقاما طيبا في مصر ، ويحقق آمالا عظيمة من اقامته فيها ، ثم أحس بأنه لن يستطيع ذلك ففكر في الهجرة الى أمريكا .

وعندما وطئت اقدام الشاعر ارض الولايات المتحدة الأمريكية اتخذ من مدينة « سنستاني » مستقرا له بضعة اعوام عمل خلالها بالتجارة ، ثم انتقل الى مدينة « نيويورك » عام 1916 م واشتغل بالصحافة فأنشأ جريدة سماها « السَّيْمِر » وفي مدينة « نيويورك » التقى بجماعة من رفاقه الادباء العرب المهجريين وكونوا « الرابطة القلمية » التي كان لها الفضل في نشر مذهبهم الادبي .

وظل أبو ماضي يصارع الحياة في مستقره الجديد وتصارعه ، يهرمها تارة فيقوى على أحداثها بأمانيه وعزائمه ، ويهرمه مرة أخرى فيرتد متشائما حزينا وهو في كل حين يعبر عن مأساته فيقول :

تَمَشَى بِلَادَ النَّاسِ فِي طَلَبِ الْمَلَأِ وَبِلَادَنَا مَتْرُوكَةً لِلنَّاسِ
وَنَكَادُ نَقْتَرِشُ الشَّرَى وَبَارِضَنَا لِلْأَجْنَبِيِّ مَوَائِدَ وَكَرَاسِي
وَطَنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ الدُّنَى وَأَعَزُّ نَاسٍ فِي السَّبْرَةِ نَاسِي

وظل أبو ماضي يضرب على فيتارة جديدة ينوع في الالعان ويجدد في الأنغام حتى وافته المنية في مدينة « نيويورك » عام 1957 م .

مصادر ثقافته :

أولا - الشعر العربي القديم : استهل « أبو ماضي » حياته الأدبية بمطالعة دواوين الشعر العربي القديم ، وخاصة شعراء عصر القوة خلال القرنين الثالث والرابع الهجري وعندما بدأ يمارس الشعر ظهر تأثيره وتقليده للشعراء القدامى شأن المبتدئين في نظم الشعر ، فترى في بعض مطالع قصائده التي إنشأها في أيامه الأولى تأثيرا بكبار الشعراء .

من ذلك مثلا قوله :

كَمْ قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ وَلَى جِيلٌ هَيَمَاتَ لَيْسَ إِلَى الْبَقَاءِ سَبِيلٌ

فهو قريب من مطلع قصيدة « المنبي » :

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدَّتْ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمٍ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدٌ

وحاول الشاعر تقليد الموشح الأندلسي بمختلف ألوانه ، بل ذهب به التائر حدا بعيدا حينما قلد شعراء الصنعة الذين يهتمون بالمحسنات البديعية المقصودة لداتها ، من ذلك قوله :

أَيَّامَ تَحْسُدُهَا الْعَوَاصِمُ مِثْلَمَا حَسَدَ « الْعَوَاطِلُ » أُخْتَهُنَّ الْعَالِيَةَ ()

ففي هذا البيت جناس بين « عواصم وعوائل » وطباق إيجاب بين « العوائل - العالية » .

ولكن هذا التيار العربي القديم سرعان ما يدوب في نفس الشاعر عندما تنضج موهبته الأدبية ، وتكتمل شخصيته الشعرية المتميزة .

(*) العوائل ، جمع عاظة : وهي المرأة التي ليس عليها حلي ، وعكسها العالية .

ثانيا - **الرابطة القلمية** : وهي جمعية ادبية أسسها جماعة من الأدباء المهاجرين في أمريكا عام 1920 م ، وقد تميز انتاجهم الأدبي **بالتأمل في الحياة وأسرار الوجود** والتعمق في فهم النفس الانسانية واتساع النظرة الى المجتمع البشري ، والتعلق بالوطن العربي ، **والإتجاه الى الرمز في التعبير** ، وبهذه المبادئ تأثر أبو ماضي فأصبح للشعر عنده مفهوم يختلف عما حفظه وقراه لغيره من الشعراء . يعبر عن هذه النزعة الجديدة بقوله :

لَسْتَ مِنِّيْ اِنْ حَيَّبْتَ الشَّعْرَ اَلْفَاطًا وَّوَزْنَآ
خَالَفْتَ دَرْبُكَ دَرْبِي وَأَنْقَضَى مَا كَانَ مِنَّا

ثالثا - **ظروفه الخاصة وأحداث عصره** : مر الشاعر بتجارب عديدة ، واختلط بمجتمعات متباينة في لبنان ومصر وأمريكا ، ولكل مجتمع من هذه المجتمعات نظمه الخاصة التي تؤثر على أهله ومن يعيش بينهم ، وتنعكس هذه المؤثرات على إنتاج الأدباء والشعراء ، وقد ظهرت آثارها واضحة في شعر أبي ماضي .

وكان الشاعر يجيد اللغة الانجليزية الى جوار لغته الأصلية فتمكن من الاطلاع على عيون الأدب الغربي والأمريكي واستفاد من كل ذلك .

وكان عصره مليئا بالأحداث التي تثير الشاعر وتهز الوجدان والمواطف وقد شغلته هذه الأحداث منذ هجرته الأولى من وطنه لبنان ، واتسعت دائرتها فشملت أحداث البلاد العربية كلها ، كما شهد ويلات الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وتأثر بكل ذلك ، وانعكس على إنتاجه الشعري .

شعره وتطوره :

خلف أبو ماضي ترانا شعريا جيدا بدأ بنشره في الصحف المصرية ابان اقامته في مصر ، ثم تابع إنتاجه بعد هجرته الى أمريكا ، وقد ظهرت دواوينه على الصورة التالية :

- 1 - ديوان تذكاري الماضي نشره في الاسكندرية عام 1911 .
- 2 - ديوان ايليا ابو ماضي طبع في نيويورك عام 1918 م .
- 3 - الجداول صدر في نيويورك عام 1927 م .
- 4 - الغمائل صدر في نيويورك عام 1940 ثم طبع بالشرق عدة مرات .
- 5 - مجموعة من القصائد متناثرة في بعض الصحف وخاصة صحيفة « العصبية » .

ولم يكن محصول خمسين عاما من عمر الشاعر متفقا من حيث الجودة والقوة والنزعة والتقليد والتجديد ، ويمكن أن نميز بين مرحلتين واضحتين في شعره :

المرحلة الأولى : وتبدأ من فترة ممارسته الشعر حتى بداية تأثره بالمجتمع الجديد في أمريكا ، أي بعد هجرته إليها بسنوات قليلة ، وفي هذه المرحلة صدر للشاعر ديوانان هما : « تذكارات الماضي » و « ديوان ايليا أبو ماضي » وان كان ديوانه الثاني يمثل مرحلة وسطى بين الاتجاهين القديم والجديد الذي سيتضح عنده فيما بعد .

• وأبرز سمات شعره في هذه المرحلة انه كان أقرب الى محاكاة الشعراء السابقين في موضوعاته وقوالبه وأساليبه ، ولم تظهر فيه شخصية الشاعر بالصورة التي سترها في المرحلة الثانية من مراحل انتاجه الشعري .

المرحلة الثانية : وتتميز هذه المرحلة بظهور شخصيته كشاعر مهجري مجيد بعد ان تشرب الحياة الجديدة في أمريكا وصهرته أحداث عصره فيها ، فظهرت النزعة الانسانية والتأملية واللجوء الى الطبيعة ، والميل الى الرمز في التعبير، وغير ذلك من الأغراض والخصائص الفنية التي ستتضح من دراستنا لشعره .

أغراض شعره :

اولا - التقليد : الأغراض الشعرية القديمة قليلة في شعر أبي ماضي ، وقد اعلن صراحة عن هجر بعضها . واذا ما تناولها فانه لا يبدع فيها وليس فيها ما يميز شخصيته ومن بين هذه الأغراض ما يأتي :

1 - المدح : انكر أبو ماضي على الشعراء لن المدح وراه ميّبا ينبغي أن يتبرأ الشعر منه :

لَا تَسْأَلُونِي الْمَدْحَ أَوْ وَصَفَ الدَّمَى إِنِّي نَبَذْتُ سَفَائِفَ الشُّعْرَاءِ
بَاعُوا لِأَجْلِ الْمَالِ مَاءَ حَيَاتِهِمْ مَدْحًا وَبِتُّ أَصُونُ مَاءَ حَيَاتِي

2 - الرثاء : لم يكثر الشاعر من الرثاء ، ولم يتخذ وسيلة للتقرب من حاكم أو ذوي جاه وانما رثى بعض العظماء أو الأصدقاء .

يقول في رثاء صديقه « رافائيل هوايني » :

أَوْدَى فَنُورُ الْفَرَقْدَيْنِ صَبِيلُ وَعَلَى الْمَنَازِلِ رَهْبَةٌ وَذَهْوُلُ
خَلَقَ الْأَسَى فِي قَلْبِ مَنْ جَهَلَ الْأَسَى قَوْلُ الْمُغَبَّرِ : مَاتَ رَافَائِيلُ

وتلاحظ على شعره في الرثاء انه لا يشير لنا عاطفة الحزن أو البكاء ، وان كان الشاعر نفسه يكثر من العويل والدموع .

ويقول في رثاء الشيخ محمد عبده :

لَا زَمَّتْ قَبْرَكَ وَالْبَكَاءُ مَلَاذِمِي وَاللَّيْلُ دَاجٌ وَالسَّكَاكِبُ سَهْرُ
وَوَدِدْتُ مَنْ شَجَوِي عَلَيْكَ وَحَسْرَتِي وَلَقَدْ يَقِيلُ لَكَ النَّجِيعُ الْأَحْمَرُ
أَوْ أَنْ لَحَدَّكَ فِي فُوَادِي يُحْفَرُ

3 - الفزل : والفزل عند أبي ماضي لا يعدو النسب الذي طالما تحدث عنه الشعراء ولا تحس في غزله بأن هناك محبوبة معينة استولت على قلبه فاثارت مشاعره ، وخلصها في شعره ، ووصفها للمرأة وصفٌ حسيٌّ غالبا :

لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ الْعِيُونَ السُّودَا خَلَقَ الْقُلُوبَ الْخَافِقَاتِ حَدِيدَا
لَوْلَا نَوَاعِسُهَا وَلَوْلَا سِحْرُهَا مَا وَدَّ مَالِكٌ قَلْبِهِ لَوْ صِيدَا

ويقول :

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدِّكَ وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِي شَفَتِكَ
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مُتَوَجًّا وَالْفُلَّ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدِكَ
أَيَقْنَتُ أَنْكَ جَنَّةَ خَلَابَةٍ فَحَنَنْتُ مِنْ بَعْدِ الْمِثْبِيبِ إِلَيْكَ

4 - الحكمة : لم يقصد أبو ماضي إلى كتابة موضوع مستقل في الحكم كما كان يفعل بعض الشعراء ولكن قد تأتي بعض الحكم في ثنايا القصيدة . وهي حكمة صادقة بريئة من التكلف أو الافتعال ومعبرة عن حياته بما فيها من آمال وآلام . من ذلك قوله :

وَالنَّفْسُ تَمَشُقُ فِي الْأَهْلِينَ مَوَاطِنَهَا وَلَيْسَ تَعَشَّقُهُ يَحْوِيهِمْ حُفْرَا
وَتَعْظُمُ الْأَرْضُ فِي عَيْنِكَ مُحْتَرَمَا وَلَيْسَ تَعْظُمُ فِي عَيْنِكَ مُحْتَقَرَا

ثانيا - التجديد : الطابع التجديدي هو الطابع المميز لشعر أبي ماضي بين شعراء العصر الحديث ، وقد حاول أن يلبس الشعر ثوبا مغايرا لثوبه القديم من حيث الفرضي والقالب والفكرة والأسلوب ، ونجح إلى حد كبير في ذلك الاتجاه الذي سار فيه مع رفاقه المهجريين . وسترى ذلك من خلال دراستنا لأغراض شعره الآتية :

1 - النزعة القومية : لم يكن الشاعر معتنقا لمبدأ سياسي يدافع عنه ، بل كان يكره السياسة والخاضعين فيها - يعبر عن رايه صراحة فيقول :

وَاهْجُرْ أَحَادِيثَ السِّيَاسَةِ وَالْأَلَى يَتَعَلَّقُونَ بِجَبَلٍ كُلِّ سِيَاسِي
إِنِّي نَبَذْتُ ثِمَارَهَا مُذْ ذُقْتُهَا وَوَجَدْتُ طَعْمَ الْغَدْرِ فِي أَضْرَاسِي
وَتَرَكْتُهَا لِاثْنَيْنِ : غَيْرِ سَادِجٍ وَمُشَعَّوِذٍ مُتَذَبِّذٍ دَسَّاسِ

ومع ذلك لم يستطع الشاعر حبس قلبه عن التعبير عن رايه في بعض المواقف السياسية وان لم يتناولها من وجهة نظر السياسي الذي ينتمي الى جماعة معينة يؤديها ويزود عنها في كل حين ، وانما عبر عن الجانب الذي يمس حياته ويؤثر فيها تأثيرا مباشرا .

وكانت نزعته السياسية تتركز في امرين : اولهما : كراهية الاتراك ، ثانيهما : حب العروبة . وبعبارة أوضح هجوم على الاسلام وتأييد للقومية العربية ، وفي شعره مظاهر متعددة تنعكس فيها هذه الحقيقة ، يتحدث عن ظلم الاتراك لبلاده فيقول :

ثَلَاثُونَ عَامًا وَالنَّوَابُ فَوْقَنَا مَخَيَّةٌ مِثْلُ الْيَوْمِ الْقَوَاتِمِ
فَلَا الْعِلْمُ مَزْمُوقٌ وَلَا الْحَقُّ نَافِذٌ وَلَا حَرَمَةٌ تُرْعَى لِعَمْرِ الدَّرَاهِمِ
وَمَا تَمَّ غَيْرَ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْأَذَى فَكَبَّحَتْ مِنْ عَصْرِ كَثِيرِ السَّخَائِمِ
فَوَاللَّهِ مَا تَرْضَى قِيُودَكَ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَصْبَحَتْ فِي الْبَهَائِمِ

ويمتلئ قلب الشاعر حسرة لمصاب فلسطين ويفديها بنفسه :

دِيَارَ السَّلَامِ وَأَرْضَ الْهِنَا يَشُقُّ عَلَى الْكُلِّ أَنْ تَحْرَنَنَا
فَحَطْبُ فِلَسْطِينَ حَطْبُ الْعَلَا وَمَا كَانَ رُزْءُ الْمَلَاهِينَا
بِنَفْسِي « أُرْدَنْهَا » السَّلِيلِ وَمَنْ جَاوَرُوا ذَلِكَ الْأُرْدَنَا

ويعز على الشاعر ان يرى البلاد العربية متخاذلة مُستضعفة ، فيصور ضعفها ويحذرهما من مستقبلها حتى تُنفيق من نُباتها وتنهض من عُثرتها :

بَغْدَادُ فِي خَطِرٍ وَمِصْرُ رَهِينَةٌ وَغَدَا تَنَالُ يَدُ الْمَطَامِعِ جَلْقًا

ويتعجب الشاعر من قومه حين يراهم يبعثون في وقت تجمعت فيه اللذات من اعدائهم على الابواب ، ويدعو كلَّ عربي الى العمل الجاد والثورة على الطغاة الظالمين :

عَجِبًا لِقَوْمِي وَالْمَدْوُ بِبَابِهِمْ كَيْفَ اسْتَطَابُوا اللَّهُمَّ وَالْأَلْمَابَا ؟
دُنْيَاكَ ، يَا وَطَنَ الْعُرُوبَةِ ، غَابَةٌ حَشَدَتْ عَلَيْكَ أَرَاقِمًا وَذِيَابَا
فَالْبِسْ لَهَا مَاءَ الْحَدِيدِ مَطَارِفًا وَاجْعَلْ لِسَانَكَ مِخْلَبًا أَوْ نَابَا

1 - شعره الاجتماعي : تناول الشاعر الحديث عن بعض المشكلات ، وعبر عن وجهة نظره الخاصة فيها ، ومن أهم ما تناوله شعره الاجتماعي ما يأتي :

(١) الدين : عرف ابو ماضي بنزعه الانسانية العالية ، ولكنك تراه في بعض اشعاره يثير النزعة الطائفية الدينية عندما يقول عن الاثراك :

وَقَالُوا : نَحْنُ لِلْإِسْلَامِ سُورٌ وَإِنَّ بِنَا الْخِلَافَةَ (وَالْإِمَامَا)
فَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ يَجُورُوا وَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ نُضَامَا ؟

ولعه اتخذ من هجومه على الاثراك سببا لث نزعه الطائفية في شعره ، حيث يقول في معركة « بُوْرَغَاس » التي انهزم فيها الترك امام اعدائهم المسيحيين :

وَقَدْ أَنْجَلَتْ إِذَا الْهِلَالَ مُنَكَّسٌ عَمَّ طَوْنُهُ رَايَةَ الصُّلْبَانِ

وفي موقف آخر يقول :

لِلَّهِ مَا أَحْلَى الْبَشِيرَ وَقَوْلَهُ سَقَطَ الْهِلَالُ إِلَى الْحَضِيضِ وَدَالَ

(ب) الفقراء : كان الشاعر حريصا على الدعوة الى الرافة بالفقراء ومساعدتهم ، ومشاطرتهم احزانهم :

لَهْنِي ! وَلَوْ أَجَدَى التَّعِيْسَ تَلَهْنِي لَسَفَكْتُ دَمْعِي عِنْدَهُ وَدِمَائِي
قُلِّ لِلْفَنِيِّ الْمُسْتَعِزِّ بِمَالِهِ مَهْلًا ، لَقَدْ اسْتَرَفَّتْ فِي الْحَيْلَاءِ
جُبَلُ الْفَقِيرِ أَخْوَكُ مِنْ طِينٍ وَمِنْ مَاءٍ ، وَمِنْ طِينٍ جُبِلَتْ وَمَاءٍ

(ج) المرأة : لم يكن ابو ماضي من انصار مساواة المرأة بالرجل ، ويرى ان مكانها الطبيعي في المنزل ومع ان الشاعر كان يعيش في بلاد متطورة اطمط المرأة كل حقوقها في المساواة بالرجل ، لكنه لم يقتنع بذلك الوضع ، ولعل الذي دفعه الى هذا الموقف هو ما لسه من تعذيب المرأة في المجتمع الذي يحملها مسؤوليتين في البيت وخارجه :

سَجَّلَ الْعَارَ عَلَيْنَا مَعَشَرٌ سَجَّلُوا الْمَرْأَةَ بَيْنَ الْمَهْمَلِ
فَهْيَ إِمَّا سِلْعَةٌ حَامِلَةٌ سِلْعًا أَوْ آلَةٌ فِي مَعْمَلِ
تَهَادَاهَا الْمَوَامِي وَالرُّبَى فَهِيَ كَالدِّينَارِ بَيْنَ الْأَنْمَلِ
فِي سَبِيلِ الْمَالِ أَوْ عُشَّاقِهِ تَكْدَحُ الْمَرْأَةُ كَدْحَ الْإِبِلِ

3 - الطبيعة : منذ قديم الزمان والشعراء يتغنون بالطبيعة وجمالها ، ولكن ابا ماضي ورفاقه المهجريين لهم موقف خاص من الطبيعة ، تتجلى مظاهره فيما يلي :

اولا : المزج بين الطبيعة والذات ، وتجسيم الطبيعة في صور حسيّة متحركة
 وَلَيْكَ اللَّيْلُ رَاهِي ، وَشُمُوعِي
 وَكِتَابِي الْفَضَاءَ أَقْرَأُ فِيهِ
 وَصَلَاتِي الَّذِي تَقُولُ السُّوَاقِي
 وَرِحِيقِي مَا سَالَ مِنْ مُقَلَّةِ الْمَجْرِي
 الشُّهْبُ ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا مَحْرَابِي
 سُورًا مَا قَرَأْتُهَا فِي كِتَابِ
 وَغَنَائِي صَوْتُ الصَّبَا فِي الْعَابِ
 عَلَى الْعُشْبِ كَاللَّجَيْنِ الْمُدَابِ

ثانيا : اتخاذ الطبيعة مادة بصوغ منها الشاعر تجربته الفنية التي يبت من خلالها
 انكاره ومبادئه :

فمثلا عندما يحارب في الانسان نزعة الغرور ويصور شروره وآثامه يقارن بينه
 وبين الطبيعة ثم يفضلها عليه حتى يكبح في الانسان غرائزه السفلى ويحطم
 من غروره وكبريائه :

تَلَمَذْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي الدَّهْرِ حِقْبَةً
 نَهَانِي عَنْ قَتْلِ النَّفُوسِ وَعِنْدَمَا
 وَدَمٌ إِلَيَّ السَّرَقَ ثُمَّ اسْتَرْقَنِي
 وَشَاهَدْتُ كَيْفَ التَّهَرُّ يُبْذَلُ مَاءَهُ
 وَكَيْفَ تُغَدِّي الأَرْضُ الأُمَّ نَبِيهَا
 فَلَقَّنِي غِيَا ، وَعَلَّمَنِي جَهْلًا
 رَأَيْ غَيْرَةَ مِنِّي تَعَلَّمَ بِي الْقِتْلَا !
 وَصَوَرَ ظُلْمًا فِيهِ تَنْجِيدهَ عَدْلًا
 فَلَا يَبْتَعِي شُكْرًا وَلَا يَدْعِي فَضْلًا
 وَأَقْبَحَهُ شَكْلًا كَأَحْسِنِهِ شَكْلًا

ثالثا : اتساع النظرة في مفهوم الطبيعة فهي تشمل الجماد والنبات والطيور والحيوان
 وقد اتخذ الشاعر من كل هذه الأشياء كينات بنائه الشعرية في كثير من
 الموضوعات الانسانية ، يقول على لسان زنجي امريكي :

فَوْقَ الْجُمُيزَةِ سِنَجَابُ
 وَأَنَا صَيَّادٌ وَثَّابُ
 مَحْظُورًا إِذْ أَنِّي عَبْدُ
 وَالذِّبِكُ الأَيْضُ فِي الْقَنْ
 وَأَنَا أَمْنَسِي لَوْ أَنِّي
 أَصْطَادُ الذِّبِكِ وَلِكِنِّي
 لَا أَقْدِرُ إِذْ أَنِّي عَبْدُ
 وَفَتَاتِي فِي تَلْكَ الدَّارِ
 سَجِييُ وَيَأْخُذُهَا جَارِي
 سَوْدَاءُ الطَّلَعَةِ كَالْقَارِ
 يَا وَيْحِي مِنْ هَذَا الْعَارِ
 أَفَلَا يَكْفِي أَنِّي عَبْدُ ؟

4 - الحنين الى الاوطان : الغربة تثير نوازع الشوق في قلوب المغتربين ، وقد ترك ابو ماضي ارضه وبلاده وذكريات طفولته فيها ، فكان دائم الحنين اليها .

مِثْلَمَا يَكْمُنُ اللَّطِي فِي الرَّمَادِ هَكَذَا الْحُبُّ كَأَمْنٍ فِي فُؤَادِي
لَسْتُ مُغْرَى بِشَادِنِ أَوْ شَادِي أَنَا صَبٌّ مُتَمِّمٌ بِبِلَادِي
يَابِلَادِي عَلَيْكَ أَلْفُ تَحِيَّةٍ

وبلاد الشاعر التي يحن اليها اوسع من قرينه اللبنانية فهو لا يشناق الى لبنان فحسب ولا يحن الى سورية وحدها ، بل هواه مع الشرق كله .

إِذَا خَظَرْتُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفْحَهُ طَرَبْتُ فَالْقَى مِنْكَ بَيَّ رَدَائِيَا
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْمَغَانِي وَأَهْلِهَا وَأَشْتَاقُ مِنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ الْمَغَانِيَا
وَكَيْفَ اغْتِبَاطُ الْمُرُو لَا الْأَهْلُ حَوْلَهُ وَلَا هُوَ مَنْ يَسْتَعْدِبُ الصَّفْو نَائِيَا

5 - التفاؤل : ودّع ابو ماضي موطنه يائسا من امره يائسا من صلاح اهله وحكومته

وَطَنٌ أَرْدَنَاهُ عَلَى حُبِّ الْعَلِيِّ فَأَبَى سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَّقَا
شَعْبٌ كَمَا شَاءَ التَّخَاذُلُ وَالْهَوَى مُتَفَرِّقٌ وَيَسْكَادُ أَنْ يَتَمَرَّقَا
وَحُكُومَةٌ مَا أَنْ تُزَحِّزِحَ أَحْمَقًا عَنْ رَأْسِهَا حَتَّى تُوَلِّيَ أَحْمَقًا

وقد بلغ اليأس مداه الى درجة افقدته الامل في مستقبل وطنه فيقول :

كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي حَاضِرِنَا عَاقِبِي الْيَأْسُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ
قَدْ مَشَى الْغَرْبُ عَلَى هَامِ السَّهْمِ وَمَشِينَا فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ

وبعد ان استوطن امريكا وراى الدنيا تتبدل امام عينيه اخذ يصارع اليأس في نفسه واستطاع ان يتغلب عليه فأصبح يتقبل الاحداث والهموم بصدر رحب :

كُنْتُ حَتَّى مَعَ ضَمِيرِي أَمْسٍ فِي حَرَبِ عَوَانِ
لَمْ يَعُدْ قَلْبِي كَالْبَرِّ قِي شَدِيدِ الْخَفَقَانِ
صِرْتُ كَالصَّخْرِ سَوَاءً هَادِمٌ عِنْدِي وَبَكَانِ

واذا تساوت الاحداث في نظره حلوها ومرها وخيرها وشرها فلماذا يئأس الانسان في دنياه ويقضي ايام عمره حرة والما ، ان التفاؤل يدفع الى العمل والعمل يحقق الامال ، فاذا ابتسم الانسان لكل شيء رآى الدنيا تبتسم من قوله :

قَلْتُ : اِبْتَسِمْ يَكْفِي التَّجَهُّمُ فِي السَّمَاءِ !
لَنْ يُرْجِعَ الْأَسْفُ الصَّبَا الْمُتَصَرِّمًا !
صَارَتْ لِنَفْسِي فِي الْفَرَامِ جَهَنَّمَا
قَلْبِي ، فَكَيْفَ أُطِيقُ أَنْ اِتَّبَسَّمَ ؟
قَضَيْتَ عُمْرَكَ كَلَّهَ مُتَأَلِّمًا !

قَالَ : « السَّمَاءُ كَنِيَّةٌ ! » وَتَجَّهَمَا
قَالَ : الصَّبَا وَلِي ! فَقُلْتُ لَهُ : اِبْتَسِمْ
قَالَ : الَّتِي كَانَتْ سَمَائِي فِي الْهَوَى
خَانَتْ عُيُودِي بَعْدَمَا مَلَكَتْهَا
قُلْتُ : اِبْتَسِمْ وَاطْرَبْ فَلَوْ قَارَتَهَا

6 - النزعة الانسانية : للشعر في نظر ابي ماضي رسالة عليا هي الدعوة الى الحق والخير والجمال ، وعلى الشاعر ان يطيل التفكير في الحياة ويتأمل ما في الكون ، وما يدور فيه من صراع دائم بين الخير والشر ، ليتخذ الشاعر من كل ذلك طريقا يحقق به ميدانين يؤمن بهما ابو ماضي هما : حاجة الانسان الى اخيه الانسان مهما قل في نظره ، والحفاظ على سلامة البشرية من النزعات الانسانية الهدامة .

وقد رايت في تصيدته الحجر الصغير ، تصويرا لقيمة الفرد في المجتمع وحاجة الناس اليه مهما كان عمله وقيمه .

وطالما حارب الشاعر في النفس الانسانية اطعامها ، وحاول ان يردها عن غيها .

يَا صَاحِبِي لَيْسَ الْوَعْيِي مِنْ مَذْهَبِي
فَالنَّاسُ إِخْوَانٌ وَلَيْسَ مِنَ النَّهْيِ
الْحَرْبُ مَجْلِبَةٌ الشَّقَاوَةَ لِلوَرَى
هَاتِيكَ وَسَوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
أَنْ يَفْتِكَ الْإِخْوَانُ بِالْإِخْوَانِ
وَالْحَرْبُ يَعْتَقُهَا بَنُو الْإِنْسَانِ

7 - النزعة التأملية : منذ قديم الزمان حاول الفلاسفة والحكماء ان يخترقوا بنظراتهم وتفكيرهم حجب هذا الوجود الضيق ليحلقوا في آفاق بعيدة تتصل بعالم الغيب وما وراء الوجود، و ابو ماضي ورفاقه المهجريين اضافوا ثروة فكرية الى الشعر العربي الحديث بهذه النزعة التأملية فكتب ابو ماضي قصائد فلسفية طويلة من بينها قصيدة « الطلاسم » التي مرت بك . كما تحدث في قصائد اخرى عن مصير الروح بعد مفارقتها الجسد ، وتكلم عن الموت وغير ذلك من الامور التي تتصل بما وراء الوجود . يعبر عن رايه في الموت فيقول .

بِرَغْمِكَ فَارَقْتَ الرَّبُوعَ وَإِنَّا
طَرِيقٌ مَشَى فِيهَا الْمَلَائِكُ قَبْلَنَا
عَلَى الرَّغْمِ مَنَّا سَوْفَ نَلْحَقُ بِالظُّعْنِ
مِنَ الْمَلِكِ السَّامِيِّ إِلَى عَبْدِهِ الْقِنِّ

فَظَنَّ لَنَا الدُّنْيَا وَمَا فِي رِحَابِهَا وَلَيْسَتْ لَنَا إِلَّا كَمَا الْبَحْرُ لِلسُّفْنِ
فَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَعْرِفَةٌ بِهِ كَأَكْثَرِهِمْ جَهْلًا يُرْجَمُ بِالظَّنِّ
فِيَالِكَ سِفْرًا لَمْ يَزَلْ جِدُّ غَامِضٍ - عَلَى كَثْرَةِ التَّفْصِيلِ فِي الشَّرْحِ وَالْمَتْنِ

وليس لنا ان نناقش الشاعر في آرائه الفلسفية لانه حر في التعبير عن فكرته وانما نقول : انه ابتعد عن روح الاسلام في كثير من آرائه الفلسفية

خصائص شعره :

يتميز شعره بعدة خصائص من اهمها :

- 1 - وفرة انتاجه الشعري وكثرة الأغراض والتجديد في الموضوعات ،
- 2 - العناية بالمعنى والاهتمام بالفكرة عمقا ووضوحا .
- 3 - الاتجاه الى الرمز في التعبير كما رأيت في قصيدة « الحجر الصغير » .
- 4 - التنوع في البناء الشعري وعدم الالتزام بنظام القصيدة العمودية من حيث الوزن والقافية .

5 - التسامح احيانا في قواعد اللفظ مثل قوله :

لِيَطْرَبَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَطْرَبًا فَلَسْتُ بِمُسْتَمِطِرٍ خَلْبًا

فحق يطرب ان تجزم بلام الامر . وتحريكها ضرورة شعرية . تؤخذ على شاعر كبير مثل ابي ماضي .

الناقشة :

- 1 - من خلال دراستك التاريخية صور الحالة السياسية في لبنان في الوقت الذي هاجر فيه الشاعر من لبنان الى مصر .
- 2 - للغربة آثارها في الادب ، كيف ظهرت آثارها في شعر ابي ماضي ؟
- 3 - للشاعر موقف من الطبيعة - اشرحه مع التمثيل .
- 4 - ما اهم الخصائص الفنية التي يتصف بها شعر ابي ماضي قبل هجرته الى أمريكا ؟
- 5 - أبو ماضي شاعر مجدد . وضع مظاهر التجديد في اغراض شعره مع التمثيل .

عبد الحميد بن باديس



1889 - 1940 م

مولده وأسرته :

في مدينة « قسنطينة » عاصمة الشرق الجزائري ولد « عبد الحميد بن باديس » عام 1889 م ، ونشأ في أسرة عريقة معروفة بالعلم والجاه والثراء ، فكان من أجداده الأولين « المعز بن باديس »(*) ، ومن أسلافه المتأخرين « المكّي بن باديس » الذي تولى منصب القضاء بقسنطينة . وأما الشيخ « محمد المصطفى بن مكّي بن باديس » والد « عبد الحميد » فكان صاحب مكانة معروفة في قسنطينة جعلته موضع احترام وتقدير من المواطنين والحاكمين ، وقد شارك في بعض الأعمال الإدارية ، فكان عضواً في المجلس الجزائري الأعلى ، والمجلس العام بقسنطينة .

نشأته وثقافته :

لقي « عبد الحميد » في كنف والده ما يلقاه عادة أول الأبناء من رعاية في الأسر الكريمة ، فقدمه أبوه الى الشيخ « محمد المداسي » وأخذ هذا الشيخ يلقن تلميذه « ابن باديس » سور القرآن الكريم حتى أتم حفظه واتقانه .

وفي عام 1903 بدأ « عبد الحميد » مرحلة جديدة في التعليم على يد شيخه « الونيسي » ، فأخذ عنه مبادئ العلوم العربية والدينية .

وقد تأثر ابن باديس بشيخه الونيسي وكان يقول عنه :

« وَإِنِّي لِأَذْكُرُ وَصِيَّةَ أَوْصَانِي بِهَا ، وَعَهْدًا عَاهَدَ بِهِ إِلَيَّ ، وَأَذْكُرُ أَثَرَ ذَلِكَ الْعَهْدِ فِي نَفْسِي وَمُسْتَقْبَلِي وَحَيَاتِي وَتَارِيخِي كُلِّهِ ، فَأَجِدُنِي مَدِينًا لِهَذَا الرَّجُلِ بِمَنْةٍ لَا يَقُومُ بِهَا الشُّكْرُ ، فَقَدْ أَوْصَانِي وَشَدَّدَ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقْرَبَ الْوَظِيفَةَ وَلَا أَرْضَاهَا مَا حَبِيتُ ، وَلَا آتَخِذَ عَلَيَّ مَطِيَّةً لَهَا ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ أُمَّتَالِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ »(**) .

(*) مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت دولة الأغالبة على مملكة القيروان وقد توفى

عام 373 هـ - 984 م

(**) ابن باديس حياته وآثاره جزء 1 .

وعندما عقد الشيخ **الونيسي** عزمه على الهجرة الى **المدينة المنورة** هم **عبد الحميد** بصحبته لكن والده لم يأذن له في ذلك .

ولما بلغ خمسة عشر عاما زوجه والده ، وأنجبت زوجته مولودا اطلق عليه اسم **(محمد عبده)** اسماعيل .

وفي عام 1908 م سافر **عبد الحميد** الى **تونس** ، ليتم دراسته في **جامعة الزيتونة**

وتعلم على يد الشيخ **(محمد النخلي القيرواني)** والشيخ **(محمد الطاهر بن عاشور)** والشيخ **(الخضر بن الحسين)** الجزائري الاصل ، ونال شهادة الجامعة عام 1911 م ، وبقي في **تونس** عاما بعد تخرجه يشتغل بالتدريس هناك .

رحلته إلى الحجاز :

رجع **ابن باديس** من **تونس** إلى وطنه عام 1913 م ليبدأ عمله مدرسا حرا بلا اجر في سبيل نشر العلم واللغة والدين . وفي **الجامع الكبير بقسنطينة** بدأ يلقي دروسه على الناس . ولكنه قطع عمله في نفس العام الذي بدأ فيه وسافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج . وهناك التقى بشيخه **(الونيسي)** وتعرف على الشيخ **(محمد البشير الابراهيمي)** الذي كان قد هاجر مع أسرته الى **المدينة المنورة** ، ونشأت بينهما صداقة وزاد تقارب الصديقين فكانا يجتمعان في **المدينة المنورة** كل مساء يتحدثان عن الجزائر وما آل اليه امرها ويرسمان طريق الخلاص لها .

عودته الى الجزائر :

كانت رحلة **ابن باديس** الى الحجاز ذات آثار بعيدة في نفسه ، فقد عاد وهو ممتلئ حماسا لمتابعة كفاحه ، متفائل بالنصر وتحقيق الغايات ، لما رأى من اهتمام أبناء الجزائر المهاجرين ، بقضية بلادهم ، وصدقهم في الكفاح الى جواره وزاد من عزمه ان بعض ممن لقيهم من علماء المسلمين شجعه على الرجوع الى الجزائر والعمل على النهوض بها .

وقد اطلع **ابن باديس** في ملتقى الحج الكبير على احوال المسلمين بصورة عامة ، ومر بمصر في طريق رجوعه الى الجزائر والتقى ببعض علمائها من امثال الشيخ **(بخيت)** العالم الأزهرى .

فاستفاد من كل ذلك ، واختمرت في راسه فكرة العمل للإصلاح ، وائر وصوله إلى الوطن بدأ نشاطه في ميادين متعددة .

نشاطه في الإصلاح الديني والاجتماعي :

أ - **التعليم** : اتخذ ابن باديس من « **الجامع الأخضر** » مهبطاً لنشاطه التعليمي والتربوي فكان يعلم الصغار في الصباح ويلقي دروس الوعظ في المساء للكبار ، وبدأ في هذا المجال بعدد صغير من التلاميذ ثم أخذ عددهم ينمو شيئاً فشيئاً ، وعندما تعلم على يديه لفيف من التلاميذ أرسل ببعضهم الى جامع الزيتونة بتونس ، وبعد عودتهم عملوا الى جواره بالتعليم ، وأخذ ابن باديس يتصل بالأهالي ويشجعهم على افتتاح المدارس والتبرع بالأموال ، فانتشر هذا النوع من التعليم في كثير من البلاد الجزائرية ، وكلما كثر تلاميذه تفرقوا في البلاد وأسسوا مدارس وأعانهم الأهالي ، بمختلف الوسائل حتى تكونت الشبيبة الاولى التي واصلت الكفاح بعد وفاة ابن باديس .

ب - **الصحافة** : رأى ابن باديس ان حركة الإصلاح الديني والاجتماعي يجب ان لا تقتصر على العملية التربوية ، التي يمكن لها ان تحقق اهدافها العظيمة ، وآثارها البالغة على المدى الطويل ، فبالإضافة إلى تعليم الكبار بالمساجد والنوادي ، والقيام بالوعظ والارشاد في كل مكان ، وبَثَّ المدارس لتعليم النشء في أنحاء كثيرة من البلاد ، رأى ابن باديس ضرورة إنشاء صحافة عربية ، تكون منبراً رحباً ، يعلن في عزم وثقة ان **الحركة الإصلاحية الجزائرية** حركة شعبية أصيلة ، تعمل لإحياء التراث الثقافي للأمة ، وتَنْقِيهِ مِنَ الشوائب التي عَلِقَتْ به ، وتشر الوعي الديني والاجتماعي في البلاد ، وتعبّر عن بُلبِ اهداف هذه **الحركة السَلْفِيَّةِ** ، وأصَالَع مبادئها ، فكان إصداره جريدة « **المنتقد** » عام 1926 عملاً وطنياً شجاعاً ، على طريق الجهاد ، لاستكمال عوامل النهضة ، واسترجاع خصائص الشخصية الجزائرية المتميزة ، ولكن الاستعمار الفرنسي الذي وجد في تلك الحركة الإصلاحية خطراً عليه ، أخذ يطبق شعاره « **فَرَقْ كَسَدُ** » ، فراح يخادع بعضاً من رجال الطرق ، وبعضاً من الموظفين الدينيين ، ويستميلهم بشتى الأساليب ، حتى مالاه نفر منهم ، فتصدى لهم ابن باديس ببراعه الكاشف ، وسلط أضواءه على هؤلاء النفر ، فعراهم من ثوب الخداع والتضليل ، وجاهد الاستعمار وأعوانه ، وحمل عليهم في « **المنتقد** » حملات هزت كياناتهم ، فلم تجد السلطة الاستعمارية الفرنسية الا ان تصدر أمراً بتعطيل الجريدة ، لكن ابن باديس وزملاءه واصلوا جهادهم ، كما واصلوا حملاتهم في عدة صحف أخرى ، منها « **الشريعة** » و « **السنة** » و « **الصراط** » ، فَلَقِيَتْ جَمِيْعَهُمَا نَفْسَ المصير في وقت مبكّر ، فأصدر « **البصائر** » التي استمرت تصدر حتى 1957 ، باستثناء فترة زمنية ، توقفت فيها ، اثناء الحرب العالمية الثانية .

ح - تأسيس جمعية العلماء المسلمين :

مهد لنشأة هذه الجمعية عدة أسباب أهمها :

- (1) ظهور الحركات الإصلاحية في البلاد الإسلامية والعربية ، كحركة جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا .
- (2) اندلاع الحرب العالمية الأولى وتأثيرها في قيام كثير من الحركات والتنظيمات العالمية
- (3) نشاط ابن باديس في مجال التعليم ، وبعث اليقظة الروحية في الجزائر .
- (4) عودة طائفة من العلماء الجزائريين الى البلاد بعد ان قضاوا فترة من الزمن مهاجرين في مختلف البلاد العربية ، وانضمامهم الى نشاط ابن باديس .

وقد فكر ابن باديس سنة 1924 م في تأسيس جمعية تتولى تنظيم الجهود وتقوم بالأعمال المختلفة ، والانشطة المتعددة من اجل يقظة الجزائر ، وبعثها وإصلاحها ، واختار لها اسم جمعية «الإخاء» واختار مدينة قسنطينة مركزا لها. لكن ظروفًا حالت دون قيام هذه الجمعية ، واستمر ابن باديس في متابعة جهوده فكان يجب البلاد والتفري ويتصل بالعلماء ويحث الناس على بعث أبنائهم الى « معهده » في قسنطينة حتى كثر تلاميذه ، وتضافرت الظروف الملائمة لتأسيس الجمعية ا

وفي عام 1931 م ، انعقد - بنادي « الترقى » في العاصمة الجزائر - مؤتمر حضره العلماء الجزائريون الذين يمثلون مختلف طوائف العلماء الموجودين في ذلك الوقت وبعد عدة اجتماعات ومناقشات أعلن المؤتمر عن تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » وتكوين مجلسها الإداري ، وانتخاب ابن باديس رئيسا لها في غيابه ، وانتخاب البشير الإبراهيمي نائبا لها ، وضم مجلسها الإداري مجموعة من العلماء والأدباء من بينهم « الطيب العقبي ، محمد الأمين المومري ، مبارك محمد الميلي ، وإبراهيم بيوض ، والمربي التبسي ، ومحمد خير الدين » .

وقد اقترن تأسيسها باحتفال فرنسا بالعيد الثوي لاحتلال الجزائر ، بعد ان تأكد للسلطة الاستعمارية انها قضت على الشخصية الجزائرية قضاء تاما . وان احتلال الجزائر أصبح احتلالا مؤبدا ، فكان تأسيس الجمعية في مثل هذه الظروف بمثابة الشعاع الذي يخترق حجب الظلام ليؤذن بقرب بزوغ الفجر .
وقد أعلنت الجمعية عن قانونها الأساسي وجاء فيه ما يلي :

1 - الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده ، وأرسل به جميع رسله ،
وكملة على يد نبيه محمد الذي لا نبي من بعده .

2 - الإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به وذلك لأنه :

- أولا : كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين يذكر بالأخوة الإنسانية
بين البشر أجمعين .

- ثانيا : يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان

- ثالثا لأنه يفرض العدل فرضا عاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييز .

- رابعا : يدعو إلى الإحسان العام .

- خامسا : يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أي أحد على أي أحد من
الناس .

- سادسا : يمجّد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير .

- سابعا ينشر دعوته بالحجة والاقناع لا بالختل والاكراه .

- ثامنا : يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون .

- تاسعا : اشتراك الفقراء مع الأغنياء في الأموال ، وشرع المزارعة والمغارسة مما
يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضي والأموال .

- عاشرا : يدعو إلى رحمة الضعيف فيكفي العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال
ويمن المظطر ويفات الملهوف وينصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم

- حادي عشر : يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه .

- ثاني عشر : يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس .

3 - القرآن هو كتاب الإسلام ، والسنة الصحيحة تفسير وبيان للقرآن ، وسلوك
السلف الصالح تطبيق صحيح لهدي الإسلام .

4 - ننعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيناه من الأحكام بالكتاب والسنة وعلى
السلف الصالح من الأئمة .

5 - عند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدخ الوحدة ، ويتحتم الأزر حتى تنفرج الأزمة - باذن الله - بقوة الحق وسلاح العلم والعمل والحكمة (*).

وهي في جملتها اهداف ترمي الى الاصلاح الديني والاجتماعي .

والحق انها كانت حركة بعث شاملة لمختلف جوانب الحياة ، وهيات المناخ الوطني العام الذي مارست فيه كل العناصر السياسية عملها الوطني بالجزائر المعاصرة ، بصرف النظر عن الانتماءات الحزبية المختلفة ، فجميع الحركات الوطنية التي جاهدت في سبيل تحقيق الاستقلال اسهمت في تحقيق هدف رئيسي من اهداف جمعية العلماء ، وان لم تنضم تحت لوائها او تطبق جميع اهدافها .

ومع ان الجمعية حاولت ان تنفي عن نفسها - خاصة في اول امرها - ان يكون لها اهداف سياسية ، لكنها لم تستطع ذلك ، واصبح لزاما عليها ان تصطدم بخصومها العديدين وهم : المستعمرون الفرنسيون من حكام ومعمرين واذئابهم من الجزائريين الخادعين والمخدوعين .

وعلى الرغم من هذه الخصومات المتعددة فقد استطاعت الجمعية ان تؤدي عملها ، وان تقوم بأعبائها في تحمل مسؤولياتها التاريخية ، وركزت نشاطها في عدة اوجه اهمها

(أ) تأسيس مدارس حرة لتعليم البنين والبنات .

(ب) الوعظ والارشاد وثقيف الكبار ، ومحاربة البدع والحرافات الدينية والاجتماعية ومقاومة الاحاد .

(ج) اصدار الصحف التي تعبر عن رأي الجمعية ، وتعمل على نشر اهدافها .

ومن خلال هذه الانشطة استطاعت ان توظف امة من سباتها وأن تنهض بشعب طال به عهد الاستعمار ، وتحملت في سبيل ذلك الوانا من العسف والظلم والظفیان ، ولم يخفت صوتها ولم تهدأ حركتها حتى نشبت الحرب العالمية الثانية ، وفرضت حالة

(*) من 152 (قال الشيخ الرئيس ابن باديس)

الطوارئ في البلاد ، فتجمد كل نشاط واستغلت الحكومة الفرنسية حالة الطوارئ فنكلت بعدد غير قليل من أعضاء الجمعية وعطلت كل أعمالها ، وفي أثناء ذلك توفي مؤسسها الأول الامام ابن باديس (1) .

وفاته :

كان امامنا ابن باديس نحيل الجسم ضعيف البنية ، لكنه كان جذوة مشتعلة من النشاط والحيوية والكفاح ، جند كل ساعات عمره لحركة الاصلاح ، فكان يعلم الصغار في الصباح ، ويعلم الكبار في المساء ، وفي الوقت نفسه يتابع نشاطه الصحفي وإدارة الجمعية . اما وقت فراغه فهو للتجوال في البلدان لتجميع الكلمة وتوحيد الجهود ، وافتتاح المساجد والمدارس والاندية وبث الحركة الاصلاحية عبر المدن والقرى .

ولم يمض ذلك كله دون أن يؤثر على صحته تأثيرا بالغا فأصبح في اواخر أيام عمره كما يقول البارودي : « اشلاء همة في ثياب » .

1 - في أثناء الحرب العالمية الثانية تجمد نشاط الجمعية بسبب حالة الطوارئ وتوفي ابن باديس وكان البشير مبعدا في منفاه ، فأصبح هو رئيسها والشيخ العربي التبسي نائبا لها .
وفي عام 1943 م عادت الجمعية الى نشاطها وحققت نجاحا في ميدان التعليم ونشره (راجع ترجمة البشير في هذا الكتاب ص 404) .

وعندما سافر الشيخ البشير الى الشرق العربي لتأدية نشاطه من هناك أصبح الشيخ العربي التبسي رئيسا عمليا للجمعية ، واستمر في الطريق الذي سلكته الجمعية ، وقد أصبحت جذورها متأصلة في القرى والجبال والمدن والسواحل والصحاري .

وفي شهر (جوان) من عام 1954 م أعلنت الجمعية أن قضيتها مع الحكومة الفرنسية في حرية التعليم والدين جزء من قضية الجزائر الصامة لا تحل إلا في إطار حل كلي لها ، وكان ذلك اوهاما بالتورة الملحة التي بدأت بعد ذلك بقليل .

وعلى اثر قيام جبهة التحرير بنشاطها المسلح في اول نوفمبر 1954 اصدرت الجمعية بيانا من القاهرة تدمو فيه الشعب الجزائري إلى خوض القتال حتى النصر ، وهكذا حملت هذه الجمعية مشعل النهضة يوحى برويدا وريدا حتى عم ضياؤه الافاق ، وأصبحت به الجزائر رائدة لمختلف الحركات التحررية في العالم الثالث .

لزيد من التفصيل راجع « ترجمة ابن باديس والبشير الابراهيمي والنصوص المختارة » لهما في هذا الكتاب . 2 - جوانب من الحياة العقلية والادبية - محمد طه الحاجري . 3 - قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، محمد طاهر فضلاء . 4 - ابن باديس حياته وآثاره : اعداد د: عمار الطالبي . 5 - الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحركة التحرير الجزائرية للدكتور محمود قاسم . 6 - الجزائر الثائرة : الفضيل الورتلاني . 7 - الامام الرائد محمد البشير الابراهيمي : محمد الطاهر فضلاء . 8 - عيون البصائر : البشير الابراهيمي . 9 - سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين . 10 - مجلة الشهاب : العدد الرابع عشر . 11 - المغرب العربي : صلاح العقاد . 12 - تاريخ الجزائر : محمد مبارك الميلي . 13 - نهضة الجزائر الحديثة : محمد علي دبوب .

ومع ذلك فقد ظل يتابع عمله الى ان اشتد به المرض ، وهو في مقره الدائم بمدرسة التربية والتعليم ، ثم غادرها الى دار ابيه قبيل وفاته بأيام قلائل . وفي مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول سنة 1359 هـ ، 16 افريل 1940 م انتقلت روحه الطاهرة الى الرفيق الأعلى ، وخرجت قسنطينة بأكملها تودعه الوداع الأخير ، وكان يوما مشهودا على الرغم من الظروف الاستثنائية التي كانت تعيش فيها البلاد بسبب الحرب العالمية . ودفن جثمانه في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة ، رضي الله عنه في الخالدين (1)

عوامل نبوغه :

اجتمعت عوامل متعددة أثرت في تكوين شخصية ابن باديس الثقافية ، واهم هذه العوامل ما يلي :

أولا : ذكائه واستمداده الفطري وقوة عزمته وإرادته الصلبة واحتماله الصعاب وقدرته على تخطي العقبات .

ثانيا : أسرته ، التي عرفت بالعلم والمجد والثراء ، فقد أعانته كثيرا بما هيأت له من فرص التفرغ للدراسة والتعليم ، وبما أمدته من معونة مالية جعلته حرا لا يتنيد بوظيفة أو عمل يكسب منه الرزق ويعوقه عن القيام بمهمته ، كما كانت درعا واقيا له من بطش المستعمرين ، لما تتمتع به من مكانة اجتماعية وتقدير لدى السلطة الحاكمة .

ثالثا : ثقافته الدينية والعربية وأعظمها أثرا في فكره وأسلوبه هو « القرآن الكريم » ، وقد تزود من ثقافة شيوخه في الجزائر وتونس ، وزار بلاد الحجاز ومصر وفرنسا ، واستفاد من اطلاعه الواسع في علوم اللغة والتاريخ والفقه والحديث والتفسير وغيرها .

رابعا : حركة الإصلاح في العالم الإسلامي والعربي ، وقد عاصر ابن باديس « حركة الإصلاح الديني » التي نادى بها « جمال الدين الأفغاني » ، و « رشيد رضا » وكان لجريدة « العروة الوثقى » ، ومجلة « المنار » أثر بارز في حياة ابن باديس الثقافية واتجاهه الإصلاحية .

خامسا : أحداث عصره وظروف مجتمعه ، فقد قضى ابن باديس فترة طويلة في تعليم التلاميذ وتهذيبهم ، واعداد المقالات في الأغراض السياسية والاجتماعية والأدبية والدينية لنشرها في الصحف المختلفة ، وكان يخاطب الجماهير في الاحتفالات الدينية والمهرجانات القومية ، وقد أثر كل ذلك في توجيه أدبه وجهة خاصة في شكله ومضمونه .

1 - ابن باديس ، حياته وآثاره : د. عمار طالبي ، ص 95 .

اشاره العلمية (*):

اسفر كفاح اكثر من ثلاثين عاما من حياة « الامام عبد الحميد بن باديس » عن
الشار التالية :

- 1 - تفسير القرآن الكريم كله في دروس انقاهما على تلاميذه استغرقت
ثلاثة وعشرين عاما .
- 2 - شرح «موطا الامام مالك» في «الحديث النبوي الشريف» تديسا (***)
وقد كتب بعض دروسه في التفسير والحديث ونشرها بمجلة «الشهاب» .
- 3 - مقالات وخطب ورسائل في موضوعات سياسية واجتماعية .
- 4 - تراجم لبعض الشخصيات الاسلامية والعربية .
- 5 - بعض المقطوعات الشعرية .

منهجه في التفسير والحديث :

نهج ابن باديس في شرحه نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف
منهاجا خاصا ، وفق فيه بين معطيات الاسلام الصالح لكل زمان ومكان ، وما يتطلبه
تطور العصر الحديث .

وتتضح خصائص منهجه فيما يلي :

- اولا : ربط الدين بالدنيا ، واتخاذ المبادئ الدينية اساسا لبناء المجتمع والنهوض به ،
وتربية الامة ، وتهذيب اخلاقها فكرا وسلوكا وعملا .
فندما يفسر قوله تعالى :

« أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ
إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا » (1).

يبدأ حديثه بذكر اسباب النزول وارتباط الآي بعضها ببعض ، ثم يشرح
الانماط والتراكيب ، ويعدها يفسر المعنى العام ويستخرج منه الأحكام ، ثم
ينتهي الى الجانب التعليمي التطبيقي ، فيقول :

(*) قامت دار مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، لاصحابها : مرزولة
وأبو داود وشركائهما بنشر كتاب « ابن باديس وآثاره » في أربعة أجزاء . وقد جمع هذا الكتاب
وقدم له الدكتور : عمار الطالبي .

(**) أقيم مهرجانان وطنيان بمناسبة اختتام دروس التفسير وشرح احاديث « الموطا » بقسنطينة .

1 - من سورة الاسراء ، الآية رقم 78 .

« فِي رِبْطِ الصَّلَاةِ بِالْأَوْقَاتِ تَعْلِيمٌ لَنَا لِنَرْبِطَ أُمُورَنَا بِالْأَوْقَاتِ وَنَجْعَلَ لِكُلِّ عَمَلٍ وَقْتَهُ ، فَلِلنَّوْمِ وَقْتُهُ ، وَلِلرَّاحَةِ وَقْتُهَا ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَقْتُهُ . وَبِذَلِكَ يَنْضَبُطُ لِلْإِنْسَانِ أَمْرُ حَيَاتِهِ وَتَطْرُدُ لَهُ أَعْمَالُهُ . وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ الْفِيَامُ بِالكَثِيرِ مِنَ الْأَعْمَالِ . أَمَّا إِذَا تَرَكَ أَعْمَالَهُ مَهْمَلَةً غَيْرَ مُرْتَبِطَةٍ بِوَقْتٍ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَضْطَرِبَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَيَتَشَوَّشَ بِنَاءِهِ وَلَا يَأْتِي إِلَّا بِالْعَمَلِ الْقَلِيلِ وَيَحْرَمَ لَذَّةَ الْعَمَلِ ، وَإِذَا حُرِمَ لَذَّةَ الْعَمَلِ أَصَابَهُ الْكَسَلُ وَالضَّجَرُ فَقَلَّ سَعْيُهُ ، وَكَانَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ عَمَلٍ - عَلَى قَلْتِهِ وَتَشَوُّشِهِ - بَعِيدًا عَنْ أَيِّ إِتْقَانٍ » (1) .

ثانيا : استبطان النفس الانسانية وملاحظة الظواهر النفسية في فهمه لنصوص الدين فعندما يفسر قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » (2) .

يربط نسق هذه الآية بما قبلها على اساس من فهم النفس الانسانية وتامل الطبيعة البشرية فيقول :

« قَدْ تَخْفَى عَلَيْكَ دَخِيلَةُ نَفْسِ الْإِنْسَانِ فِيمَكَ أَنْ تَعْرِفَهَا بِمَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ فَإِذَا جَرَّتْ كَلِمَاتُهُ بِمَعْبَةِ انْتِشَارِ الْخَيْرِ وَالْكَمَالِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَإِذَا جَرَّتْ بِالضِدِّ فَهُوَ عَلَى الضِدِّ ، فَمَا يَحِبُّ الْإِنْسَانُ انْتِشَارَهُ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى صِفَاتِ نَفْسِهِ ، وَهُوَ مِيزَانُ تَرْبُؤِهِ بِهِ فِي الشَّرِّ وَالْخَيْرِ ، وَالنَّفْسِ وَالْكَمَالِ » (3) .

ثالثا : ميله الى التحليل عن طريق الحوار الذاتي ، وذلك بأن يورد سؤالا أو اعتراضا ثم يتولى الاجابة عنه بنفسه ، من ذلك مثلا عندما يشرح قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ « (4) .
فيتساءل ويجيب : « قَدْ يُقَالُ فَمَا هِيَ الْفَائِدَةُ إِذَا فِي تَخْصِيصِ الصَّالِحِينَ بِالذِّكْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؟ » .

والجواب : « أَنْ هَذِهِ الْآيَةَ خُوطِبَ بِهَا الصَّحَابَةُ بِمَكَّةَ ، وَهُمْ الصَّالِحُونَ لِيَعْلَمُوا مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ قُوَّةَ الْبَاطِلِ إِلَى ضَعْفٍ ، وَأَنْ ضَعْفَ الْحَقِّ إِلَى قُوَّةٍ » (5) .

ولا شك في أن منهجه التربوي هو الذي دفعه الى هذه الطريقة ، لان إلقاء السؤال يثير الانتباه ، فاذا جاء الجواب بعده كان ابقى في نفوس السامعين ، واعظم نفعا وفائدة .

1 - ابن باديس ، ج. 1 ، ص. 312 2 - من سورة الفرقان ، الآية رقم 74 . 3 - راجع تفسير ابن باديس ، ج. 1 ، ص. 492 . 4 - من سورة الآية رقم 104 . 5 - ابن باديس ، ج. 1 ، ص. 355 .

وبهذه الطريقة التربوية الرشيدة سار الامام ابن باديس في شرح الاحاديث النبوية الشريفة .

ويعتبر هذا المنهج العصري في فهم الدين وربطه بظروف العصر والزمان والبيئة والمجتمع خطوة موفقة في احياء الدين ، وقد سار عليها كل من الاستاذ « محمد عبده » والاستاذ « رشيد رضا » ، ثم الامام « ابن باديس » الذي قدر له ان يتم شرح القرآن الكريم كله على هذا المنهج .

أدبه السياسي :

غلب الطابع التربوي على انتاج « ابن باديس » الادبي من حيث الصورة الظاهرية وبرزت الروح السياسية واضحة من خلال ما تناوله في دروسه العلمية وادبه الاجتماعي بين الاخفاء والتصريح .

بين الاخفاء والتصريح :

لم يعلن ابن باديس صراحة في بداية نشاطه انه يهدف الى غايات سياسية حفاظا على حركته من ان يعصف بها اعداؤه في مهدها ولذلك كان - احيانا - يهاجمهم بصفته الشخصية لا كمسؤول عن جمعية العلماء (*) .

ولكن اهدافه السياسية اخذت تظهر شيئا فشيئا عندما بدأ يصطدم بخصومه الذين انكروا عليه وعلى جماعته التدخل في الشؤون السياسية بحجة انهم علماء تربية ودين . فأجابهم محتجا بقوله :

« تَمَّ مَا الْعَيْبُ الَّذِي يُعَابُ بِهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا شَارَكُوا فِي السِّيَاسَةِ ؟ فَهَلْ خَلَّتِ الْمَجَالِسُ النِّيَابِيَّةُ السُّكْرِيَّ وَالصُّفْرَى مِنْ رِجَالِ الدِّيَانَاتِ الْآخَرَى ؟ وَهَلْ كَانَتِ الْإِكَادِمِيَّةُ الْفَرَنْسِيَّةُ خَالِيَةً مِنْ أَنْارِ الْوَزِيرِ الْفَتْسِيْسِ رَشَالِيو ؟ » .

ثم يفصح ابن باديس عن اهدافه السياسية في صراحة وجراة وثقة بالله وبالنفس فيقول :

« إِنَّ الْإِسْتِقْلَالَ حَقٌّ طَبِيعِيٌّ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْ أُمَّةِ الدُّنْيَا . وَقَدْ اسْتَقَلَّتْ أُمَّمٌ كَانَتْ دُونَنَا فِي الْقُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْمَنْعَةِ وَالْحَضَارَةِ ، وَلَسْنَا مِنَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ عِلْمَ الْفَيْبِ مَعَ اللَّهِ وَيَقُولُونَ إِنَّ حَالَةَ الْجَزَائِرِ الْحَاضِرَةَ سَتَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ . فَكَمَا تَقَلَّبَتِ الْجَزَائِرُ مَعَ التَّارِيخِ فَمَنْ الْمُمْكِنُ أَنْ تَزْدَادَ تَقَلُّبًا . . وَتُضَيِّحَ الْبِلَادُ الْجَزَائِرِيَّةَ مُسْتَقْلِلَةً اسْتِقْلَالًا وَاسْعًا تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فَرَنْسَا اعْتِمَادَ الْحَرِّ عَلَى الْكَرْ » (**)

(*) راجع منشور المقاطعة من بين نماذج ادب ابن باديس في هذا الكتاب .

(**) ابن باديس ، ج . 3 ، ص . 321 .

سياسة اصيلة :

ونزعة ابن باديس السياسية اصيلة تعبر عن ارادة الامة الجزائرية ، فليست تقليدا او ترديدا لحركة سياسية من حركات الامم الاخرى ((ليس في حركتنا الدينية ولا في الحركة السياسية يدٌ خارجية)) .

وقوام هذه السياسة هي تأكيد الشخصية الجزائرية كشخصية عربية مسلمة :

شَعَبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ

موقفه من فرنسا :

ومن ثم حارب ابن باديس فكرة اندماج الجزائر بفرنسا :

((إِن هَذِهِ الْأُمَّةَ الْجَزَائِرِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ فَرَنْسَا ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ فَرَنْسَا ، وَلَا تَرِيدُ أَنْ تَصِيرَ فَرَنْسَا ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصِيرَ فَرَنْسَا وَلَوْ أَرَادَتْ . بَلْ هِيَ أُمَّةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ فَرَنْسَا كُلِّ الْبُعْدِ فِي لَفْتِهَا وَفِي أَخْلَاقِهَا ، وَفِي عُنُصُرِهَا ، وَفِي دِينِهَا لَا تَرِيدُ أَنْ تَنْدَمَجَ . وَلَهَا وَطَنٌ مُخَدَّدٌ هُوَ الْوَطَنُ الْجَزَائِرِيُّ (١) .

وقد اتخذ ابن باديس من فرنسا موقفا ذكيا حكيما مقنعا ، فهو يلخص موقفها من الجزائر في هذه الكلمات :

((إن الذي يناسب سمعة فرنسا ومبادئها ويصدق ما ينادي به خطابها ويكون اجمع للقلوب عليها ، هو ان تعني بالمباد كما تعني بالبلاد)) (2) .

ثم يذكر ابن باديس المستعمرين الفرنسيين بموقف الجزائر من فرنسا خلال ازماتها السياسية ويطلبها بأن ترد الى الجزائر شيئا من ذلك :

((إن الأمة الجزائرية قامت بواجبها نحو فرنسا في أيام عُسْرِهَا وَبُسْرِهَا وَمَعَ الْأَسْفِ لَمْ تَرَ الْجَزَائِرَ قَدْ نَالَتْ عَلَى ذَلِكَ مَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ جَزَاءَهَا ، فَحَنُّ نَدَعُو فَرَنْسَا إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ مَبَادِئُهَا الثَّلَاثَةُ التَّارِيخِيَّةُ (الْحُرِيَّةُ ، وَالْمَسَاوَاةُ ، وَالْأَخُوَّةُ) مِنْ رَفْعِ مَسْتَوَانَا الْعِلْمِيِّ وَالْأَدَبِيِّ)) (3) .

الولاية في الاسلام :

ويرى ابن باديس ان الولاية في الاسلام تقوم على اسس معينة ، يجب ان تسود في الامم الاسلامية المستقلة او الامم المجاهدة في سبيل استقلالها ، وهذه الاسس تتلخص في ان السلطة ملك للامة يتولاها اقدر الناس على القيام بها ، وان الامة رقيقة

1 - ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 390 . 2 - ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 279 . 3 - ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 279

عليها باعتبارها مصدر السلطة ، وان عليها ان تؤيدَ الحاكم وتتضامن معه باعتبارها شريكة له في المسؤولية ، ومن حقها ان تقومَ اعوجاجه وتنصحه وترشده وتحاسبه على اعماله ، ومن حقها ان تعرفَ الخطَّة التي يسيرُ عليها وليس له الحقُّ في ان يحكمَ الا بالقانون الذي ارتضته الأمة لنفسِها ، وابتاؤها جميعا سواءً امام القانون (4) .

ويُفَرِّقُ ابنُ باديس في نظره الى الوحدة العربية بين النواحي السياسية ، والقومية او الادبية ، فهي بالمعنى الثاني قائمة لا محالة لما بين شعوب الامة العربية من روابط الجنس واللغة والتاريخ والالام والآمال .

اما الوحدة السياسية ، فانه يرى عدم امكانية قيامها في ذلك الوقت ، لان الاستعمار لا يسمح بقيامها ، والوحدة السياسية لا تتم الا بين دول تملك امرَ نفسها . ويرى انه من الخير للشعوب العربية الواقعة تحت زير الاستعمار ان تعملَ كلُّ واحدة منها في دائرة وصعيتها الخاصة ، كل دولة وما يناسبها من الخطط السياسية التي تستطيع تنفيذها بالطرق المعقولة الموصلة مع الشعور التام بالوحدة القومية والادبية العامة والمحافظة عليها والمجاهرة بها (2) .

الخلافة الاسلامية :

فرق ابن باديس بين الخلافة الاسلامية كنظام شورى يجمع قوة المسلمين ، وبين الخلافة الاسلامية الزائفة التي كانت مطية للمستعمرين يفتنون بها عَضدَ المسلمين ويمزقون وحدثهم ، فهذه الخلافة ، لا يرى ابن باديس خيرا فيها ، فقد كانت نكبة على المسلمين ، إذ فتنوا بها لغير جدوى ، وحاربهم من اجلها الدول الغربية المتعصبة والمتخوفة من الاسلام (3) .

وكان ابن باديس من دعاة الوحدة بين جماعة المسلمين ، ووحدة تقوم على الجماهير لا على الحكومات والنظم ، لانه لا يثق في الحكومات الوهمية بينما يثق في الجماهير ثقة مطلقة ، لان ضميرها حي لا يموت (4) .

اما نزعه الانسانية العالمية في سياسته ، فانه يعبر عنها في قوله :

« إِنَّا نَحِبُّ الْإِنْسَانِيَّةَ ، وَنَعْتَبِرُهَا كُلًّا ، وَنَحِبُّ وَطَنَنَا وَنَعْتَبِرُهُ مِنْهَا جُزْءًا . . . وَنَحِبُّ مِنْ يَحِبُّ الْإِنْسَانِيَّةَ وَيَخْدُمُهَا ، وَتُبَغِّضُ مِنْ يُبَغِّضُهَا وَيَلْذَمُّهَا » (5) .

أدبه الاجتماعي :

غلب الأدب الاجتماعي على إنتاج ابن باديس ، وتناول فيه موضوعات متعددة ، وعالج قضايا مختلفة من أهمها :

(4) ابن باديس ج. 3 ، ص. 461 .

(2) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 398 .

(3) ابن باديس ج. 3 ، ص. 411 .

(4) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 410 .

(5) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 278 .

1 - الدين : كان من أهم أهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر القضاء على الشخصية الجزائرية التي يُعْتَبَرُ الدينُ الاسلاميُّ أول مقوماتها ، فاستعان المستعمرون على ذلك ببعض رجال الطرق ، وراح هؤلاء يبثون خرافاتهم بين عامة المسلمين ، فتصدى لهم الامام ابن باديس وهاجمهم هجوما عنيفا . يخاطبهم قائلا :

« أقول لكم بغاية الصراحة إنكم تجهلون أصول الإسلام ، لأنكم لم تتعلموها ، وأنكم بضرورة ذلك مخطئون فيما تتسبونونه إليه ، وأن الناس لعلمهم بذلك منكم لا يفتنون بشئ مما تقولون » (1) .

وليس الدين في نظر ابن باديس مجرد ظاهرة اجتماعية يدلي برأيه فيها كما يفعل عادة المفكرون والأدباء ، وإنما نظر الى الدين نظرة شاملة فعمله دستور الحياة ، ومنهج تربية الأمة ، والأساس الذي ينهض عليه المجتمع الانساني الرفيع .

2 - التعليم : التعليم هو اساس اصلاح الامة في نظر ابن باديس ، وقد عبر عن هذه الحقيقة في قوله :

« لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم ، فإنما العلماء من الامة بمثابة القلب اذا صلح صلح الجسد كله . . ولن يصلح العلماء الا اذا صلح تعليمهم . . ولن يصلح هذا التعليم الا اذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه ، في مادته وصورته » (2) .

وساء ابن باديس ما رآه من ابتعاد العلماء عن الكتاب والسنة في طريقة التعليم ، كما عاب عليهم تفكيرهم وعدم اجتهادهم : « فالعلماء - إلا قليل منهم - اجانب او كاجانب من الكتاب والسنة ، من العلم بهما ، او التفقه فيهما » (3) .

3 - النقد الاجتماعي : لقد تصدى ابن باديس للدفاع عن دينه ومجتمعه ، فكان يهاجم خصومه بالرفق حيناً ، والعبث أحياناً ، ولكنه التزم بمبدأين في نقده الاجتماعي .

اولهما : انه لم ينقد الأشخاص لذواتهم ، وإنما كان ينتقدهم لصفاتهم التي تتصل بالوطن والمواطنين .

« وأما صفاتهم واعمالهم العمومية فهي التي تتعرض لها ، وننقدها ، فننقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء وكل من يتولى شأنا عاماً من أكبر كبير إلى أصغر صغير من الفرنسيين او الوطنيين » .

(1) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 14

(2) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 217

(3) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 219

ثانيهما : الموضوعية في النقد ، والتزام الصدق والنزاهة . يعبر عن ذلك بقوله :
 « وسنسلك في انتقادنا طريق الحقيقة المجردة والصدق والأخلاص
 والنزاهة والنظافة في الكلام » .

4 - المرأة : نظر ابن باديس الى المرأة نظرة المصلح الواعي ، ولاحظ ان مكانتها في
 المجتمع الجزائري دون المستوى اللائق ، وراى ان النهضة الحديثة لا تقوم على
 عائق الرجال دون النساء ، فطالب بوجوب تعليم المرأة ، والحفاظ عليها من
 مفاتن السفور ، وقال في ذلك :

« إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارتفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترتفعوا
 حجاب الستر عن وجهها ، فإن حجاب الجهل هو الذي آخرها ، وأما حجاب
 الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها ، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة
 وبنات بجاية مكانا عاليا في العلم وهن متحجبات » (1) .

ويرى ابن باديس : « ان العلوم التي تليق بالمرأة هي العلوم التي تمدها
 لأقومتها حتى ينشأ على يدها جيل ينتفع به الوطن . وهي ربة البيت وراعيتة ،
 والمضطرة بمقتضى هذه الخلقية للقيام به ، فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه
 للقيام بوظيفتها وتربيتها على الاخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة ،
 لا نصف رجل ونصف امرأة ، فالتى تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير
 بنفسها » (2) .

وام ير ابن باديس مساواة المرأة بالرجل مساواة تامة في ممارسة جميع
 الاعمال . وقد عاب على من ذهب الى هذا الراي ، فعندما قرا كتاب « امرأتنا
 للشيخ الطاهر الحداد » علق عليه بقوله :

« ما توقعت أن يكون ممن يدعون إلى الذهاب بها في تيار المدنية الغربية
 إلى ما يخرجها عن حدود دينها ووظيفة انوتها » (3) .

التراجم والسير :

كان ابن باديس شغوفا بسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وسيرة صحابته
 المكرمين ، وعظماء الاسلام السابقين من الرجال والنساء ، فكتب سيرا موجزة عن
 بعضهم مثل « عبادة بن الصامت » و « سعد بن الربيع » و « ابي ذر الفقاري » و « هند
 بنت عتبة » و « الخنساء » ، وغيرهم . .

وقد غلب على دراسته لهم ذكر اخبارهم وتوضيح العبرة والموعظة في سيرتهم ،
 والتركيز على المواقف البطولية في حياتهم ليتخذ من كل ذلك وسائل يعلم بها تلاميذه
 ويبعث بها الى امته .

(2) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 369 .

(1) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 464 .

(3) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 475 .

شعره :

إن إنتاج ابن باديس في ميدان الشعر لا يتجاوز القصيدتين أو الثلاث ، ومن أشهر شعره ، قصيدته التي كتبها إثر رجوعه من فرنسا عام 1937 م ، والتي حارب فيها فكرة إدماج الجزائر في فرنسا ، والّح على توضيح معالم الشخصية الجزائرية وهي العروبة والاسلام :

شَعَبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَادًا عَنْ أَصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ

وقد رسم ابن باديس في هذه القصيدة طريق الثورة ضد المستعمرين واعوانهم من الخونة أو السليبين . أما المستعمرون فلمه الويل والدمار :

وَأَذِقْ نَفُوسَ الظَّالِمِينَ السَّمَّ يُمَزَّجُ بِالرَّهْبِ

وأما الخونة والعملاء فهم كالشجرة الخبيثة لا تنبت الا خشا ، وخير علاج لها ان تجتث من الارض :

وَأَقْلَعْ جُدُورَ الخَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلُّ العَطَبِ

وأما السليبيون والغافلون فقد يستفيقون على صيحات الاحرار فيصبحون قوة يشند بها عضد المجاهدين :

وَاهْزُرْ نَفُوسَ الجَامِدِينَ فَرُبَّمَا حَيَّيَ الخَشَبِ

وكان الشاعر الملهم كان يرهص بمسيرة النضال في الجزائر ، فقد سارت كتاب جيش التحرير على هذه الطريقة وحقت للجزائر حريتها واستقلالها .

وللامام ابن باديس شعرٌ دينيٌّ يُنبئُ عن ايمانٍ وصدقٍ بالله ورسوله واعتزازٍ بالاسلام والعروبة .

المجدُ لله ثم المجدُ للعرب	من أنجبوا لبني الإنسان خير نبي
ونشروا ملةً في الناس عادلةً	لا ظلمَ فيها على دين ولا نسب
وحرروا العقل من جهلٍ ومن وهمٍ	وحرروا الدين من غشٍّ ومن كذب
وحرروا الناس من رقي الملوكة ومن	رقي القداسة باسم الدين والكتب
قومي هم وبنو الإنسان كلهم	عشيرتي وهدى الإنسان مطلبي
أدعو إلى الله لا أدعو إلى أحد	وفي رضى الله ما نرجو من الرغب

ويختتم احدى خطبه بهذه الايات :

أَشْعَبَ الْجَزَائِرِ رُوحِي الْفِدَا
بَنَيْتَ عَلَى الدِّينِ أَرْكَانَهَا
خَلَدْتُمْ بِهَا وَبِكُمْ خُلِدَتْ
فَدُومُوا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى الْفَنَاءِ
لِمَا فِيكَ مِنْ عِزَّةٍ عَرِيَّةٍ
فَكَانَتْ سَلَامًا عَلَى الْبَشَرِيَّةِ
بِهَذِي الدِّيَارِ عَلَى الْأَبَدِيَّةِ
وَحَتَّى تَتَأَلَّوْا الْحُقُوقَ السَّيِّئَةَ
وَإِيمَانِكُمْ وَالنَّفُوسِ الْإِيَّةِ
يَدَاتِي وَرُوحِي عَلَيْكُمْ صَحِيَّةِ
تَتَأَلُّونَهَا بِسَوَاعِدِكُمْ
فَضَحُّوا ، وَهَذَا أَنَا بَيْنَكُمْ

وإذا تأملنا هذا الشعر وجدناه قليلا ، ولم يتناول اغراضا كثيرة ، واولى ان نسميه
((اناشيد وطنية)) حماسية .

وافكاره بسيطة ومعانيه واضحة ، ردها الشاعر في نثره كثيرا ومعظمها مبادئ
وقيم تقوم عليها دعوته الاصلاحية للنهوض بالمجتمع الجزائري .

واسلوبه سهل فصيح لم يعتمد على الخيال او الصورة الفنية ، وموسيقاه
خفيفة تساعد على الحفظ والانشاد .

شخصيته الادبية وخصائص اسلوبه :

1 - الامام ((عبد الحميد بن باديس)) مصلح اجتماعي ورائد نهضة قومية ، اتخذ من
الفنون الادبية اداة طيبة في تحقيق اهدافه الاصلاحية ، واكثر ألوان الفنون
الادبية ملاءمة لهذا المنهج هما : **الخطابة والمقالة** ، وذلك لان الخطابة - كما عرفت
هي وسيلة من وسائل الاتصال المباشر بين المصلح والجمهور ، وبها يؤثر فيهم
معتمدا على اسلوبه وشخصيته . **والمقالة** : هي الوسيلة الفعالة لنقل الافكار ،
وتنظيم الاتصال بين المصلح واتباعه المتفرقين في عديد من الجهات .

ومن ثم فان ابن باديس اعتمد على هذين اللونين من ألوان الفنون الادبية
اعتمادا كبيرا الى درجة يمكن معها القول بأنه اقتصر عليهما دون غيرها من سائر
الفنون الادبية الاخرى .

وقد كان ابن باديس بارعا يؤثر في الناس بقوة روحه وحسن سلوكه وصدق
عاطفته ، وبلاغة حجته ووسائل اقناعه ، وسهولة تعبيره ووضوح افكاره . ومعظم
خطبه يرتجلها ارتجالا في مناسبات سياسية او اجتماعية او دينية .

ولابن باديس باع طويل في فن المقالة ، وقدم راسخ في تدبيجها بالوانها المتعددة
وقد تميزت مقالاته بتجديد موضوعها وترتيب افكارها وقوة حجتها ووضوح
معانيها وسهولة الفاظها .

2 - وأوضح ما يتميز به أدبه على اختلاف موضوعاته سياسية أو اجتماعية وعلى اختلاف ألوانه من مقالة أو خطبة أو محاضرة ، هو امتزاجه بالفكر الإسلامي وربط الموضوع الذي يعالجه بمبادئ الدين الإسلامي في معناه الشامل ، ومن ثم فقد كثر في أدبه الاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وقد ورد فيه أحيانا أمثلة من مواقف المسلمين العظماء .

3 - وليس للنزعة الفنية الذاتية نصيب في أدب ابن باديس ، لأنه أدب موجه لخدمة المجتمع ، ولذلك فقد اتصف بالصدق والأصالة ، وجاء تعبيرا عن تجاربه الحية ومواقف طبيعية ، وسجل أحداث عصره تسجيلا أميناً .

4 - وكان لمنهج الالتزام أثر في اتخاذ هذا الأدب طابعا فكريا موحداً لم يحد صدوره عنه ، لأنه يعكس مبادئ وقيما بينة المعالم متناسقة النتائج ، وإن اختلف ألوان الثوب الذي يرتديه من مجاهرة صريحة الى مداراة مقصودة تبعاً لاختلاف الظروف السياسية التي تعرض لها الكاتب وخاصة في أدبه السياسي .

5 - ولابن باديس شعر انشادي يلائم منهجه الإصلاحية وخطته في النهوض بأمة وربما لا تتفق كثيراً طبيعة الشعر مع طريقة الدعاة والمصلحين ، فبينما يعتمد الشعر على تصوير حالات شعورية طارئة تعتمد على الخيال وتقوم على التصوير الفني ، يلجأ المصلحون الى التعبير عن الواقع بما فيه من ظواهر اجتماعية وتحديد منهج دقيق محدد لمعالجة ما فيه من أمراض ، وبذلك المنهج يتجنبون العقبات أو الانفعالات التي قد تنحرف بهم عن سواء السبيل .

6 - ومع ان ابن باديس كان هادئ الفكر رحب الصدر في المناقشة ، لكنه كان صارماً حاداً أحيانا عندما يرى ان هذا الأسلوب هو اللائق بمن يخاطبهم ، ومن ذلك ما قاله في الرد على خصومه الذين عرضوا به وبخطته ووضعوه في مأزق حرج مع المستعمرين :

« لَوْ كُنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْطَّ إِلَى تِلْكَ الدَّرَكَةِ السَّافِلَةِ ، وَنُجَارِيَ أَوْلِيكََ المحررين ، في أسلوبيهم ، لقلنا لهم : إنهم انذالٌ سفهاءٌ ، ليس لهم ضميرٌ ولا يعرفون شهماةً ولا كرامةً . . ولنا من آدابنا الإسلامية وشهامتنا العربية ما يمنعنا عن الانغماس في مُسْتَقْعِمِهِمُ النَّسْنِ » (1) .

7 - وكان بعث اللغة العربية هدفاً من أهداف ابن باديس فكراً وتطبيقاً ، ولهذا حرص على استخدام اللغة العربية الفصيحة في أدبه وتدريسه وخطابته ، واختارها لغة سهلة بسيطة تصل الى مدارك الناس دون مشقة أو عناء . ومع هذه البساطة حرص على سلامتها وقوة بنائها ، وإن كان يستخدم أحيانا بعض الكلمات الفرنسية الشائع استعمالها بين الناس ، من ذلك قوله :

(1) ابن باديس ، ج 3 ، ص 319 .

« لقد تَجَوَّلَتْ وَفُودُ الْجَمْعِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ ، وَكَانُوا يَلْقَوْنَ مِنْ شُيُوخِ
البلدان - الأُمَيار - كُلَّ تَقْدِيرٍ » (١) .

وقوله :

« وَابْنُ مَسَاعِدَةَ شَاهَدَنَا مِنْ الْحُكُومَةِ ، وَقَدْ أَقَرَّتْ قَرَارَ - بْرِيفِي -
الجزائر الذي يمنع رجالَ الجمعيَّةِ من وَعْظِ العَامَةِ وإرشادهم في المساجد » .

وكلمة « الأُمَيار » : جمع « مير » (MAIRE) ، وهو رئيس البلدية .

وكلمة « بْرِيفِي » : (PREFET) ، وهو الوالي .

ومثل هذه الألفاظ لا تعيب أسلوبه بل تجعله نمطا متميزا بين أسلوب
أدباء عصره .

المناقشة :

- 1 - كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائرية دور في التربية والصحافة . فما هي
مبادئ هذا الكفاح ، وما رأيك فيها ؟
- 2 - ما موقف « ابن باديس » من المرأة ؟ وما رأيك في موقفه ؟
- 3 - ما معنى الالتزام في الأدب ؟ ولماذا نعتبر « ابن باديس » أدبيا ملتزما ؟
وما أثر هذا الالتزام على فكره ؟
- 4 - بماذا تميزت المقالة في أدب « ابن باديس » ؟
- 5 - لابن باديس مقطوعات شعرية . ما رأيك فيها ؟ ناقش ذلك بالتفصيل .
- 6 - بين أهم خصائص أسلوب « ابن باديس » مع التمثيل .

(١) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 282 .

محمد البشير الابراهيمي



(1889 - 1964 م)

مولده ونشأته :

وإد « البشير الإبراهيمي » بأولاد براهيم براس الوادي ، بولاية سطيف في الشرق الجزائري عام 1889 م . ولم تكن أسرته على جانب من الثراء والجاه ، ولكنها كانت معروفة بالعلم والدين .

نشأ البشير في بيت والده الذي اهتم بتربيته وتعليمه ، فدفعه إلى أحد شيوخ قريته ليعلمه القرآن الكريم . ولما بلغ سن التاسعة أتم حفظ القرآن الكريم كله ، وبعد ذلك تولى تربيته وتثيقه عنه « محمد المكي » الذي كان معروفاً بالعلم والتقوى . فرباه أحسن تربية ، وعلمه الدقة والتنظيم في شؤون حياته ، فكان يستيقظ أو ينام في موعد محدد ، ويطلع دروسه في مواعيد منتظمة ، وقرأ عليه كثيراً من العلوم اللغوية والأدبية والدينية ، وكان البشير شغوفاً به مجباً له فلازمه وتأثر به . وقد وقد إلى دار عمه بعض أبناء قريته والقرى المجاورة لها يقيمون عنده ويتلقون العلم على يديه . وعندما بلغ البشير الرابعة عشرة من عمره ، فاجأه القدر بوفاة عمه ، ثم تولى هو مهمة تعليم تلاميذ عمه حتى هجرته إلى المدينة المنورة .

هجرته إلى المدينة المنورة :

منذ وطلت أقدام المستعمرين الفرنسيين أرض الجزائر والاحرار لا يطيقون المقام فيها ، وطلاب العلم والدين متمطشون الى الهجرة بعد ان ضيق المستعمرون الخناق عليهم .

وشهدت الجزائر حركتين كبيرتين للهجرة ، كانت الأولى عام 1885 م والآخرى عام 1911 م عندما ارادت فرنسا ان تطبق تنفيذ قانون التجنيد الإجباري على الجزائريين ، وقد هاجر في المرة الثانية عدد كبير من الاسر الجزائرية ، وأتجه معظم المهاجرين إلى الحجاز ومصر والشام وتركيا ، وإلى جانب الهجرات الجماعية كانت هناك الهجرات الفردية في فترات مختلفة ، من ذلك هجرة أسرة البشير الإبراهيمي إلى المدينة المنورة عام 1908 م ، وقد لحق بها محمد البشير عام 1912 م . وفي طريقه إلى المدينة المنورة ، مر بمصر ، وأقام فيها ثلاثة أشهر تعرّف خلالها على بعض الجوانب الحضارية والفكرية في تلك البلاد ، والتقى ببعض علمائها وأدبائها وشعرائها من أمثال : « الشيخ سليم البشري ، والشيخ محمد بخيت ، وأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم » ، وغيرهم .

وعندما استقر في المدينة المنورة دَرَسَ البشير « صحيح مسلم » ، و « مَوْطَا الإمام مالك » وتَلَمَّذَ على كبار العلماء في المدينة المنورة في ذلك الوقت ، من أمثال : « الشيخ أحمد الفيض آباد الهندي ، والشيخ الوزير التونسي ، والشيخ حمدان الويسي القسنطيني ، والشيخ محمود الشنقيطي » !

وتردد البشير على المكتبات الموجودة في المدينة المنورة ، وحَفِظَ من علومها وَاطَّلَعَ على بعض مخطوطاتها النادرة .

وفي اثناء إقامته بالمدينة المنورة التَقَى بصديقه الشيخ « ابن باديس » الذي وَقَدَ إليها قاصدا الحج عام 1913 ، وَتَوَقَّعتِ الصَّلَة بينهما .(*)

ويؤكد البشير ان هذه الايام التي قضاها مع صاحبه ابن باديس في المدينة المنورة من عام 1913 م هي التي شهدت مولد تأسيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ، وإن كان ظهورها قد تأخر إلى عام 1931 م .

رحلته إلى الشام :

أمرت الحكومة العثمانية عام 1917 م سكان المدينة المنورة كُلِّهم بالرحيل عنها إثر الثورة التي قام بها الشريف حسين بن علي ضد تركيا ، فخرج البشير مع ثمانين الف نسمة من سكانها متجهين إلى دمشق ، واختير استاذا للمدرسة السلطانية ، وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في ذلك الوقت .

رجوعه إلى الجزائر :

قرر البشير ان يعود إلى الجزائر عام 1920 م لياخذ مكانه في صفوف الجهاد في سبيل نشر العلم وبعث الامة الجزائرية ، ويعمل جَنِبًا إلى جنب مع صديقه ابن باديس .

وكم كان إعجاب البشير عظيما بالنتائج التي وصل إليها ابن باديس في حركته التعليمية عندما شاهد من بين تلاميذه نُحْبَة ممتازة يَدَبُّجُونَ المقالات وَيَنْظُمُونَ الأشعارَ ويمثلون جيلا يبشر بنهضة فكرية عظيمة .

واخذ البشير دَوَّرَه في الجهاد التعليمي ، فكان يعلم التلاميذ في بلدته ، ويُلقِي بعض الدروس في المساجد ليقفه الكبار ، وفي الوقت نفسه كان يمارس التجارة ، وبين الحين والآخر يلتقي بصديقه « ابن باديس » فَيَنْظِمَانِ الجهود وَيُرْسِمَانِ الخطط ويواصلان انكفاح .

(*) كما مر بك ذلك في ص 393 من هذا الكتاب .

وفي عام 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكان للبشير فضلٌ كبير في تأسيسها ، وهو الذي وضع دستورها . وقد لاحظ أن هناك بعض المفسدين لهم سُمّة العلماء وليسوا بعلماء ، وقد أرادوا التدخل للاستيلاء على الجمعية وحصلوا على عضوية تسمح لهم بالترشيح والانتخاب ، فأحتاطَ البشير من هؤلاء العلماء المزعومين ، واشترط لعضوية الجمعية أن يكون العضو العامل معروفًا بانتسابه إلى مؤسّسة علميّة معترفٍ بها ، أو حاصلًا على مؤهل علمي منها ، والذين لا يملكون شيئًا من ذلك عليهم أن يتقدموا إلى أداء امتحانها ، عندئذ هرب هؤلاء المفسدون وأنخَبَ البشير وكِلا للجمعية ، وباتساع نشاط الجمعية في ميادين التعليم وإنشاء المدارس والمساجد والأندية ، اتسع المجال الذي عيّل فيه البشير فقام بنشاط ملحوظ

ظل البشير الإبراهيمي يواصل جهوده حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، وطلبت فرنسا من رجال الجمعية أن يؤيدوها في موقفها ضد دول المحور ، لكن العلماء لم يفعلوا ، وانتهزت فرنسا هذه الظروف المضطربة المعصية إبانَ الحرب ورات التخلص من كبار أعضاء الجمعية ، فدبرت لهم المكائد ، وألقت بنفر منهم في السجون بتهم ملفقة ، وحددت إقامة البشير في « أفالو » على مقربة من « تيارت » . وفي هذا المنفى قضى البشير أيامًا ثقيلة بالهموم ، فقد تلقى خبر وفاة صديقه ابن باديس بعد أيام قليلة من المنفى ، وتحملَ البشير مسؤولية رئاسة جمعية العلماء المسلمين ، فأخذ يديرها عن طريق المراسلة خلال مدة الحرب .

وبعد ثلاثة أعوام من المنفى خرج البشير أصْلَبَ عُوْدًا وأكثرَ نشاطًا وأشدَّ عزمًا ، فرآح يتابع الجهود التي توقفت اثناء فترة الحرب فأعاد إصدار جريدة « البصائر » وأشرف على تحريرها ، ولم يكن رَمّةً غَيْرَها من الصحف العديدة التي أنشأتها الجمعية .

أما في مجال التعليم فقد ضرب فيه الشيخ البشير بسهم وافر ، وحقق فيه انتصاراتٍ عظيمةً وقد بلغ عدد المدارس الحرة الشعبية التي أنشئت في عام واحد أكثرَ من سبعين مدرسة ، وقام البشير بعدة إصلاحات هامة في هذا الميدان أهمها :

1 - توحيد التعليم بقيادة لجنة عليا اشرف بنفسه عليها .

2 - تأسيس معهد ابن باديس في قسنطينة عام 1947 م للتعليم الثانوي الذي كان يمنح طلابه شهادة تعليمية تعادل شهادة « البكالوريا » وقد أعتُرفَ بشهاداته في جامعات المشرق العربي ، واستطاع المتخرجون منه أن يواصلوا تعليمهم الجامعي في مختلف الجامعات العربية .

3 - وضع برنامج تعليمي موحد ، وتنظيم التفتيش ، وقد أصبح عدد المدارس في عام 1953 م 300 مدرسة وعدد المدرسين 700 مدرس ، وعدد التلاميذ والتلميذات 70 ألف تلميذ وتلميذة (1) .

1 - الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقية - انور الجندي ص 49 .

4 - تنظيم إشارات المدرسين ووضعهم في أربعة إطارات رئيسية فهو - بحق - كما يقول عنه الأستاذ عبد الرحمن شيبان :

« لقد كان الشيخ البشير فيلسوفا في ميدان التربية والتعليم ، يرى أن غاية الغايات من التربية هي : توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه ، وتصحيح نظراته إلى الحياة وتفقيته في دينه ولغته ، وتعريفه بنفسه وتاريخه ، ويرى التعليم رسالة وجهادا ، فيخاطب المعلمين في إحدى وصاياه الحكيمة : « ها أنتم تَبَوَّأْتُمْ في مدارسكم ميادين جهاد ، فأحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطلاً مَيِّدَانِ وَأَوْقِفُوا أنفسكم لإحدى خطتين : الدفاع الجيد أو موتَ الشهيد ، واعلموا أنكم عاملون فمسؤولون عن أعمالكم فَمَجْرُؤُونَ عنها من الله ومن الأمة ومن التاريخ » . أما التلاميذ والطلاب فيقول لهم : « إنكم يا أبناءنا مناطُ آمالنا ، ومستودعُ أمانينا نَعِدْكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة ولاستحقاق الإرث وهو ذو تبعاتٍ وتكاليف ، يا أبناءنا إن الحياة قسمان : حياةٌ عِلْمِيَّةٌ وحياةٌ عَمَلِيَّةٌ وإن الثانية منهما تُبْنَى على الأولى قوةً وضعفاً وإنتاجاً وعمقا وإنكم لا تكونون أقوياء في العمل حتى تكونون أقوياء في العلم » (1) .

وأجست فرنسا بخطر نشاط الجمعية ، فراحت تُدَبِّرُ المؤامرات وتفتعل الأحداث لتقتل الآلاف من الأبرياء ، وَرَجَّتْ بالشَّيخ البشير في السجن العسكري تمهيدا لمحاكمته خلال أحداث عام 1945 م بالجزائر ، وقضى في محبسه ما يقرب من عام ، خرج بعده للكفاح من جديد .

رحلته إلى المشرق العربي :

أَحْتَت جمعية العلماء بثبات كيانها داخل الأرض الجزائرية ، فأرادت أن تُوثِّق علاقاتها بالبلاد العربية ، فكلَّفت البشير أن يقوم بالاتصال بهذه الدول ويطلب معونتها المادية والمعنوية ويُنسِّق معها تنظيما البعثات الجزائرية في تلك البلاد .

فاتخذ الشيخ البشير من القاهرة عام 1952 منطلقا لنشاطه في مختلف بلدان المشرق العربي ، وأخذ يستقبل وفود الطلاب الدارسين من الجزائر ويرسل بهم إلى « الأزهر » والجامعات المصرية ، وجامعات بغداد ، والشام ، وغيرها ، ويرفع مطالب الشعب الجزائري في كل مكان ، وينادي بحرية الجزائر في كل المجالات العربية والإسلامية والدولية ! وظل في مصر حتى حقق الله للجزائر استقلالها عام 1962 م .

وفاته :

رجع البشير إلى الجزائر عقب استقلالها مباشرة ، فأُسِّدَ إليه مَنْصِب في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في أول حكومة جزائرية في عهد الاستقلال ، وقد آمَّ المسلمون في صلاة أول جمعة بمسجد كثبارة - إثر رجوعه مسجداً - بعد أن كان المستعمرون قد حوَّلوه إلى كندراية طوال فترة الاستعمار .

1 - الأستاذ عبد الرحمن شيبان ، من كلمة في الاحتفال بالذكرى الأولى لوفاة الشيخ البشير الإبراهيمي (الامام الرائد) .

وقد آثر على صحته طولُ الجهاد والكفاح والصعاب التي قاساها في حياته ، وبدا عليه ذلك عندما تقدم به السن ، ففارق الحياة وعمره ستة وسبعون عاما ، وكان ذلك في 21 ماي عام 1965 م ، وشيّعت جنازته في موكب شعبي عظيم . وأمام جثمانه وقف الرئيس هواري بومدين قائلا : (رحمة الله على الشيخ الابراهيمي ، فهو أبونا جميعا ، وأبو النهضة الجزائرية ، وتمازينا فيه لانفسنا ولكل أبناء هذا الوطن ، ورجاؤنا من الله أن يلهمنا الصبر الجميل ، ويهيئ لنا من أسبابه تحقيق كل الأهداف المثلى التي عاش من أجلها الشيخ الابراهيمي ، فصبرٌ جميل والله المستعان) (1) .

عوامل نبوغه :

- اثرت في تكوين شخصيته الأدبية عدّة عوامل ، أهمها ما يأتي .
- 1 - عاش البشير حياته الأولى في بيت والده ، وقد تعهده عمّه بالأدب والتربية ، فسار معه على نظام دقيق في تنظيم أوقاته وأعماله ، وقد ظهرت آثار هذه التربية في أدبه وسلوكه كما يتضح ذلك فيما بعد .
 - 2 - المعارف الدينية واللغوية والأدبية ، التي تلقّاها في بلده ، وفي بلاد المشرق التي زارها وتعلّم فيها على كبار شيوخ عصره .
 - 3 - رحلاته المتعددة ، وإقامته فترات طويلة في مصر ، والشام ، والحجاز ، وتأثره بأدبائها وعلمائها وكبار المفكرين فيها واطلاعه على أحوال الناس والبلاد التي عاش فيها ، كل ذلك أمّد ثقافته بزرر كبير في التفكير والبحث والدراسة .
 - 4 - مجمع اللغة العربية بمصر : اختير البشير عضوا فيه عام 1961 . وهذا المجمع لا ينضمّ إلى أعضائه إلا كبار العلماء المثقفين والمتفوقين ، وكان البشير علما من اعلام هذا المجمع ، وقد قدّم فيه أبحاثا لغوية واشترك في مناقشات علمية وأدبية مختلفة . وقد نُشرت له مجلة المجمع اللغوي بعض هذه الدراسات .
 - 5 - أحداث أمته وعصره : وقد عرّفت الكثير عنها خلال دراستك للموضوع السابق عن حياة الإمام ابن باديس .

آثاره :

- ترك البشير آثارا علمية وأدبية مختلفة ، أهمها :
- 1 - عيون البصائر : مجموعة مقالات نُشرت في جريدة البصائر .
 - 2 - النقايات والنقايات في لغة العرب : فيه كل ما هو على وزن ((فعالة)) من مختار الشّيخ أو مرّدوله .

1 - الإمام الرائد ، ص 46 .

- 3 - أسرار الضمائر العربية .
- 4 - التسمية بالمصدر .
- 5 - الإطراد والشذوذ في العربية .
- 6 - رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك .
- 7 - رواية كاهنة اوراس .
- 8 - رسالة مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصحى والعامية .
- 9 - شعب الإيمان (في الاخلاق والفضائل الإسلامية) .
- 10 - بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر !
- 11 - الصفات التي جاءت على وزن « فعل » .
- 12 - نظام العربية في موازين كلمتها .
- 13 - ما آخذت به كتب الامثال من الامثال السائرة .
- 14 - حكمة مشروعية الزكاة في الاسلام (1) .
- 15 - رواية الثلاثة .

وله ملحمة رَجَزِيَّة طويلة ، نَظَمَهَا اِيَّامَ أَنْ كَانَ مَبْعَدًا فِي صحراء وهران ، وقد تضمنت فنونا من المواضيع ، كتاريخ الإسلام ، والمذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية الجديدة ، والبدع في الدين ، والاستعمار ومكايده ودسائسه (2) . والمطبوع من هذه الآثار هو : « عيون البصائر » ، والباقي مخطوطات .

شخصيته الأدبية وخصائص أسلوبه :

أبرزَ ألوان الفنون الأدبية في إنتاج البشير الابراهيمي هو فنُّ المقالة . وقد تنوّعت موضوعاتها وأغراضها وأساليبها . نوضحها لك فيما يلي :

المقالة السياسية :

يلتقي البشير الابراهيمي والإمام ابن باديس في معظم الآراء السياسية ، وكلاهما ينتهي إلى جماعة واحدة متّوّفة في الأهداف والأغراض والتزّعات .

وكان من أهمّ اهدافهما النضالية العمل على إظهار الشخصية الجزائرية ، كشخصية مُتَمَيِّزَةٍ تَمْتَرُ بالعربية لغتها وبالإسلام دينها : (فالجمعية تريدنا أمة عربية مسلمة كما هو قَسْمُهَا فِي الْقَدْرِ وَحَقْلُهَا فِي التَّارِيخِ وَحَقْلُهَا فِي الْإِزْثِ ، وحققتها في الواقع والمصطلح - تريدنا كذلك وتعمل لتحقيق ذلك) (3) .

(1) الإمام الراشد ، ص . 166 . (2) عيون البصائر ، ص 25 . (3) راجع مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، ج 2 ، د . مهدي علام ، ص 157 .

ولعل أهم ما يتميز به ادب البشير السياسي عن ادب ابن باديس السياسي ، هو ان البشير أعطى قضايا الوطن العربي اهتماما أكبر من اهتمام ابن باديس بها ، ولعل حياة البشير المتنقلة بين مختلف اقطار الوطن وانغماسه في أحداثها كان له أكبر الأثر في اهتمامه بقضايا الوطن العربي السياسية والاجتماعية ، فنجد مثلا يتحدث عن مصر ، وليبيا ، وفلسطين ، وغيرها من البلاد الإسلامية ، ويحاول أن يربط بين هذه البلاد وبين وطنه الجزائري بماطفة صادقة وإحساس أصيل .

وتتميز المقالة السياسية بتحليل الأحداث وتوجيه النصح ووضوح الأفكار وتناسفها والدقة في الصياغة اللفظية واختيار الكلمات المعبرة الموحية .

تحدث البشير الابراهيمي عن نضال الليبيين من أجل استرداد حريتهم المطلوبة فيقول :

« وإخواننا اللييئون عَمِلُوا للاستقلال على قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِاتِّزَاعِهِ مِنْهُمْ ، وَبَدَلُوا فِي اسْتِرْجَاعِهِ فَوْقَ مَا يَبْدُوهُ مَنْ فِي مَنْزِلَتِهِمْ مِنَ الضَّعْفِ وَالْقِلَّةِ ؛ وَإِنَّ حَيْلَهُ لَمْ يَنْقُطْ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَإِنَّ رَوَائِحَ الْعِطْرَةِ لَتَنْعَمَ أُنُوقَهُمْ ، وَإِنَّ أَخْلِنَتَهُ الْجَمِيلَةَ لَتَتَرَأَّقُصَ فِي أَذْهَانِهِمْ ، وَإِنَّ ذِكْرِيَاتِهِ لَمَأْتِلُهُ فِي نفوسهم مُنَوَّلَ ذِكْرِيَاتِ التَّبَابِ فِي نفوس الشيوخ ؛ وليس بين إشراق الشباب وأقوله إلا فُسْحَةٌ فِي العمر ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحياء فِي لَيْبِيَا أَدْرَكُوا زَمَانَ اتِّزَاعِهِ ، وَسَيُذْرِكُونَ زَمَانَ ارْتِجَاعِهِ (٤) » .

وللبشير الابراهيمي مجموعة من المقالات ، أطلق عليها عنوان : « سَجْعُ الكَهَّانِ » تناول فيها بأسلوب لاذع نقد الحكومات العربية وشعوبها وملوكهم وعلماهم لموافقهم الهزيلة من قضية فلسطين . وهو أسلوب يتميز بالتزام السجع والميل إلى الرمز واختيار الكلمات الصعبة :

« هذه فصولٌ إنَّ لا تكن فيها رُوحُ الكاهن ، فيها من الكاهن سَجْعُهُ ، وَإِنَّ لا يَجُلُّ فِي جَوَانِبِهَا صَدَى الكَهَّانَةِ ، فيها من ذلك الصدى رَجْعُهُ ؛ فيها الزَّمَمَةُ الْمُفْصِحَةُ ، والتَّعْيِيَةُ الْمُبْصِرَةُ ، وفيها التَّقْرِيعُ والتَّبَكِيْتُ ، وفيها السُّخْرِيَةُ والتَّنَكِيْتُ ، وفيها الإشارة اللَّامِحَةُ ، وفيها اللَّفْظَةُ الجامِحةُ ، وفيها العَسَلُ لِلأَبْرَارِ ، وما أَقْلَهُمْ ، وفيها اللَّسْعُ لِلْفُجَّارِ ، وما أَكْثَرَهُمْ ، فَلَعَلَّهَا تَهْزُ مِنْ أبناء العروبة جامِداً ، أو تُؤَوِّزُ مِنْهُمْ حَامِداً ، فَتَنْجِي شَيْئاً مِنْ ثَمرة النِّسيَةِ ، وَتُعَيِّرُ أواخرَ هذه الأسماء المُبْنِيَّة (٥) » .

تناولت المقالة الاجتماعية في ادب « الابراهيمي » كثيرا من المشكلات التي عاشها المجتمع الجزائري والمجتمع العربي ، وتناول الموضوعات التي لح عليها « ابن باديس » من إصلاح الدين والتعليم (3) ، ومهاجمة الطرفين وإنصاف المرأة ، والدعوة إلى الزواج (4) والتفسير من الطلاق .

(*) عيون البصائر ، البشير الابراهيمي ، ص 445 .

ص 314 ، 321

ص 16

ص 587

ص 413 المرجع السابق

ولعل أهم ما يُميّز أدب « البشير » الاجتماعي عن ادب صاحبه « ابن باديس » هو أنّ البشير عاش في بيئات اجتماعية مختلفة وتأثر بها وظهرت آثارها في أدبه الاجتماعي فهو عندما يتحدث عن المجتمع المصري وما فيه من عُيوب يصوره تصويراً دقيقاً ويحلّله تحليلاً صادقاً ويصفه وصف الخبير بعادته وتقاليده ونفسيته سكاّنه فيقول :

« سَمَّوْكَ عَرُوسَ الشَّرْقِ فَكَأَنَّمَا أَغْرَوْا بِكَ الخُطَّابَ ، وَوَسَمَّوْكَ بِمَنَارَةِ الشَّرْقِ فَلَمَّنُوا إِلَيْكَ الأَعْيُنَ . . . وَقَدِيمًا سَمَّوْا بَعْدَادَ دَارَ السَّلَامِ فَجَنَّوْا عَلَيْهَا . . . أَثْرَى رَكَاتِكَ يَا رِكَانَةَ اللَّهِ . . . لِمَنْ لَمْ يِقَاتِلْ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَلَكِنْهُمْ قَاتَلُواكَ فِي الزَّمَنِ كَلِّهِ بِالْأَسْتَاذِ الَّذِي يُفْسِدُ الفِكرَ ، وَبِالْكِتَابِ الَّذِي يَزْرَعُ الشَّكَّ ، وَبِالْعِلْمِ الَّذِي يُمْرِضُ اليَقِينَ ، وَبِالصَّحِيفَةِ الَّتِي تَنْشُرُ الرَّذِيلَةَ ، وَبِالْقَلَمِ الَّذِي يَزَيِّنُ الفَاحِشَةَ ، وَبِالْبَيْعِ الَّتِي تُخْرِبُ البَيْتَ ، وَبِالْحَشِيشِ الَّذِي يَهْدِمُ الصِّحَّةَ ، وَبِالمُمْتَلَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ الفُجُورَ . . . فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُذَيِّبِي هَذِهِ الأَسْلِحَةَ كُلَّهَا فِي أَيْدِي أَصْحَابِهَا فَمَا أَنْزِلِي إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ أَنْ تَقُولِي إِنِّي مُسْلِمَةٌ » (١) .

وتمتاز مقالاته الاجتماعية بتحليل الفكرة وعمق المعنى ، وتخيّر الألفاظ وانسجام العبارات والتراكيب ، فهو من أنصار الصنعة في الادب يشبه في هذه النزعة اتجاه « العقاد » ، لكن تأثير المدرسة الانجليزية في أسلوب العقاد جعله يختار الألفاظ السهلة ويصوغها في تعبير مُحكم ، أما البشير فمن أنصار التعبير المُحكّم والألفاظ المختارة . ولا شك في أنّ دراسته اللغوية والادبية القديمة كان لها اثر كبير في أسلوبه .

المناقشة :

- 1 - ما العوامل التي اثرت في تكوين شخصية « الابراهيمى » ؟
- 2 - تحدّث عن انواع النشاط الذي قام به « البشير » في مصر والشام .
- 3 - كان لهجرة « البشير » ورحلاته المتعددة في مختلف البلاد العربية اثر واضح في ادبه . ناقش هذه الفكرة مع التمثيل .
- 4 - « البشير » ينتمي إلى مدرسة الصنعة في الادب ! اشرح خصائص هذه المدرسة واستشهد عليها من ادب البشير .
- 5 - ما اهم الخصائص التي يتميز بها أسلوب المقالة السياسية عند البشير ؟

(١) عيون البصائر ، البشير الابراهيمى ، ص 557 .

الباب السادس

نماذج من الأدب الجزائري في العصر الحديث

نقدم لك في هذا الباب طائفة من النصوص
الأدبية لشعراء وكتاب جزائريين من العصر
الحديث ، تناولت موضوعات متفرقة ،
وصورت جزءا من أحداث عصرنا ، وعبرت عن
واقعنا السياسي والاجتماعي والنفسي .

وستتعرف من خلالها على جانب من
تراثك الأدبي والفكري والثقالي الذي يعد
دعامة أصيلة من ديمائم شخصيتك الجزائرية
العربية المسلمة .

أخو العلياء

محمد السعيد الزاهري (**)

كان الأمير خالد محيي الدين - أحد أحفاد الأمير عبد القادر - واحدا من الضباط الجزائريين الذين شاركوا مع الجيوش الفرنسية في الحرب العالمية الأولى . وقد تطلّموا إلى مؤتمر « فرساي » أملا في أن تحقق فرنسا آمانيهم ، وتطبق مبادئ المساواة في الجزائر . ولكن فرنسا تنكرت لمطالبهم ، فلم يستكينوا ولم يياسوا بل أخذوا ينظمون جهودهم ، ويتزعمون الحركات السياسية ويرفعون أصواتهم مطالبين بحقوق شعبهم فما كان من الحكومة الاستعمارية إلا أن استخدمت أساليب القمع فأبعدت « الأمير خالد » من البلاد وفتته إلى مصر . وفي تلك المناسبة يودعه الشاعر بالآيات التالية :

لَيْسَ كُنْتَ فِي أَفْقِ الْجَزَائِرِ كَوَكْبًا	فَقَدْ لُحِتَ فِي الْأَسْكَندَرِيَّةِ كَوَكْبًا
أَمَا كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ عِنْدَ شُرُوقِهَا	شِيهًا يَقْرُنُ الشَّمْسَ تَقْصِدُ مَغْرِبًا
لَعَمْرِي لَقَدْ خَلَفْتَ فِينَا مَأْتِرًا	يَعَزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُضَيِّعَهَا هَبًا
وَعَلَّمْتَ نَشَأً كَيْفَ يَسْعَى إِلَى الْعَلَا	فَأَمْسَى عَلَى طُرُقِ الْمَعَالِي مُدْرَبًا
فَدَيْنَاكَ ذَا جَائِشٍ قَوِيٍّ ثَبَاتُهُ	إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ تَنْشُبُ مِخْلَبًا
إِلَى الْآنَ لَمْ تُلْنِ السَّلَاحَ وَلَمْ تَكُنْ	لِتَلْقِي يَا مَقْدَامٍ مِنْ بَعْدِ ذَا الطُّبَا (1)
فَأَنْتَ أَخُو الْعَلِيَاءِ وَالْبَطْلُ الَّذِي	إِذَا جَدَّ جَدُّ زَادَ مِنْهُ تَقْرُبًا
لَيْسَ كُنْتَ فِي أَهْلِ النِّيَابَةِ مُفْرَدًا	كَأَنَّكَ كُنْتَ بَيْنَهُمْ مَتْرَبًا

(*) من كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر محمد الهادي الزاهري .

(**) ولد الزاهري عام 1899 م بقرية «البانة» قرب بسكرة ، وبها حفظ القرآن الكريم ، ثم رحل إلى نسطينة حيث تتلمذ على يدالإمام عبد الحميد بن باديس، وبعد ذلك تابع دراسته بجامع الزيتونة في تونس . وأبان دراسته كتب عدة مقالات لقيت اقبالا ورواجا، واحتفت بها مجلات الشرق العربي نُشرت في «المقتطف» و «الرسالة» و «الفتح» ، ثم جُمعت في كتاب بعنوان «الإسلام في حاجة إلى دعابة وتبشير» . وبحصوله على اجازة التطويح من جامع الزيتونة عاد إلى الجزائر ليواصل كفاحه ، فأصدر جريدة «الجزائر» وجعل شعارها «الجزائر الجزائرية» . ولم تلبث أن اوقتها الفرنسيون لاتجاهها الوطني . وللزاهري الكثير من الأشعار التي نوع فيها منزعا وطنيا ؛صلاحيا ، وكان وعاءه سنة 1959 م .

(شعراء من الجزائر د: صالح خرفي) .

(1) الطبا : جمع ظبية بالضم : حد السيف أو الثمنان .

خَطِّ عَائِشَ

محمد الأمين العموري (*)

في الأبيات التالية يصور الشاعر حالته ، ويصف احساسه في الفترة التي عاش فيها شعبنا من تاريخنا المعاصر ، وهي ، كما يقول عنها الشاعر : حياة كل مسلم جزائري ، حياة بلاغاية ولا امل ، حياة من لا يأسف على امسه ، ولا يفتبط بيومه ولا يثق بغيره .

نَفْسِي تُرِيدُ الْعُلَا وَالِدَّهْرُ يَعْكِسُهَا	بِالْقَهْمِ وَالزَّجْرِ إِنَّ الدَّهْرَ ظَلَامٌ
إِنَّ الزَّمَانَ سَطَا عَنِّي بِسَطْوَتِهِ	كَمَا سَطَا عَنِ ضَعِيفِ الْوَجْهِ ضَرْبًا
أَبْكِي إِذَا اتَّسَدَ إِرْزَامُ الْحَوَادِثِ بِي	وَالْحَوَادِثِ مِثْلُ الرَّعْدِ إِرْزَامٌ
أَنْ حَلَّ عَامٌ جَدِيدٌ قَمْتُ أَسْأَلُهُ	قُلْ لِي : بِمَاذَا أَتَيْتَ أَيُّهَا الْعَامُ ؟
قُلْ لِلَّذِينَ تَمَادَوْا فِي غَوَايَتِهِمْ	هَلْ فِي قُلُوبِكُمْ يَا قَوْمُ إِسْلَامٌ ؟
إِنِّي وَإِنْ حَاطَ سَوْءُ الْحِظِّ مَنَزِلَتِي	وَقَدْ عَلَا شَرَفِي بِالظُّلْمِ أَقْوَامٌ
فِي خِلْقَتِي رَجُلٌ بَرٌّ ، وَفِي أَدْبِي	فَحُلٌّ لِأَثْمَنِ دَرَّ الشَّعْرِ نِظَامٌ
لَوْ أَتَّخَذْتُ خَلِيجَ الْبَحْرِ مَحْبِرَةً	وَصِيحَ لِي مَنْ يَرَاعُ الْعِلْمَ أَفْلَامٌ
وَكَانَ لِي الْجَوْ قَرْطَاسًا أَمَهَّدُهُ	ضَاقَتْ عَلَيَّ ذِكْرُ مَا قَاسَيْتُ أَعْوَامٌ
لِي أَسْوَةٌ بِالْأُلَى غَارَتْ كَوَاكِبُهُمْ	وَلَمْ تَهَبْ لَهُمُ الْأَقْدَارُ مَا رَامُوا

الطَّبِيعَةُ السَّاحِرَةُ

أَشْيَاءُ حَلَّ حَالُهُنَّ حَلَالِي	تَقَرُّ الْكُؤُوسِ وَرَنَّةُ الْخَلْخَالِ
وَصَدَى نَشِيدِ الْعَنْدَلِيبِ عَشِيَّةً	وَعَزِيفُ مُوسِيقَى بِنَجَّ خَالِ
وَصَفِيرُ شُرْشُورٍ وَهْتَفِ حَمَامَةٍ	حَنْتٌ وَغَنْتٌ فَوْقَ تَلٍّ عَالِ

(*) ولد الشاعر « الأمين العموري » بوادي سوف من ولاية الواحات بالجزائر ، وتعلم بالكتب الفرنسي الابتدائي والكتب القرآني ، ثم تابع دراسته في مدارس قسنطينة ، وله شعر قليل ولكنه جيد ، ويطلب على شعره طابع البؤس .

رِيحَ الصَّبَا وَنَسَائِمِ الْأَصَالِ
 تَبْدُو بِرَوْنِقِ بَهْجَةٍ وَجَمَالِ
 مِنْهَا بَنَانُ خَرِيدَةٍ مِكْسَالِ
 أَجْرَمْتَ أَنْ شَبَهْتَهُمَا بِغَزَالِ
 فِي سِرِّ نُورٍ جِيْنَهَا الْمُتَلَالِ
 فِي الْعِثْقِ أَيَّامٌ مَضَتْ وَوَيْالِ
 يُنِيكَ عَنْ حَالِي لِسَانُ الْحَالِ
 إِنِّي بِغَيْرِ الْحَبِّ غَيْرُ مُبَالِ
 فَهَوَ السَّعَادَةُ أَنْعَمْتَ بِوَصَالِ
 وَالْجَوْرِ وَالْإِعْسَافِ وَالْبَلْبَالِ
 طُوبَى لِدَائِقِهِ وَحُسْنِ نَوَالِ

وَتَنْزُهِي بَيْنَ الرِّيَاضِ مُصَافِحَا
 وَالشَّمْسُ عِنْدَ بُزُوعِهَا وَغُرُوبِهَا
 وَتَرْنَمُ الْعِيدَانِ حَرَكَ سَاكِنَا
 شِبْهُ الْغَزَالَةِ وَالرُّيَا رُبَّمَا
 سِرُّ السُّرُورِ وَكُلُّ سِرِّ كَامِنُ
 يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي مَهْلًا فَلِي
 لَا تُكْثِرِ التَّعْنِيفَ وَارْفُقْ بِي فَقَدْ
 دَعْنِي أَعَانِي فِي الْهَوَى مَا نَابَنِي
 فَإِذَا تَمَلَّكَ بِالْفُؤَادِ وَلَمْ يَجْرُ
 وَإِذَا تَوَلَّى بِالصَّبَابَةِ وَالْبُكََا
 فَهُوَ الْعَذَابُ الْعَذْبُ وَالْأَلَمُ الَّذِي

المرأة الجزائرية والحجاب

محمد الصالح خبشاش (*)

تَرَكُوكِ بَيْنَ عِبَاءَةٍ وَشَقَاءِ
 مَغْلُولَةِ الْأَيْدِي بِأَسْوَأِ بَقْعَةٍ
 دَفَنُوكِ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ وَحَبْدَا
 مَنجُونَةً مَزْجُورَةً مَحْرُومَةً
 مَاذَا جَنَيْتِ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
 مَكُؤُوبَةً فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ
 مَحْفُوفَةً بِكَتَائِبِ الْأَرْزَاءِ
 لَوِيتِ قَبْلَ تَفَاقُمِ الْأُدْوَاءِ
 مَحْفُوفَةً بِمُلَاءَةٍ سَوْدَاءِ
 حَتَّى رَمُوكِ بِطِعْنَةٍ نَجْلَاءِ

(*) ولد في وادي يعقوب بالقرب من قسنطينة عام 1904 وتعلم في الكتاب حتى حفظ القرآن الكريم ثم تابع دراسته في قسنطينة على يد الإمام ابن باديس ولازمه ثمان سنوات ، وهو كاتب وشاعر تناول في شعره الموضوعات السياسية والاجتماعية .

لَهْفِي عَلَى الْجِنْسِ اللَّطِيفِ تَدَاوَلَتْ
لَهْفِي عَلَى الْعُرْبِ الْحَسَنِ تَضَاءَلَتْ
لَهْفِي عَلَى بِنْتِ تَعِيشِ شَقِيَّةً
أَتْرَى أَرَى فِتْيَانَنَا وَسَطَ الْمَدَا
أَتْرَى أَرَى فِتْيَانَنَا عَوْنَا إِلَى

عَنْهُ الرِّيَّاحُ بِأَرْضِنَا الْجَدْبَاءِ
أَنْوَارُهُنَّ فَتَهَنَّ قَيْدَ عَنَاءِ
حَتَّى تُصَادِفَ هَادِمَ السَّرَاءِ
رِسِّ يَرْتَشِفْنَ سُلَافَةَ الْقُرَاءِ
مُشَابِتًا فِي السَّاعَةِ السَّلَاوَاءِ (١)

* * * * *

الغَرْبُ قَدْ سَمِمَ السُّبَاتَ فَكَدَّرَ الْأُ
وَالشَّرْقُ قَدْ أَلِفَ السُّهَادَ وَطَلَمَا
فَسَطَا عَلَيْهِ الْغَرْبُ سَطْوَةَ مَارِدٍ

غُلَالًا فَاسْتَعَلَى عَلَى الْجَوَزَاءِ
رَامَ النَّهْوضَ فَنَاءً بِالْأَعْبَاءِ
حَتَّى هَوَى فِي الْهُوَّةِ التَّعْنَاءِ

* * * * *

وَأَذَاقَهُ سَوَطَ الْعَذَابِ صَيْحَةً
وَأَتَى بِقَانُونَ لَهُ مُتَشَبِّهٍ
مَا ذَاكَ إِلَّا لِلْجَهَالَةِ يَبْتِنَا
فَالِي مَتَى هَذَا الْحِجَابُ إِلَى مَتَى
أَتْرَابُكُنَّ (٢) مِنَ الْفَرْنَجِ غَدُونَ فِي
وَتَمَتَّعْتَ أَفْكَارُهُنَّ بِنَهْلَةٍ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً تُغْزَى إِلَى
قَدْ أَوْعَدُوا وَتَجَهَّمُوا وَتَهَدَّدُوا
إِلَيَّ لِأَعْتَقِدَنَّ أَنَّ عَقُولَهُمْ
فَهَلِ الشَّرِيعَةُ حَرَمَتْ تَعْلِيمَهَا
إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَيَبْنُوا بِحَقَائِقِ

وَعَشِيَّةً مِنْ غَيْرِ مَا جَسَاءِ
مُتَلَوِّينَ كَنَلَوْنِ الْحِرْبَاءِ
وَعَبَاوَةَ الْفَتَيَاتِ وَالْأَنْبَاءِ
أَلَيْسَ التَّلَاشِي أَمْ لِيَوْمِ لِقَاءِ؟
غُرِفِ الْعُلَا مِنْ عِزَّةٍ قَمَسَاءِ
مِنْ خَمْرَةِ الْعُرْفَانِ لَا الصَّنْبَاءِ
تَهْجِ الْهُدَى وَالْمِلَّةِ السَّنْحَاءِ
مَنْ حَلَّ قَيْدَ حَلِيفَةِ الْأَرْزَاءِ
مَنْزُوجَةً بِمُجَمَّدَاتِ الْمَاءِ
يَا نُجْبَةَ الْأَشْيَاخِ (وَالصُّلْحَاءِ)
قَطْعِيَّةً لِيَمَاطَ كُلُّ رِدَاءِ

١. السَّلَاوَاءُ : النَّدَاةُ وَالْمَحَنَةُ . ٢. أتراب : جمع تربة ، والتراب من ولد مك ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث .
يقال هذه تربة فلانة ، إذا كانت على سبيلها .

وداع الوطن

أبو اليقظان (*)

قال هذه القصيدة المعبرة عن وجدان وطنية خالصة غير مشوبة بشيء من عوارض الاستسلام في حفلة وداع أقيمت له بالنادي الأدبي في 12 محرم سنة 1343 هـ .

بِلَادِي مَنَبَتُ الْعُظْمَا وَدَاعًا فَقَدْ أَزَفَ الرَّحِيلُ بِنَا سِرَاعَا
سَرَّحَلُ وَالْقَلُوبُ لَدَيْكَ تَبَقَى تُحَيِّي دَائِمًا تِلْكَ الْبِقَاعَا
سَرَّحَلُ (يَا مِرَابُ) غَدَا لَتَحْيَا عُلَاكَ فَتُصْبِحَ الْحَرَّ الْمَطَاعَا
فَكَمْ فِي السَّيْرِ مِنْ نَفْعٍ عَظِيمٍ لِشَعْبٍ حَلَّهُ ضَعْفٌ وَضَاعَا
وَهَلْ نَهَضَتْ بِلَادُ الضَّعْفِ إِلَّا بِفَضْلِ السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ إِطْلَاعَا
سَنَعْمَلُ مَا يُبَيِّضُ مِنْكَ وَجْهًا بِإِذْنِ اللَّهِ عِزًّا وَارْتِفَاعَا
إِذَا كَادَتْ لَكَ الْأَعْدَاءُ كَيْدًا وَرَامُوا الْأَزْدِرَاءَ وَالْإِنْبِلَاعَا
بَدَلْنَا مَا لَدَيْنَا وَاتَّخَذْنَا الدُّ نَفُوسَ لَكَ الْمَاعِلَ وَالْقِلَاعَا
فَنَعْلِمُهُمْ بِأَنَّ لَنَا حُقُوقًا وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ تُرَاعَا
وَإِنْ رَامَتْ لَكَ الْأَوْعَادُ كَيْدًا هَزَزْنَا نَحْوَهُمْ ذَاكَ الْبِرَاعَا
فَأَضَعَقَهُمْ بِنَارِ الشُّهْبِ قُورًا فَيُضْحُوا خَامِدِينَ وَلَا تِرَاعَا
يَرَاعِي كَانَ فِي الدُّنْيَا طَيِّبًا يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصُّدَاعَا
أَلَا فَلْيَعْلَمْ الْأَضْدَادُ أَنَّنَا تُرِيدُ لَشَعِينَا حَقًّا مُشَاعَا
فَإِنْ سَلِمْنَا فَنَحْنُ لَذَاكَ أَهْلٌ وَإِنْ ضِدًّا فَإِنَّ لَنَا لَبَاعَا

(*) ولد الشيخ إبراهيم أبو اليقظان عام 1888 م في القرارة ، من واحات غرداية ، وفقد أباه في صغره فنشأ يتيما ، وبدا حياته العلمية في قريته ، ثم رحل الى بلدة زيزقن ، وتعلم على يد الشيخ اطقيش ، وتابع دراسته في تونس وانصل برجال العلم فيها واشرف على تعليم بعض تلاميذ ابنائه ناحيته من الجزائريين الذين يطلبون العلم في تونس ، ولما عاد الى الجزائر عام 1914 هـ أسس مكتبا هربيا ، وكان له نشاط عظيم في الصحافة ، فأصدر مجموعة من الصحف ، بدأها بصحيفة « وادي مزاب » عام 1926 م ، وله عدة مؤلفات ورسائل ، منها : حياة سليمان باشا الباروني - في جزاين ، وديوان وحي الجنان من ديوان أبي اليقظان . وترجم لأبي عمار الكافي ، وعبد الله أباضي ، وأبي عبد الله محمد بن بكر النقوسي . وقد توفي عام 1973 م (مجلة الاهالة عدد 14 - 1973)

فَإِنَّ لَنَا مِنَ الْحَقِّ الْعَزِيزِ
فَتِحْ يَا أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمَفْدَى
فَأَيَّدَهَا وَنَاصِرَهَا دَوَامًا
وَسَلِّ مَوْلَاكَ بُلْهَمَهَا رَشَادًا
فَهَا أَنَا أَوْلَاءُ قَدْ ظَنَمْنَا
فَدُمَّ جَدَلًا جَبَاكَ اللَّهُ عَزَّ

سِلَاحًا فَاتِكَا لَنْ يُسْتَطَاعَا
بِأَنَّ لَكَ الضَّمَا لَنْ تَبَاعَا
وَمُدَّ لِعُونِهَا ذَاكَ الدَّرَاعَا
وَيَكشِفُ عَنْ مَشَاكِلِهَا الْقِنَاعَا
وَبَارِحْنَا الْمَنَازِلَ وَالضِّيَاعَا
وَحَيَّاكَ انْفِرَادًا وَاجْتِمَاعَا

مسامرة القمر

حسن ابو الاحبال (*)

أَحَقًّا يَا جَمَالَ الْكَوْنِ حَقًّا
وَتَعْلُوكَ الْأَسَافِلُ مِنْ أَنَاسٍ
وَتَرْضَى أَنْ تَسِيرَ عَلَى بَسَاطِ
أَجَلُّ جَيْبِكَ الدُّرِيِّ عَنْهُمْ
عُدَّتْ عَلَى شَبَابِكَ فِي دُهُورٍ
رَأُوكَ كِدْرَهُمْ ! مُلْتَقَى فَنَاهُوا
سَتَلْفِي الْكَهْرَبَاءَ إِلَيْكَ دَرَسًا
هُمْ عَمَزُوا قَنَاتَكَ يَوْمَ أَوْحُوا
أَجَلُّكَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مُجِيًّا
وَمَا ضَاقَتْ بِهِمْ أَرْضٌ وَلَكِنْ
وَيَعْتَبِرُونَ فِعْلَ الشَّرِّ خَيْرًا
فَلَوْ صَرَفُوا ضِيَاءَكَ عَنكَ قَالُوا
فَمَا تَدْرِي لَهُمْ عُرْفًا وَنُكْرًا

سَتُصْبِحُ بَعْدَ عِزِّكَ مُسْتَرْقًا
رَأَيْتَ فَعَالَهُمْ غَرْبًا وَشَرْقًا
مِنَ الْأَنْوَارِ ارْجُلُهُمْ وَتَرْقَى
وَأَرْغَبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ أَنْقَى
فَهَلْ تَرْضَى بَعْدَ الشَّيْبِ رِقًّا ؟
وَمَا حَسِبُوا لِقَوسِكَ عَنْهُ رَشَقًا
وَمَا دَرَسُوا شُعَاعَكَ حِينَ يُدْسِي
إِلَى الْمَرِيخِ مَا أَوْسَوْهُ بَرَقًا
أَجَلُّكَ أَنْ تَلِينَ لَهُمْ فَتَشْقَى
لَهُمْ شَرَّةٌ بِهِ الْأَمَالُ حَقْقَى
وَيَعْتَقِدُونَ ضَرَّ الْغَيْرِ رَفَقًا
لَتُصْبِحَ بَعْدَهُ أَنْقَى وَأَرْقَى
وَمَا تَدْرِي لَهُمْ كَذِبًا وَصِدْقًا

(*) ولد الشاعر بخنشلة من ولاية الاوراس بالجزائر عام 1897 م وبدأ حياته العلمية في الكتاب ، ثم سافر الى تونس عام 1909 م ودرس بالزيتونة اربع سنوات ، ولما عاد الى الجزائر ساهم في ميدان التعليم العربي فأنشأ مدرسة عربية ببلدته ولكنها أغلقت ، واشتغل فترة بالاعمال الحرة لم التدريس وقد نظم الشعر وهو صغير ، وله عدة قصائد مختلفة الاغراض .

أَنْتَ بِحَارِهِمْ مَدًّا وَجَزْرًا وَسِرًّا مِنْ ضِيَائِكَ مُسْتَدَقًّا
 وَتُوَلَّى بِتَرْكِ الْأَرْضِينَ عَفْوًا فَتَحَدَّثَ بَيْنَهَا نُورًا وَرِزْقًا
 وَقَيَّدَتِ الزَّمَانَ عَلَى مَدَاهُ وَلَوْلَاهُ لَكَانَ الدَّهْرُ طَلْقًا
 تَطَوَّرَكَ الْغَرِيبُ أَنْتَارَ فِكْرًا وَأَحَدَتْ فِي الْوَرَى عِلْمًا وَذَوْقًا
 وَكَمْ لَكَ فِي التَّطَوُّرِ مِنْ عِظَابٍ وَكُنْتَ الْآيَةَ الْكُبْرَى شَقًّا
 نَلَّ الْأَعْرَاضَ عَنْهُمْ لَا تَسْلَهُمْ أَكَانَ صُعُودُهُمْ شُكْرًا وَشَوْقًا؟
 فَحَدَّرَ أَنْجَمًا وَاسْتَعَدَّ شُهَبًا وَصَحَّ بَعْدًا لَهُمْ عَنَا وَشُحْقًا
 وَلَا تُكْرِمُ لَهُمْ ضَيْفًا مُلِمًّا فَإِنَّ ضِيُوفَهُمْ فِي اللُّؤْمِ غَرْقَى
 أَمَا أَبْصَرْتَهُمْ طِفْلًا وَشَيْخًا أَمَا خَبِرْتَهُمْ خَلْقًا وَخُلُقًا

« تلمسان » مدينة

محمد الهادي السنوسي الزاهري (*)

هذه الابيات من قصيدة كتبها الشاعر في وصف مدينة تلمسان عام 1916 م ،
 وفيها يقارن بين ما ضيها وآثارها « المنصورة » وبين حاضرها وشيبتها الناهضة .

هَذِي لَعَمْرُكَ يَا خَلِّي (تِلْمَسَانُ) فَلْيَهِنَا الْقَلْبُ وَتَبْرَحْهُ أَشْجَانُ
 تِلْكَ الَّتِي أَشْبَعَ الرَّايِي رِيَايَتَهُ مِنْهَا وَتَارِيخُهَا تَاجٌ وَعِرْفَانُ
 تِلْكَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ تَارِيخُهَا مَثَلًا شِيدَتْ بِهِ لِصُرُوحِ الْعِرْزِ أَرْكَانُ
 تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا مَعَشَرُ فِطْنِ شَوْسُ الْحَوَاجِبِ : أَبْطَالٌ وَفُرْسَانُ
 تِلْكَ الَّتِي بَزَعَتْ أَنْوَارَهَا زَمَانًا حَتَّى اسْتَنَارَ بِهَا فِي الْغَرْبِ سُلْطَانُ
 تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَزْهُو بِجَوْهَرِهَا وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ لَا يَعْرِوُهُ نُقْصَانُ
 تِلْكَ الَّتِي قَدْ تَوَخَّى النَّحْسُ سَاعَتَهَا حَتَّى تَعَادَى خِلَالَ الدُّورِ ذُبَّانُ
 تِلْكَ الْمَدِينَةُ كَمْ دَانَ الزَّمَانُ لَهَا وَالْمَالِكُونَ يَسَاطِطُ الْأَرْضِ كَمْ دَانُوا
 كَانَتْهَا وَهِيَ تَحْتَ الْأَسْرِ هَامِدَةٌ دِينٌ مِنَ اللَّهِ قَدْ غَطَّاهُ كُفْرَانُ

(*) هو : محمد بن علي بن محمد العابد بن السنوسي الزاهري ، ولد عام 1901 م بقربة اليانة ، بالزاب
 الشرقي ناحية بسكرة ، وكان والده من العلماء فاهتم بتربيته وبعث به الى قسنطينة فدرس على يد
 الامام ابن باديس ولازمه سبع سنوات ، وفي عام 1915 هـ عمل مندوبا لجريدة المنتقد ، ثم الشهاب ،
 وكتب عدة مقالات ونشر بعض قصائده . ومن اهم آثاره كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر الذي
 نشره عام 1920 م .

الذبيح الصاعد

مفدي زكريا (*)

(١)

- 1 - قَامَ يَخْتَالُ كَالْمَسِيحِ وَوَيْدًا يَتَهَادَى نَشْوَانَ ، يَتَلَوُ النَّشِيدَا
- 2 - بِاسْمِ الثَّغْرِ ، كَالْمَلَأَيْكِ ، أَوْ كَالطَّنْفَلِ ، يَسْتَقْبِلُ الصَّبَاحَ الْجَدِيدَا
- 3 - شَامِيحًا أَنْفَهُ ، جَلَالًا وَتِيهَا رَافِعًا رَأْسَهُ ، يُنَاجِي الْخُلُودَا
- 4 - رَافِلًا فِي خَلَاجِلِ ، زَعْرَدَتْ تَمَلَأُ مِنْ لَحْنِهَا الْفَضَاءَ الْبَعِيدَا ؛
- 5 - حَالِمًا ، كَالكَلِيمِ ، كَلَّمَهُ الْمَجْدُ ، فَشَدَّ الْجِبَالَ يَبْغِي الصُّعُودَا
- 6 - وَتَسَامِي ، كَالرُّوحِ ، فِي لَيْلَةِ الْقَدِّ ، سَلَامًا ، يَشِيْعُ فِي الْكُوْنِ عِيدَا
- 7 - وَامْتَطَى مَذْبَحَ الْبُطُوْلَةِ مِعْرَاجًا ، وَوَأَى السَّمَاءَ يَرْجُو الْمَزِيدَا
- 8 - وَتَعَالَى ، مِثْلَ الْمُؤَدِّنِ ، يَتَلَوُ كَلِمَاتِ الْهُدَى ، وَيَدْعُو الرُّقُودَا
- 9 - صَرَخَةً ، تَرْجُفُ الْعَوَالِمُ مِنْهَا وَنِدَاءً مَضَى يَهْمُ الْوُجُودَا :
- 10 - « اِسْتَقْوُونِي ، فَلَسْتُ أَخْشَى حَبَالًا وَاصْلُبُونِي ، فَلَسْتُ أَخْشَى حَدِيدَا »

(*) ولد في ناحية مزاب بالجنوب الجزائري عام 1913 م ، وبدأ حياته التعليمية في الكتاب حتى تعلم شيئاً من علوم الدين واللغة العربية ، ثم رحل الى تونس واتم دراسته في جامعة الزيتونة وشارك في الثورة الجزائرية مشاركة أدبية وسياسية ، فكان عضواً في « جبهة التحرير الوطني » وشاعر الثورة الذي يردد أناشيدها ، وتعرض بسبب ذلك لتطبيب المستعمرين الفرنسيين فدخل السجن خمس مرات ، وافر منه عام 1959 م . وتنقل بين مختلف البلاد العربية ، فزار : مصر ، وتونس ، والمغرب ، وهو في كل مكان يهتف بحرية الجزائر ، ويشعل وقود الثورة حتى خفقت راية الحرية فوق ربوع البلاد .

وللشاعر ديوان اللهب المقدس ، وطلحة شعرية كتبها عن الجزائر . وقد صور شعره مراحل النضال الجزائري تصويراً صادقاً وأميناً . وفي سجن بربروس بالجزائر العاصمة نفذ حكم الإعدام في أول شهيد جزائري : المرحوم أحمد زبانا من شهر يولييه عام 1955 م فجل الشاعر هذه الحادثة وكتب نصيده : اللذبح الصاعد ، ومنها اخترنا لك هذه الابيات وهي مأخوذة من ديوانه : اللهب المقدس .

(ب)

- 11 - يَا « زَبَانَا » ، أبلغِ رِفَاقَكَ عَنَّا فِي السَّمَاوَاتِ ، قَدْ حَفِظْنَا الْعُهُودَا
12 - وَارَوْ عَن ثُورَةِ الْجَزَائِرِ ، لِلأَفْـلَـكِ ، وَالكَائِنَاتِ ، ذِكْرًا مَجِيدَا
13 - ثُورَةً ، لَمْ تَكُنْ لِبُعِيِّ ، وَظَلَمٍ فِي بِلَادِ ثَارْتٍ ، تَفُكُّ الْقِيُودَا
14 - ثُورَةً ، تَمَلُّ الْعَوَالِمَ رُعبًا ، وَجِهَادًا يَذْرُؤُ الطُّغَاةَ حَصِيدَا
15 - وَإِذَا الشَّعْبُ دَاهَمَتْهُ الرِّزَايَا هَبَّ مُسْتَضْرِحًا ، وَعَافَ الرُّكُودَا

(ج)

- 16 - يَافِرُنْسَا ، أَمْطِرِي حَدِيدًا وَنَارًا وَأَمْلِي الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ جُنُودَا
17 - وَأَضْرِمِيهَا عَرَضَ البِلَادِ شَعَالِيْلَ ، فَتَعْدُوا لَهَا الضَّعَافُ وَقُودَا
18 - وَاسْتَشِيطِي عَلَى العُرُوبَةِ غَيْظًا وَأَمْلِي الشَّرْقَ وَالهِلَالَ وَعِيدَا
19 - سَوْفَ لَا يَعْدَمُ الهِلَالَ صِلَاحَ الدِّينِ ، فَاسْتَضْرِحِي الصَّلِيبَ الحَقُودَا
20 - وَأَحْشِرِي فِي غِيَاهِبِ السُّجُنِ شَعْبًا سِيمَ خَسْفًا ، فَعَادَ شَعْبًا عِينِدَا
21 - وَاجْعَلِي بَرْبُرُوسَ مَثْوَى الضَّحَايَا إِنَّ فِي بَرْبُرُوسَ مَجْدًا تَلِيدَا ! !

(د)

- 22 - يَا « زَبَانَا » وَيَا رِفَاقَ « زَبَانَا » عَفِثْتُمْ كَالوُجُودِ ، دَهْرًا مَدِيدَا
23 - كُلُّ مَنْ فِي البِلَادِ أَضْحَى « زَبَانَا » وَتَمَنَى بِأَنْ يَمُوتَ « شَهِيدَا » ! !
24 - أَتُمْ يَا رِفَاقُ ، قُرْبَانَ شَعْبٍ كُنْتُمْ البَعْثَ فِيهِ وَالتَّجْدِيدَا ! !
25 - فَاقْبَلُوهَا ابْتِهَالَةً ، صَنَعَ الرَّشَّاشُ أَوْزَانَهَا ، فَصَارَتْ قَصِيدَا ! !
26 - وَاسْتَرِيحُوا ، إِلَى جِوَارِ كَرِيمٍ وَاطْمَئِنُّوا ، فَإِنَّا لَنْ نَحِيدَا ! !

السَّرْفُ المَالِي

مبارك الميلي (*)

السَّرْفُ - أَيُّهَا السَّادَةُ - يُطْلَقُ اِطْلَاقًا عَامًا عَلَى مَعْنَى هُوَ : « تَجَاوَزَ المَرءَ الحَدَّ فِي نَعْلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ » فَالْفُلُوءُ مِنْ شُعْبِهِ .

وَيَسْتَعْمَلُ السَّرْفُ اسْتِعْمَالًا خَاصًا . فَيُرَادُ مِنْهُ : « تَجَاوَزَ المَرءَ الحَدَّ فِي الإِنْفَاقِ » وَهُوَ أَخُو التَّبذِيرِ . كِلَاهُمَا إِضَاعَةٌ لِلْمَالِ . وَقَدْ حَذَّرَ القُرْآنُ مِنْهُ فِي آيَاتٍ مِنْهَا : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَسْرَافًا وَبَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا » ، « وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ المَبْذُورِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » ، « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » .

عاقبة السرف المالي في الآخرة أن يُلقى بصاحبه في النار . وعاقبته في الدنيا أن يلقى به في المترية والصغار . فالسرف المالي هو الذي التقي بكثير من أسرفنا بين يدي المرابين الذين اذا ذكرت لهم الرحمة واثبتت عليها حسبوها ثنيا مُغرما بكراسي النيابة او مُبتلي بخصومة العباد او في معنى هذين ممن يهين المال في سبيل اهانه واستتته لتشتيت شمله ، والسرف المالي هو الذي وضع بيوتا كانت ذا مجد وسؤدد . والسرف المالي هو الذي اخرج من ايدينا املاكا - واي املاك - الى ايدي تروى من اشرف اعمالها سلبنا قوت يومنا . والسرف المالي هو الذي قعد بالامة الجزائرية عن تعمير المساجد وانشاء المدارس واتخاذ ملاجئ للفقراء والعجزة .

أما وجوهه فكثيرة ، فانا الآن اذكر لكم من وجوه السرف الصداق ... فأما الصداق فالغرض منه التفرقة بين النكاح والسفاح ، واختلفوا في حد أقل ما يجب منه ، ولكنهم

(*) ولد الشيخ مبارك بن محمد الميلي سنة 1898 م في قرية الميلية قرب مدينة قسنطينة ، وكان أحد تلاميذ امامنا ابن باديس الذين تلقوا دروسهم بالجامع الاخضر . ثم توجه الى تونس لتابعة دراسته بجامع الزيتونة ، وبعد عودته ساهم في الحركة الإصلاحية فاشترك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وكتب في عدة صحف كالمنتقد والشهاب والبصائر ، وكان ينشر مقالاته بامضاء « البيضاوي » وكان صاحب فكرة انشاء مطبعة عربية لطبع المخطوطات ونشر الصحف .
وبعد مبارك الميلي من اعظم مؤرخي الجزائر في العصر الحديث ، ومن أهم آثاره : تاريخ الجزائر في القديم والحديث . ورسالة الشرك ومظاهره . وتوفى عام 1944 م .

لم يختلفوا انه لا حد لاكثره ، وقد تغالى الناس فيه تغاليا بعثم عليه التفاخر بالتكاثر واعتقاد أنه سبب للمجد أو مظهر من مظاهره . فحاطوا النكاح الضروري للبنين والبنات بصعوبات قل من يقدر على تذليلها . وستوا له عوائد تخور العزائم لمحاولة تغييرها أو تبديلها . ثم نظروا الى الشوار نظره إلى الصداق فأغرقوا فيها كل الاغراق .

ترى المصدق أو المشور يزهن أملاكه ان لم يبعها أو يأتي على اهم ذخيره ان لم يستنفدها ليقال أن عروسه أو كريمته جاءت بالخمسينات والئات من الملابس ، وبكذا وكذا من انواع الزينة التي يبليها النظر قبل الجسد ويذهب برويقها الهواء قبل الفس في الماء . ولو ان السرف في الصداق والشوار كان بتملك الزوجين اصولا يُفل أو حيوانات تنجح لكان في منفعته ما يخفف قليلا من مفسدته ولكنه كما ترؤن وتسمعون ضريبة فادحة يستخلصها من نوع من التجار لا نجدهم للتنفيس على مقيس ولا لبناء مشروع خيري .

- نشأ عن هذا السرف - سوى الاضرار العامة لكل سرف - اضرار لا يستهان بها .
- 1 - احدها غرس الكراهية في نفس الزوج لما يحدثه التكلف في الصداق من ضعف رابطة المحبة والرحمة التي هي مسالك الحياة الزوجية وثمره هذا الغرس هو سوء العشرة أو الفراق الذي يجرح العواطف ويسيء حياة الابناء .
- 2 - ثانيها عنوس المرأة بالعجز عن الشوار أو الصداق . والعانس منقصة لحياة اسرتها
- 3 - ثالثها عزوبة الرجل بعجزه عن ذلك السرف في الصداق . والرجل الأعزب عضو اشل في الأغلب .
- 4 - رابعها انكاح البنت غير من تميل إليه ويميل إليها جزيا خلف كثرة المال ودوسا لعاطفة المحبة بسبب رقة الحال .
- 5 - خامسها كثرة الطلاق لانبناء عقدة النكاح على السرف في الصداق لا على المحبة والوفاق .
- 6 - سادسها ضعف الاخلاق وانتشار الشرور من اجل اضطراب النفوس الناشيء عن العزوبة والعنوس . فان النكاح سكون وطمأنينة للزوجين ، قال الله تعالى : « وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .
- 7 - سابعها ضعف الأمة بقلّة النسل ورقة الدين وصرف مواهب الشكباب إلى الاشتغال بالفارغات بل العامرات بالمساوي . والذي يألّف مناظر الغرام والهزل لا يستطيع ان يقف موقف الجد والبطولة .

ونختم هذا الوجه من وجوه الشرف بكلمة صححت عن عمر بن الخطاب عند احمد واصحاب السنن ، قال رضي الله عنه - والامة غنية بكثرة الفنائم وقلة ابواب الانفاق - « **الَا لَاتَقُولُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا وَتَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصْدَقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ ، وَلَا أَصْدَقَتْ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَةً ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَبْتَلَى بِصَدَاقِ امْرَأَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ .** » .

والاثننا عشرة اوقية تزيد على اربعمائة درهم . ولكنه نهى عن الزيادة على الاربعمائة ، وعزم على وضع الزائد في بيت المال ، فردت عليه امراة بقوله تعالى : « **وَأَتَيْتُمُ احْدَاهُنَّ فَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا** » فرجع لها . وكان وقافاً عند كتاب الله . ولم يرجع اليها في ذم الغلو وان فيه مفساد ، ولكن في تحديد اكثر الصداق وتمليك الزائد للمسلمين .

ونرى ان عمر رضي الله عنه كان لا يُعجزه الجواب بأنه امير وللأمير ان يقصر المباح على احد طرفيه حسب المصلحة العامة . ولكنه اختلر التسليم لوجوه احدها خشية ان يكون وضع الزائد على ما حده في بيت المال غصبا . اما لمل المصدق او لمهر الزوجة . وثانيها انه كان يرى نفسه - كما هو الواقع - اسوة وقدوة . فسام للمرأة ليعلم الامة احترام الافكار وعدم التعصب للنفس (*) .

آداء الواجب بالتضحيه

العربي التبسي (**)

يجبُ علينا ان نتعلم محاسبة انفسنا قبل ان نحاسب الناس ، وقبل ان يحاسبنا الناس .

يجبُ علينا ان نكون اشداء على انفسنا حتى نستطيع ان نحفظ بهذا الميراث العظيم وان نبلغه سليما من بعدنا .

يجبُ علينا - نحن حاملين راية القرآن والدين - ان نكون اقوى روحا ، واعظم همة ، واكثر تضحية من اولئك المبشرين والمبشرات ، الذين هجرُوا البلادَ والوطنَ والصَّحْبَ والخِلاَنَ ، وتركوا « باريس ولندن ولاهاي » وغيرها ، يجوبون اقطار الارض للقيام بدعوتهم تاركين الدنيا وراء ظهورهم ...

(*) سيجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين .

(**) ولد العربي التبسي بمدينة تبسة في الشرق الجزائري ، وتعلم في الزيتونة بتونس ، ثم في الازهر بمصر ولا عاد إلى الجزائر شارك في حركة الإصلاح واشتهر بالخطابة والوعظ والارشاد ، وكان احد اعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وتولى رئاسة ادارتها فترة من الزمان حتى اغتالته يد المستعمرين عام 1956 م ، والنص من خطاب القاء عام 1952 م .

إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ ارْتِضَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْوَطَنِ ، وَارْتِضَاءُ الزَّوْجِ وَالْإِبْنَاءِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يُؤَدِّيَ وَاجِبَهُ التَّامَ إِلَّا بِالتَّضَحِّيَةِ ، فَلَنْتَسِيَ مِنْ مَاضِي الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَى الْفِتْوَرِ وَإِلَى الْمَوْتِ ، وَلِنَأْخُذَ مِنْ مَاضِيهِمْ كُلِّ مَا هُوَ مَدْعَاةٌ قُوَّةٍ وَاتِّحَادٍ .

أَنَّ لِدِينٍ جَاءَ وَادِّبَارَنَا هَذِهِ لَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْ مَالٍ وَوَلَدًا ، أَمَّا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَعْلَمَاءٍ وَنِظَامًا . فَلِنَكُنْ نَحْنُ دَعَاةُ وَبِنَاةُ الْعِلْمِ وَالنِّظَامِ ، وَفِينَا وَاللَّهِ نَوَاةُ هَاتَيْنِ الْقَوَتَيْنِ وَلِنَكُنْ مَعَ ذَلِكَ مِثَالِ الْإِسْتِقَامَةِ الدِّينِيَّةِ ، فَدِينُنَا السَّمْحُ دِينُ أَعْمَالٍ لَا دِينُ أَقْوَالٍ وَلِنَحَارِبِ الزَّيْبَ فِي الدِّينِ ، وَالضَّلَالَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَالِدِينِ الْإِسْلَامِيِّ لَا يَتَحَمَّلُ زَيْفًا وَلَا ضَلَالَةً ...

لِنَتَمَلَّ قَلْبًا وَقَالِبًا عَلَى أَنَّا جَنُودُ اللَّهِ نَنْصُرُ دِينَهُ وَنُبَشِّرُ بِتَعَالِيهِ وَنُصَلِّحُ حَالَ أُمَّتِهِ فَالْإِمَانَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَعْنَاقِنَا عَظِيمَةٌ شَاقَّةٌ ...

لِنَتَنَبَّأَنَّ قَائِمِينَ بِوَأَجَابَتِنَا الْكَامِلَةَ فِي الدَّعَايَةِ لِدِينِنَا ، بِأَقْوَالِنَا وَبِمَسَائِعِنَا الْمُسْتَمِرَّةِ الَّتِي : حَاجِبٌ أَنْ تَنْقَطِعَ لَيْلًا أَوْ كَهَرَارًا .

المذهب المادي والمذهب الغيبي

مالك بن نبي (*)

المذهب المادي :

مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأُ : الْمَادَةُ هِيَ الْعِلَّةُ الْأُولَى لِذَاتِهَا ، وَهِيَ أَيْضًا نَقْطَةُ الْبَدْءِ فِي ظَوَاهِرِ الطَّبِيعَةِ ، وَبِدَيْهِ أَنْهُ لَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَعُدَّ الْمَادَةَ شَيْئًا عَرَضِيًّا (حَادِثًا) ، أَدَّ أَنْهَا حِينُنْدُ سَتَكُونُ مُسَبِّقَةً عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ ، أَيْ عَنْ سَبَبِ خَالِقِ مُسْتَقِلٍّ ، وَهَذَا يَتَغَايَ مَعَ الْفَرَضِ

(*) هُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَاجِّ عَمْرِو بْنِ الْخَضِرِ بْنِ مِصْطَفَى بْنِ نَبِيِّ ، وُلِدَ فِي قَسَنْطِينَةَ عَامَ 1905 م 1323 هـ ، وَانْتَقَلَتْ أَسْرَتُهُ إِلَى مَدِينَةِ تَبْسةَ وَبِهَا تَلَقَى دِرَاسَتَهُ الْإِبْتِدَائِيَّةَ ثُمَّ دَرَسَ فِي قَسَنْطِينَةَ حَتَّى عَامَ 1925 م وَبَعْدَهَا سَافَرَ إِلَى بَادِيسَ وَدَرَسَ الْهِنْدُسَةَ ، وَتَخَرَّجَ مِهْنَدَسًا فِي الْكَهْرِبَاءِ .

شَارَكَ فِي الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْذُ صِبَاهٍ ، وَاتَّصَلَ بِالْإِمَامِ ابْنِ بَادِيسَ وَكَانَ لَهُ الْفَضْلُ فِي دُخُولِ الْعَدَدِ الْأَوَّلِ مِنْ جَرِيدَةِ الشَّهَابِ « أَفْلُو » جَنُوبَ تِيَارَتِ حَيْثُ يَقْوَى نَفُوذُ أَهْلِ الطَّرِيقِ .

قَامَ مَالِكٌ بَعْدَهُ رِحَالَاتٍ زَارَ خِلَالَهَا الصِّينَ وَإِنْدُونِيسِيَا ، وَأَمْرِيكَا ، وَالْإِتِّحَادَ السُّوفِيَّاتِي ، وَعَاشَ فِي الْمَانِيَا وَفَرَنْسَا فِتْرَةً عَنْ عَمْرِهِ وَزَارَ بَعْضَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَقَامَ بِمِصْرَ مِنْذُ عَامِ 1956 م حَتَّى عَامِ 1963 م ، وَفِيهَا اتَّصَلَ بِالْأَوْسَاطِ الْعِلْمِيَّةِ وَظَهَرَتْ مَوْلَفَاتُهُ وَتَرَجَمَ بِمِصْرَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَعَادَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْجَزَائِرِ عَامَ 1963 م لِيُؤَاصِلَ الْكِفَاحَ بِقَلْمِهِ وَفِكْرِهِ ، وَأَقَامَ فِي مَنزَلِهِ « مَسْتَدَى » يَوْمَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَقَفِّينَ فِي الْجَزَائِرِ ، وَتَوَلَّى مَنصِبَ مَدِيرِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي فِي الْجَزَائِرِ .

وَالْكَتَابُ بِجَيْدِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَبِحَسَنِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَيَعْرِفُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ ، وَهُوَ عِدَّةُ مَوْلَفَاتٍ أَهْمِيَا الظَّاهِرَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، شُرُوطِ النَّهْضَةِ ، وَجِهَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مُشْكَلَةُ الثَّقَافَةِ ، آفَاقِ جَزَائِرِيَّةٍ ، وَبَعْضِ أَعْمَالِ لَمْ تَنْشُرَ بَعْدُ . وَقَدْ تَوَفَّى عَامَ 1973 .

وإذَنْ وبكَلِّ بَسَاطَة : هِي مُوجُودَة ، وَهِيَ أَيْضًا غَيْرُ مَخْلُوقَة . وَهَكَذَا نَتَفَقُّ عَلَى أَصْلِ الْمَادَّةِ مُبَدَّئِيًّا ، وَنَهْتَمُّ فَقَطَّ بِتَطَوُّرِهَا فِي حَالَاتِهَا التَّمَاعِقِيَّةِ ، وَبِإِدْنِ مِنْ نُقْطَةِ التَّسْلِيمِ هَذِهِ . فَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْخَاصَّةَ الْوَحِيدَةَ لِلْمَادَّةِ فِي مَبْدَأِ الْأَمْرِ هِيَ أَنِهَا كَانَتْ « كَمَا » مُعَيَّنًا أَوْ كَتَلَةً .

وَبِنَاءِ عَلَيْهِ يَجِبُ أَنْ نَعْتَبِرَ جَمِيعَ الْخَوَاصِّ الْآخَرَى كُنْتَائِجَ لِهَذِهِ « الْخَاصَّةِ الْوَحِيدَةِ » وَلِهَا وَحْدَهَا .

وَيَجِبُ عَلَى الْأَخَصِّ ، أَنْ نَعْتَبِرَ هَذِهِ الْمَادَّةَ مِنْ حَيْثُ الْأَصْلُ فِي حَالِهَا بَسَاطَةٍ وَتَجَانِسٍ تَامٍ ، لِأَنَّ كُلَّ تَنَوُّعٍ فِي ذَاتِهَا يَسْتَتْبِعُ تَدْخُلَ عَوَامِلٍ مُتَنَوِّعَةٍ بِالضَّرُورَةِ ، مِمَّا يَتَنَاقَى مَعَ الْمُؤَثِّرِ الْوَحِيدِ ، وَهُوَ خَاصَّةً « الْكَمِّ » .

وَفِي الْحَقِّ أَنَّهُ لِمَنْ الصَّعْبُ أَنْ نَتَصَوَّرَ كَيْفَ تَكُونَتِ النَّوَاءُ الْأُولَى مِنْ أَجْزَاءِ مِنْ نَفْسِ النَّوْعِ ، وَتَسْمَى بِنَفْسِ الْأَسْمِ ، وَتَتَنَافَرُ بِفِعْلِ قَانُونِ الْكَهْرِبَاءِ الْأَسْمِ بِتَيْكِيَّةِ الْأَسْمِ مَعَ ذَلِكَ فَإِنَّا سَنَسَلِّمُ بِإمكانِ ذَلِكَ وَلَكِنْ هَلْ تَبْدَأُ دَوْرَةَ الْإِنْدِمَاجِ بَيْنَ الْجُزْئِيَّاتِ بِالنَّسْبَةِ لِلنَّوَاءِ الْأُولَى فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لِلعُنْصُرِ الْإِثْنَيْنِ وَالتَّسْعِينَ (*) الَّتِي رَتَّبَهَا مَاندَلِيْفٌ ؟ أَوْ أَنَّ ذَلِكَ يَحْدُثُ بِالتَّتَابُعِ مِنْ عُنْصُرٍ لِآخَرَ ؟ فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مَا يُسَمَّى « بِالْإِقْتِرَانِ الزَّمْنِيِّ » فَإِنَّ عُنْصُرًا وَاحِدًا فَقَطَّ يُمْكِنُ أَنْ يَوْجِدَ طَبِيعِيًّا بِوِاسِطَةِ تَدْخُلِ مُؤَثِّرٍ وَاحِدٍ ، أَيْ حَالَةَ الْمَادَّةِ فِي بَسَاطَتِهَا وَخُلُوقِهَا مِنَ التَّكْهَرُّبِ . وَلَكِنْ سَتَجْعَى أَحَدِي وَتَسْعُونَ حَالَةً شَاذَةً عَنِ الْقَاعِدَةِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَوْجِدَهَا نَفْسُ الْمُؤَثِّرِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ .

وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ هُنَاكَ تَتَابُعٌ فِي خَلْقِ الْمَادَّةِ لِعُنْصُرِ الطَّبِيعَةِ ، فَمِنْ الْوَاجِبِ تَفْسِيرَ تَكُونِ هَذِهِ الْعُنْصُرِ عَلَى أَنَّهُ مَجْمُوعَةٌ مِنْ وَاحِدٍ وَتَسْعِينَ تَحْوِلًا عُنْصُرِيًّا ، إِبْتِدَاءً مِنْ عُنْصُرٍ وَاحِدٍ أُولَى ، وَلِيَكُنَّ « الْإِيدْرُوجِيْنَ » .

وَهُنَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْتَلِ الظَّاهِرَةُ مَكَانَهَا سِوَاءَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ بِوِاسِطَةِ سَلْسَلَةٍ وَاحِدَةٍ : بَحِيثٌ تَخْلُقُ الْمَادَّةَ الْأُولَى الْعُنْصُرِ الْأُولِ ، ثُمَّ تَتَوَالَدُ الْعُنْصُرُ الْبَاقِيَةَ مِنْهُ فِي سَلْسَلَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَمْ كَانَ بِسَلْسَلٍ مُتَعَدِّدَةٍ : تَخْلُقُ الْمَادَّةَ الْأُولَى الْعُنْصُرِ الْأُولِ « الْإِيدْرُوجِيْنَ » ، وَمِنْ هَذَا الْعُنْصُرِ الْأُولِ تَتَوَالَدُ عَائِلَةٌ مِنَ الْأَجْسَامِ الْبَسِيطَةِ وَلَتَكُنَّ أَرْبَعَةً مِثْلًا ، يَتَسَلَّلُ مِنْ كُلِّ مِنْهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعُنْصُرِ الْبَاقِيَةَ وَالْكَتْلِ نَاتِجٌ عَنِ عُنْصُرٍ أُولَى .

فَفِي الْحَالَةِ الْأُولَى : تَتَطَلَّبُ السَّلْسَلَةُ الْوَحِيدَةُ وَاحِدًا وَتَسْعِينَ تَحْوِلًا عُنْصُرِيًّا مُحَدَّدًا ، بِمَا أَنَّ كُلَّ عُنْصُرٍ يَتَشَكَّلُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَبْقَى فِيهِ الْعُنْصُرُ الَّتِي سَبَقَتْهُ ،

1 - بَلِغَ عِدَدِ الْعُنْصُرِ الْمَكْتَشَفَةِ عُنْصُرَيْنِ وَمِائَةَ عُنْصُرٍ (102) ، وَقَدْ اشْتَرَكِ فِي اكْتِشَافِ الْعُنْصُرِ الْآخِرِ الْعَالَمُ الْبَرِيطَانِيَّ الدُّكْتُورَ مِيلْسْتِيدَ .

وهي على ذلك تتعرض لاحدى وتسعين حالة من التبادل الطبيعي الكميائي المختلف ، الذي يتضمن تدخل عامل مختلف ايضا من قانون الاندماج الاولي . ولكننا افترضنا أصلاً أن هذا القانون وحيد ، وأنه مستقل عن الزمان وعن سائر العوامل الحرارية . الديناميكية ، فلدينا إذن سلسلة مكونة من واحد وتسعين تحولاً عنصرياً تتولد من العنصر الأول ، وهذه السلسلة لم تحظ بتفسير طبقاً لقانون واحد .

وعلى هذا ففي كِلْتَا الحالتين لا يجد جدول « ماندليف » تفسيراً كافياً في نظر المبدأ الذي نسلم به ، وهذا يثبت ضعف المذهب المادي .

وهناك في الواقع مشكلة جديدة تخص وحدة النوع التي لا يمكن أن ترى في الفرد ، وإنما في الزوج : الذكر والانثى ، ولذلك فإن النظرية المادية لا تقدم أي تسوية لهذا الازدواج الذي يُعد شرطاً لوظيفة التوالد الحيوانية .

فاذا كان هناك حدث « بيولوجي » عَرَضِي فيما يخص الرجل ، فإن المشكلة تظل تواجهنا رغم ذلك فيما يتعلق بالمرأة ، إلا إذا قررنا حدثاً مزدوجاً في الأصل نتج عنه الزوج المتوالد الضروري لتناسل النوع الانساني ، وإذا نحن قررنا - رغم كل شيء - هذا الحدث المزدوج للمادة ، فيكون من الصعب أن نقرر أن نتيجته كانت متسقة تماماً مع هدف وظيفة التناسل الواحدة المشتركة بين الذكر والانثى .

وعلى كل ، فإن حتمية المادة يمكن أن تصح إذا كانت تتحقق في صورة خُوضَة زوجية لنوعين متماثلين مستقلين : نوع الرجل ونوع المرأة ، وبهذا يوجد أيضاً بقية نقص تشير عدم التوافق في المبدأ .

ومن وجهة النظر الآلية : من الثابت أن المادة تخضع لمبدأ « القصور الذاتي » خضوعاً تاماً ، فالمادة الحية على هذا تعد استثناءً من القاعدة : فإن الحيوان مزود بعبارة تعديل وضعه بنفسه ، وهنا يظهر أيضاً ضعف المذهب المادي .

وهناك ظواهر أخرى لا تقل عن السابِقة فإثارة الاهتمام بغرائب المذهب المادي ، ومن ذلك ظهور بقع في بشرة الزوج ، فهل يمكن أن يعزى هذا إلى تأقلم عضوي في بيئات يؤثر عامل الشمس فيها تأثيراً كبيراً ؟ ومع ذلك ففي نفس المستوى نجد البشرة البيضاء والصفراء أو النحاسية ، فهل يمكن أن يعزى هذا إلى الغابة العذراء ؟ وفي هذه الحالة يجب أن تتلون بشرة الانسان في البرازيل مثلاً .

وأخيراً ، ففي علم الفلك نصادف أيضاً غرائب غامضة في نطاق المذهب المادي ، فقد كشف تحليل الوان الطيف عام 1939 م لعالم الطبيعة « هابل » اتجاه حركة

النجوم السَّديميَّة الخارجية عن سماننا بالنسبة لعالمنا ، فان هذه السديميات تبتعد عن كوكبنا ، فيما عدا ستة تقترب منه على عكس سالفاتها .

وهكذا تحتمل المادة في مجموعها - بالنسبة لنا - تفسيرين متعارضين ، فاذا وضع احدهما في ضوء قانون اساسي معين ، فان معنى الآخر يظل معلقا ، وكل هذا الشذوذ الذي يتناقى مع الحتمية المادية المحضة - اساسا - يحتم اعادة النظر في بناء المذهب كله ، فان المبدأ الاساسي نفسه يبدو عاجزا عن تزويدنا بنظرية متسقة عن الخلق وعن تطور المادة .

المذهب الفيبي :

من الضَّروري هنا ان نَفرضَ مَبداً متميزاً عن المادة ، فالله خالق ومدبر للكون ، وسببُ اول ينبثق عنه كل موجود ، وهذا مبدأ المذهب الجديد وسيتولى هذا المبدأ بيان اصل المادة ، وقد وجدناه غامضاً موغلاً في الابهام في المذهب السابق - فهي مخلوقة بواسطة حتمية مستقلة عن جميع خواصها .

وهذه الحتمية الفيبية « الميتافيزيقية » تسعفنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن اعطاء تفسير واضح للظواهر . وبذلك ينتج عنها مذهب كامل متسق متجانس لا نقص فيه ولا تعارض ، مما لزم المذهب المادي .

وفي الوقت الذي يعبر فيه المذهب الفيبي عن المطالب الفلسفي للعقل الذي يرمي الى ربطِ الأشياء والظواهر ربطاً منطقياً في تأليف مُتسق ، نجدَه يَنْصُبُ علاوة على ذلك جسراً يتجاوز حدود المادة الى مثال اعلى للكمال الروحي ، الى الهدف الاساسي الذي لم تكف الحضارة عن الاتجاه نحوه ، فخلق المادة هنا ينتج من الامر القاهر لارادة عليا ، تقول لكل شيء حسب كلمة سفر التكوين : « كُنْ » .

وتطور هذه المادة سيكون طبقاً لاوامر ارادة تُورِّعُ التوازن والاتساق اللذين قد يلاحظ علم البئر قوانينها الثابتة .

ولكن بعض مراحل هذا التطور ستخفي على الملاحظات المألوفة لرجال العلم دون ان ينطوي المذهب من اجل هذا على نقص ما ، ففي هذه الحالات الاستثنائية نستعين بالحيثية الفيبية التي لا تعارض بينها وبين طبيعة المبدأ .

فحيثما يوجد نقص في المذهب السابق ، يوجد تدخل سبب خاص خالق ، عالم بخلقه ، ومريد .

ولقد نجهل مؤقتا القانون الذي يسيطر على ظاهرة ما زالت تخفى علينا طريقة حدوثها ، ومع ذلك فان المذهب يظل منسجما منطقيا مع مبدئه الاساسي ، لان مثل هذه الظاهرة يمكن تسويقها في التحليل النهائي بناء على حتمية مطابقة ، فارادة الله هي التي تتدخل هنا ، بينما كانت الصدفة هي التي تتدخل هناك ، تلك الصدفة التي تعد الاله القادر على كل شيء في المذهب المادي .

ولا يفهم عن نظرنا ان الامر لا يتعلق هنا - كما سبقت الملاحظة - بالمقارنة بين نوعين من العلم ، بل بين عقيدتين : عقيدة تؤله المادة ، واخرى ترجع كل شيء الى الله تعالى .

وليس من نافلة القول ان نقرر ان عالما كبيرا يستطيع ان يكون مؤمنا كبيرا ، على حين ان مسكينا جاهلا يمكنه ان يكون جاحدا كبيرا ايضا ، والامر هكذا غالبا ، وعندما تصادف حالة عجيبة لعالم يقول بان القرد جد للانسان ، فيجب ان نفكر ايضا في ذلك الوثني المتواضع على شاطئ نيجيريا في الذي يعتقد تماما انه قد انحدر من جد تمساح ، فليس لدى كل من هذين الرجلين ، العالم والبدائي ، سوى فكرة فنيبية يعبر عنها كل منهما بطريقته .

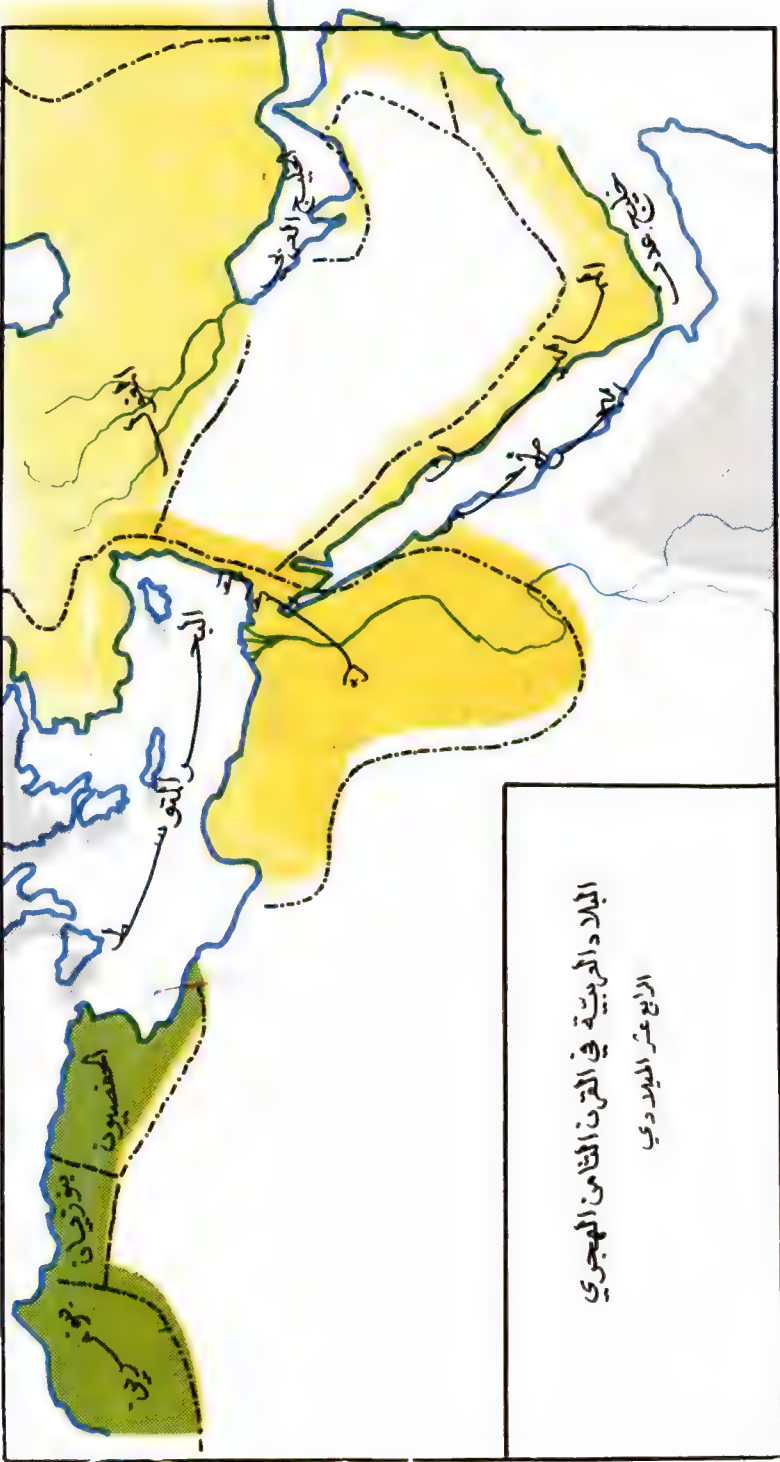
ان عصور الاضطرابات الاجتماعية ، والاختلال الروحي هي وحدها التي تخاق الصراع بين الدين والعلم .

ولكن كلما تواردت احداث التاريخ ، في روسيا مثلا ابان الحرب الاخيرة ، وفي فرنسا عقب ثورة 1789 م نجد ان آلهة العلم قد انهارت على نحو يدعو الى الرثاء ، لتفسح مجالا للعلم وحده ، ذلك الخادم المتواضع للتقدم الانساني ، ومع ذلك فمئذ الاستكشافات الاخيرة لعلم الفلك قطن العلم لنطاقه المنتهي المحدود ، وفيما وراء السديميات الحقيقة في البعد ، وراء ملايين السنين الضوئية ، وربما ملياراتها ، تمتد الهاوية التي لا قرار لها ، اللانهائية التي يستحيل الوصول اليها ، او حتى ادراكها بالنسبة للفكر العلمي ، اذ لا يجد هذا التفكير موضوعه الخاص وهو : الكَم ، والعلاقة ، والحالة .

فأي كم ؟ واية علاقة واية حالة ؟

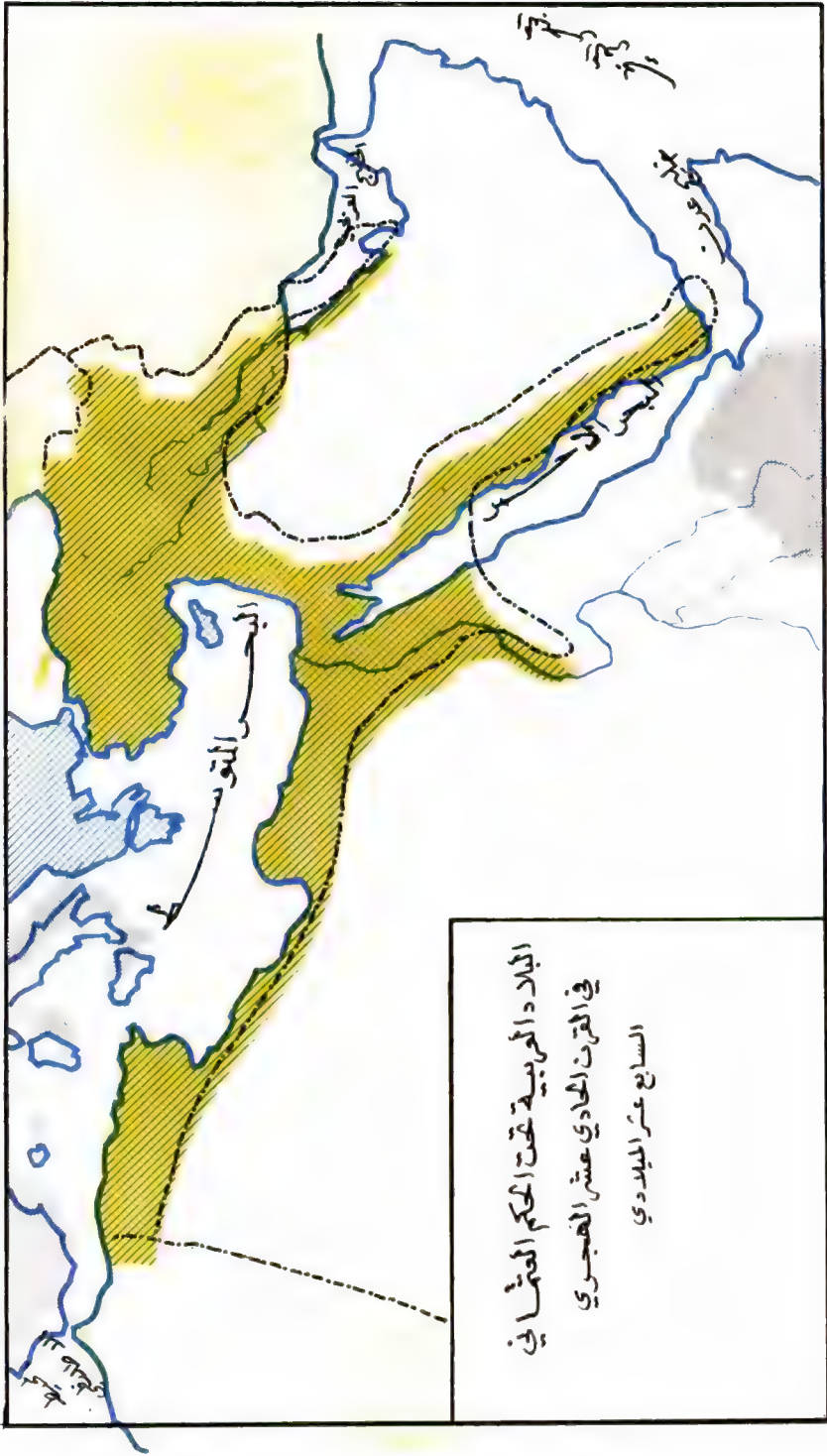
كل هذه الاسئلة لا معنى لها خارج حدود المادة ، والعلم نفسه لا معنى له وراء السديميات الاخيرة التي تقف على الحدود بين عالم الظواهر ، واللانهائية اللادينية . وراء هذه الحدود يستطيع الفكر الديني وحده ان يقول شيئا واضحا بينا . « الله يعلم » .

الخزائن



الملا و العربية في القرن الثامن الهجري

الرابع عشر المجلد دي



المبلاد العربية تحت الحكم الفخاري
في القرون الحادي عشر الهجري
الساسع عشر الميلادي

محتويات الكتاب

المقدمة أ - هـ

الباب الأول : عصر الضعف

- 5 الفصل الأول : لمحة أدبية عن عصر الضعف
- 15 الفصل الثاني : نصوص أدبية من عصر الضعف
- 17 1. من قصيدة الحمزية في مدح الرسول (ص) للبوصيري
- 26 نموذجان من شعره
- 28 2. طريقة التعليم : لابن خلدون
- 35 نموذجان من أدبه

الفصل الثالث : نماذج من أدب عصر الضعف :

- 39 في الزهد والحكم : لابن الوردي
- 40 الحث على الجهاد : لصفى الدين الحلبي
- 41 في الرثاء : للحوضي
- 42 في الفكاهة : لأبي الحسن الخزازي
- 43 في المديح : لمحي الدين بن عبد الظاهر
- 44 وصف موقعة : للقشندبي
- 45 الفصل الرابع : خصائص الأدب في عصر الضعف

« تابع »

محتويات الكتاب

الباب الثاني : العصر الحديث

- 51 الفصل الأول : لمحة أدبية عن العصر الحديث
- 61 الفصل الثاني : نصوص من الشعر في العصر الحديث
- 63 3. البدو والحضر : للأمير عبد القادر الجزائري
- 72 نماذج من شعره
- 73 4. في سرنديب : لمحمود سامي البارودي
- 83 نماذج من شعره
- 85 5. نكبة دمشق : لأحمد شوقي
- 96 نماذج من شعره
- 106 6. تربية الفتاة : لحافظ إبراهيم
- 112 نماذج من شعره
- 118 7. وقفة على قبور الشهداء : لمحمد العيد آل خليفة
- 125 نماذج من شعره
- 128 8. الطلاسم : لآيليا أبي ماضي
- 133 نماذج من شعره
- 135 9. إلى الطفلة : لأبي القاسم الشابي
- 141 نماذج من شعره

الفصل الثالث : نصوص من النثر في العصر الحديث

- 144 10. الاستبداد : للكواكبي
- 151 (للمطالعة) الحياة عقيدة وجهاد : لسيد قطب
- 155 11. اللغة والامة : لمصطفى صادق الرافعي
- 162 نماذج من أدبه

« تابع »

محتويات الكتاب

- 172 (للمطالعة) طريق التقدم
- 174 12. عبقرى : لعباس العقاد
- 180 نموذجان من أدبه
- 184 (للمطالعة) التعريب بين الأمس واليوم
- 188 13. فروسية : لعبد القادر المازنى
- 194 نموذج من أدبه
- 196 14. الرسول (ص) فى صباه لطفه حسين
- 200 نماذج من أدبه
- 206 (للمطالعة) أدب الحياة وأدب الشعب : لتوفيق الحكيم
- 211 15. تاريخ المرأة استشهاد طويل : لى زيادة
- نموذجان من أدبها
- 216 16 حمار الحكيم والزواج : لرضا حوحو
- 226 نماذج من أدبه
- 237 (للمطالعة) تعليق على أدب رضا حوحو
- 239 17. الحربة : لعبد الحميد بن باديس
- 247 نماذج من أدبه
- 264 18. الشباب الجزائرى كما تتلذذ فى الخواطر : لتبشير الأبراهيمى
- 271 نماذج من أدبه

« تابع »

محتويات الكتاب

286 (للمطالعة) جمعية العلماء ومكانتها في تاريخ الجزائر
الحديثة : لمحمد المبارك

289 (للمطالعة) تعريب التعليم بين القائلين والمعارضين

الباب الثالث : تطور الأدب العربي في العصر الحديث وخصائصه الفنية

301 الفصل الأول : المذاهب الأدبية الغربية واثرها في الأدب العربي

. الفصل الثاني : تطور الشعر العربي وخصائصه في العصر الحديث

312 مراحل التطور

314 تطور الأغراض

319 تطور الفن الشعري

322 القالب الشعري

الفصل الثالث : تطور النثر العربي وخصائصه في العصر الحديث

327 مراحل تطوره

329 فنون النثر : النثر العلمي

330 الخطابة

331 الرسالة

333 المقالة

335 القصة

336 الرواية

« تابع »
محتويات الكتاب

- 342 القصة القصيرة
- 345 المسرحية
- 349 **الباب الرابع : الأدب المهجري**
- الباب الخامس : التراجم الأدبية**
- 356 احمد شوقي
- 360 ايليا ابو ماضي
- 1 عبد الحميد بن باديس
- 401 البشير الابراهيمى
- الباب السادس : نماذج من الأدب الجزائري في العصر الحديث**
- 412 اخو العلياء : ل محمد السعيد الزاهري
- 413 الطبيعة الساحرة : للأمين العموري
- 413 حظ عائر : للأمين العموري
- 414 المرأة الجزائرية والحجاب : لصالح خبثاش
- 416 وداع الوطن : لابني اليقظان
- 417 مسامرة القمر : لحسن ابي الاحبال
- 418 مدينة تلمسان : ل محمد الهادي السنوسي الزاهري
- 419 الذبيح الصاعد : لمفدي زكريا
- 421 السرف المالي : لمبارك الميلي
- 423 اداء الواجب بالتضحية : للعربي التبسي
- 424 المذهب المادي والمذهب الفيسي : لمالك بن نبي



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



twitter مكتبة لسان العرب



facebook مكتبة لسان العرب



instagram مكتبة لسان العرب



مصلحة الطباعة

للمعهد التربوي الوطني - الجزائر

1985 - 1984



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطه بديل